
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

نقد بحث الأشخاص عند النصارى وأثاره

عرض ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب

موسى بن عقيلي بن أحمد الشيشخي

الرقم الجامعي

٤٢٥٨٨١٢٤

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود محمد مزروعة

العام الدراسي : ١٤٢٩ هـ



ملخص الرسالة

تتحدث في هذه الرسالة عن ظاهرة هامة عند النصارى ، وهي تقديس الأشخاص ، مثل تقديسهم لعيسى ابن مریم العلیہ السلام ، ومن يسمى عندهم بالرسل ، وتقديس الباباوت ورجال الدين .

وقد مهدت لذلك بتعريف عام بالنصرانية ، وبمعنى التقديس ، وجذوره ، وأهم أسبابه ، ثم بينت الآثار التي نتجت عن تقديس هؤلاء الأشخاص داخل الكنيسة ، وخارجها ، والآثار المتعلقة بظهور الفكر الديني القائم على العداء للكنيسة ، وقد توصلت بعد البحث إلى عدة نتائج من أهمها :

- ١ - براءة عيسى العلیہ السلام من انتساب النصارى إليه .
- ٢ - من أعظم أسباب وقوع النصارى في تقديس متبعيهم اعتقادهم أنَّ الباباوت ورجال الدين هم ورثة سلطان الرب الذي منحه لبطرس .
- ٣ - أثر الإسلام في حركة الإصلاح الديني لدى النصارى .



Research Summary

In this research, I discussed a significant subject which can be appeared clearly in Christianity. It is sanctifying people as they do for Jesus(Son of Marry),those whom they call them as messengers and finally Popes and the Clergymen. I made all that by introducing a general definition of Christianity ,the meaning of sanctifying, showing its roots and its main reasons. Then I explained the whole effects of that beside the effects on Secularism.

Conclusion:It includes the most important results I had such as:

- 1-Being Jesus innocent from the Christianity.
- 2- Sanctifying clergymen was the main reason for falling in Polytheism and being away from the right path .
- 3-The influence of Islam in Protestantism revolution in the Christianity.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وبعد :
فإنَّ من أعظم نعم الله تعالى على عباده هدايتهم إلى صراطه المستقيم ، علمًا و عملاً ،
و حاجة العباد إلى ذلك أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب والنفس ؛ لأنَّ فيه حياة قلوبهم
، وفوزهم بالنعيم المقيم .

ومن أجل تحقيق هذه الغاية العظمى ، أرسل الله تعالى الرسُل ، وأنزل الكتب ،
تصديقاً لما فطرت عليه النُّفُوس ، وتأييداً للميثاق الأول الذي أخذ على أبيينا آدم وذراته .
وقد كان خاتمة هؤلاء الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي أكمل الله تعالى به
الدين ، وأتمَّ به النعمة ، وارتضى دينه للبشرية جمِيعَه ؛ فلم يعد في وسع أحد غير الإيمان به ،
وابطاع رسالته ، فمن سمع به ، وبلغته دعوته ، ولم يؤمن به كان من أهل النار .
وكان من بين من شملتهم دعوته النصارى ، وقد آمن منهم من أراد الله تعالى له الخير
، وأعرض عن دعوته الكثير منهم رغم معرفتهم به ، كمعرفتهم لأبنائهم .

وقد ظهر لي أنَّ من أعظم أسباب انصافهم عن قبول الحق الذي يعرفونه غلوthem في
متبعيهم ، من الأخبار والرهبان ، إلى الحد الذي أصبحوا معه أرباباً من دون الله . وهذا
المعنى هو ما يمكن أن أعبر عنه بتقديس الأشخاص ؛ وخطورة هذا الأمر ، وعظم أثره فقد
رأيت - بعد استخارة الله تعالى ، ثمَّ استشارة أهل الاختصاص - أن أسجل هذا الموضوع
لليل درجة الماجستير ، ولا اختيار لهذا الموضوع أسباب أخرى ، أجملها فيما يلي :

١ - الرغبة أن يكون هذا الموضوع - بعد إجازته بعون الله تعالى - رسالة موجهة إلى
النصارى كشفاً لما في دينهم من الباطل ، ودلالة على الحق ، وهداية لمن أراد الله له الخير
منهم ، وعملاً ادْخُر أجره عند الله تعالى .

٢ - أنَّ الديانة النصرانية من أكثر الديانات انتشاراً ، وأتباعاً ، وتوجيه الدراسة إليها
من أوجب الواجبات على من قدر على ذلك من طلاب العلم المختصين .

٣ - تأثير بعض المسلمين بالتنصير ، بسبب الجهل ، والفقر ، والمرض ، وفي كشف
باطل النصارى صيانة للمسلمين من التأثير بهم .

٤ - اتباع المنهج القرآني الداعي إلى استبانت سبيل المجرمين ، والرد على المبطلين .

-
- ٥- إثبات براءة عيسى ﷺ من كل ما نسبه إليه النصارى في كتبهم .
- ٦- معرفة مدى تأثير تقديس الأشخاص عند النصارى على قوتهم للحق الذي جاء به محمد ﷺ .
- ٧- أنَّ نقد هذه الظاهرة التي غلبت على النصارى أكثر من غيرهم محاولةً لهم أساساً لبيان الذي صرف الكثير منهم عن قبول الحق ، وفرصة لأتباعهم لمعرفة الحق بتجدد بعيداً عن تأثير المتبوعين .

الدراسات السابقة :

- لم أجد من خلال البحث دراسة متخصصة في نفس الموضوع الذي اختerte للدراسة ، ولكنني وجدت دراستين لهما علاقة بالبحث ، وهما :
- ١- رسالة ماجستير بعنوان : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي . عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة ، للباحث د. محمد أحمد لوح . وهذه الرسالة تشترك مع دراستي في موضوعها ، وتختلف عنها كلية من حيث مجالها ، حيث أنَّ مجالها هو الفكر الصوفي ، وقد أفادت منها دون شك في تصوير فكرة التقديس للأشخاص بوجه عام .
- ٢- رسالة ماجستير بعنوان : غلو الأئمَّة في معظمها وأثره على الطوائف الإسلامية . للباحث د. ثامر بن ناصر الغشيان . وهذه الرسالة متميزة في فكرها ، ولكن يؤخذ عليها في نظري توسيع دائرة الدراسة ؛ حيث شملت الغلو في الصالحين عموماً ، ثم الغلو عند النصارى ، والهندود ، والجوس ، ولو اقتصرت على الغلو عند أمة واحدة ، مع بيان أثره على الطوائف الإسلامية لكان أولى وأقوى ، ويؤخذ عليها كذلك عدم استيفاء بعض المواضيع حقها من البحث من جهة العرض ؛ كمبحث العصمة ، حيث لم يتجاوز تقريره - مع أهميته - أكثر من خمسة أسطر فقط ، ولم يذكر الباحث في تقريره سوى النقل من مرجع إسلامي لا يعتبر مصدرًا أصلياً في هذا البحث .

وقد أفادت من هذه الدراسة ، لاسيما ما يتعلق بتقديس البابا عند النصارى .



خطة البحث :

قسمت البحث - بعد استعانة الله - إلى مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة :

فتشمل على ما يلي :

١ - أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره .

٢ - الدراسات السابقة .

٣ - خطة البحث .

٤ - منهجي في البحث

٥ - أهم الصعوبات التي واجهتني في البحث .

وأما الباب الأول :

فخصصته للحديث عن حقيقة التقديس عند النصارى ، وقسمته إلى الفصول التالية:

الفصل الأول : التعريف بالديانةنصرانية ، ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : تاريخ النصرانية .

المبحث الثاني : مصادر النصرانية .

المبحث الثالث : الفرق النصرانية .

المبحث الرابع : العقائد النصرانية .

الفصل الثاني : بينت فيه المراد بالتقديس من خلال مباحثين :

المبحث الأول : المراد بالتقديس في اللغة ، والشرع .

المبحث الثاني : المراد بالتقديس والقداسة عند النصارى .

الفصل الثالث : بينت فيه جذور التقديس ، وتناولت فيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية .

المبحث الثاني : تقديس الأشخاص في الديانة الهندية .

المبحث الثالث : تقديس الأشخاص في الديانة المصرية القديمة .

المبحث الرابع : تقديس الأشخاص عند اليونان والرومان .



الفصل الرابع : بینت فيه أهم أسباب تقدیس الأشخاص من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول : أثر الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للنصرانية عليها .

المبحث الثاني : دور شاعر اليهودي .

المبحث الثالث : دور الجامع النصرانية .

المبحث الرابع : دور الدولة الرومانية .

وأماماً الباب الثاني :

تناولت فيه المقدّسين من الأشخاص عند النصارى ، وقسمته إلى ما يلي :

الفصل الأول : تقدیس عیسی العلیل ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : عقيدة الوهية المسيح العلیل .

المبحث الثاني : عقيدة بنوة المسيح العلیل .

المبحث الثالث : عقيدة التشليث .

المبحث الرابع : تقدیس مریم عليها السلام .

الفصل الثاني : تقدیس من يسمیهم النصارى الرسل ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : جماعة الرسل عند النصارى .

المبحث الثاني : صور تقدیس هذه الجماعة عند النصارى .

المبحث الثالث : مناقشة اعتقاد النصارى حول هذه الجماعة .

الفصل الثالث : تقدیس النصارى للبابا ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف البابوية ونشأتها .

المبحث الثاني : صور تقدیس البابا .

المبحث الثالث : نقد هذه الصور .

الفصل الرابع : بینت فيه تقدیس النصارى لرجال الدين ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : دعوى وراثتهم لسلطان الرب .

المبحث الثاني : دعوى التوسط بين الخالق والمخلوق .

المبحث الثالث : الأسرار الكنسية .



الفصل الخامس : بينت فيه صور عامة لتقديس الأشخاص ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : التبرك بآثار ومخلفات من يسمى بالمقدّسين ٠

المبحث الثاني : تقدیس التماثيل والصور ٠

المبحث الثالث : إقامة الأعياد لمن يسمى بالمقدّسين ٠

المبحث الرابع : الزيارة والحج إلى أماكن المقدّسين ٠

الباب الثالث :

خصصته للحديث عن آثار التقدیس ، وقسمته إلى الفصول التالية :

الفصل الأول : آثار التقدیس على الكنيسة ، وفيه مباحثان :

المبحث الأول : طغيان الكنيسة ٠

المبحث الثاني : فساد الكنيسة ٠

الفصل الثاني : الثورة على الكنيسة ، وفيه مباحثان :

المبحث الأول : ثورة الإصلاح الديني ٠

المبحث الثاني : الثورة الفرنسية ٠

الفصل الثالث : ظهور الفكر اللاديني ، وفيه مباحثان :

المبحث الأول : دين الكنيسة قبل ظهور الفكر اللاديني ٠

المبحث الثاني : الفكر اللاديني (العلمانية نموذجاً) ٠

أما الخاتمة :

فقد بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ، والتوصيات التي

أوصي بها ٠

منهجي في البحث :

تقوم فكرة البحث الرئيسة على أساس عرض فكرة تقدیس الأشخاص عند النصارى

من وجهة نظرهم ، ثم نقد هذه الفكرة من خلال مصادرهم المعتمدة عندهم أولاً ، ثم من

وجهة النظر الإسلامية ثانياً ، والبدء بالنقض من خلال مصادرهم طلباً لقوة الحجة ، وبالمبالغة

في إلزمتهم ولم أتوسع في الرد من الناحية الشرعية ؛ لأنَّ ذلك مستوعب في أغلب

الدراسات النقدية الأخرى ٠

والمنهج المتبّع في ذلك هو المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التحليلي، ثم المنهج النّقدي حيث قمت بوصف أفكار الموضوع كما يراها النّصارى ، وتحليل النصوص التي يستدلّون بها عليها ، ومن أهم الخطوات التي اتبّعتها لتحقيق ذلك المنهج ما يلي :

١ - اعتمدت في كتابة هذا البحث على مصادر النّصارى الأصلية ، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، في جانب العرض والنقد ، وهذا هو الأصل في هذا البحث ، ولم اعتمد على غير المصادر الأصلية إلا عند تعرّفها ، والغرض من ذلك تحقيق الموضوعية ، وبعد عن التحiz ، وأمّا ما يتعلق بالنقل من هذه المصادر ، فقد راعيت فيه ما يلي :

(أ) عند النقل من أسفار النّصارى لم ألتزم تصحيح الأخطاء الأسلوبية الواردة في النصوص؛ لكرّتها ، وكوئلها عبئاً إضافياً لا علاقة له بجوهر البحث ، ولم أصحّ منها إلا ما له علاقة بالاستشهاد الذي أريد إثباته .

(ب) حافظت على العبارات التي أحفظت عليها إذا كانت واردة في نص من النصوص التي انقل منها أداء للأمانة في النقل ، واكتفاءً بالتنبيه العام عليها في مواضعها ، وقد أُشير إلى ذلك التحفظ من خلال وضع العبارة بين قوسين ، ومثال ذلك كلمة "المسيحية" التي ترد كثيراً فيما أنقل من النصوص ، وأمّا عندما تكون الصياغة مني فإنّي التزم باللفظ الشرعي ، أو ما اعتقاده هو الصواب ، فأقول مثلاً : النّصرانية ، ما يسمى بالكتاب المقدس ، ما يسمى بالمحامع المقدسة ، من يسمى بجماعة الرسّل . . . وهكذا .

(ج) عندما يكون للنص أهمية توجّب ذكره فإني أنقله كما هو ، وأضعه بين قوسين صغيرين ، هكذا « » ، ثم أبين في الحاشية المصدر ، والمؤلف ، ورقم الصفحة ، أمّا إذا لم أر أهمية خاصة لذكره ، فإني أعتبر عن الفكرة بأسلوبي الخاص ، وأشير إلى المصدر والصفحة في الحاشية بكلمة انظر . وفي حالة تكرار النقل من مصادر محددة فإني اذكرها في الحاشية عند أول نقل منها ، وأنبه إلى ذلك تحاشياً للتكرار ، وهذا لم يقع إلا قليلاً .

٢ - قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقام الآيات ، معتمداً على النسخة الإلكترونية المعتمدة من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية .
٣ - خرجت الأحاديث تحريراً علمياً مختصراً وفق الأصول المعروفة في هذا الشأن ، وهي أحاديث قليلة جداً .

٤- عند النقل من أسفار العهد القديم والجديد أنقل النص في المتن موضوعاً بين قوسين صغيرين ، ثم اكتب في الحاشية اسم السفر ، وأشار بين قوسين إلى رقم الإصلاح والفقرة فقط ، فمثلاً عندما أريد النقل من سفر التكوين ، فإني أنقل النص المطلوب في المتن ، ثم اكتب في الحاشية : التكوين : (١٢/١) ، ومعنى ذلك : الإصلاح الأول الفقرة الثانية عشر ، وعند النقل من الأناجيل الأربعه اذكر اسم صاحب الإنجيل مع الإشارة إلى رقم الإصلاح والفقرة .

٥- ترجمت بصورة مختصرة للأعلام والأماكن وبعض الكلمات الغريبة الواردة في المتن ، مكتفيًا بما أراه كافياً لمعرفة العلم أو المكان ، وتنيزه عن غيره فقط .

٦- ألحقت البحث بفهرس للمراجع ، وآخر للموضوعات . ولكلة المراجع التي توفرت لي فقد راعيت في كتابتها - طلباً لل اختصار - حذف الأوصاف التي تتعلق بالمؤلف أو الكتاب ، وحذف أسماء الدول إذا كانت المدينة التي تتبعها دار النشر مشهورة ، والاكتفاء باسم الشهرة إذا كان المؤلف مشهوراً ، وفي الكتب المعاصرة التي تخص المسلمين اكتفي بالاسم الأول والأخير غالباً ، كما اختصرت كلمة ترجمة إلى الرمز (تر) ، وميزت المؤلفين الذين أسلموا من النصارى بعبارة مهتمي إلى الإسلام بين قوسين .

بعض الصعوبات التي واجهتني في البحث :

أثناء القيام بهذا البحث واجهتني بعض الصعوبات ، ومن أهمها :

١- جدة الموضوع بالنسبة لي ، حيث أنَّ دراستي السابقة لم تكن في هذا المجال ، فقمت من أجل تذليل تلك الصعوبة بتكييف القراءة في هذا المجال ، وقراءة أهم الكتب المتوفرة قبل البدء في البحث ، ثم التواصل مع المختصين في هذا المجال ، عن طريق اللقاء المباشر ، أو الاتصال في داخل المملكة وخارجها ، وقد كونت بفضل الله تعالى دليلاً خاصاً لكل من تواصلت معهم ، وأفادت منهم من أساتذة الجامعات ، وأصحاب المكتبات ، وغيرهم .

٢- عدم وجود المراجع الأصلية لهذا البحث في داخل المملكة ، وهي من أكبر الصعوبات التي واجهتني ، وكان لزاماً عليَّ السفر إلى خارج البلاد بحثاً عنها ، فسافرت إلى كل من لبنان ، وسوريا ، ومصر ، وزرت لأجل ذلك أربع معارض دولية في بيروت

والقاهرة ، إضافة إلى زيارة أهم المكتبات والكنائس ، والأديرة والجامعات النصرانية في تلك الدول ، كما التقيت بعض آباء الكنائس ، ووجهت لهم بعض الأسئلة المتعلقة بالبحث ، وقد وثقت بعض ذلك بالكتابة ، والصور ، وأفلام الفيديو ، وقد كانت حصيلة تلك الرحلات الحصول على معلومات قيمة من خلال اللقاءات المباشرة مع من أمكن لقاءه من النصارى ، ومن خلال الإجابة على الأسئلة التي كنت أوجهها إليهم ، وكذلك فقد جمعت ما يزيد على مئتين وخمسين عنواناً من المصادر النصرانية ، وقد أثبتتها في فهرس المراجع .
والحمد لله تعالى .

٣- أنَّ الكثير من المراجع موجود بغير اللغة العربية ، وقد أعاني الله تعالى على تذليل ذلك بالبحث عن الكتب المترجمة ، فوجدت الكثير من ذلك والحمد لله ، وكذلك استعنت بعض المتخصصين في اللغة الإنجليزية لترجمة ما احتاج إلى ترجمته ، والاستعانة بواقع الترجمة عن طريق الشبكة العنكبوتية ، وقد بدأت لأجل ذلك في تعلم اللغة الإنجليزية ، وحضور بعض الدورات المتعلقة بذلك ، وقد عزمت على إكمال هذا الطريق بإذن الله تعالى .
وأخيراً فمع هذه الصعوبات التي تذلت بفضل الله تعالى إلا أنَّ أموراً كثيرة كانت تحفزي وتزيد من حماسي لمواصلة البحث ، ومن أهمها أمران :
الأول : الشعور الداخلي العميق بأهمية هذا البحث الذي وفقني الله لاختياره ، من حيث كونه أتاح لي الفرصة للتعرف عن قرب على أكثر الديانات في العالم أتباعاً ، وخطراً على المسلمين .

والثاني : أنه أتاح لي التعرف على أكبر جوانب الخلل في هذه الديانة ، وهو تقديسهم لأتباعهم ، وهو خلل عقدي ومنهجي .

وفي ختام هذه البحث أتوجه بالشكر العظيم لله تعالى الذي وفقني لإتمامه ، وأرجوه سبحانه أن يتقبله مني بقبول حسن ، و يجعله نافعاً لي في الدنيا ، و ذخراً لي يوم القيمة ، وهدايةً لمن أراد الله له الخير من النصارى .

ثم أتوجه بالشكر والعرفان لكل من أعاني على إكمال هذا البحث بكل وجه من وجوه الإعانة ، وأخص من هؤلاء :

١- فضيلة الشيخ الدكتور / محمود محمد مزروعة المشرف على الرسالة ، والذي كان لكيه خلقه ، وجميل معروفه ، وسديد توجيهه ، وحسن سؤاله أبلغ أثر وأعظم حافز



في نفسي لبذل غاية الجهد في إخراج هذا البحث على أحسن وجه ، فأسأل الله تعالى أن يمتعه بصحة في إيمان ، ويلغه الفردوس الأعلى من الجنان .

٢ - فضيلة الشيخ الدكتور / عبدالله بن عمر بن سليمان الدميحي عميد كلية الدعوة سابقاً ، الذي تشرفت بالدراسة على فضيلته في مرحلة البكالريوس ، ثم الماجستير ، ثم كان مرشدأ لي فترة اختيار الموضوع ، وقد كان لتوجيهه ، وتشجيعه أبلغ الأثر في شحذ همي لطلب العلم عموماً ، وللبحث في الموضوع خصوصاً ، وأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء على ما يقدم لطلاب العلم ، وأن يمتعه بالفردوس الأعلى من الجنان .

٣ - فضيلة الشيخ الدكتور / احمد بن عبدالرحمن القاضي الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - فرع القصيم - ، الذي شرفني بتوجيهاته ، وأمدني بكل ما احتجت إليه من المراجع المتعلقة بالبحث ، وأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يمتعه بالفردوس الأعلى من الجنان .

٤ - فضيلة الشيخ / علي بن احمد الراشدي المشرف التربوي بإدارة التربية والتعليم محافظة القنفذة ، والأستاذ / حسن بن كريdem الزبيدي المدرس بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالمضيق ، والأستاذ / طلال بن عقيل الخيري الأستاذ بكلية المعلمين بجدة على ما قدموه من ملاحظات قيمة للبحث ، فأسأل الله أن يجزيهم على ذلك خير الجزاء .

٥ - الأخ الشهم النجيب / داود مصطفى داود الطالب بكلية طب القصر العيني بالقاهرة الذي انتدب نفسه للبحث عن المراجع الهامة والنادرة بمصر وإرسالها لي ، فله مبني أجمل الشكر وأعظم الامتنان .

٦ - الزوجة الغالية ، والأبناء الأعزاء : محمد ، ومعاذ ، وعااصم ، بجميل مشاركتهم، وتنازلهم عن بعض حقوقهم من أجل إنجاز هذا البحث . فأسأل الله تعالى أن يثبتني وإياهم على الخير ، ويجعلهم فرقة عين لي في الدنيا والآخرة .

وفي الختام : ارجوا الله تعالى أن يتقبل هذا العمل ، ويتجاوز عمما فيه من الزلل ، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم ، والحمد لله رب العالمين .



الباب الأول

حقيقة تقدس الأشخاص عند النصارى

وفيه أربعة فصول

- ❖ **الفصل الأول:** التعريف بالنصرانية
- ❖ **الفصل الثاني:** معنى التقدیس
- ❖ **الفصل الثالث:** جذور التقدیس
- ❖ **الفصل الرابع:** أسباب التقدیس



الفصل الأول :
التعريف بالنصرانية

وفيه أربعة مباحث

- ❖ **المبحث الأول** : تاريخ النصرانية
- ❖ **المبحث الثاني** : معاشر النصرانية
- ❖ **المبحث الثالث** : فرق النصرانية
- ❖ **المبحث الرابع** : عقائط النصرانية

المبحث الأول
تاريخ النصرانية
وفيه مطلبان

- **المطلب الأول** : تعریف النصرانية وسبب التسمية
- **المطلب الثاني** : نشأة النصرانية



تمهيد :

أرسل الله تعالى عبده ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروحاً منه ، عيسى عليه السلام ، إلى بني إسرائيل خاصة ، بعد أن انحرفوا عن شريعة موسى عليه السلام ، وطال عليهم الأمد ، وقشت قلوبهم ، وغلبت عليهم الروح المادية .

وقد هيأه الله تعالى لهذه المهمة العظيمة أعظم هيئة ؛ فاختاره من أشرف البيوت ديناً ، ونسبةً ؛ فأمه مريم العذراء المصطفاة الطاهرة ، والعايدة المنذورة لخدمة المسجد الأقصى ، من بيت آل عمران الذين أصطفاهم الله على العالمين في زمامهم .

وقد أنزل الله عليه الإنجيل مصدقاً للتوراة ، ومشتملاً على الهدى والنور ، وآتاه من الآيات ما تلين له القلوب القاسية ؛ فقد ولد من غير أب ، وتكلم في المهد ، وكان يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، ويبريء الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله ، ويخبر الناس بما يأكلون وما يدخلون في بيوكهم ، وقام بدعوة قومه إلى التوحيد الخالص ، وتحذيرهم من الوقوع في الشرك ، مع حرصه التام على تأكيد بشريته ، وأنه مخلوق ، ومربيوب لله تعالى ، وأن الله هو ربه وخالقه .

ولذلك عاده اليهود أشد العداء ، واضطهدوه أشد الاضطهاد ، ولكنَّ الحواريين لبوا نداءه ؛ فآمنوا به ، واتبعوه وقاموا بنصرته .

ولما ظهرت دعوته وكُثر أنصارها ، ازداد حقد اليهود عليها ، فسعوا للتمكّر بها وقرروا التخلص من عيسى عليه السلام ، فوشوا به إلى والي الرومان في فلسطين ، وكذبوا عليه ، وادعوا أنه يحرض على عدم إعطاء الجزية لقيصر ، ويثير الشغب ضد الدولة ، حتى أقنعوا الوالي بقتله ، وصدر أمره بذلك ، ولكنَّ الله عز وجل حذّلهم وأكرم نبيه بأية من آياته ؛ فألقى شبيهه على غيره ، وتمت عملية الصلب والقتل على شبيهه ، أمّا هو فقد رفعه الله إليه .

وبعد رفعه عليه اختالف الناس من بعده ، كما في قوله تعالى : چ □ □

□ ی ی ی چ □ □ □ ٣٧ مریم:

قال الإمام ابن كثير^(١) رحمه الله : « لما بلغ عيسى ابن مريم رسالة ربّه إلى قومه ووازره من وزرائه من الحواريين ، اهتدى طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به ، وضللت

(١) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، ولد بقرية من أعمال مدينة بصرى سنة ٧٠١ ، ثم انتقل إلى دمشق ، وله مصنفات عديدة من أشهرها : تفسير القرآن العظيم ، والبداية والنهاية ، توفي سنة

طائفة فخررت عما جاءهم به ، وبحثوا نبوته ، ورموا وأمه بالعظام ، وهم اليهود –
عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيمة – وغلت فيه طائفة ممن اتباعه ، حتى رفعوه فوق ما
أعطاه الله من النبوة ، وافترقوا فرقاً وشيعاً ، فمن قائل منهم : إِنَّه ابْنَ اللَّهِ ، وقائل : إِنَّه ثالث
ثلاثة : الأَبُ ، وَالابْنُ ، وَرُوحُ الْقَدْسِ ، وَقائل إِنَّه اللَّهُ » (٢) .

و كانت هذه الأقوال بداية ظهور البدع في النصرانية .

المطلب الأول : تعريف النصرانية وسبب التسمية :

عرف الباحثون المسلمين النصرانية ، وحاصل ما ذكروه يعود إلى ما يلي :

^(٣) أصل النصرانية الرسالة التي جاء بها المسيح عليه السلام، وكتاب النصارى هو الإنجيل.

وهذا التعريف يلاحظ عليه ما يلى :

١ - أن البدع التي أنشأها بولس ودخلها في النصرانية لا يصح نسبتها إلى المسيح العلق الذي قامت رسالته على التوحيد ، كما هو الحال في كل ما جاء به الرسول عليهم السلام .

٢ - أن الإنجيل الذي يؤمن به النصارى اليوم يشتمل على كثير من الأمور المخالفة لما جاء به المسيح عليه السلام .

والنصارى يفضلون أن يسموا أنفسهم بالمسيحيين إمعاناً في التمويه بإظهار اتساعهم لل المسيح العظيم ، وتخليصاً من ذم المسلمين بهم بهذا اللفظ الذي ورد في القرآن والسنة ، والواجب أن يتلزم المسلمون في تسميتهم بما سماهم الله ورسوله به)^(١) .

، وقد أضر في آخر عمره . انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني : (٢١٨/١) هـ ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع للشوكيان : (١٠٣/١) .

^(٢) تفسير القرآن العظيم : (١١٣/٥) .

^(٣) من ذكر أنَّ النصرانية هي الرسالة التي أنزلت على عيسى عليه السلام أصحاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : (٥٧٤/٢) ، ومن ذكر أنَّ كتاب النصارى هو الإنجيل د . سعود الخلف في كتابه دراسات في

^{١٩} الأديان - اليهودية والنصرانية - ، ص: ١٦٣ ، وأ. بسمة جستنية في كتابها تحرير رسالة المسيح ، ص: ١٩ .

^(١) أشار إلى ذلك د. ناصر القفاري ود. ناصر العقل في كتاب: (الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة / ٦٥).

المطلب الثاني : نشأة النصرانية :

لما كثر أتباع المسيح الكليل ، وأصبح لدعوته قوة ومكانة عند الجماهير من الناس ، ولم يعد ممكناً مواجهتها علانية من قبل أعداءها ، ظهرت فرقة جديدة تدعى الانتساب إلى المسيح الكليل ، وتدعو إلى خلاف ما كان عليه ، وتقوم في حقيقتها على الوثنية والشرك بالله تعالى ، وهي ما يُعرف بالنصرانية .

وبدراسة نشأتها يبرز لنا سببان رئيسان :

الأول : سبب ظهور ونشأة ، وهو الدور الذي قام به شاعول اليهودي في تأسيسها بدلاً عن دعوة المسيح الكليل .

والثاني : سبب قوة وانتشار ، وهو حماية الدولة الرومانية لهذه الديانة بعد ذلك . وسوف أشير إلى أثر هذين السببين بشيء من الاختصار ، أمّا تفصيل ذلك فسيكون في موضعه من هذا البحث بعون الله تعالى .

أولاً : دور شاعول في الديانة النصرانية :

شاعول اسم عبري ، ومعناه : المطلوب ، وقد عرف بهذا الاسم في سفر أعمال الرسل في عدة مواضع ، وهو من أسماء بنى إسرائيل ، وأول من تسمى بهذا الاسم شاعول بن قيس ، من سبط بنiamين ، وهو أول ملوك إسرائيل ^(٢) .

ويدعى - أيضاً - بولس ، ومعناه : الصغير ^(٣) ، وشاعول اسمه الحقيقي ، وبه كان ينادي إلى أن أعلن اتباعه للمسيح الكليل .

ومن أكده ذلك مؤرخ النصارى "أندرو ملر" ^(١) ، حيث يقول: « وكان معروفاً في ذلك الحين باسم "شاعول الطرسوسي" لأنَّ اسم شاعول هو اسمه اليهودي الذي دعي به من والديه ، أمّا بولس فهو اسمه الأُممي » ^(٤) .

^(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس لنجبة من اللاهوتيين : مادة شاعول ، ص: ٥٠٢-٥٠٣ .

^(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٩٦ .

^(٣) مؤرخ وأديب وشاعر بروتستانتي ، ولد بإنجلترا عام ١٨١٠ م وانتقل إلى لندن وكان راعياً لإحدى الكنائس بها توفي عام ١٨٨٣ م ، ومن أبرز كتبه مختصر تاريخ الكنيسة . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، مقدمة الطبعة العربية .

^(٤) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص: ٥٧ .

وأمّا سبب تسميته ببولس ؟ فإنّه فعل ذلك نفاقاً لتحسين صورته عند أتباع المسيح الكليل
بسبب ما ارتبط باسمه الأول من الكراهة ؛ لما كان يقوم به من الاضطهاد لهم ، ولتحقيق
أهدافه الطامحة إلى هدم الدين الصحيح الذي جاء به المسيح الكليل .

ولد شاعول في مدينة طرسوس ^(٣) ، في مقاطعة كليكية ^(٤) ، في السنة العاشرة من
التاريخ الميلادي ، وهو يهودي من الفريسيين ، من سبط بنiamين ، ولم يلتقي بال المسيح الكليل
ولم يره طول حياته ، وقد حصل على امتياز الجنسية الرومانية ، ويقال أنه تعلم في طرسوس
صناعة الخيام ، وكانت مهنة شريفة عند اليهود ^(٥) .

وأمّا نشأته ؛ فيذكر مؤلف سيرته الدكتور: ف. ب. ماير - أنه قرأ التوراة و تعلم
الناموس الشفوي - التلمود - ، ثم أُرسل إلى أورشليم لاستئناف دراسته لوظيفة ربيّ التي
كان يطمع لها فيها أبوه ^(٦) . وأمّا تعليمه ؛ فقد تحدث شاعول عن ذلك قائلاً : « أنا
رجل يهودي ولدت في طرسوس ، على أي نشأت في هذه المدينة ، وتلقيت عند قدمي
جملاً ^(٧) تربية موافقة كل الموافقة لشريعة الآباء » ^(٨) .

وقد تميز شاعول بصفات أهله للقيام بدور كبير في تبديل ما جاء به المسيح الكليل ،
ونشر ذلك بين الأمم ؛ فكان نشيطاً ، شديد الذكاء ، قوي التأثير في نفوس الجماهير ^(٩) .

وتتميز طرسوس - التي ولد فيها شاعول - بموقع استراتيجي بالغ الأهمية ؛ فهي تمثل
حلقة الاتصال بين آسيا الصغرى (تركيا حالياً) وبلاد الشام ، وبالتالي فهي مفترق الطرق
التجارية الهامة لبلاد غرب آسيا الصغرى وشماليها وكذلك الشام وجدير بمثل هذا الموقع أن

^(٣) مدينة ببغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . انظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي (٤ / ٢٨) ،
وطرسوس حالياً تقع جنوب تركيا وشمال سوريا على بعد ١٧ كم من شاطيء البحر الأبيض .

^(٤) مقاطعة رومانية في جنوب شرق آسيا الصغرى (تركيا حالياً) . انظر : العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية
، ص: ١٤٥ .

^(٥) انظر : قصة الحضارة ، ول دبورانت : (١١ / ٢٤٩) ، دراسات في الملل والتحول ، محمد الشرقاوي ، ص: ١٧ .

^(٦) حياة بولس ، ص: ٢٢ .

^(٧) اسم عيري معناه "مكافأة الله" ، وهو حاخام يهودي ، يقال إنه أول من طلب رفع القيود عن أتباع المسيح ، توفي
في منتصف القرن الأول . انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص: ٦٦٢ .

^(٨) أعمال الرسل : (٤٣٧ / ٢٢) ، والمدينة هنا هي أورشليم مركز الديانة اليهودية التي كان يرأسها جمالائيل .

^(٩) انظر : محاضرات في النصرانية ، للإمام محمد أبي زهرة ، ص: ٦٨ .

يسهم في تنشيط الحركة الثقافية في هذه المدينة ، وانتقال المعتقدات المحاورة إليها وهذا ما حدث بالفعل ، حيث أصبحت هذه المدينة أشبه ما تكون بالجامعة ، كما أطلق عليها ذلك أستاذ النصرانية شارل جنبيير ^(٢) .

وعن أهم العقائد التي كانت منتشرة في تلك المدينة يتحدث ديورانت ^(٣) قائلاً : « وكان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية اتباع للأرفة ^(٤) ، وغيرها من العقائد الخفية يعتقدون أن الله الذي يبعدونه قد مات من أجلهم ، ثم قام من قبره وأَنَّه إذا دعى بإيمان حق ، وصاحب الدعاء الطقوس الصحيحة ، استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم ، وأشار كهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة ^(٥) . »

هذا ما يتعلق بطرسوس ، وأَمَّا الوضع الديني العام في المنطقة الخيطية بطرسوس ؟ فإنَّ من أهم ملامحه كثرة الآلهة وظهورها في صورة بشريَّة ^(٦) .

وصورة الآلهة في هذه البيئة كما يشرحها شارل جنبيير قائلاً : « يتعدب الإله تماماً كما يتعدب الإنسان ، ثم يموت كما يموت الإنسان ، ولكنه يتغلب على الموت إذ يُبعث من جديد ، وأتباعه يمثلون رمزاً ويجدون كل عام بشكل ما مأساة حياته على الأرض » ^(٧) .

^(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ، ص: ٦٨ . المؤلف هو أستاذ النصرانية ورئيس قسم الأديان في جامعة باريس ، نشأ في بيئة كاثوليكية متعصبة ودرس اللغة العربية واللاتينية والف كتاب "المسيحية نشأتها وتطورها" ، وهو يتحدث عن النصرانية في قروها الأولى ، وله كتابان عن النصرانية في القرون الوسطى والعصر الحديث ، مات بعد الحرب العالمية الثانية ، انظر: المسيحية نشأتها وتطورها - مقدمة المترجم .

^(٣) مؤرخ أمريكي ، ولد في نورث آدمز في ولاية ماساشوتس بالولايات المتحدة الأمريكية ، عام ١٨٨٥ م ، وتلقى تعليمه في المدارس الكاثوليكية ، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩١٧ م ، وصدر كتابه "قصة الفلسفة" عام ١٩٢٦ ، ثم ألف هو وزوجته "إيريل" كتاب الشهير قصة الحضارة ، مات عام ١٩٨١ م . انظر: قصة الحضارة - عصر نابليون - ، تر: د. عبدالرحمن الشيخ ، ص: ٢٨ .

^(٤) طائفة انتشرت باليونان ، ترى أنَّ الروح تحبس في طائفة متسلسلة من الأجسام المذنبة وفي مقدورها أن تنطلق من هذا التحسد بأن تسمو حتى تتحدد بديونتشس ، وكان الأرفيون يشربون دم ثور يضحون به للمنقذ الميت الذي يكفر عن خطایاهم . انظر : قصة الحضارة : (١١/١٥٠-١٥١) . وهذه العقيدة استفاد منها شاعر في تأسيس عقيدته عن المسيح الكليل - كما سيأتي - .

^(٥) قصة الحضارة : (١١/٢٤٩-٢٥٠) .

^(٦) سوف اتحدث عن الديانات الوثنية السابقة للنصرانية في مبحث مستقل إن شاء الله .

^(٧) المسيحية نشأتها وتطورها ، ص: ٧٤ .

وهذه العقائد المنتشرة في مدينة طرسوس والبيئة المحيطة بها تأثر بها شاءول بشكل واضح في رسم صورته عن المسيح ﷺ ، وهذا ما سأنته من خلال هذا البحث .

موقف شاءول من دعوة المسيح ﷺ :

كان شاءول من ألد أعداء أتباع المسيح ﷺ ؛ حيث كان يلاحقهم ، وينزل بهم أشد أنواع العذاب ، ويتحدث سفر أعمال الرسل عن هذا الموقف بقوله : « أمّا شاءول فكان يفسد في الكنيسة ، يدخل البيوت الواحد بعد الآخر فيجر الرجال والنساء ويلقيهم في السجن » ^(٣) .

هكذا كان موقف شاءول من أتباع المسيح ﷺ ، ولكنَّه فجأة أعلن اتباعه للمسيح ﷺ ، وأنَّه قد أصبح "رسول الأمم" في حادثة مشهورة يحسن أن أقف عندها ، وأعرض روایاتها ، ثم أذكر ما يمكن أن يوجه إليها من الانتقاد .

أولاً : ملخص حادثة إعلان شاءول إتبعاه للمسيح ﷺ :

يذكر سفر أعمال الرسل أنَّ شاءول الذي كان يضطهد أتباع المسيح ﷺ طلب إذناً من رئيس الكهنة في أورشليم بأن يذهب إلى دمشق ويقبض على من يجد من أتباع المسيح ﷺ ويسوقهم إلى أورشليم ، وأنَّه عندما ذهب واقترب من دمشق أبرق له نور من السماء ، وظهر له الرب ، وأمره أن يذهب إلى رجل في دمشق يدعى "حنانيا" ، وأن يتعمَّد على يديه ، ومن تلك اللحظة التي أعلن فيها شاءول اتبعاه للمسيح ﷺ أصبح رسول الأمم ، وبدأ يدعو أنَّ المسيح ابن الله .

ثانياً : روایات هذه الحادثة :

الرواية الأولى : « وفي ذهابه حدث أنَّه اقترب إلى دمشق ، فبغتة أبرق له نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتاً قائلاً له : شاءول ، شاءول ، لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ قال : فقال الرب : أنا يسوع الذي أنت تضطهدته . صعب عليك أن ترفس مناخس ^(١) ، فقال وهو متعدد ومحير : يا رب : ماذا تريد أن أفعل ؟ .

^(٣) أعمال الرسل : (٢/٨) .

^(١) أي تضرب برجلك إلى الوراء بالمناخس ، والمناخس جمع منخاس ، وهو قضيب طويل في رأسه مسمار ينخس به الحيوان ليسرع في السير . انظر: العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ، ص: ١٥٠ .

فقال له الرب: قم وادخل المدينة ، فيقال لك ما ينبغي أن تفعل ، وأماماً الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً ، فنهض شاعول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً ، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب » ^(٢) .

الرواية الثانية: « فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق ، آنَّه نحو نصف النهار ، بعنة أبرق حولي من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض ، وسمعت صوتاً قائلاً لي شاعول شاعول لماذا تضطهدني ؟ فأجبت من أنت يا سيد ؟ . فقال لي : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهدك ، والذين كانوا معى نظروا النور وارتعوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلامي ، فقلت : ماذا أفعل يا رب ؟ . فقال لي الرب : قم واذهب إلى دمشق ، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل . وإذا كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور ، اقتادني بيدي الذين كانوا معى ، فجئت إلى دمشق » ^(٣) .

الرواية الثالثة: « ولما كنت ذاهباً في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة ، رأيت في نصف النهار في الطريق ، أيها الملك ، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس ، قد أبرق حولي وحول الذاهبين معى . فلما سقطنا جميعاً على الأرض ، سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية : شاعول شاعول لماذا تضطهدني ؟ صعب عليك أن ترفس مناخس . فقلت أنا : من أنت يا سيد ؟ فقال : أنا يسوع الذي أنت تضطهدك . ولكن قم وقف على رجليك لأنّي لهذا ظهرت لك ، لانتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به ، منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم ، لتفتح عيونكم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالوا بالإيمان في غفران الخطايا ونصيباً مع المقدّسين » ^(٤) .

ثانياً: نقد هذه الروايات :

يمكن أن أوجه إلى هذه الروايات الانتقادات التالية :

^(٢) أعمال الرسل : (٩-٣ / ٩) .

^(٣) المصدر نفسه : (١١-٦ / ٢٢) .

^(٤) المصدر السابق : (١٨-١٢ / ٢٦) .

١ - لم ترد هذه الحادثة على شدة أهميتها عند النصارى إلا في هذه الروايات الثلاث فقط ، ولم ترد إلا في مصدر واحد هو سفر أعمال الرسل ؛ فلم ترد في الأناجيل الأربع ، ولا في رسائل بولس التي كتبها بنفسه ، وهذا كافٍ في إلقاء ظلال الشك على مثل هذه الحادثة .

٢ - يوجد في هذه الروايات تناقض ظاهر ؛ ومن ذلك قوله في الرواية الأولى عن رفقائه : (يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا) ، وفي الرواية الثانية : (ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلامي) فالرواية الأولى تثبت سمعتهم للصوت والأخرى تنفيها ، ولا يمكن الجمع بينهما وهي صادرة من شخص واحد وفي أمر واحد . وأيضاً في الرواية الأولى إثبات أن شاعر سقط على الأرض وحده ورفقاً له كانوا واقفين ، بينما في الرواية الثالثة أنهم سقطوا جميعاً ، ولا يمكن كذلك الجمع بين الروايتين .

٣ - أن هذه الحادثة لا تحمل من التفاصيل ما يكفي لقبوتها ، بل غاية ما فيها أن شاعر يذهب إلى دمشق ، ثم يقال له ما يجب أن يفعل ، وليس فيها حديث عن الوحي الذي يفترض أنه تحمله بمقتضى هذه الرؤوية ، ولا عن الشخص الذي سيخبره بما يجب أن يفعل ، وإذا كان غاية ما في الأمر أن يأخذ عن غيره ، فما فائدة تكليفه بالرسالة ؟ وكان الأولى أن يكون الذي يؤخذ عنه هو الرسول ويكون شاعر أحد تلاميذه ؟

٤ - ترد على هذه الحادثة أسئلة كثيرة لا توجد إجابة عليها ، فما علاقة شاعر برئيس الكهنة ، حتى يعطيه مثل هذه الصالحيات ؟ ، وكيف يذهب إلى دمشق ويترك أورشليم مقر أتباع المسيح عليه السلام ؟ ، ولماذا لم يذهب بعد هذه الرؤوية إلى تلاميذ المسيح عليه السلام ليخبرهم بذلك ويتشاور معهم ، ويتعلم منهم الإنجيل ؟ ، ولماذا لم يربح به أكثر التلاميذ ؟ ، وكيف يكون اجتماعه بهم بعد ثلاث سنوات - كما جاء في بعض الروايات (١) - ؟ ، وهذه الأسئلة التي لا جواب عليها تقطع بأن هذه الحادثة ملفقة أظهر تلفيقها كثرة التغرات التي اشتغلت عليها .

٥ - من النصارى من فسر هذه الحادثة تفسيراً يتضمن إنكارها ؛ فقد ذكر ولو دبورانت أن ذلك ربما كان بسبب ما قاساه من التعب في سفره الشاق في شليس الصحراء

(١) كما في رسالته إلى أهل غالاطية (١ / ٥٧٣) .

اللافحة أو أنه بسبب ومضة برق في السماء ناشئة من شدة الحرارة أثرت في جسم ضعيف ربما كان مصاباً بالصرع ^(٢) .

وأمام الفيلسوف الفرنسي "رينان" ^(٣) ، ومن تابعه على ذلك فيرون أن ذلك بسبب ضربة شمس أدت بشاعر إلى الملوسة ^(٤) ، وهذه التفسيرات تتضمن إنكار هذه الحادثة ، ولو كانت هذه الحادثة ثابتة عندهم لما تكلفوها مثل هذه التفسيرات .

هذه أبرز الانتقادات التي يمكن أن توجه إلى هذه الحادثة مما يجعلها غير مقبولة في ميزان النقد العلمي الصحيح ، وبالتالي فهي ضرب من الافتراء لم يُحِكم صاحبه نسج حيوطه فانقلب سحره عليه .

ثانياً : أثر الدولة الرومانية في انتشار النصرانية :

عاش أتباع المسيح عليه السلام – على مدى القرون الثلاثة الأولى – ألواناً من الاضطهاد من قبل الدولة الرومانية بسبب اعتقادها أن هذه الدعوة لم تقم بالولاء الكامل لها ، وكان ذلك كافياً لإيقاع أقسى أنواع العقوبة لمن يكون هذا موقفه من الإمبراطورية .

^(٢) انظر : قصة الحضارة : (١١ / ٢٥٢ - ٢٥٣) .

^(٣) مؤرخ للنصرانية والفلسفه ، ولد في مدينة ترييه عام ١٨٢٣م ، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٨٥٢م ، وقرأ الكتب النقدية للتاريخ المسيح والأناجيل فتبين له أن أسس النصرانية واهية من الناحية التاريخية ، وكان أول من اتجه إلى نقد الأبحاث المتعلقة بال المسيح في فرنسا ، وله كتاب حياة المسيح وكتب أخرى عن أصول المسيحية ، توفي عام ١٨٩٢م . انظر : موسوعة الفلسفه ، د. عبد الرحمن بدوي ، ص: ٥٤٨-٥٨٩ .

^(٤) نقلً عن كتاب دراسات في الملل والنحل : محمد الشرقاوي ، ص: ٣١ .

وفي مطلع القرن الرابع تغير هذا الموقف لصالح أتباع هذه الديانة ؛ حيث صدرت في هذا القرن مرسومات تدعو إلى التسامح مع النصارى ، ومن أشهرها مرسوم جالريوس^(١) الذي كان من ألد أعداء هذه الديانة ، وأصدر مرسومه عام ٣١١ م أثناء فترة مرضه ، بعد أن أدرك عدم جدواه عملية الاضطهاد ، وهذا المرسوم يقضي بالغفو عن النصارى والسامح لهم بإعادة بناء الكنائس بشرط ألا يقوموا بأعمال ضد الصالح العام للدولة ، لكنَّ هذا المرسوم لم ينفذ إذ أنَّ جالريوس ما لبث أن مات بعد ذيوع مرسومه بقليل^(٢) ، ثم جاء بعده قسطنطين الذي كان إعلان دخوله في النصرانية بمثابة التحول الكامل في هذا الموقف ، ولأهمية دوره في نشر النصرانية فسأتحدث عنه بشيء من التفصيل ٠

عاش قسطنطين من عام ٢٨٠ إلى ٣٧٧ م ، وهو ابن غير شرعي لقسطنطيوس^(٣) من محظيته غير الشرعية هلينا خادمة إحدى الحانات في بيزنطيا^(٤) ، ولم يتلق من العلم إلا قليلاً ، فقد انخرط في سلك الجندي في سن مبكرة ، وأظهر بسالته في الحروب التي قامت ضد مصر وفارس ، ولما مات والده في مقاطعة يورك عام ٣٠٦ م ، وكان قد أوصى أن يخلفه ابنه في الملك فنال بذلك رتبة أفسطوس في الجيش ، ودرج على سياسة أبيه في حسن معاملة النصارى والسامحة معهم ، وقد اعترف به جالريوس وهو كاره^(١) ، وفي عام ٣٢٣ أصبح قسطنطين الإمبراطور الأوحد للدولة الرومانية ٠

اعتناقه النصرانية :

^(١) حاكم روما اشتراك في الحكومة الرباعية عندما تشكلت لأول مرة عام ٢٩٢ م في عهد دقلديانوس الذي اعتلى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤ م ، أصيب بمرض كريه بعد ثمانية عشر عام من حكمه ومات بسببه . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرو ملر ، ص : ١٣٦ - ١٤٠ ٠

^(٢) انظر : تأثير المسيحية بالأديان الوضعية ، د . احمد علي عجيبة ، ص : ٢٢٠ - ٢٢١ ، بتصرف ٠

^(٣) يسمى قسطنطيوس أو قسطنطينوس كلورس ، كان حاكماً لغاريا وأسبانيا وبريطانيا في القسم الغربي من الإمبراطورية ، توفي سنة ٣٠٦ م . انظر: الروم في سياستهم حضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، ص: ٥٢ ٠

^(٤) مقاطعة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى ، عقد في اثنين من مدنهما مجمع نيقية وجمع حلقدونية . انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ١٦٢ ، بتصرف ٠

^(٥) انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٣٨٣ - ٣٨٢) ، و مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرو ملر ص: ١٤٣ ، بتصرف ٠

يذكر مؤرخ الكنيسة يوسابيوس^(٢) - المعاصر لقسطنطين - سببين يعود إليهما اعتناق قسطنطين للنصرانية ، وهما :

- ١ - آنه رأى في وقت الظهر بعينيه صليباً من نور في السماء فوق الشمس يحمل هذه الكتابة "أغلب بهذا" فذهل هو وجيشه الذي رافقه في هذه الحملة من هذه الرؤية .
- ٢ - آنه ظهر له في نومه مسيح الله بنفس العالمة التي رآها في السماء وأمره أن يصنع مثalaً لهذه العالمة التي رآها في السماء وأن يستعملها كوقاية له في كل حربه مع أعدائه ، فلما استيقظ أمر الصناع أن يصنعوا مثل تلك العالمة من ذهب وحجارة كريمة ، ثم أصبح الإمبراطور يستخدم دوماً هذه العالمة كوقاية من كل القوات المعادية والمقاومة وأمر بأن تعمل أخرى مثيلات لها لتوضع على رأس كل جيشه . وبعد هذه الرؤية التي رآها عزم ألا يعبد إله آخر غير الذي ظهر له ، واستدعي خبيرين بأسرار تعليم النصرانية وسألهم عن يكون هذا الإله ، وما هو المقصود بعلامة الرؤيا التي رآها ، فأكدوا له بأنه هو الله الابن الوحيد للإله الواحد الوحيد ، وأن العالمة التي رآها هي رمز الخلود ، وعلامة النصرة على الموت التي أحرزها في الماضي لما كان على الأرض ، ثم علموه أيضاً أسباب مجده وفسروا له السر الحقيقي لتجسد ، وهكذا تلقى التعاليم اللازمـة عن هذه الأمور وتأثر جداً بالظهور الإلهي الذي رأه بعينيه^(٣) .

هذا ملخص ما ذكره يوسابيوس حول اعتناق قسطنطين للنصرانية ، وحول ذلك نطرح سؤالين هامين : الأول : هل اعتنق قسطنطين النصرانية على الحقيقة أم لا ؟ ثم إذا لم يكن اعتناقه على الحقيقة فما الهدف من وراء إظهاره ذلك ؟ ولماذا قدم تلك الخدمات الكبيرة للنصارى بعد سنوات الذل والاضطهاد ؟ وللإجابة على السؤال الأول نجد أن هناك رأيين :

الرأي الأول : أن اعتناقه للنصرانية كان بداعـع ديني ، ويمثل هذا الرأي مؤرخ الكنيسة يوسابيوس ، وهو من درج على المبالغة في الثناء على قسطنطين حتى جعله رسولاً من رسول المسيح ﷺ تعلم النصرانية بتعليم إلهي .

^(٢) من أشهر مؤرخي الكنيسة ، كان أسقفًا لقيصرية ، ألف "تاريخ الكنيسة" وهو من أقدم المصادر في تاريخ الكنيسة ، و"حياة قسطنطين العظيم" ، ويقال إنه كان متأثراً بآراء آريوس . انظر: تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس ، مقدمة المغرب .

^(٣) حياة قسطنطين العظيم ، ص : ٣٠-٥٣ ، باختصار وتصـرف .

والرأي الثاني : أنَّ ذلك كان بداعِ سياسي ويتمثل هذا الرأي أكثر دارسي النصرانية .
فأمَّا الرأي الأول : فيمكن أنْ أوجهُ إليه الانتقادات التالية :

- ١ - لا يوجد في تاريخ قسطنطين مع شهرته وعظمته ، وحرص الكنيسة على إظهاره ما يدل على تمسك قسطنطين بتعاليم النصرانية والتزامه بعقائدها إلا ما ذُكر عن تعبيده ، ورواية تعبيده – إن صحت – فإنَّها لم تكن إلا في آخر حياته ، وهذا يدل على صحة ما ذكرت . يقول ول ديورانت : « وقلَّما كان بعد اعتناق دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العادات المسيحية من شعائر وطقوس ، ويتبين من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنَّه لم يكن يعني بالفروق اللاهوتية التي كانت تنظرُ بها المسيحية مع أنَّه لم يكن يتربَّد في القضاء على الانشقاق محافظًا على الإمبراطورية » ^(١)
- ٢ - يوجد في سيرة قسطنطين ما يدل على عكس ذلك ، من تمسكه الكامل بوثنية كاحتفاظه بمنصب "الكافن الأكبر" ، وقيامه بجميع المراسم الوثنية التي يتطلبها منصبه من تحديده بناء الهياكل الوثنية ، والأمر بعمارة أساليب العرافة ، وقيامه بالشعائر الوثنية في حفلات الإمبراطورية ^(٢) .

وأمَّا الرأي الثاني ، فإنَّ أصحابه يرون أنَّ اعتناق قسطنطين لم يكن دافعه إلا سياسياً ، ومن أقوالهم التي يستدلُّون بها على هذا الرأي :

- ١ - يرجح ديورانت أنَّ هدف قسطنطين كان سياسياً وأنَّه كان بارعاً في تحقيقه حيث يقول: « وترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أنَّ الرأي الأخير هو الصواب » ^(١) .

ثمَّ يبين كيف استطاع قسطنطين أنْ يحقق أهدافه السياسية التي من أهمها ما ذكرته آنفاً من استفادته من النصارى في تحقيق النصر في الحرب والوحدة لإمبراطوريته : « وكان

^(١) قصة الحضارة : (٣٨٧/١١) .

^(٢) المصدر نفسه : (٣٨٩/١١) .

^(٣) المصدر السابق : (٣٨٨/١١) .

المسيحيون كثيرين في روما بنوع خاص في عهد مكستيوس^(٢) وفي الشرق في أيام ليسنيوس^(٣)، وقد أفاد قسطنطين من تأييد المسيحية اثنى عشر فليقاً لاقى بها هذين القائدين ، ولقد أعجب بجودة نظام المسيحيين إذا قيسوا بغيرهم من سكان الإمبراطورية ، ومتانة أخلاقهم ، وحسن سلوكهم وبجمال شعائر المسيحية وخلوها من القرابين الدموية ، وبطاعة المسيحيين لرؤسائهم الدينيين ، وبرضاهم صاغرين بفوارق الحياة رضاءً مبعثه أملهم في أن يحظوا بالسعادة في الدار الآخرة^(٤) .

٢ - يؤكّد أيضًا المؤرخ اندرُو ملر أنَّ قسطنطين استطاع أن يحقق مكاسبًا سياسياً باعتناق النصرانية حيث يقول : « فضلاً عن أنه يتحمل أنه قدر بحكمته السياسية فضل المسيحية أدبياً وتأثيرها في أن يجعل الناس يخضعون خضوعاً تماماً للسلطة المدنية والأثر العظيم الذي كان لها على عقول نحو نصف إمبراطوريته »^(٥) وهكذا يتضح أنَّ اعتناق قسطنطين للنصرانية كان لتحقيق أهدافه السياسية الكامنة في تحقيق انتصاراته ، وتدعمه وحدة إمبراطوريته الواسعة ، ومع ذلك فقد كان في إعلان اعتناقه الدين النصري سبباً في انتشاره في أرجاء الإمبراطورية كلها ، وأماماً تفصيل دوره فسيائي عند الحديث عن أسباب التقديس . إن شاء الله .

المبحث الثاني

مصادر النصرانية

وفيه مطالب

^(٢) مكستيوس أو مكستيوس بن مكسيميانيوس ، تولى الحكم بعد أن تنازل عنه والده في الجزء الغربي من الإمبراطورية ، زحف إليه قسطنطين في إيطالية وقهقه في تورنتو عام ٣١٢ م . انظر : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينيهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، أسد رستم ، ص: ٥٢-٥٣ .

^(٣) حاكم روما يتولى حكم القسم الشرقي في عهد قسطنطين الذي يتولى حكم القسم الغربي ، ثم حدث بينهما قتال عام ٣٢٣ م وانكسر ليسنيوس وقتل عام ٣٢٤ م ، وأصبح قسطنطين الحاكم الأوحد للإمبراطورية . انظر : المصدر نفسه ، ص: ٥٣ .

^(٤) فضة الحضارة ، ول ديوانت : (١١/٣٨٨) .

^(٥) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص، ١٤٨ .

-
- **المطلب الأول : التعريف بالمعهد الجديـد**
 - **المطلب الثاني : الأنـجـيلـو وسفر أعمـالـه الرسـلـيـة**
 - **المطلب الثالث : رسائلـه الرسـلـيـة**
 - **المطلب الرابع : رؤيا يوحـنا**
 - **المطلب الخامس : نقطـه المصـادر النـصـرـانـيـة**

مدخل :

مصادر الدين هي الأساس الذي يقوم عليه بناؤه ، وعلى قدر صحتها تكون قوة هذا
البناء ، و ثقتنا به .

وإذا نظرنا إلى الديانة النصرانية ، نجد أنها تعتمد على أربعة مصادر ، كما يلي :



-
- ١ - العهد القديم : ويقصد به توراة اليهود ، وما أُلْحِقَ بها من أسفار ، وعددها تسعة وثلاثون سفراً أو ستة وأربعون سفراً .
- ٢ - العهد الجديد : وهي سبعة وعشرون سفراً .
- وهذان المصدران جمعهما النصارى في كتاب واحد ، أطلق عليه "الكتاب المقدس" .
- وهو مصدر أساسى عند جميع طائف النصارى ، ومصدر وحيد لطائفة البروتستان .
- ٣ - المحامعنصرانية : وهي مصدر عند الكاثوليك والأرثوذكس فقط ، والكاثوليك يعترفون بها جمِيعاً ، أمّا الأرثوذكس فلا يعترفون إلا بالأربعة الأولى منها .
- ٤ - البابوية : وهو مصدر عند الكاثوليك خاصة .
- والعهد القديم ليس مجال بحثنا هنا ، ولذلك سأقتصر في الكلام على العهد الجديد ، وأمّا المحامعنصرانية ، والبابوية فسأتحدث عنها في مواضعها من هذا البحث .

المطلب الأول : التعريف بالعهد الجديد :

أطلقت هذه التسمية - كما يذكر النصارى - على المجموعة المكونة من سبعة وعشرين سفراً على اعتبار أنها تتحدث عن الفترة التي بدأت بحياة المسيح ﷺ في مقابل ما يسمى بالعهد القديم الذي يتحدث عن الفترة التي تبدأ بعهد موسى ﷺ .

ولم تعرف الكنيسة بهذه الأسفار بصورة رسمية إلا في القرن الرابع الميلادي بإقرار مجمع نيقية لها ^(١) .

- ويمكن تقسيم هذه الأسفار باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام :
- القسم الأول : الأنجليل الأربع ، ويلحق بها سفر أعمال الرسل .
- القسم الثاني : الرسائل ، وهي إحدى وعشرين رسالة .
- القسم الثالث : رؤيا يوحنا .

المطلب الثاني : الأنجليل وسفر أعمال الرسل :

الإنجيل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى ﷺ ، هداية لقومه ، وجاء ذكره معرفاً بالألف واللام في اثنين عشر موضعًا من القرآن الكريم ، وأصل الكلمة يوناني ، ومعنىه : التعليم أو البشارة ^(١) ، ثم عربت ، وبها نزل القرآن الكريم .

^(١) انظر: الإنجيل والصلib ، عبدالآحد داود ، ص: ٣٤ .

وهذا الإنجيل لا يعرف عنه شيء ، ولا يتزوج أنه كان مكتوباً في ذلك الوقت ؛
لصعوبة الكتابة ، وقصر الفترة التي عاشها المسيح عليه السلام ، ولأنه لم يكتب له الحفظ كما هو
شأن القرآن الكريم المحفوظ ، ولشدة الاضطهاد الذي عاشه أتباع المسيح عليه السلام في ذلك
الوقت . والله أعلم .

أما تعريف الإنجيل عند النصارى : فيقصد به الكتاب الذي يروي حياة المسيح عليه السلام ،
أو يسوع – كما يسمونه – أو القراءة التي تُتلَى أثناء ما يسمى "القدس الإلهي" (٢) ،
ويشمل الأناجيل الأربع : إنجيل متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا ، وقد يطلق مجازاً على
مجموع كتب العهد الجديد (٣) .

وموضوع هذه الأناجيل الحديث عن حياة عيسى عليه السلام – كما يعتقد النصارى – من
حيث مولده ، وبشارته بالإنجيل ، ومعجزاته التي جاء بها ، وآلامه ، وصلبه ، وقيامته بين
الأموات ، وصعوده ، وقد تميّز إنجيل يوحنا بأنه أكثرها تصريحاً بألوهية المسيح عليه السلام (٤) .
وقد اختيرت هذه الأناجيل من بين أناجيل كثيرة جداً كانت منتشرة في القرن الأول
والثاني (٥) .

وأما تاريخ كتابتها ، فإننا نجد بين النصارى خلافاً كبيراً في تحديد الفترة التي تم فيها
ذلك ، وبعد دراسة آرائهم يمكن القول : إن هذه الأناجيل لم تكتب قبل عام ١٣٥ م ومن
الأدلة على ذلك ما يلي :

١ - يقول ديوانت : «ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ إلا في كتابات
بيارس الذي كتب في عام ١٣٥ م إذ يقول : إن يوحنا الأكبر وهو شخصية لم يستطع
الاستدلال على صاحبها قال إن مرقض ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس» (٦) .

(١) انظر : الإنجيل والصلب ، عبدال الأحد داود ، ص: ٤٧ ، واظهار الحق ، رحمة الله الهندى : (١٠٣/١) ، وقصة
الحضارة ، ول ديوانت : (١١/٢٠٦-٢٠٧) .

(٢) معجم اللاهوت الكتائى ، بإشراف نيافة المطران انطونيوس نجيب ، ص: ١١٣ .

(٣) انظر: اظهار الحق ، رحمة الله الهندى : (١٠٣/١) .

(٤) انظر على سبيل المثال : تاريخ الكنيسة الشرقية ، المطران ميشيل يتيم وزميله ، ص: ٢٢ .

(٥) انظر : قصة الحضارة ، ول ديوانت : (١١/٢٠٦) .

(٦) قصة الحضارة : (١١/٢٠٧) .



٢- يقول موريس بو كاي: « لم تذكر الأنجليل الأولى في كتابات المسيحية في أزمانها الأولى إلا بعد أعمال بولس ، وفي منتصف القرن الثاني فقط ، وبعد سنة ١٤٠ بالضبط ظهرت شهادات متصلة بمجموعة من الكتابات الإنجيلية التي أفاد بوضوح عدد من الكتاب المسيحيين أنَّهم يعرفون عدداً ضخماً من الرسائل البولسية ^(٢) ، ويقول أيضاً : « وعلى كل حال ، فأنَّه لم يكن يوجد قبل سنة ١٤٠ كما نقرأ في شروح هذه الترجمة للتوراة آية شهادة يمكن معها معرفة مجموعة كتابات إنجيلية » ^(٣) .

٣- يقول شراح ما يسمى بالكتاب المقدس : « ومهما يكن من أمر فليس هناك قبل السنة ١٤٠ أي شهادة تثبت أنَّ الناس عرفوا بمجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة ولا يذكر أنَّ مؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم ، فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمن بأنَّ هناك بمجموعة من الأنجليل وأنَّ لها صفة ما يلزم » ^(٤) . وبالنظر إلى النصوص السابقة تتأكد الأمور التالية :

الأمر الأول : الغموض الشديد الذي اكتنف هذه الفترة ، مع كونها من أهم الفترات في تاريخ هذه الديانة

الأمر الثاني : هو ما أشار إليه موريس بو كاي – وهو أمر يسترعى الاهتمام – من سبق الرسائل البولسية لهذه الأنجليل في الظهور .

والذي يترجح لي أنَّها ألقت في وقت متأخر ، وأنَّ تاريخ تأليفها كان أبعد من التاريخ المذكور ، وأنَّها بعد ذلك نسبت أو نسب بعضها إلى التلاميذ أو أتباعهم بقصد إضفاء الشرعية لهذه المؤلفات على أساس أنَّها من تلاميذ المسيح عليه السلام أو أتباعه وهم يعتبرون من الرسل – في اعتقاد النصارى – ، وترجمي هذا الرأي ، لعدة أمور منها :

أولاً: أنَّ أقدم إشارة إلى الأنجليل كانت عام ١٣٥ م ، ولا توجد إشارة إلى وجود أنجليل قبل ذلك التاريخ ، وهذا الأمر ما أكده بو كاي ، وديورانت ، وشراح الكتاب

^(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص: ٧٥ .

^(٣) المصدر نفسه ، ص : ٧٥ ، والترجمة المشار إليها هي الترجمة المسكونية للتوراة والعهد الجديد .

^(٤) الكتاب المقدس – مدخل إلى العهد الجديد .

المقدس ، وهذا محمول على أول ذكر للأنجيل ، لا على تدوينها وظهورها في الصورة التي هي عليها الآن .

ثانياً : أنه من غير المقبول أن يكون كتاب هذه الأنجليل أو اثنين منهم على الأقل - كما يرى النصارى - من أتباع المسيح الكليلة ثم لا تدون إلا بعد هذه الفترة الطويلة جداً ، بل المقبول أنهم يبادرون إلى تدوينها ، لحاجة الناس إليها ، وحفظاً لها من الضياع بسبب وجودها في الأذهان فقط .

ثالثاً : أن ما تشتمل عليه هذه الأنجليل من العقائد يخالف قطعاً ما عليه أتباع المسيح الكليلة و تلاميذه المخلصون في دينهم مما يعني أنها لم تكتب إلا بعد عهدهم بزمن طويل .

رابعاً : يمكن أن يقال إن هذه الأنجليل ألفت بعد استقرار العقائدنصرانية ، فتكون حينئذ بمثابة التأكيد لها لا أن العقائد تأسست بناء على هذه الأنجليل .

خامساً : أن اللغة اليونانية التي ظهرت بها هذه الأنجليل خلاف اللغة التي قيل إن المسيح الكليلة كان يتكلم بها ^(١) ، وخلاف اللغة التي عليها اليهود في ذلك الوقت ، وهذا يقوى الاعتقاد بالبعد الزمني - وحتى المكان - الذي كُتب فيه هذه الأنجليل . وأماماً أصحاب هذه الأنجليل ؛ فيمكن الحديث عنهم ، وعن أنجليلهم ، كما يذكر النصارى بما يلي :

١- متي : مأخوذه من الاسم العربي متيا ، ومعناه : عطية يهوه ، وهو عبراني ، ويدعى أيضاً لاوي بن حلفي ، من جباه الضرائب لدى الرومان في كفر ناحوم في فلسطين ويقال إن المسيح الكليلة دعاه إلى اتباعه فتبعه ، وأنه بعد صعود المسيح الكليلة (هكذا يعبرون !) قام ليبشر بدعوته في أرجاء البلاد حتى استقر في الحبشة ، ومكث بها ثلاثة وعشرين عاماً ، حتى مات عام ٧٠ أو ٧٩ م ^(٢) .

وما ذكر من اتباع متي للمسيح الكليلة مما لا دليل عليه ، بل إن محتوى هذا الإنجيل ، وما تضمنه من الشرك والأمور الكثيرة المخالفة لما جاء به المسيح يقطع بعدم صحة ذلك .

^(١) قيل إنها اللغة السريانية ، وقيل الكلدانية ، وقيل هي نفسها اللغة العبرانية . انظر : الإنجيل والصلب ، عبد الأحد داود ، ص: ٥٠ .

^(٢) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص: ٨٣٢ .

وأماماً الإنجيل المنسوب إليه ، فيُعد من أقدم الأنجليل بحسب الرواية المعهود بها عند الأرثوذكس ، وأماماً اللغة التي ألف بها فذكر أنها العبرانية ، وقيل إنه ألف باليونانية ، وذكر متى هنري في مقدمة تفسيره له أنه يمكن أن يكون قد ألف نسخة باللغة العبرانية وأخرى باليونانية ، وقد ألف لليهود في فلسطين على الأرجح ، ويتميز باهتمامه ببيان أن عيسى عليه السلام جاء ليكمل تاريخ بني إسرائيل ولذلك عده بعض النصارى بمثابة الامتداد للعهد القديم ، ويكون من ثمانية وعشرين إصحاحاً .

٢ - مرقس : اسم لاتيني ، ومعناه المطرقة ، ويقال إنه لقب ليوحنا ، وهو ابن أخت برنابا ، وهو يهودي ، ويرجح أنه ولد في أورشليم ، ولا يعرف شيء حقيقي عن بقية حياته ولا تاريخ وفاته ، واتفق النصارى على أنه مترجم بطرس ، ويذكر يوسابيوس أنَّ مرقس كان أول من أُرسل إلى مصر ، ونادي بالإنجيل الذي كتبه ، وأسس الكنائس في الإسكندرية أولاً^(١) . أمّا إنجيله ، فهو الثاني في ترتيب الأنجليل ، وقد ألف باليونانية في روما ووجه للنصارى الرومانين ، ويتميز بأنه أصغر الأنجليل حجماً إذ يتالف من ستة عشر إصحاحاً فقط .

٣ - لوقا : لوكا اسم لاتيني ، تلميذ شاعر ورفيقه في كثير من رحلاته ، ولذلك وصفه "بالطبيب الحبيب"^(٢) و"العامل معى"^(٣) ، وهذا يدل على تأثره الشديد به ، ولد في أنطاكية ، وذكر أنه كان طبيباً ومئرحاً وأديباً ومصورةً ، وهو مؤلف سفر أعمال الرسل ، ويعتقد أنه من غير اليهود ويظهر من كتاباته أنه كان يونانياً عالي الثقافة^(٤) .

وأماماً إنجيله ، فيظهر أنه كان بعد إنجيل متى ومرقس ؛ لأنَّه استفاد منهما ، وعرف حصار القدس وتخدمها سنة ٧٠ م - كما ذكر موريس بوكاي - وقد ألف باليونانية ، وكتبه إلى ثاوفيلس ، وهو رجل ذو شأن ، كما يظهر من تسميته له بالعزيز ، وقد استفاد في تأليفه من الذين كتبوا قبله عن المسيح عليه السلام ، ومن شهود العيان الذين شهدوا الأحداث

^(١) تاريخ الكنيسة ، ص : ٧٣ .

^(٢) كما في رسالة بولس إلى أهل كولوسي : (٤/١٣) .

^(٣) كما في رسالة بولس إلى فيلمنون : (١/٢٤) .

^(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص : ٨٢٣ .

، ويتميز بالحرص على تنسيق الروايات ، ووضع مقدمة تشبه مقدمات الكتب اليونانية ، ويكون من أربع وعشرين إصحاحاً

٤ - يوحنـا : هو يوحنـا ابن زبـدي ، أخـو يعقوـب الأصـغر ، دعـاه المـسيـح ﷺ مـع أخيـه ، وـكان مـن أسرـة غـنية ، اتـخذ الصـيد مـهنة لـه ، وـهو مـن تـلامـيـذ يـوـحنـا المـعـدـان (يـحـى بن زـكـريا عـلـيهـمـا السـلام) ، ثـمـ من تـلامـيـذ المـسيـح ﷺ بـعـد ذـلـك ، وـهو أـحـد الـثـلـاثـة الـذـين اصـطـفـاهـمـ المـسيـح ليـكـونـوا رـفـاقـهـ الخـاصـين ، وـهم بـطـرـسـ ، وـيعـقوـبـ ، وـيوـحنـاـ ، وـقد وـثـقـ بهـ المـسيـح ﷺ وـأـحـبـهـ حـتـى سـُمـيـ بالـحـبـيبـ ، وـقد تـوـفـيـ حـوـالـيـ سـنـة ١٠٠ مـ ، وـبـمـوـتهـ اـنـتـهـىـ الـعـهـدـ الرـسـوـلـيـ - بـزـعـمـ النـصـارـىـ - ^(١) وـما ذـكـرـهـ النـصـارـىـ مـن آـنـهـ مـن تـلامـيـذـ المـسيـحـ لـا يـصـحـ لـمـ تـضـمـنـهـ إـنـجـيلـهـ مـنـ الشـرـكـ بـالـلـهـ وـالـتـصـرـيـحـ بـأـلـوـهـيـةـ المـسيـحـ ﷺ ، وـلـوـ صـحـ آـنـهـ مـنـ الـخـوارـيـنـ لـمـ يـصـحـ قـطـعاـ نـسـبـةـ هـذـاـ إـنـجـيلـ إـلـيـهـ .

وـكـانـ تـأـلـيـفـهـ عـنـدـمـ اـشـتـدـ الـخـلـافـ فـيـ شـأنـ الـوـهـيـةـ المـسيـحـ ﷺ ، وـهـوـ الدـافـعـ لـتـأـلـيـفـ الـكـتـابـ ، كـمـ نـفـهـمـ ذـلـكـ مـنـ كـلـامـ بـعـضـ الـشـرـاحـ هـذـاـ إـنـجـيلـ ^(٢) ، وـهـذـاـ يـرـجـحـ آـنـهـ قـدـ أـلـفـ فـيـ الـقـرـنـ الـثـالـثـ أـوـ الـرـابـعـ ، وـقـدـ أـلـفـ بـالـيـونـانـيـةـ كـبـقـيـةـ الـأـنـاجـيلـ ، وـيـتـأـلـفـ الـكـتـابـ مـنـ وـاحـدـ وـعـشـرـيـنـ إـصـحـاحـاـ .

وـأـمـاـ سـفـرـ أـعـمـالـ الرـسـلـ ؟ـ فـقـدـ كـتـبـهـ لـوـقـاـ لـنـفـسـ الرـجـلـ الـذـيـ كـتـبـ لـإـنـجـيلـهـ ، وـهـوـ ثـاوـفـيلـسـ كـمـ نـصـ هوـ عـلـىـ ذـلـكـ ، وـالـفـرـقـ بـيـنـ إـنـجـيلـهـ وـسـفـرـ أـعـمـالـ الرـسـلـ ، آـنـ إـنـجـيلـ يـتـحـدـثـ عـنـ حـيـاةـ يـسـوعـ وـأـعـمـالـهـ ، بـيـنـمـاـ سـفـرـ أـعـمـالـ الرـسـلـ يـتـحـدـثـ عـنـ حـيـاةـ تـلـامـيـذـهـ مـنـ بـعـدـ وـأـعـمـالـهـ ، الـذـينـ يـعـتـبـرـونـ رـسـلـاـ بـجـسـبـ اـعـتـقـادـ النـصـارـىـ ، آـمـاـ تـارـيـخـ تـأـلـيـفـهـ فـقـدـ أـلـفـهـ بـعـدـ إـنـجـيلـ ، بـالـيـونـانـيـةـ ، وـيـتـأـلـفـ مـنـ ثـمـانـيـةـ وـعـشـرـيـنـ إـصـحـاحـاـ ، وـهـوـ وـإـنـ كـانـ يـتـحـدـثـ عـنـ تـلـامـيـذـ المـسيـحـ إـلـاـ آـنـ النـصـيبـ الـأـكـبـرـ مـنـهـ كـانـ لـلـحـدـيـثـ عـنـ شـاءـولـ ، وـالـذـيـ يـلـغـ مـاـ يـقـارـبـ نـصـفـ الـكـتـابـ ، وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ شـدـةـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـهـاـ ، آـنـهـ مـنـ أـكـبـرـ تـلـامـيـذـهـ .

المطلب الثالث : الرسائل :

^(١) انظر : المـصـدرـ السـابـقـ ، صـ ١١٠٨ـ وـمـاـ بـعـدـهـ .

^(٢) انظر : مـقـدـمـةـ إـنـجـيلـ لـلـقـدـيسـ يـوـحنـاـ ، صـ ٢٥ـ ، وـالـكـتـابـ مـتـرـجـمـ منـ لـجـنـةـ اـعـتـمـدـ تـشـكـيلـهـ الـبـابـاـ كـيرـلسـ السـادـسـ .

تُنسب هذه الرسائل إلى من يسمى بالرسل ؛ لاعتقاد النصارى أنَّ من كتبها هم رسل ، أو أتباع رسل ، وتحتل جزءاً كبيراً من العهد الجديد ، إذ تشمل على إحدى وعشرين سفراً ، وتنقسم إلى قسمين : الأول : رسائل بولس ، والثاني : الرسائل العامة .

رسائل بولس : تحتل رسائل بولس الجزء الأكبر من مجموع الرسائل إذ يبلغ عددها أربع عشرة ، رسالة وعدد إصلاحاتها مائة إصلاح ، وقد كتبت باليونانية ، ويدرك المؤرخ أندرؤ ملر أنَّ كتابتها كانت في الفترة ما بين ٥٣ و٦٧ م^(١) ، وهذه الرسائل منها العامة إلى الكنائس ، وعدها عشر رسائل ، ومنها الخاصة إلى بعض تلاميذه ، وهي بقية الرسائل ، وموضوعها الجانب التعليمي ؟ فهي تعرض عقائد وشرائع النصرانية التي اخترعها بولس ، ولا سيما الوهية المسيح الكليل و تتعرض للرد على خصومه ، وهم من حالفه في هذه العقيدة ، وهؤلاء قطعاً هم الموحدون من يقي على الدين الصحيح ، ولم تعتمد لها الكنيسة إلا في سنة ٣٦٤ م ، وقد أصبح لها شأن كبير في النصرانية حتى عدها البعض المصدر الوحيد للتشريع^(٢) .

الرسائل العامة : وهي التي تسمى بالرسائل الكاثوليكية ، وهي مؤلفة باليونانية ، وهي : رسالة يعقوب ، ورسالتي بطرس الأولى والثانية ، ورسائل يوحنا الأولى والثانية والثالثة ، ورسالة يهودا ، وموضوعها الحديث عن العقائد والشرائع النصرانية ، ولكنَّها تُعنِي بوجه خاص بالرد على البدع المستحدثة في نظر النصارى ، ولم تعرف بها الكنيسة قبل عام ٣٦٤ م ، وهذا يلقي بكثير من الشك حول مدى شرعيتها ، فضلاً عن نسبة بعضها إلى تلاميذ المسيح الكليل أو حواريه ، ويؤكد بعض المؤرخين من النصارى أنَّها ليست من العهد الجديد ، ويشهد على ذلك ما ذكره الأستاذ "ساجد مير" من أنَّ يوسابيوس والسيحيون الثقات المعاصرون له يرون أنَّ هذه الرسائل ليست من الكتاب المقدس ولذلك لم توجد في نسخة الكتاب المقدس السرياني القديم الذي يعرف بالبشتينا^(٣) .

المطلب الرابع : رؤيا يوحنا :

^(١) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص: ٩٥ .

^(٢) كما ذكر ذلك الدكتور احمد شلبي كتابه المسيحية ، ص: ١٤١ .

^(٣) انظر : النصرانية دراسة وتحليل ، ص: ١٧٤ .

يذكر النصارى أنَّ هذه الرؤيا تجلت على يوحنا في فترة الاضطهاد الذي وقع في عهد دومتيانوس^(١) ، والذي نفي فيه إلى بطمس^(٢) ، ولكنَّ نسبتها إليه ليست محل إجماع عندهم كما يذكر شراح (الكتاب المقدس) ، وقد جاء عنهم : « لا يأتيانا سفر رؤيا يوحنا بشيء من الإيضاح حول كاتبه ، لقد أطلق على نفسه اسم يوحنا ولقب نبي ولم يذكر فقط أنه أحد الإثنى عشر . هناك تقليد على شيء من الثبوت وقد عثر على بعض آثاره منذ القرن الثاني ، وورد فيه أنَّ كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا ، وقد نسب أيضاً إليه الإنجيل الرابع بيد أنه ليس في التقليد القديم إجماع على هذا الموضوع ، وقد بقي المصدر الرسولي لسفر يوحنا عرضة للشك مدة طويلة في بعض الجماعات المسيحية »^(٣) .

وموضوع هذه الرؤيا بحسب رأي النصارى : « ينقسم إلى قسمين كبيرين : الأول : القسم النبوي ، والذي يظهر بمعظمه رسائل إلى الكنائس ، القسم الثاني : الرؤوي أي ما يهد لنهاية الأزمنة والمحن التي تتبعها لوقتها ، والقتال الكبير ، وتتمة كل شيء والتجلّي الأخير»^(٤) ، وأهم ما تضمنته الرؤيا تقرير الوهبية المسيح ، وسلطانه في السماء وإشرافه على الكنائس ، وعرض الناس يوم القيمة عليه من أجل حسابهم ، وذكر طائفة من الأحداث التي تكون قبل قيام الساعة^(٥) ، ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسالة إلا في سنة ٣٦٣ م^(٦) . وهذا شاهد آخر على مقدار ما يحيط بها من الشكوك .

المطلب الخامس : نقد مصادر النصارى في الجملة :

^(١) امبراطور روماني وقع اضطهاده على النصارى عام ٩٠ م . انظر: موسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة: (١٠٢/١)

^(٢) جزيرة في الأرخبيل الروسي تسمى الآن "بطمو" ، على شاطئ آسيا الصغرى . انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص: ١٨٠ .

^(٣) مدخل إلى رؤيا يوحنا من الكتاب المقدس ، ص: ٧٩٦

^(٤) مدخل إلى العهد الجديد من الكتاب المقدس ، ص: ٧٩٧ .

^(٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، علي عبدالواحد ، ص: ١١٩ ، بتصرف واختصار .

^(٦) المصدر نفسه ، ص: ١١٩ .

تعد أسفار العهد الجديد البالغة سبعة وعشرين سفراً الأسفار المعتمدة عند النصارى وتتحذ صفة القدس ؟ ولذلك سمى الكتاب المشتمل عليها بالكتاب المقدس ، وسبب اعتمادها وتقديسها اعتقادهم أنّها وحي من الله ، وهم يستندون في هذه الدعوى على ما ورد في كتابهم من نصوص يرون أنّها دليل على ما اعتقادوا . جاء في رسالة بولس إلى تلميذه طيموتاوس : « فثبت أنك على ما تعلمته ، وكن منه على يقين ، فأنت تعرف عنمن أخذته وتعلم الكتب المقدسة منذ نعومة أظفارك ، فهي قادرة على أن تجعلك حكيمًا فتبليغ الخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع ، فكل ما كتب هو وحي من الله يفيد في التعليم والتغريد والتقويم والتأديب في البر ليكون رجل الله كاملاً معداً لكل عمل صالح »^(١) . ونحن نتساءل هنا هل هذه الأسفار هي حقاً وحي من الله ، فيلزم قبولها والثقة بها ، أم أنّها ليست كذلك ؟ .

نقرر أولاً أنّه لكي تكون هذه الأسفار وحياً من الله ؛ فإنّما أن تكون هي الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ، والذي أوحاه الله تعالى إليه قطعاً ، وإنّما أن يكون من تنسب إليهم هذه الأنجليل هم رسل من الله ، وتكون هذه الأنجليل هي وحي الله إليهم . والأمر الأول لا يقول به النصارى ، وليس هو موضع نزاع معهم ، أمّا الأمر الثاني فهو الذي يتزمونه ، وهو ما سأناقشه فيما يلي :

نقد دعوى الرسالة والإلهام :

يدعى النصارى أنّ من تنسب إليهم هذه الأسفار رسل ، وأنّها إلهام من الله إليهم ، ويستندون في ذلك على أنّ روح القدس تخلّى على هؤلاء التلاميذ - الاثني عشر - وامتلأوا جميعاً من الروح القدس . وهذه الدعوى باطلة ، وما يدل على بطلانها :

- ١ - أنّ من هؤلاء الذين يسمون بالرسل من لهم رسائل ، ولكن لم يُعترف بها إلا بعد عام ٣٦٤ م ، ولم تقر في أهم مجمع للنصارى ، وهو مجمع نيقية الذي عقد عام ٣٢٥ م ، فكيف يكون هؤلاء رسلاً يوحى إليهم ، ثم لا يقبل وحيهم ؟ لأنّه لا يتصور إلا يؤمن الاتّباع برسلهم إلا أن لا يكونوا اتباعاً أو أولئك ليسوا برسل ، ومن الرسائل التي لم يعترف

^(١) رسالة بولس إلى تيموثاوس : (٣/١٤-١٦) .

بها : رسالة بولس إلى العبرانيين ، ورسالة بطرس الثانية ، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة ،
ورسالة يعقوب ، ورسالة يهودا ، ورؤيا يوحنا ^(١) .

٢ - من قال إنَّ لوقا نفسه كان رسولاً لم يأت بدليل على رسالته ، ولم يذكر هو ذلك عن نفسه ، بل الذي ذكره آنَّه كان مقلداً لمن قبله من كتب في سيرة المسيح الكليل وأعماله ، فكيف يكون رسولاً ملهمًا ويعمد إلى تقليد غيره ؟ .

٣ - بالنظر إلى ذات هذه الأسفار من حيث نصوصها وسندتها يتتأكد استحالة أن تكون هذه الأسفار كلام الله ووحيه ، وما يبين ذلك :

(أ) انقطاع سند هذه الأسفار إلى من نسبت إليهم ، فلا نجد سندًا واحدًا يمكن أن نطمئن إليه في نسبة هذه الأسفار إلى أصحابها ، بل لا نكاد نجد سفراً من هذه الأسفار إلا ويوجد من أنكره أو شكك في صحة نسبته إلى من نسب إليه على أقل الأحوال ، وإذا كنا لا نقبل أي خبر إلا إذا وثقنا بصحة سنته فكيف نقبل أن تكون هذه الأسفار صحيحة فضلاً عن أن تكون مقدسة دون سند أصيل يعتمد عليه ؟ .

(ب) التناقض في هذه الأسفار ، وهذا من أكثر الصفات التي تتصف بها وأعظم الأدلة على بطلانها ، وهذا التناقض ظاهر لكل من يطلع على هذه الأسفار ، فهي تتناقض مع المعلوم من الوحي الذي نزل من السماء على الأنبياء والرسل ، ثم تتناقض مع الغاية من هذا الوحي وهو الدعوة إلى وحدانية الله ، ثم تتناقض فيما بينها ، بل نجد التناقض في السفر الواحد وحتى في الصفحة الواحدة ، فأي دليل على بطلان هذه الأسفار أعظم من هذا ، ونحن نعتقد أنَّ كلام الله ووحيه لا يمكن أن يختلف - فضلاً عن أن يتناقض - لأنَّه كله حق ، والحق لا يتناقض .

وعليه إذا لم تكن هذه الأنجليل وحياً من الله فمن الذي ألفها على الحقيقة هل هم التلاميذ الذين تنسب إليهم أم غيرهم ؟ .

وللحجواب عن هذا السؤال أقول : إنَّ هؤلاء التلاميذ لم يؤلفوا هذه الأسفار ولا أتباعهم ، بل ألفها غيرهم ، وبعد وفاتهم ، ثم ألصقت ونسبت إليهم لتأخذ حظها من الشرعية والقداسة ، وهي أشبه ما تكون بكتب السيرة في الإسلام . والله أعلم .

^(١) انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص: ٨٣ .

المبحث الثالث

فرق النصارى

وفيه مطالب

- المطلب الأول : الفرق التي ظهرت بعده رفع المسيح إلى مجتمع نيقية**
- المطلب الثاني : الفرق التي ظهرت بعده مجتمع نيقية**
- المطلب الثالث : الفرق النصرانية المعاصرة**



التمهيد : معنى الافتراق :

قال الراغب الأصفهاني : « الفَرْقُ يقاربُ الْفَلْقِ لِكُنَّ الْفَلْقَ يُقالُ اعْتِبَارًا بِالانْشِقَاقِ ،
وَالْفَرْقُ يُقالُ اعْتِبَارًا بِالانْفِسَالِ ، وَالْفِرْقُ الْقَطْعَةُ الْمُنْفَصَلَةُ ، وَمِنْهُ الْفِرْقَةُ لِلْجَمَاعَةِ الْمُنْفَرَدَةِ مِنَ
النَّاسِ ، وَفَرْقَتْ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِفَصْلٍ يَدْرِكُهُ الْبَصَرُ أَوْ بِفَصْلٍ
تَدْرِكُهُ الْبَصِيرَةُ » ^(١)

وقال ابن منظور : « الفَرْقُ : خلاف الجمع ، فرقه يفرّقه فرقةً ، وفرقه ، وقيل فرق للصلاح فرقاً ، وفرق للإفساد تفريقاً ، والتفريق والافتراق سواء ، ومنهم من يجعل التفريق للأبدان ، والافتراق للكلام ، وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضاً . وفارق فلانٌ امرأته مُفارقةً وفارقـاً : بينها الفرقـ وـ الفرقـةـ وـ الفـرـيقـ : الطائفةـ منـ الشـيءـ المـتـفـرقـ ، وـ الفـرـيقـ طـائـفةـ منـ النـاسـ »^(٢) .

وخلاصة القول أن مادة « فرق » تدور حول معنى المفارقة والمبينة والانقطاع والانفصال عن الجماعة .

والمقصود بالفرق النصرانية في هذا المبحث هي الفرق التي ادّعت الانتساب إلى المسيح ﷺ وخالفت ما جاء به وما كان عليه اتباعه من بعده .

وقد وقع النصارى في الافتراق المذموم ، وبعد رفع عيسى عليه السلام بقي أتباعه من
الحواريين والمؤمنين به على التوحيد الخالص ، وكانوا جماعة واحدة يجتمعون على العبادة ،
ويدعون إلى دين المسيح عليه السلام ، واستمروا على ذلك ، حتى جاء بولس الذي تظاهر باتباعه
للمسيح عليه السلام ، وحاول أن يلتصق بأتباعه ، وبدأ يعلن دعوته الجديدة ، ويُجمّع حوله
الأتباع ، فكان هو مؤسس الديانة النصرانية التي افترقت بعد ذلك إلى فرق شتى ، وبالنظر
إلى تاريخ النصارى من حيث ظهور الفرق من رفع المسيح عليه السلام إلى اليوم ، نجد أنَّ هناك
مراحل بارزة في ذلك التاريخ ، ويمكن أن نصنفها إلى ثلاثة مراحل ، كما يلي :

^(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص : ٦٣٤ .

^(٢) لسان العرب : (٧ / ٨٢ - ٨٣) .

-
- ١- من رفع المسيح العلیه السلام إلى مجمع نيقية ٠
 - ٢- من مجمع نيقية إلى ظهور الفرق المعاصرة ٠
 - ٣- ظهور الفرق المعاصرة ٠

وسوف تحدث فيما يلي عن كل مرحلة بشيء من التفصيل :

المطلب الأول : الفرق التي ظهرت بعد رفع المسيح العلیه السلام إلى مجمع نيقية :
تميزت هذه المرحلة بغلبة التوحيد ، وذلك مما لا يحرص النصارى على إظهاره ، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ما يلي :

١- حال الحواريين وتلاميذ المسيح العلیه السلام (الجama'a الـأولـي) :
وصف الله تعالى الحواريين في القرآن الكريم بالإيمان بالله تعالى ، والإخلاص له ، وكمال الاتباع والنصرة للمسيح العلیه السلام ، بل وأمر بالاقتداء بهم ^(١) . وهذا يدل على أنهم كانوا على التوحيد الخالص ، ويدل وصفهم بالنصرة للمسيح العلیه السلام أنهم قاموا بالدعوة إلى دينه والدفاع عنه خير قيام ٠

وقد ورد في أسفار النصارى ذكر أسماء الحواريين ، وأنهم اثنا عشر رجلا ، وأنَّ جميع اتباع المسيح مائةً وعشرون رجلاً فقط ، كما ذُكرت بعض صفاتهم ^(٢) . وما ذُكر عنهم مما لا دليل عليه ، وأمّا الصفات التي نسبوها إليهم ، فمما يقطع بأنهم ليسوا من أتباع المسيح العلیه السلام - فضلاً أن يكونوا من حواريه ؟ فقد نسب إليهم من صفات الكفر والخيانة في الأنجليل نفسها ما يجعلنا نقطع بأنهم ليسوا من حواري المسيح العلیه السلام الذين مدحهم القرآن الكريم ، ووصفهم بصدق الإيمان وبكمال الاتباع لنبيهم العلیه السلام ، ثم إنَّه لا يعقل ألا يؤمن به أحد من النساء - كما تزعم تلك المصادر - ٠

والمقصود أنَّ عصر الحواريين كان عصر التوحيد ، وأمّا شاعول فمع حرصه على نشر نصرانيته إلا أن تأثيره كان محدوداً ومقاولاً بالرفض - كما سيأتي بيانه - ٠

٢- دعوة شاعول في هذه الفترة :

^(١) سأذكر ذلك بالتفصيل عند الحديث عنْ يسمى بجماعة الرسل ٠

^(٢) انظر : متح (٤-١٠)، أعمال الرسل : (١/١٣-١٥) ٠



بالرغم من نشاط شاعول الكبير الذي قام به إلا أن أثره في تلك الفترة كان محدوداً على الأرجح ؛ لأنَّ التوحيد كان هو الغالب ، وسوف ابين من خلال عرض بعض نشاطه في الدعوة إلى النصرانية – كما يذكر سفر أعمال الرسل – ما يشهد لصحة ما ذهبت إليه ، ومن ذلك :

١- لما ذهب إلى أورشليم حاول الالتصاق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه ، لأنَّهم لم يصدقوه من التلاميذ ، ولكنَّ برنابا توسط له لدى التلاميذ فمكث معهم خمسة عشر يوماً ، وكان يخاطب فيها اليونانيين ، فحاولوا قتله ، فلما علم أتباعه أخذوه إلى قيصرية^(١) ، وأرسلوه إلى طرسوس ومكث بها ثمان سنين لا يعرف عنه شيئاً .

٢- بدأت رحلة شاعول التبشيرية الأولى إلى قبرص ، التي رافقه فيها برنابا ، ولقيا بناحاً مشجعاً بين اليهود الكثيرين المقيمين في تلك الجزيرة ثم عادا إلى أنطاكية^(٢) ، وكانوا يخاطبان الأمم كما يخاطبان اليهود فغضبوا عليهم وأنحرجوهم من الجزيرة .

٣- رحل شاعول وتلميذه تيموثاوس لأول مرة إلى أرض أوروبية ، فقبض عليهم بتهمة تكدير السلام وجُلدا وزوج بهما في السجن ، ثم أطلق سراحهما وانتقلوا إلى تسالونيكي^(٣) ، وخطب فيها ثلاثة أسابات فثار عليه اليهود ، ثم خرج خلسة إلى بيرية^(٤) فجاء اليهود من أهل تسالونيكي واقحموه بأنَّه عدو لليهودية ، فأفلع منها إلى أثينا^(٥) ، ولكن لم يتأثر به إلا

^(١) من أهم المدن في فلسطين تقع على البحر ، وتبعد ٤٤ ميل جنوب عكا و٤٧ ميل إلى الشمال الغربي من أورشليم ، كانت ميناء هاما ، وقد بناها هيرودوس تكريماً لأوغسطس قيصر فنسبت إليه . انظر : قاموس الكتاب المقدس ، لنجبة من اللاهوتيين ، ص: ٧٥٥ .

^(٢) مدينة على نهر العاصي على مسافة ١٥ ميل من البحر الأبيض المتوسط ، أسسها سلوش نيكاتور أحد قواد جيش الإسكندر عام ٣٠٠ ق.م . انظر : المصدر نفسه ، ص: ١٢٤ .

^(٣) مدينة كانت حاضرة إحدى مقاطعات مقدونية ، جعلها الإسكندر الأول مقرًا لسكناه وسميت بذلك نسبة إلى أمرأته تسالونيكي . انظر : المصدر نفسه ، ص: ٢١٧ .

^(٤) مدينة من أعمال مقدونية ، تبعد ٥٥ ميل عن تسالونيكي و٢٣ ميل من البحر ، وتدعى الآن "فرينة" . انظر المصدر نفسه ، ص: ٢٠٧ .

^(٥) اسم يوناني ، وهو أصلًا اسم الآلة "أثينا" ، ثم أطلق على المدينة اليونانية التي أصبحت مركز الثقافة في العالم القديم . انظر المصدر السابق ، ص: ٢٦ .

عدد قليل فغادر إلى كورنثة^(١) ، وأقام فيها ثمانية عشر يوماً يخطب كل سبت في كنيستها فلهم اليهود أمام الحاكم الروماني بأنّه « يستميل الناس على أن يعبدوا الله بخلاف الناموس » ثمّ انتقل بعد ذلك إلى أورشليم .

٤ - في رحلته الثالثة زار أنطاكية وآسيا الصغرى وقضى في أفسس^(٢) عامين ، فأقيمت مظاهرة ضده ، فرأى من الحكم أن يغادر المدينة ، فذهب إلى مقدونية^(٣) ، وقضى بضعة أشهر في فيليي^(٤) وتسالونيكي وبيرية ، ثمّ انتقل إلى كورنثة بعد أن حصل فيها انشقاق بسببه ، وادعى أهلها عليه بأنّه يستفيد من عظاته وسخروا من الرؤى التي زعم أنّه رأها وطلبوها أن يستمسك المسيحيون جمِيعاً بالشريعة اليهودية ، وترامى إليه أن جماعة المختوين ذهبوا إلى غلاطية^(٥) وطلبوها من جميع المهددين أن يطعوا الشريعة اليهودية طاعنة كاملة فكتب إليهم رسالة تفيض بالغضب وقرر فيها « أنّ الناس لا ينجون لاستمساكهم بشرعية موسى بل بأيمانهم القوي الفعال بال المسيح المنقذ ابن الله » .

٥ - عندما ذهب إلى أورشليم ليحتفل بعيد العنصرة^(٦) استقبله أتباعه وحذروه من المؤمنين الحافظين على شريعة موسى الكتاب وأشاروا عليه أن يحتال ويظهر تمسكه بشريعة موسى الكتاب ، ولكن لما رأى اليهود في الهيكل قبضوا عليه وأرادوا قتله ولكن تدخل الرومان حال دون ذلك وأبعد إلى روما بناءً على طلبه بوصفه مواطناً رومانياً ، وسمح له هناك أن يتنقل في المدينة بحرية ويستقبل من يشاء .

^(١) عاصمة مقاطعة أخائية في بلاد اليونان ، تبعد ٤٠ ميلاً عن أثينا ، وتعد زينة بلاد اليونان اشتهرت بالتجارة والغنى والعلم وكذلك الخلاعة . انظر: المصدر السابق ، ص: ٧٩٦ .

^(٢) عاصمة المقاطعة الرومانية في آسيا على شاطيء نهر الكايستر وعلى مسافة ثلاثة أميال من البحر ، وكانت ميناء بحرياً هاماً ، انظر المصدر السابق ، ص: ٩٢ .

^(٣) تقع شمال بلاد اليونان أسست في القرن السابع ق.م ، وقيل أنها أول قسم قبل النصرانية من أوروبا . انظر: المصدر السابق ، ص: ٩١٠ .

^(٤) مدينة في مقدونية سميت بذلك نسبة إلى فيليب المقدوني الثاني الذي وسعها وحصنتها ، سقطت في أيدي الرومان سنة ١٦٨ ق.م . انظر : المصدر السابق ، ص: ٧٠٣ .

^(٥) ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى خضعت لحكم الرومان في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد . انظر: المصدر السابق ، ص: ٦٦٠ .

^(٦) لفظة عبرانية تعني اجتماع أو محفل ، واستخدمت لتشير إلى عيد الخمسين اليهودي الذي كان يجتمع فيه كل ذكر من اليهود من كل بقاع الأرض إلى أورشليم للاحتفال بالعيد . انظر: معجم المصطلحات الكنسية لـ (٨٠/٣) .

٦- عندما التقى به زعماء اليهود في روما ليسمعوا منه ، ووجدوا أنه لا يرى في مراعاة الناموس من ضرورة غضب عليه أتباع المسيح الكليل واليهود على السواء لأنهم كانوا متبعين للتعاليم التي جاءت من أورشليم - من أتباع المسيح الكليل - وكانوا يختنون ، وقد رحب هؤلاء بطرس ولكنهم استقبلوا بولس بفتور ٠

ويؤكد ما سبق ضعف أثر بولس في تلك الفترة ، وقلة أنصاره ، وبيان ذلك بما يلي :

١- أن شاعول لا يكاد يذهب إلى مدينة إلا ويقابل بالمعارضة ، وي تعرض للقتل في أكثر الأحيان ، حتى وصفه بعض النصارى بالمضطهد ، والذين يقومون بذلك هم المؤمنون ، وهذا يدل على قلة المؤيدين لأفكاره وغلبة التوحيد في تلك المدن ٠

٢- رجوعه إلى أورشليم ومشاوره التلاميذ في الأمور الهامة دليل على أن المرجعية كانت لهم وأن أمرهم هو الغالب ٠

٣- الاختلافات والمنازعات بينه وبين التلاميذ التي غالباً تنتهي بالانفصال بينهم يدل على استقلالهم عنه ورفضهم لأفكاره التي يدعوا إليها ٠

٤- وأضيف أخيراً اعترافه هو بقلة أنصاره كما في قوله - في رسائله - بأن جميع الذين في آسيا قد ارتدوا عنه ٠

٣- ظهور الجماعات الموحدة في كثير من المدن :

شهدت هذه الفترة بالإضافة إلى وجود الجماعة الأولى وجود طوائف أخرى يتراجع أنها كانت على التوحيد ، لأنها كانت تعارض الأفكار التي نادى بها شاعول ، ومن أهمها (أ) طائفة الأبيونيون : وهذه الطائفة تنسب إلى زعيمها أبيون ^(١) ، وهم من أتباع المسيح الكليل، ولها أشياء إلى أواخر القرن الرابع الميلادي ، ويررون أن المسيح كان إنساناً بسيطاً وعادياً ، ويقر إنجليلهم - وهو مدون باللغة الآرامية - بجميع شرائع موسى الكليل ويعتبر عيسى الكليل المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم ، وينكر ألوهيته

^(١) يقال بأنه ظهر بعد حرب أورشليم ، وكان يعلم بأن المسيح لم يكن إلهًا وإنما كان إنساناً بسيطاً . انظر : عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ، حسن يوسف الأطير ، ص: ٣٨ .

وأزليته ، وهذه الفرقة وقفت في وجه بولس وأنكرت تعاليمه لاسيما ما يتعلق بالختان ورفضت أن تتخذ رسائله أساساً للدين ، وانتشرت في فلسطين والأقطار المجاورة لها^(١) .

(ب) أصحاب بولس الشمشطائي : عاش بولس الشمشطائي في حدود عام ٢٦٠ م ، وكان بطريركاً على أنطاكية وفرقته تؤمن ببشرية المسيح الغليظ ، وأنَّ ابتداءه من مريم ، ولا تؤمن بالكلمة ولا بالروح القدس^(٢)

(ج) الآريوسين : وهم أصحاب آريوس ، وكان معارضًا لكنيسة الإسكندرية القائمة على تأليه المسيح الغليظ وبنوته للأب ، وكان يرى أنَّ الله عز وجل هو الإله الواحد الأزلي ، وأنَّه عالٍ علوًا تاماً ، ولا يمكن ادراكه ، وأنَّ هوة لا نهاية تفصل بينه وبين الناس ، وأنَّ عيسى الغليظ مخلوق غير أزلي وليس إلها ، ولا يحمل الصفات الإلهية . وهذه الفرقة - باعتراف أعدائها - قد حققت نجاحاً كبيراً ، وكان لها تأثير وسيطرة على معظم كراسى المشرق ، وهز سلطانها سلطان الجامع الأخرى^(٣) .

ويؤكد مجمع نيقية غلبة التوحيد في هذه المرحلة ، ومن أهم الدلائل على ذلك :

١ - أنَّ عدد القائلين بالتوحيد هم الأغلبية الساحقة ، فإذا كان عدد المجتمعين ألفين وثمانية وأربعين أسقفاً وبطريركاً ، ولم يتفق على القول بألوهية المسيح منهم إلا ثلاثة وثمانية عشر أسقفاً ؛ فإنَّ البقية والبالغ عددهم ألفاً وسبعمائة وثلاثين هم القائلون بالتوحيد ، وهم على هذه الصورة أكثر من خمسة أضعاف القائلين بألوهية المسيح الغليظ .

٢ - أنَّ جوء قسطنطين بعد تلك المشاورات والمناقشات التي استغرقت وقتاً طويلاً إلى فرض ذلك بقوة السيف ، واستخدام السلطة يعد أكبر دليل على قوة التوحيد وغيبته ؟ فلو كان أتباع عقيدة إلوهية المسيح هم الأكثرية لما احتاج الأمر إلى الاستعانة بقوة السيف^(٤) .

^(١) انظر : تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص : ١٣٠ ، والمسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل لساجد مير ، ص: ٦٦ ، نقلًا عن قاموس أكسفورد.

^(٢) انظر : تاريخ ابن البطريق ، ص: ١٢٦.

^(٣) انظر : الآريوسية والرد عليها ، الأنبا غريغوريوس ، ص: ٣ ، ٣٧ ، والهرطقة في المسيحية ، ج ٠ ويتلر ، ص:

المطلب الثاني : الفرق التي ظهرت بعد مجمع نيقية :

بعد قرار مجمع نيقية ألوهية المسيح الغَلَيْلَةِ ، لم تكتمل أركان التثليث وبقيت عقيدة النصارى على ذلك حتى عام ٣٨١ م ، حيث عقد المجمع المskوني الثاني في القسطنطينية وقرر ألوهية الروح القدس أيضاً ، واكتمل بذلك بنيان الثالوث النصراني ، وبعد هذا المجمع نشأ خلاف جديد حول طبيعة المسيح الغَلَيْلَةِ هل هو ذو طبيعتين منفصلتين لاهوت بذاته وناسوت بذاته ، ولكلٍّ منها مشيئة خاصة به ؟ ، أم أنَّ الطبيعتين اللاهوت والناسوت امتنجتا وتحللتا فصارتا شيئاً واحداً ، ولهما مشيئة واحدة . وكان هذا الخلاف هو أساس تفرق النصارى إلى الفرق الثلاث الكبرى المعروفة قديماً ، وهي :

١ - النساطرة : أتباع نسطور الذي كان بطريقاً على القسطنطينية عام ٤٣١ م ، وكان يرى « أنَّ مريم ليست والدة الإله على الحقيقة ، وإنَّما والدة الإنسان ، وأنَّ المسيح هو إنسان مولود من مريم ، وإنَّما يقال له إله وابن إله لا على الحقيقة وإنَّما بالموهبة » ^(١) .

ويمكن أن تستخلص من النص السابق أمرين :

١ - أنَّ نسطور هو الذي وضع أساس القول بالطبيعتين (الأقومين) لل المسيح .

٢ - إنكاره أن تكون مريم والدة الإله ، بل هي أم المسيح الغَلَيْلَةِ الإنسان البشري .

وبعد أن صدر قرار بلعنة نسطور هذا نُفِي إلى مصر ، واندرست مقالته مدة طويلة حتى أحياها برصوماً مطراناً نصيبيباً ، وانتشر مذهبها مرة أخرى وتکاثر أتباعه في كل من المشرق والعراق والموصـل والفرات والجزـرـة . ^(٢)

٢ - اليعاقبة : يعد مذهب اليعاقبة بمثابة الرد على مقالة النساطرة ، وقد أعلن هذا المذهب في مجمع أفسس الثاني ، وانتهى فيه رأي بطريك الاسكندرية البابا كيرلس إلى القول بالطبيعة الواحدة للمسيح الغَلَيْلَةِ ، وقد نص زكي شنودة على هذا المذهب بقوله : « إنَّ لسيدنا يسوع المسيح أقويناً واحداً إلهياً اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً ، بلا اختلاط ، ولا

^(١) انظر : المصدر نفسه ، ص: ١٥٦ ، وموسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة : (١٦٠-١٦١) .

^(٢) التاريخ المجموع لابن بطريق ، ص: ١٥٨ .

امتزاج ، ولا استحالة ، فالعدراء والخالة هذه بحق والدة الإله ، فمريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد لذلك هي حقاً أمَّ الله »^(١) .

وهذا المذهب هو الذي سمي فيما بعد بمذهب العياقبة نسبة إلى يعقوب البرادعي وليس هو مؤسسه ، ولا أول من قال به ، ولكن في فيما يبدو من أبرز الدعاة إليه^(٢) ، وانتشر هذا المذهب في مصر والنوبة والحبشة.

٣- الملكانية : بعد بجمع أفسس الثاني الذي قرر مذهب الطبيعة الواحدة لل المسيح ، عارضته كنيسة القسطنطينية ، واشتد الخلاف بعد ذلك حول هذا الجمع وقراراته ، حتى عقد جمع خلقدونية عام ٤٥١ م ، وانتهى بتقرير أنَّ للمسيح الكلمة طبيعتين لا طبيعة واحدة وأنَّ الالهوت طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحدها التقتا في المسيح الكلمة ، كما جاء في قرار هذا الجمع: « إنَّ مريم العذراء ولدت إلينا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية وشهدوا أنَّ المسيح له طبيعتان وأقnon واحد ، ولعنوا نسطورس ولعنوا أيضاً ديسقورس (بطيريك الإسكندرية) ومن يقول بمقالته ونفوه ، ولعنوا الجمجمة الثاني الذي كان بأفسس وقد نفي ديسقورس إلى فلسطين »^(٣) .

وأصحاب هذا المذهب القائلون بالطبيعتين هم الذين يسمون بالملكانية نسبة إلى الملك ، وهو إمبراطور الروم البيزنطي الذي ناصر فكرة الطبيعتين ، ويقال إنَّ الذي اطلق عليهم تلك التسمية هم المونوفيزيون (أصحاب الطبيعة الواحدة) على سبيل السخرية ؛ لأنَّهم انحازوا في موقفهم هذا إلى الإمبراطور البيزنطي^(٤) ، وانتشرت الملكانية في سوريا ومصر وفلسطين .

وأنه في نهاية هذا المطلب إلى أنَّ جمع خلقدونية الذي أقرَّ مذهب الطبيعتين هو الأساس في انفصال الكنيسة المصرية عن كنيسة القسطنطينية نهايَاً ، وقد تبع الكنيسة المصرية كذلك الحبشة والأرمون والسريان الأرثوذكس ، وكان هذا الانفصال باعتبار المعتقد كما هو

^(١) موسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة ، ص : ١٦٠-١٦١ .

^(٢) انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص: ١٤٦ .

^(٣) تاريخ ابن البطريرق ، ص: ٢٧٢ .

^(٤) الفرق والمذاهب المسيحية ، سعد رستم ، ص : ٢٩ .

ظاهر ، فمن قال بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة فهم الأرثوذكس ، ومن قال بالطبيعتين والمشيتين فهم الكاثوليك .

المطلب الثالث : الفرق النصرانية المعاصرة :

أولاً : الأرثوذكس :

كلمة أرثوذكس كلمة يونانية الأصل ، ولها عدة معانٍ مستخدمة في حديث الناس ، وفيما يكتبه الكتاب ، ومن أهم معانيها :

- ١- الرأي الحق ، أو الصواب ، أو المستقيم .
- ٢- الرأي المتعارف عليه ، الذي يسير عليهأغلبية الناس .
- ٣- المتابع للقواعد التقليدية الذي لا يجاذف بأفكار حديقة^(١) .

وتطلق اصطلاحاً على جماعة كبيرة من (المسيحيين) الذين يقولون أنهم حافظوا على المعتقد الصحيح كما حددهه المجتمع المسكونية تمييزاً لهم من الذين عدوا هراطقة^(٢) .

وتسمي كنيسة الأرثوذكس بالكنيسة الشرقية ؛ لأن أكثر أتباعها من الشرق ، واليونانية ؛ لأن أتباعها من اليونان ، ومقرها القسطنطينية ، وقد انفصلت بشكل نهائي عن الكنيسة الكاثوليكية في عهد ميخائيل كارولوس بطريرك القسطنطينية عام ١٠٥٤ م . والأرثوذكس لا يجتمعون تحت لواء واحد ، بل كل كنيسة مستقلة بنفسها ، وهي تضم اليوم أسرتين كبيرتين من الكنائس وهما :

القسم الأول : الكنائس الشرقية غير الخلقدونية :

وهي الكنائس التي رفضت قرار مجمع خلقدونية ، وأبرز من يمثلها الكنيسة القبطية التي تسمى بالكنيسة المرقسية الأرثوذكسية أو كنيسة الإسكندرية ، وهي تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، وتضم كنائس الحبشة والسودان ، ويوافقها أيضاً الأرمن ، واليعاقبة ، والسريان .

وتعتقد الكنيسة القبطية أن مؤسسها هو مرقس الرسول ، وقد انفصلت عن كنيسة القسطنطينية بعد مجمع خلقدونية الذي قرر مذهب الطبيعتين ، ولعن ديسقورس ونفيه ،

^(١) انظر الفروق العقائدية بين المذاهب المسيحية ، القس ابراهيم عبدالسيد ، ص: ٦ .

^(٢) انظر : الفرق والمذاهب المسيحية ، سعد رستم ، ص: ٤٨ .

وتعيين بطريرك ملکاين خلفاً له ، وقد قابلت الكنيسة القبطية هذا القرار بإعلان العصيان ، وعدم الاعتراف بهذا الجمع ولا بقراراته ، وعاشت بسببه سلسلة من الاضطهادات إلى أن جاء عام ٤٨٢ م ، حيث تم الاتفاق على أن يختار المصريون أسقفهم بأنفسهم دون تدخل من الإمبراطور ، وكان هذا التاريخ يمثل الانفصال التام عن كنيسة القسطنطينية ^(١).

القسم الثاني : الكنائس الشرقية الخلقدونية :

كان هناك تنافس كبير على الزعامة الكنسية بين كنيسي روما والقسطنطينية ، استمر حتى انعقاد مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩ م ، وسمى بالمجمع الغربي وتقرر فيه :

- ١ - انبات الروح القدس من الآب والابن معاً .
- ٢ - كل ما يتعلق بالديانة النصرانية ينبغي أن يرفع إلى الكنيسة برومما .
- ٣ - كل النصارى يخضعون لكل المراسيم التي يقول بها رئيس كنيسة روما .
- ٤ - لعن وطرد البطريرك فوتويوس (بطريرك القسطنطينية) ، وحرمانه هو واتباعه .

وبعد هذا المجمع أعادت كنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الكاثوليكية برومما انفصلاً مذهبياً وبقيت إدارياً تحت سلطتها ، حتى تم الانفصال النهائي عام ١٠٥٤ م ، وهي تضم اليوم إضافة إلى كنيسة القسطنطينية كنائس الإسكندرية وأنطاكية والقدس ، والكنائس الحديثة في روسيا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، وصربيا وجورجيا وقبرص واليونان وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وأمريكا ^(٢) .

مبادئ الأرثوذكس :

- ١ - أنَّ الروح القدس منبع من الآب فقط ، وهذا يجمع عليه جميع الأرثوذكس .
- ٢ - تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا فقط .
- ٣ - الإيمان بالأسرار السبعة وهي : سر العمودية ، والمiron ، والقربان ، والاعتراف ، ومسحة المرضى ، والزواج ، والكهنوت ^(٣) .

أما أبرز الاختلافات بين الأرثوذكس بأنفسهم فهي :

^(١) انظر : تاريخ الأمة القبطية ، جنة التاريخ القبطي ، ص: ٦١ .

^(٢) انظر : الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، سعد رستم ، ص: ٤٨ .

^(٣) انظر : دراسات في اليهودية وال المسيحية وأديان الهند الكبرى ، د. محمد الأعظمي ، ص: ٤٧٤ .

-
- ١ - موقفهم من طبيعة المسيح العليل، وبينما تؤمن كنيسة الأقباط بالطبيعة الواحدة تذهب كنيسة القسطنطينية إلى القول بالطبيعتين معاً .
- ٢ - تؤمن الكنيسة القبطية بالجامع المسكونية السابقة لجمع خلق دونية فقط ، وتحل كنيسة القسطنطينية بهذه الجامع إضافة إلى الجامع التي كانت قبل جمع القسطنطينية الثامن عام ٨٦٩ م^(١) .

ثانياً : الكاثوليك :

أصل هذه الكلمة هو اللفظة اليونانية « كاثوليروس » ، وتعني العام أو العالمي ، وسميت الكنيسة الكاثوليكية بذلك ؛ لأنها تدعى أنها أم الكنائس وملمتها ، وتسمى باللاتينية أو الغربية ؛ لأن أكثر أتباعها في الغرب ، والبطرسية أو الرسولية ؛ لأن أصحابها يزعمون أنَّ مؤسسها هو الرسول بطرس ، وهو كبير الحواريين - بزعمهم - ، ويعتبر الباباوات أنَّهم خلفاؤه من بعده ، وتمثل الكنيسة الكاثوليكية أكبر تجمع نصرياني في العالم ، وينتشر أتباعها في جميع بقاع الأرض ويرأسها البابا ، وهو أسقف روما ، ومقره مدينة الفاتيكان ، وهي دولة صغيرة داخل مدينة روما عاصمة إيطاليا ، ويساعده في تصريف شؤون الكنيسة ما يطلق عليه (كوريا رومانا) ، وتضم المحاكم والسفارات البابوية التي تصدر بيانات البابا الرسمية ، وبعض الوظائف الوزارية مثل وزارة الخارجية ، ومجتمع الكرادلة الذي يقوم بانتخاب البابا عندما يخلو الكرسي (الرسولي)^(٢) .

ويعيش معظم الكاثوليك اليوم في أوروبا والأمريكتين ، وفرنسا ، وإيرلندا ، وإيطاليا ، وأسبانيا ، وتقوم الكنيسة بإدارة المدارس والجامعات والمستشفيات والملاجئ ودور العجزة .

أبرز المعتقدات :

- ١ - أنَّ الروح القدس انبثق من الآب والابن معاً ، وهم يخالفون بذلك الأرثوذكس .
- ٢ - المساواة الكاملة بين الآب والابن .
- ٣ - أنَّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين موافقين لكنيسة القسطنطينية ومخالفين للقبطية .

^(١) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

^(٢) المصدر السابق ، والصفحة نفسها

٤ - وجود جحيم مصغر في قلب الأرض تخترق فيه الأنفس التي ارتكبت الخطايا حتى تنقى من أوزارها وتستحق دخول الفردوس السماوي ، ويطلق عليه "المطهر" .

٥ - أنها تملك حق غفران الذنوب ، وتصدر ما يسمى بصكوك الغفران وتبيعها للمذنبين .

٦ - تحريم الطلاق في جميع الحالات حتى في حالة الخيانة الزوجية .

٧ - تقديس البابا ، وادعاء عصمته فيما يقول ، بوصفه كاهن أو معلم فقط ، وفيما يكون متعلقاً بالإيمان والأخلاق ^(١) .

ثالثاً : البروتستانت :

كلمة بروتستانت مأخوذه من الكلمة اللاتينية (protestantism) وتعني : الاعتراف أو الاحتجاج ، وتطلق على الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح ، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية ، وسموا بذلك لاعترافهم على قرار الحberman الذي أصدرته الكنيسة الكاثوليكية على اللوثريين عام ١٥٢٩ م ^(٢) ، وهي حركة إصلاحية قامت ضد مفاسد الكنيسة الكاثوليكية .

وقد ظهرت الحركة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وكانت في بداية الأمر حركة إصلاحية داخل الكنيسة ، ثم أصبحت بعد ذلك حركة ذات اتجاه عقدي مستقل ومناهض للكنيسة .

وأتباعها يرفضون تسمية أنفسهم بالبروتستانت ، ويسمون أنفسهم بالإنجيليين ؛ لأنّهم يعتمدون على الإنجيل دون غيره - كما يزعمون - ، ويعتقدون أن قراءة الإنجيل وفهمه حق لكل أحد ، وليس موقفاً على رجال الكنيسة ، كما هو عند الكنائس الأخرى .

ومن أبرز دعاها الألماني مارتن لوثر ، الذي يعتبر رائد الحركة البروتستانتية المؤسس لها ، والروح هولدريخ زوينجلي ، وجون كالفن ^(٣) .

^(١) انظر المصدر السابق ، ص : ٤٦٩ .

^(٢) انظر : معجم الإيمان المسيحي ، الأب صبحي حموي اليسوعي ، ص: ١٠٤ ، والفرق العقائدية بين المذاهب المسيحية ، القس ابراهيم عبدالسيد ، ص: ٨ .

^(٣) سوف أفضل الكلام عنهم عند الحديث عن الإصلاح الديني .

ومن المعلوم أن هذه الحركة لم تكن حركة واحدة بل كانت حركات متعددة ، وقد نشأ عنها العديد من الكنائس والحركات في مختلف دول أوروبا حاليا .

وقد اهتمت الكنيسة البروتستانتية بنشر الإنجيل في أوروبا وأمريكا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، ثم تطور عملها في أشكال منظمات وإرساليات ، ووضعت لها اللوائح والأنظمة والميزانيات الازمة لها ، ثم انتقل العمل التبشيري البروتستانتي إلى القاريين الإفريقيين والآسيويين .

معتقدات البروتستانت :

عقائد البروتستانت هي عقائد الكاثوليك من حيث الأصل ، إلا أنهم يخالفونهم في أمور من أهمها:

١ - يُعد (الكتاب المقدس) وحده المرجع الوحيد في الإيمان والعقائد فيقبل ما وافقه ويرد ما خالفه .

٢ - عدم الإيمان بعصمة البابا .

٣ - رفض عقيدة الاعتراف ، ورفض غفران الذنب على يد الكاهن ، ومن ثم رفض صكوك الغفران ، ومرتبة الكهنة فكل المؤمنين عندهم كهنة ، ولا توجد واسطة بينهم وبين الله سوى المسيح .

٤ - لا تؤمن بالأسرار المقدسة إلا ما ورد في الكتاب المقدس وهم سر العمودية وسر القربان المقدس (العشاء الرباني) .

٥ - لا تؤمن بالصوم كفرضية ولا بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى .

٦ - تمنع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها ؛ باعتبار أن ذلك محرم في التوراة .

٧ - ترفض عبادة مريم ودعاءها وطلب الحوائج منها ، وكذلك عبادة الملائكة ومن يسمى بالقديسين .

٨ - لا يوجد عندهم نظام طقسي معين لبناء الكنائس ولا يتوجهون إلى الشرق في أثناء الصلاة .^(١)

^(١) انظر : دراسات في اليهودية وال المسيحية وأديان الهند ، الأعظمي ، ص: ٤٧٧ .

المبحث الرابع
العقائد النصرانية
وفيه مطلبان

- **المطلب الأول : قانون الإيمان ونقطه**
- **المطلب الثاني : عقائد النصارى الجمالي**



تهييد :

لم يكن النصارى في القرون الأولى على اتفاق في أمر عقيدتهم ، مما أدى إلى حدوث التزاعات المستمرة بينهم ، وقد بلغت هذه التزاعات ذروتها في مطلع القرن الرابع ، عندما أعلن آريوس عقيدته بشأن المسيح الكليل وأنكر ألوهيته ، فعند ذلك أحس النصارى بأهمية جمع كلمتهم على رأي واحد للرد على آريوس - الذي كانت مقولته هي الغالبة في ذلك الوقت - من خلال مجمع عالمي يوقع عليه جميع النصارى ، وبالتالي يحكم على كل من خالقه باللعن والحرمان . ومن أجل ذلك عقد مجمع نيقية الذي كان من أهم قراراته ما اصطلحوا على تسميته بـ "قانون الإيمان" الذي اختير من بين عدة قوانين عرضت في هذا المجمع ، وكان أهم قراراته التأكيد على ألوهية المسيح الكليل ^(١) . كما حكم على آريوس باللعن وإحراق جميع كتبه .

وهذا القانون هو الأساس الذي قامت عليه عقائد النصارى إلى اليوم ، ولذلك فمن المهم أن أتناول هذا القانون بالحديث أولاً ، ثم أتبعه بذكر عقائد النصارى إجمالاً .

المطلب الأول : قانون الإيمان ونقده :

أهمية هذا القانون عند النصارى :

تتضخح أهمية هذا القانون من خلال النقاط التالية :

- ١ - أنه أساس العقيدةنصرانية .
- ٢ - أنَّ جميع الكنائس النصرانية - على ما بينها من اختلاف - تؤمن به .
- ٣ - جعلته الكنيسة جزءاً من طقوسها ، حيث يتلى في جميع صلواتها .
- ٤ - يشتمل على أغلب عقائد النصارى .
- ٥ - تم إقراره بمقتضى مجمع مسكوني شاركت فيه جميع كنائس النصارى ووقع عليه جميع الأساقفة .
- ٦ - كل من خالفه يعد خارجاً عن الإيمان ، ويسمى "هرطوقيا" ، ويحكم عليه باللعن والحرمان ^(٢) .

^(١) انظر المجمع المسكوني الأول - نيقية الأول ، للأب ميشال أبرص والآب أنطوان عرب ، ص: ١٦٦ .

^(٢) انظر : قانون الإيمان ، البابا شنودة الثالث ، المقدمة ، ص: ٦-٥ .



نص قانون الإيمان :

نظراً لكثره الفروقات في نص هذا القانون في المصادر النصرانية فسأقتصر على نص واحد فقط لهذا القانون بجزئيه النيقاوي والقسطنطيني لأجل ملاحظة الفرق بين النصين وسوف اعتمد على النص الذي ذكره الأبوان ميشيل أبرص وأنطوان عرب في كتابيهما عن مجمع القسطنطينية الأول ، وفيما يلي صيغة القانون ، مع ذكر ما حذف من نص مجمع نيقية وما أضيف في مجمع القسطنطينية :

قانون إيمان القسطنطينية (م ٣٨١)	قانون إيمان نيقية (م ٣٢٥)
	نؤمن بإله واحد ،
	آب ضابط الكل ،
	خالق ،
السماء والأرض	كل ما يرى وما لا يرى ،
	وبرب واحد ،
	يسوع المسيح ،
	ابن الله الوحيد ،
	المولود من الآب ،
قبل كل الدهور	
محذوفة	أي من جوهر الآب ،
محذوفة	إله من إله ،
	نور من نور ،
	إله حق من إله حق ،
	مولود غير مخلوق ،
	مساوٍ للآب في الجوهر ،
	الذي به كان كل شيء ،
محذوفة	مما في السماء وعلى الأرض



	الذي من أجلنا نحن البشر ،
	ومن أجل خلاصنا ،
	نزل ،
من السماء ،	
	ويجسده ،
من الروح القدس ومن مريم العذراء ،	
	وصار إنساناً ،
وصلب عنا على عهد بونتيوس بيلاطس	
	وتآلم ،
وقبر	
	وقام في اليوم الثالث
كما في الكتب	
	وتصعد إلى السماء
وجلس عن يمين الآب	
	وسيأتي
مجده.	
	لدين الأحياء والأموات
الذي لا فناء لملكه	
	وبالروح القدس
الرب	
المحي	
المبثق من الآب	
الذي هو مع الآب والابن	
مسجد له ومجد	
الناطق بالأنبياء	



وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية	
ونعرف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا	
ونرجي قيامة الموتى	
والحياة في الدهر	
الآتي آمين	

هذا هو قانون الإيمان كما في الكتاب المذكور سابقاً^(١) ، ونلاحظ أن الجزء الثاني من هذا القانون الذي تم الاتفاق عليه في مجمع القسطنطينية مختلف عن الجزء الأول منه في ثلاثة أمور هي :

أ - فقرات تم تجاهلها من القانون الأول وهي بالترتيب : أي من جوهر الأب ، إله من إله ، مما في السماء وعلى الأرض .

ب - فقرات أضيفت إلى القانون وهي مرتبة كالتالي : (خالق السماء والأرض ، قبل كل الدهور ، من السماء ، من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وصلب عنا على عهد بوتنيوس بيلاطس ، وقبر ، كما جاء في الكتب ، وجلس عن يمين الآب ، مجد ، الذي لا فناء لملكته) .

ج - إضافة مواضيع جديد ، وهي ما يتعلق بألوهية الروح القدس ، والكنيسة ، والمعمودية ، والقيمة .

العقائد التي اشتمل عليها قانون الإيمان تفصيلاً :

تضمن هذا القانون العقائد التالية :

١ - ألوهية المسيح التعالى .

٢ - بنوته لله سبحانه وتعالى .

٣ - عقيدة التثليث .

٤ - عقيدة التجسد (ظهور الرب في صورة المسيح) .

٥ - الصلب والفداء .

^(١) انظر: المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينية الأول) ، ص: ١٨٦ . والمدخل إلى العقيدة المسيحية ، كوسٰي بندلي وجموعة من المؤلفين ، ص: ١٣-١٤ .



٦- قيامة المسيح العلية السلام في اليوم الثالث من بين الأموات .

٧- محاسبته للخلائق في يوم القيمة .

٨- ألوهية الروح القدس وانباقه من الآب .

٩- الإيمان بالكنيسة وأئمها : واحدة ، مقدسة ، جامعة ، رسولية .

١٠- الاعتراف بالمعمودية (التعميد) وأنه سبب للتطهير ومغفرة الخطايا .

أهم الانتقادات الموجهة إلى هذا القانون :

١- أنَّ هذا القانون الذي يتضمن العقيدة التي يؤمن بها جميع النصارى إلى اليوم ، لم يتم الاتفاق عليه إلا في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، أي بعد ما يقارب ثلاثة قرون من رفع المسيح العلية السلام ، والسؤال الذي تحتاج أن يجيب عليه النصارى هو أية عقيدة كانوا عليها في تلك الفترة ؟ فإن كانت هي التي أفروها في ذلك الجموع فما الفائدة من هذا الجموع الذي حضره وألزم بقراراته جميع النصارى ؟ ، وإن كانت عقيدتهم مخالفة له فأيُّ ضلال كانوا عليه ثلاثة قرون من الزمان ؟ .

٢- أنَّ هذا القانون لم ينص عليه أي إنجيل من الأنجليل الأربع المعتمدة عند النصارى التي تمثل الجزء الأهم من العهد الجديد - بحسب زعمهم - وإن كان النصارى متزمنين حقاً بما جاء في كتابهم فيلزمهم أن ينبذوا كل دخيل على كتابهم ويعدوا ذلك "هرطقة"^(١) يجب لعن صاحبها - كما هو شأنهم في كل ما هو كذلك .

٣- لقد حدثت تنازلات كبيرة في تطبيق هذا القانون ، بل إنَّه لم يحظ بأي اهتمام حقيقي حتى عند من اتفقوا عليه وقاموا بصياغته بدليل أنَّهم عندما رجعوا إلى كنائسهم ، بدأوا ينادون بال تعاليم التي كانوا عليها قبل هذا الجموع وهذا ما يعترض به النصارى أنفسهم . يقول د. القس حنا الخضرى : « ولكن للأسف الشديد فإنَّ كثيرين من الأساقفة والآباء الذين اشتركوا في أعمال هذا الجموع عادوا إلى أبرشيائهم وكنائسهم وبذروا من جديد ينادون بال تعاليم التي كانوا يعلمون بها من قبل هذا الجموع المسكوني »^(٢) .

^(١) الهرطقة : ضد الرأي المستقيم ، وتعني عند النصارى من لا يوافق على صيغة الإيمان . انظر: معجم الإيمان المسيحي

، اختيار صحي حموي اليسوعي ٢٥٠ .

^(٢) تاريخ الفكر المسيحي : (٤ / ٦٣٢) .

٤ - أنَّ الإِمْپَرَاٹُورَ قَسْطَنْطِينَ الَّذِي أَصْبَحَ مُثَلًا لِلْسُّلْطَةِ الْعُلِيَا لِلْكَنِيَّةِ وَدُعَا لِعَقْدِ هَذَا
الْجَمْعِ بِهَدْفِ النَّظَرِ فِي بَدْعَةِ آرِيُوسَ وَقَرَرَ حِرْمَانَهُ بِعَقْتَضِيَّهُ هَذَا الْقَانُونَ سَرْعًا مَا عَادَ لِيَقْرَبَهُ
إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، حِيثُ عَقَدَ مُجْمِعُ صُورَ عَامَ ٣٣٤ م ، وَقَرَرَ فِيهِ قَبُولَ عِقِيدَةِ آرِيُوسَ وَأَغْزَى^(١)
قَرَارَاتِ مُجْمِعِ نِيقَيَّةَ ، وَقَدْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ دُوْكِنُسُ حَنَا الْخَضْرَى بِقَوْلِهِ : « وَلِذَلِكَ فَقَدْ صَدَّقَ
قَسْطَنْطِينَ الإِمْپَرَاٹُورَ عَلَى الْحُكْمِ الَّذِي أَصْدَرَهُ مُجْمِعُ صُورَ وَالَّذِي اشْتَمَلَ عَلَى خَلْعِ
أَنْتَسِيُوسَ مِنْ كَرْسِيهِ وَنَفِيَّهِ وَإِعْادَةِ آرِيُوسَ إِلَى مَكَانِهِ وَقَبُولِهِ فِي الْكَنِيَّةِ » .

وَهَذَا يَعْنِي بِالْحَضْرَةِ نَفْضُ قَانُونِ الإِيمَانِ الَّذِي يَخَالِفُ تَمَامًا آرَاءَ آرِيُوسَ ، وَعَلَى ذَلِكَ
فَيَلْزَمُ النَّصَارَى أَنْ يَقْبِلُوا قَرَارَاتِ مُجْمِعِ صُورَ كَمَا قَبَلُوا قَرَارَاتِ مُجْمِعِ نِيقَيَّةَ ، وَأَلَا يَعْدُوا
مُجْمِعَ نِيقَيَّةَ - بِمَا تَضَمَّنَ مِنْ قَرَارَاتِ - أَكْثَرَ مِنْ مَرْحلَةِ تَارِيخِيَّةٍ اَنْتَهَتْ بِتَفاصِيلِهَا ،
وَيَدِلُ النَّصُّ السَّابِقُ أَيْضًا عَلَى أَمْرِهِمْ ، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْجَمْعَ الَّذِي نَتَجَ عَنْهُ قَانُونُ
الْإِيمَانِ لَمْ يَكُنْ الْمَقْصِدُ مِنْهُ الْوُصُولُ إِلَى الْحَقِّ ، وَمَعْرِفَةُ الْعِقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ بِلِ الْمَقْصِدُ الْوُصُولُ
إِلَى الْعِقِيدَةِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَوَفَّرْ لِلْإِمْپَرَاٹُورِ قَدْرًا مِنَ الْأَمَانِ الَّذِي يَتَحَقَّقُ لَهُ بِالْاسْتِقْرَارِ
الْسِّيَاسِيِّ الْلَّازِمِ لِثَبَاتِ إِمْپَرَاٹُورِيَّتِهِ ، وَهَذَا الْأَمْرُ فِي غَايَةِ الوضُوحِ ، فَعِقِيدَةُ آرِيُوسَ لِمَا
أَصْبَحَتْ تَحَقَّقَ لَهُ هَدْفُهُ السِّيَاسِيِّ لَمْ يَتَرَدَّ لِحَظَةٍ فِي قَبُولِهَا وَالْتَّخْلِي عَنْ كُلِّ مَا خَالَفَهَا .

٥ - وَمَا يَقْلِلُ مِنْ أَهْمَى قَانُونِ الإِيمَانِ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ رَسمِيًّا إِلَّا بَعْدَ فَتَرَةٍ مِنَ الزَّمْنِ كَمَا
اعْتَرَفَ بِذَلِكَ الْأَبُوَانِ : مِيشَالُ أَبِرْصُ وَأَنْطَوَانُ عَرْبُ ، حِيثُ قَالَا : « يَقِنُى أَنَّ قَانُونَ
الْإِيمَانِ هَذَا بَقِيَ لِأَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً قَانُونًا إِقْلِيمِيًّا قَبْلَ أَنْ يَنْتَحِرَ مُجْمِعُ خَلْقَدُونِيَا إِكْرَامَهُ
الْلَّازِمَ وَمَكَانَتِهِ وَيَجْعَلُ مِنْهُ قَانُونَ إِيمَانَ الْكَنِيَّةِ جَمِيعَهُ ، إِذْ تَلَاهَا الْآباءِ بِإِحْلَالِ مُرْتَنِ ، وَهَذَا
مَا أَعْطَاهُ صَفَتُهُ الرَّسْمِيَّةِ ، وَثَبَّتَهُ قَانُونَ الْكَنِيَّةِ جَمِيعَهُ » .^(٢)

وَيَلْاحِظُ أَنَّ الْمَدَةَ بَيْنَ مُجْمِعِ الْقَسْطَنْطِينِيَّةِ الَّذِي عَقَدَ عَامَ ٣٨١ م وَمُجْمِعِ خَلْقَدُونِيَا الَّذِي
عَقَدَ فِي عَامِ ٤٥١ م سَبْعَوْنَ سَنَةً عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ وَلَيْسَ كَمَا جَاءَ فِي النَّصِّ .

(١) المُصْدَرُ نَفْسُهُ : (٤/٦٤٨) .

(٢) المُجْمِعُ الْمَسْكُونِيُّ الثَّانِي (الْقَسْطَنْطِينِيَّةُ الْأُولَى) ، ص : ١٩٢ .

المطلب الثاني : عقائد النصارى اجمالاً :

العقائد النصرانية الأساسية على سبيل الإجمال خمس ، وهي كما يلي :

١ - عقيدة الخطيئة الجدية .

٢ - عقيدة الصليب والفداء .

٣ - عقيدة التثليث ، ويدخل فيها اعتقاد ألوهية المسيح الجليل ، وبنوته لله ، وألوهية

الروح القدس .

٤ - التعميد .

٥ - الاعتراف .

وتتضمن عقيدة ألوهية المسيح الجليل عقائد أخرى ، مثل اعتقاد تجسد المسيح الجليل في صورة بشرية ، وقيامته من بين الأموات ، ومحاسبته للخلق يوم القيمة ، كما يدخل في عقيدة التثليث اعتقاد ألوهية ما يسمى عندهم بالروح القدس .

وبين هذه العقائد ترابط كبير ، وسوف أتحدث فيما يلي عن ثلات عقائد ، هي عقيدة الخطيئة الجدية وعقيدة الصليب والفداء ، وألوهية ما يسمى عندهم بالروح القدس . أما العقائد الغالية في المسيح الجليل فسوف أتحدث عنها في الفصل الخاص بتقديس المسيح الجليل ، وأما التعميد والاعتراف فسوف أفصل الحديث عنها عند ذكر الأسرار المقدسة عند النصارى .

أولاً : عقيدة الخطيئة الجدية :

هذه العقيدة هي الأساس الذي بنيت عليه العقائد الأخرى المتعلقة بشخص المسيح الجليل ، ولا سيما عقيدة الصليب الفداء ، ويقررها النصارى كما يلي :

أنَّ الله - عز وجل - عندما أسكن آدم وحواء الجنة ، أمر آدم الجليل ألا يأكل من شجرة في الجنة ، ولكنَّ آدم أخطأ في حق الله تعالى ، وأكل منها ، فجلب على نفسه وعلى سائر ذريته بسبب تلك الخطيئة طرد من الفردوس ، والخلود في نار جهنم ، ولم يعد حق العودة إلى الفردوس والتمتع بالملائكة ممكناً إلا بعد تكفير تلك الخطيئة ، ولكن تكفيتها لم يكن ممكناً بواسطه الإنسان ؛ لعجزه وتسلط الخطايا على طبعه ، ولكنَّ الله كان قادرًا على أحد أمرين : إما أن يعاقبه على جريئته ، أو يسامحه بسبب ضعف طبيعته . إلا أنَّ عقابه



يتضمن العدل ولكنَّه يهدر الرحمة ، كما أنَّ العفو عنه بلا كفاره يتضمن الرحمة ولكنَّه يهدر العدل ، ولا يمكن إهدار إحدى الصفتين ؛ لأنَّه نقص في حقِّ الخالق ؛ ولذلك دبرت الحكمة الإلهية واسطة يخلص بها الإنسان ويستوفي العدل الإلهي حقه ، وهي ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة الإلهية باشتراكها مع طبيعة الله نفسه ، حتى يتسمى لها التكفير عن الخطيئة ، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتجسد ابن الله ، وتآلته طبيعته البشرية حتى تتم المصالحة بينه وبين الناس ، ولما حصل الجسد على كمال غير متناهٍ تيسراً أن يكفر عن الخطيئة الغير متناهية ، وبذلك كانت هذه الوسيلة من أسمى الوسائل لأنَّها استوفت العدل والرحمة معاً ووقفت بينهما^(١) .

وهذا التقرير يبين أنَّ عقيدة الخطيئة الجدية أساس العقائد النصرانية الأخرى التي تتعلق بال المسيح عليه السلام ، من القول بألوهيته ، وبنوته ، وتجسده ، وصلبه ، بل إنَّها نشأت لحل مشكلة هذه الخطيئة ، التي تعذر معها عقوبة آدم عليه السلام ، أو العفو عنه .

ويعتقد النصارى أنَّ هذه الخطيئة التي اقترفها آدم وحده ، وتاب منها ، وأخبر الله بقبول توبته قد ورثها جميع البشر الذين ولدوا ، وحتى الذين لم يولدوا ، بل وحتى من جاء بعدها قدَّم عيسى عليه السلام نفسه للصلب فداء للبشر – كما يزعمون – .

يقرر بولس هذا المعنى بقوله : « من أجل ذلك كائناً ما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع »^(٢) .

ويقول الفيلسوف "أوغسطين" ^(٣): « وبسبب وضعه المميز (آدم) في الفردوس ومسئوليته الشاملة كجد للبشرية كلها فقد انتقلت الخطيئة بالوراثة منه إلى جميع الناس »^(٤) .

^(١) انظر : موسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة : (٢٤٣/٢٤٤-٢٤٤) .

^(٢) الرسالة إلى أهل رومية : (٥/١٢) .

^(٣) لاهوت وفيلسوف نصري ، وأحد كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية ، ولد شرقي الجزائر عام ٣٥٤ ، وأصبح معلماً ناجحاً للخطابة في قرطاجة ، ومزج العقيدة النصرانية بالفلسفة الإغلاطونية ، ومن أهم مؤلفاته "الاعترافات" ، و"مدينة الله" ، و"في التشليث" ، توفي عام ٤٣٠ . انظر موسوعة الفلسفة ، د. عبدالرحمن بدوي : (١٤٧/١-١٤٩) .

^(٤) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، الأب سليم بسترس : (١/٨٠) .

نقد هذه العقيدة :

بعد أن بنت هذه العقيدة وسبب محوريتها في الدين النصراني ، نأتي إلى نقادها معتمدين على ما ورد في أناجيلهم بشكل أساسي ، ويمكن ردها من وجوه من أهمها :

١ - أنَّ هذا التقرير الذي قرره النصارى في تصويرهم لهذه العقيدة يخالف مبدأ العدل الذي يقضي بأن يعاقب المخطئ على ذنبه هو دون غيره ، وهذا مما يتفق عليه جميع العقلاء ، وهو ما تقرره كتبهم المقدسة عندهم ومنها : « النفس التي تخطيء هي التي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون »^(١) ، « لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل ». فإذا كان هذا مقتضى العدل بنص كتبهم ، فإنهم قد خالفوا في تقريرهم لهذه العقيدة ما دلت عليه كتبهم .

٢ - أنَّ هذه العقيدة المخترعة أتت لحل إشكالية الصراع الذي افترضه النصارى بين صفاتي العدل والرحمة ، وبناءً على تقريرهم ؛ فإنه لم يتحقق من ذلك العدل ولم تتحقق الرحمة ، وبيان ذلك : أنَّ أهان البريء وأخذه بجريرة غيره هو متنه الظلم والقسوة ، وذلك ينافق العدل وينافق الرحمة ؛ فالعدل يتضمن إيقاع العقوبة على الفاعل المخطئ دون غيره ، والرحمة تعني العفو عن المخطئ أو تخفيف العقوبة عنه ، والأمران لم يتحققا في هذه الحادثة فلم يحصل العفو عن المخطئ فتكون الرحمة ، ولم يُعاقب المخطئ الذي وقع منه الخطأ فيكون العدل .

٣ - فلسفة هذه العقيدة تقوم على محاولة الجمع بين العدل والرحمة واجتماعهما في وقت واحد وعمل واحد ، وهو من باب الجمع بين النقيضين بحسب فهم النصارى للعدل والرحمة ، وهو محال ؛ فلا يمكن أن يحدث في الوقت الواحد وفي الأمر الواحد إلا أحد الأمرين إما العدل وإما الرحمة ، فلو حكم قاض على قاتل نفس بحكمين الأول : أن يقتل القاتل تحقيقاً للعدل ، والثاني : العفو عنه تحقيقاً للرحمة ، فإنه لا يمكن تحقيق الأمرين معاً بل لابد من أحدهما إما القتل أو العفو وهذا الأمر في غاية الوضوح لكل عاقل .

^(١) حزقيال : (١٨/٢٠-٢١) .

^(٢) الشنية : (٢٤/١٦) .

٤ - يلزم من هذه العقيدة لوازם تناقض الحقائق الثابتة التي دلت عليها النصوص عند النصارى ، ومنها ثناء الله تعالى على كثير من الأنبياء من لم يدركوا حادثة الصليب التي افتديت من أجلها البشرية ، فكيف يجتمع لهؤلاء كل هذا الثناء من الله تعالى وهم ملوثون بالخطيئة ؟! ، وقد جاء في التوراة الثناء على نوح السليمان : « وكان نوح رجلاً باراً في أجياله وسار نوح مع الله »^(١) ، وإبراهيم « لا تخف يا إبراهيم إنا نرس لك ، أحرك كثيراً جداً »^(٢) .

٥ - أنَّ هذه العقيدة تناقض العقل الصريح من وجوه كثيرة ، ومنها :

- أ - لا يؤخذ البريء بجريمة غيره ويعاقب الإنسان بما لم يفعله .
- ب - أنَّ العقوبة على الخطأ ينبغي أن تكون وقت الخطأ ، فلماذا لم يرسل الله ابنه الفادي إلا بعد هذه المدة الطويلة ولم يفعل ذلك في حينه .
- ج - من هم الذين تحقق لهم الخلاص والفاء من الخطيئة هل هم الذين ماتوا قبل صليبه ؟ أم الذين عاينوا صليبه ، أم الذين جاءوا بعد هذه الحادثة ؟
ونجيب عنهم فنقول : أمَّا الذين ماتوا قبل أن يفتديهم فلاشك أنَّهم ماتوا ملوثين بخطيئتهم ، وأمَّا الذين جاءوا بعده ، ولم يدركوا هذه الحادثة فلا شك أنَّهم لم يدركوا الخلاص أيضاً ، ولم يبق من تتحقق لهم الفداء إلا النسبة القليلة من البشرية ، وعلى ذلك ؛ فإنَّ أكثر البشرية قد وقعوا في الخسران ، وأصبحوا من أهل الجحيم . وهذا التقرير مبني على التسليم بعقيدتهم ، ونحن لا نسلم بذلك ، ولكن نذكره من باب التتذلل في الجدال لمعرفة ما يترب على أفواههم من الضلال .

٦ - إذا كان الأمر كما ذكر النصارى ، فلماذا يعادون اليهود ، وينقمون عليهم ،
وهم حققوا مشيئة الله ، وتحقق على أيديهم الخلاص من الخطايا ؟!

٧ - نقض القرآن هذه العقيدة جملة وتفصيلاً .

أمَّا نقضه لها جملة فإنَّ القرآن صرَّح في آيات كثيرة جداً بأنَّ الإنسان لا يتحمل وزر غيره كقوله تعالى: چ ی ی ی ی ۚ چ النجم: ٣٨ . وهذه الآية وأمثالها تنقض مبدأ تلوث البشرية بخطيئة آدم الذي يزعمه النصارى .

^(١) التكوين : ٦/٩ .

^(٢) المصدر نفسه : ٤/١ .

ثانياً : عقيدة الصلب والفداء :

أهمية هذه العقيدة :

تبعد أهمية هذه العقيدة من كونها العقيدة المركزية التي تدور عليها الديانةنصرانية برمتها ، والأساس لكثير من العقائد عند النصارى ، كألوهية المسيح ، والتثليل ، ولأهمية هذه العقيدة أصبح الصليب رمزاً مقدساً عند النصارى ^(١) .

جاء في رسائل بولس : « ومن ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير ، حسب إرادة الله وأبينا الذي له الجد » (٢) .

ويقول عوض سمعان مبيناً أهميتها مع عقيدة الخطيئة الجدّية : « من المعلوم أنَّ الديانة المسيحية بحملتها تقوم أو تسقط بقيام فكرة الخلاص والخطيئة أو سقوطها »⁽³⁾

ويقول البروفيسور جوردن مولتمان في كتابه عن الإله المصلوب : « إنَّ (وفاة) عيسى عليه الصليب هي عصب كل العقيدة (المسيحية) . إنَّ كل النظريات (المسيحية) عن الله ، وعن الخليقة ، وعن الخطيئة ، وعن الموت تستمد محورها من المسيح المصلوب . وكل النظريات (المسيحية) عن التاريخ ، وعن الكنيسة ، وعن الإيمان ، وعن التطهير ، وعن المستقبل ، وعن الأمل إنما تنبئ من (المسيح المصلوب) ^(٤) .

وإذا نظرنا إلى كتب النصارى ، لاسيما أناجيلهم ، نجد أنّها امتلأت بذكر هذه الحادثة وتفاصيلها بدءاً من القبض عليه ، ومحاكمته ، ثم دفنه وقيامته ، فصعوده إلى السماء ، ونحن

^(١) انظر : دراسات في النصرانية ، أ.د: محمود مزروعة ، ص: ١١١ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية: (١/٤-٥).

(٣) فلسفة الغرمان، ص: ١٢٩

^(٤) نقاًلاً عن : كتاب مسألة صليب المسيح للداعية احمد ديدات - رحمه الله .

نتساءل مع كثرة هذه النصوص^(١) هل يمكن أن تكون هذه القصة صحيحة؟ ، وهل وقعت بالفعل كما يوحى بذلك تضافر هذه النصوص لدى النصارى جيلاً بعد جيل؟ إننا إذا درسنا هذه النصوص بجد أنها تحمل في طياتها اختلافات كثيرة تزيد عما فيها من الاتفاق ، وللتوضيح اضرب هذا المثال :

- ١ - تختلف الأنجليل في تسمية عيسى عليه السلام من سيخونه من حواريه فإنجيل متي (٢٦/٥-٢٣) ، ولوقا(٢١/٢٢) لم يحدد فيما المسيح عليه السلام اسم الخائن ، وفي مرقس ويوحنا يحدد بأنه يهوذا الأسخريوطى .
- ٢ - قول عيسى عليه السلام أنه يستطيع طلب جيش من الملائكة لحمايته مذكور في متي دون بقية الأنجليل .
- ٣ - سقوط الجنود على الأرض أمام عيسى عليه السلام مذكور في يوحنان فقط . وبعد ذكر هذا المثال أعلق بما يلي :

إذا كانت عقيدة الصليب أساس العقائدنصرانية فكيف تختلف النصوص في شأنها إلى هذه الاختلافات الكثيرة والتناقضات مع قوة الداعي لحفظها وتوثيقها ؟ إذ يتربّع عليها خلاص للبشرية كلها . إن ذلك برهان قاطع ببطلان تلك الحادثة ولكن هل بطلت من أصلها أم لا؟ .

موقف الإسلام من حادثة الصليب :

- يتلخص موقف الإسلام من حادثة الصليب في أمرين :
- أولهما: إثبات حادثة الصليب ، وأثناً قد وقعت على الحقيقة .
- ثانيهما: نفي أن يكون المصلوب هو عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنما هو شخص آخر ظن اليهود أنه المسيح ، وتفصيل ذلك كما يلي :
- ١ - دل القرآن على وقوع المؤامرة من اليهود ، وأنهم سعوا لقتل المسيح عليه السلام .
 - ٢ - اقتضت حكمة الله عز وجل خذلان اليهود وبنجاة نبيه عيسى عليه السلام ، وكانت وسيلة نجاته أن الله تعالى ألقى شبهه على غيره فتم القبض على شبيهه لا عليه .
 - ٣ - أما عيسى عليه السلام فقد رفعه الله إليه وسلمه من مكر اليهود .

^(١) وردت حادثة الصليب بتفاصيلها في جميع الأنجليل مما يدلّ على أهميتها .

وهذه الآيات الكريمة تفصل ما سبق :

۱- قال تعالى : چپ پیش ث ذ ش ت ن ش ت ط م د ش ف ش
ف ش ف ش ج ج چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ
آل عمران: ۵۴ - ۵۵

٥ - ج. المائدة: ١١٠

ولو قال قائل كيف يلقى شبهه على بريء ويقتل بسبب ذلك؟ فالجواب: أن هذا الشبيه إنما أن يكون مجرماً يستحق القتل فيكون ذلك عقوبة له، وإنما أن يكون بريئاً فيكون قتيلاً مصيبة من مصائب الدنيا، ورفعه لدرجته في الآخرة، وهذا مثل من يموت بالغرق أو الحرق، ونحوها . والله أعلم .

ثالثاً : عقيدة ألوهية الروح القدس :

يعتقد النصارى أنَّ الروح القدس ، وهو الأقنوم الثالث عندهم إله ، وأنَّه مساوٍ للآب والابن في الجوهر ، وأنَّه مصدر الحكمة والبركة ، ومنبع النظام والقوة ، فهو مستحق للعبادة ، والمحبة والإكرام ، وإنكاره يعني إنكار التشليث برمته ^(١)

ولم تقر هذه العقيدة في مجمع نيقية - كأغلب العقائد النصرانية - ، وإنما تمت إضافتها إلى قانون الإيمان في مجمع القسطنطينية الأول ، وبها اكتملت أركان التشليث عند النصارى ، وطوائفهم متتفقون على أصل هذه العقيدة ، ولكنّهم يختلفون في ابتدأ الروح القدس على فريقين كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

و عملكم في ذلك ما جاء في قانون الإيمان : « وبالروح القدس الرب المحيي المنافق من

^(١) الآب الذي هو مع الابن مسجود له ومجد الناطق بالأنباء».

^(١) انظر : علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، المتبع القمص ميخائيل مينا : (٢/٨) ، الروح القدس أقفهم الله ، هـ . لـ ، هايكوب ، ص : ١٨١ .

^(١) انظر : مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م ، الأبوان ميشال أبرص و أنطوان عرب ، ص: ١٨٥ .

وإذا نظرنا إلى أناجيلهم المعتمدة عندهم لا نجد نصاً صريحاً يؤيد القول بألوهية الروح القدس ، ومع ذلك نجد أنَّ كثيراً من النصارى يستدلون بنصوص من الأنجل ، بل ومن التوراة يزعمون أنَّها دالة على ألوهية الروح القدس .

وسنأخذ مثلاً على ذلك ما جاء في كتاب قانون الإيمان ل الكبير النصارى الأرثوذكس وهو البابا شنودة الثالث ، والذي قام فيه بشرح هذا القانون وحاول جاهداً إثبات ألوهية الروح القدس مستدلاً ببعض النصوص التي يزعم أنها تدل على مراده ، وما ورد من أقواله في هذاخصوص ما يلي (٢) :

- ١ - « وَكَلْمَةُ الرَّبِّ هُنَا تَعْنِي إِلَهٌ . وَالْحَيْيٌ تَعْنِي الْمَعْطَى لِلْحَيَاةِ » .
 - ٢ - وما يدل على لاهوت الروح القدس توبيخ القديس بطرس (الرسول) لحنانيا (زوج سفيرا) بقوله له : « لِمَاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانَ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقَدِيسِ .. أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ » (٣) .
 - ٣ - « وَأَيَّدَ هَذَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ لِلسامِرِيَّةِ : إِنَّ اللَّهَ رُوحٌ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فِي الرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا » (٤) . فَمَادَامَ اللَّهُ رُوحٌ ، إِذَاً هُوَ الرُّوحُ الْقَدِيسُ ، كَمَا هُوَ الْأَبُ وَالابن .
 - ٤ - وقال أيضاً عند تفسيره لكلمة "الحيي" : « المَعْرُوفُ أَنَّ الرُّوحَ هُوَ مَصْدِرُ الْحَيَاةِ . إِذَاً فَهُوَ الْحَيِّ . وَيُظَهِّرُ هَذَا مِنْ إِحْيَاءِ الْعَظَامِ ، حِيثُ يَقُولُ حَرْقِيَّالُ "النَّبِيُّ" كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ ، وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبَقْعَةِ وَهِيَ مَلَآنَةُ عَظَامًا .. وَقَالَ لِي : يَا ابْنَ آدَمَ أَتَحْيَا هَذِهِ الْعَظَامَ؟ فَقَلَّتْ يَا سَيِّدَ الرَّبِّ ، أَنْتَ تَعْلَمُ ، فَدَخَلَ فِيهِمُ الرُّوحُ فَحَيَوْا .. وَقَالَ الرَّبُّ : اجْعَلْ فِيكُمْ رُوحِي فَتَحِيُّونَ (٥) .
- وهكذا يستمر هذا البابا في هذه المنهجية الغريبة في الاستدلال ، وأجمل الرد على هذه العقيدة بما يلي :

(٢) انظر شرحه لهذه العقيدة في كتاب قانون الإيمان في الصفحتان (٩٨-٨٧) وقد اخترت منها بعض الشواهد .

(٣) أعمال الرسل : (٥/٣-٤) .

(٤) يوحنا : (٤/٤) .

(٥) الشواهد من : حرقىال : (١٤-٣٧) .

-
- ١- لا نجد في نصوص كتابهم المقدس - عندهم - نصاً واحداً صريحاً يمكن أن يعتمد أو ينظر إليه على أنه دليل على إلوهية الروح القدس.
- ٢- إننا نعلم يقيناً ، والنصارى يقرؤن بذلك أن هذه العقيدة حادثة ؛ إذ لم تقر إلا عام ٣٨١م ، فكيف يؤمن النصارى بعقيدة بينها وبين صاحب الرسالة ثلاثة قرون ونصف ؟ ، وماذا عساهم أن يقولوا في كل نصراني مات قبل اعتناقها ؟ ، بل قبل معرفتها والتي من لم يؤمن بها لم يدخل في دينهم وعليه اللعنة من الكنيسة ! . وماذا يقولون عن آباء الكنيسة وورجاتها الذين امتلأت كتبهم ببطولاتهم وما ثرثروا لهم لم يدركوا هذه العقيدة ؟ .
- ٣- ما ذكره النصارى من محاولات لإثبات هذه العقيدة هي محاولات يائسة، بل هي عند التأمل دليل على بطلان هذه العقيدة ، ولنناقش بعض ما قاله البابا شنودة في ذلك لنسدل به على بطلان ما عداه :
- أ- أتى البابا شنودة بنصين ، لا دلالة فيهما على إلوهية الروح القدس وهما : « لماذا ملأ الشيطان قلبك لتکذب على الروح القدس. أنت لم تکذب على الناس بل على الله » ، « الله روح والذين يسجدون له فالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » .
- هذا هما النصان واستدلال البابا بهما استدلال بأمر محتمل لم يورد عليه دليلاً . إننا يمكن أن نفهم النص الأول - لو صح - كما يلي : أن من کذب على الروح القدس وهو جبريل فكأنما کذب على الله لأنّه هو الذي أرسله .
- أما النص الثاني وهو استنباط : « مadam الله هو روح إذاً هو الروح القدس » .
- ونقول بمحارة للبابا شنودة ، لو افترضنا أن الله روح يعني أن من اسمائه الروح مثلاً فكيف يكون هو ذاته الروح القدس ؟ كيف يكون الاثنان شيئاً واحداً ؟ وإننا نعلم أن الاشتراك في الأسماء لا يوجب الاشتراك في المسميات فضلاً عن اتحادها أو صيرورتها شيئاً واحداً .
- ب- أمّا القصة التي أوردها عن النبي حزقيال ، فقد فصلها كما يشاء ، وأخذ منها ما يظنه محققاً لمراده ، ولكنّه لم يفلح في تحقيق ذلك ، ولم يحافظ لنا على القصة كما جاءت في التوراة ، وإليك القصة كاملة كما هي :



«كانت على يد الرب ، فآخر جني بروح الرب وأنزلني في وسط البقعة وهي ملائكة عظاماً ، وأمرني عليها من حولها وإذا هي كثيرة جداً على وجه البقعة ، وإذا هي يابسة جداً . فقال لي: «يا ابن آدم ، أتحيا هذه العظام ؟» فقلت : « ياسيد الرب أنت تعلم ». فقال لي : تنبأ عن هذه العظام وقل لها : أيتها العظام اليابسة ، اسمعي كلمة الرب : هكذا قال السيد الرب لهذه العظام : هأنذا أدخل فيكم روحًا فتحيون . وأضع عليكم عصباً وأكسি�كم لحماً وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحًا ، فتحيون وتعلمون أني أنا الرب »^(١)

هذه القصة كما وردت ، وعندما دراستها نجد أنها تحمل من الشواهد ما يدل على إلهية الله لا إلهية الروح القدس ، ومن ذلك :

- ١ - (تنبأ على هذه العظام وقل لها أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب) نلاحظ هنا أنه قال كلمة الرب ولم يقل كلمة الروح القدس.
 - ٢ - (هأنذا أدخل فيكم روحًا فتحيون) ولم يقل الروح القدس .
 - ٣ - (وتعلمون أنني أنا الرب) ولم يقل الروح القدس .
 - ٤ - (تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب) ولم يقل الروح القدس .
 - ٥ - (أدخل فيكم روحًا) ولم يقل روح القدس.

١) حزقيال : (٣٧-٦)



وفيه مطلبان

❖ المطلب الأول : المراد بالتقديس في اللغة والشرع

❖ المطلب الثاني : التقديس والقياس عند النصارى

المبحث الأول

المراد بالتقديس في اللغة والشرع

وفيه مطلبان

• المطلب الأول : معنى التقديس في اللغة

• المطلب الثاني : معنى التقديس في الشرع



المطلب الأول : معنى التقديس في اللغة :

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية لمعرفة معنى هذه الكلمة نجد ما يلي :

قال الجوهري - رحمه الله - : «**القدُّس والقدُّس** : **الطُّهر** ، اسم ومصدر ، والتقدیس : التطهیر ، وتقدّس : أي تطهیر ، والأرض المقدّسة : المطهرة»^(١) .

وقال ابن منظور: «**التقدیس** : تزييه الله عز وجل ، ويقال : **القدُّوس** : فَعُول من **القدُّس** ، وهو الطهارة ، والتقدیس : التطهیر والتبریک ، والقدس : البركة ، والأرض

^(١) معجم الصحاح : (٩٦٠-٩٦١) / ٣ .



المقدسة الشام ، وبيت المقدس من ذلك أيضاً ، وهو يخفف ويُشَقَّل ، والسبة إليه مقدسيٌ ،
ومقدسيٌ ٠ قال امروء القيس :

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا ، كما شبرق الولدان ثوب المقدسي ٠

أي أدركت الكلابُ الثورَ فأخذن بساقه ونساه ، وشبرقت جلدته كما شبرق ولدان
النصارى ثوب الراهب المقدسي ، وهو الذي جاء من بيت المقدس فقطعوا ثيابه تبركاً بها ،
ويقال للراهب مقدس ، وصبيان النصارى يتبركون به وبمسحه الذي هو لابسه ،
والمقدس : الحبر ، والمقدس : المبارك » (٢) ٠

و بما سبق يتبيّن لنا أن مادة « قدس » تعود إلى معنى التترية، والتطهير ، والتبريك ٠

المطلب الثاني : معنى التقديس في الشرع :

أولاً: ألفاظ التقديس في القرآن الكريم :

وردت لفظة التقديس في القرآن الكريم في عشرة مواضع ، متضمنةً أربعة معانٍ :

المعنى الأول : أنَّ التقديس حق الله تعالى :

ولذلك أخبر الله عز وجل بأنَّ من أسمائه القدس ، كما في قوله تعالى : چ هے
سےئے لاث کڈ چ الحشر: ٢٣ و قوله : چاً ب ب پ پ پ
پ پ پ پ پ چ الجمعة: ١

(٢) لسان العرب : (٢٦٨، ٢٦٧) ، مادة قدس ٠

قال ابن حرير - رحمه الله - في الآية الأولى : « والقدوس اسم من أسماء الله تعالى ، ومعناه : المبارك » ^(١) ، وقال في الآية الثانية : « وقيل الظاهر من كل ما ينسبة إليه المشركون » ^(٢) .

وأخبر الله تعالى بأنَّ الملائكة تقدس له كما في قوله عنهم :چ ٿ ڏ ڻ ٿ چ البقرة: . ٣٠

والتقديس لله تعالى يعود معناه إلى وصفه تعالى بصفات الكمال ، وتزييهه عما لا يليق به من النقائص والعيوب .

قال ابن حرير - رحمه الله - تعالى في هذه الآية: « ونقدس لك : أي ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأذناس ، وما أضاف إليك أهل الكفر بك » ^(٣) .

المعنى الثاني : وصف جبريل عليه السلام بأنه روح القدس :

وقد ورد ذلك في أربعة مواضع من القرآن ، وهي كما يلي :

قوله تعالى: چىئەڭ ئەڭ ئەڭ ۋۇچىقىنىڭ ٨٧ وقوله: چىڭ ئەڭ ئەڭ
 ۋۇچىقىنىڭ ٢٥٣ وقوله: چىڭ ئەڭ ئەڭ ۋۇچىقىنىڭ ١١٠ وقوله: چىڭ ئەڭ ئەڭ
 ۋۇچىقىنىڭ ١٠٢، ىي چىنلەر.

روح القدس في هذه الآيات هو جبريل عليه السلام، كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رُوحَ الْقَدْسِ نَفْثَةٌ فِي رُوعِيٍّ، أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتْ حَتَّى تَسْتَكِمَا أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الْطَّلبِ»^(١).

المعنى الثالث : وصف الوادي الذي **كلم الله فيه موسى** العليه السلام بالقدس :

^(١) جامع البيان في تأویل آی القرآن: (١٤/٧٠) .

^(٢) المصدر نفسه: (١٤/١١٩).

٠) المصدر نفسه : (١ / ٣٠٤) (٣)

^(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢٦ / ١٠)، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير: (٤٢٠ / ١) برقم: ٩٤٠ - ٢٠٨٦.



كما في قوله تعالى: چ ١٢ ، چ طه: ۱۵ - ۱۶ . ومعنى قوله: چ ی ی ی ا ب ب ب پ پ پ چ النازعات: ۱۵ - ۱۶ .
المقدس : أي المطهر المبارك ، كما فسره بذلك ابن حرير رحمه الله تعالى (۲) .

المعنى الرابع : وصف الأرض التي أمر موسى عليه السلام قومه بدخولها بالمقدسة :

وقد ورد هذا الوصف في موضع واحد ، وهو قوله تعالى : چ ۴ ه ۷ س ۷ س ۷
ئ لث لث ك د و و و و و و و چ المائدة: ۲۱ .

ومعنى الأرض المقدسة : أي المباركة ، وذكر ابن حرير رحمه الله اختلاف المفسرين
في تعين هذه الأرض على أقوال منها : أنها الطور وما حوله ، وقيل الشام ، وقيل أريحا ،
وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، ثم قال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال
هي الأرض المقدسة ، كما قال النبي الله موسى عليه السلام . لأنّ القول في ذلك بأنّها أرض دون
أرض ، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر ، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به ، غير أنها
لن تخرج من أن تكون من الأرض التي بين الفرات وعريش مصر لاجماع جميع أهل التأويل
والسیر والعلماء بالإخبار عن ذلك » (۳) .

ثانياً : ألفاظ التقديس في السنة :

جاء ذكر التقديس في السنة كما يلي :

١- الأمر بالتقديس لله تعالى : يدل على ذلك ما ورد عن حميدة بنت ياسر ، عن يسيرة ، اخبرتها : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمْرَهُنَّ أَنْ يَرَاكُنَّ بِالْتَّكْبِيرِ ، وَالْتَّقْدِيسِ وَالْتَّهْلِيلِ ، وَأَنْ يَعْقِدُنَّ بِالْأَنَامِلِ ، فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُلَاتٍ مُسْتَنْطَفَاتٍ » ^(١) . والتقديس هنا هو ذكر الله تعالى باسمه القدس ، وما يدل على ذلك ما يلي :

^(٢) ذكر ذلك عند تفسيره الآية (ط) : (١٨٢/٩) ، وآيه النازعات : (٤٩/١٥) .

^(٣) جامع البيان : (٤ / ٢٣٤ - ٢٣٥) .

^(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الدعوات ، باب التسبيح بالحصى ، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود :

•(۲۸۰/۱)

عن شريق الموزني ، « دخلت على عائشة فسألتها بما كان رسول الله ﷺ يفتح إذا هبَّ من الليل ؟ فقالت لقد سألتني عن شيء ما سأله عنـه أحد قبلك ، كان إذا هبَّ من الليل كبر عشرًا ، وحمد عشرًا ، وقال : "سبحان الملك القدس" عشرًا ، واستغفر عشرًا ، وهلّ عشرًا ، ثمَّ قال : اللهم إِنِّي أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيمة عشرًا ، ثمَّ يفتح الصلاة » ^(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها : أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبُّوح قدُّوس رب الملائكة والروح » ^(٣) .

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا سلم في الوتر قال : « سبحان الملك القدس » ^(٤) .

وفي رواية : أنه كان يقول ذلك ثلاثةً ^(٥) .

ومما سبق نجد أنَّ هناك أربعة مواضع في الصلاة يسن فيها تقديس الله عز وجل ، وهي الاستفتاح ، والركوع ، والسجود ، وبعد السلام في صلاة الوتر .

٢- الرقية الشرعية تتضمن تقديس الله عز وجل :

عن فضالة بن عبيد الأنباري رضي الله عنه قال : علمي النبي ﷺ رقية وأمرني أن أرقى بها من بدا لي قال لي : قل : « ربنا الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، اللهم كما أمرك في السماء ، فاجعل رحمتك علينا في الأرض ، اللهم رب الطيبين ، اغفر حوبنا ، وذنبنا ، وخطايانا ، ونزل رحمة من عندك ، وشفاء من شفائك على ما بفلان من شکوى فيراً . قال : وقل ذلك ثلاثةً ، ثم تعوذ بالمعوذتين ، ثلاث مرات » ^(٦) .

^(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا سبح ، وقال عنه الألباني رحمه الله : (حسن صحيح) ، صحيح سنن أبي داود : (٩٥٨/٣) .

^(٣) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، وصححه الألباني رحمه الله . صحيح سنن أبي داود : (١٦٥/١) .

^(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب : الدعاء في الوتر ، وصححه الألباني ، صحيح سنن أبي داود : (٢٦٨/١) .

^(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن بن أبي الخزاعي برقم (١٥٤٢٧) .

^(٦) أخرجه الإمام أحمد من حديث فضالة بن عبيد الأنباري برقم (٢٤٤٥٧) .

٣- لا تُقدّس أمة لا يؤخذ فيها للضعف من القوي :

عن جابر رض قال : لما رجعت إلى رسول الله مهاجرة البحر قال : ألا تحذثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ قال فتية منهم بلى يا رسول الله ! بينما نحن جلوس ، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم ^(٢) تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتىّ منهم ، فجعل أحدي يديه بين كتفيها ، ثم دفعها ، فخرّت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلمّا ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم ، يا غدر ! إذا وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً . قال : يقول رسول الله صل : « صدقت صدقت ، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شدیدهم !؟ » ^(٣) .

وفي رواية : « لا قدّست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعن » ^(٤) .

والتقديس هنا بمعنى التطهير من الدنس والآثام ، كما جاء في شرح الحديث السابق ^(٥)

٤- يقدس الإنسان عمله .

عن يحيى بن سعيد ، أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي : أن هلم إلى الأرض المقدّسة ، فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقدّس أحداً ، وإنما يقدس الإنسان عمله ^(٦) .
ومعنى لا تقدّس : أي لا تطهره من ذنبه ، ولا ترفعه إلى أعلى الدرجات ^(٧) .
خلاصة في معنى التقديس وتعريفه :

^(٢) رهابين : جمع راهب ، ويقال في الجمع أيضاً رهابنة ، والمشهور رهبان كما جاء في التزيل . النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير (٢٨١/٢) ، مادة (رهب) .

^(٣) أخرجه ابن ماجة في سنته ، كتاب الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : (٣١٣/٣ - ٣١٤) .

^(٤) أخرجه ابن ماجة ، كتاب الصدقات ، باب : لصاحب الحق سلطان ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة : (٢٨٢/٢) .

^(٥) سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن – باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : (١٣٢٩/٢) .

^(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، كتاب الوصية ، باب : جامع القضاء وكراهيته .

^(٧) الموطأ لإمام مالك : (٥١٩/٢) .

إذا نظرنا إلى المعانى الشرعية لمعنى التقديس نجد أنها لا تختلف عن المعانى اللغوية لهذة الكلمة ، فهى دائرة حول معنى التطهير ، والتترىخ ، والتبريك . ويظهر لي مما سبق أنَّ الضابط في إطلاق التقديس على شيء هو الوقوف على ما ورد عليه الدليل ، كما جاء في وصف الوادى المقدس ، والأرض المقدسة ، ونحو ذلك ، لأنَّ الوصف بالتقديس حكم ، وذلك لا يعلم إلا من جهة الشرع . والله أعلم .

المبحث الثاني

التقديس والقداسة عند النصارى

و فيه مطالب

- **المطلب الأول : معنی التقديس والقداسة**
- **المطلب الثاني : أهمية التقديس والقداسة عند النصارى**



• المطلب الثالث : المقتصون من الأشخاص عن النصارى

المطلب الأول : معنى التقديس والقداسة :

مدخل :

يحتل موضوع التقديس - على وجه العموم - حيزاً كبيراً في الديانة النصرانية ، وقد أصبح مصطلح "التقديس" و"القداسة" ، من أكثر المصطلحات تداولاً بينهم ، ولا غرابة في ذلك - بالنسبة لهم - حيث إنَّ نظرة سريعة إلى أهم مصادر ديانتهم ، وهو ما يسمى بالكتاب المقدس بحد أنَّ مصطلح القداسة ، ومرادفاته من أكثر المصطلحات ترددًا في هذا الكتاب في عهديه القديم والجديد .



معنى التقديس والقداسة :

القداسة والتقديس كلمتان مترافقتان عند النصارى ، وهما ترجمة لكلمة واحدة في اللغتين اليونانية والعبرية ^(١) . ومن الألفاظ المرادفة لهذه الكلمة الطهارة والكمال ^(٢) .

وأماماً تعريف القدسية ، فقد عرّفها النصارى بعدة تعريفات ، تعود إلى ما يلي :

التعريف الأول : « التقديس بالمعنى اللاهوتي هو جعل النجس الخاطئ مقدساً ، إلهه عمل النعمة الإلهي التدريجي في النفس المبررة بواسطة محبة المسيح . فالمؤمن يتظاهر بالتدرج من فساد طبيعته ، وفي النهاية يقف أمام مجده بلا عيب في الابتهاج » ^(٣) .

التعريف الثاني : « التقديس هو العمل الذي به يفرز الله الذين يدعوه ، ويخصصهم لنفسه » ^(٤) .

التعريف الثالث : « القدسية هي الخلاص الكامل من الخطيئة » ^(٥) .

التعريف الرابع : « القدسية هي المحبة الكاملة التي لابد أن تطرد من القلب كل بغضنة ، وكل ميل شرير مضاد للمحبة » ^(٦) .

التعريف الخامس : التقديس: تكريس الشيء أو الشخص لاستعمال المقدس ^(٧)

خلاصة هذه التعريفات :

من خلال هذه التعريفات نجد أنَّ القدسية تدور حول المعانى الرئيسية التالية:

١ - الانتقال من النجاسة إلى الطهارة :

^(١) انظر : القدسية الوهمية والحقيقة ، هنري أيرنسايد ، ص: ٤٤ .

^(٢) انظر : إيمان الكنيسة الأولى ، طبع أرسالية كنيسة الله بمصر ، ص: ٢٤ .

^(٣) القدسية الوهمية والحقيقة ، هنري أيرنسايد ، ص: ٤٣ .

^(٤) اتبعوا القدسية ، مارك تابر نو ، ص: ١١ .

^(٥) الطريق إلى القدسية ، صموئيل برنجل ، ص: ٢٠ .

^(٦) المصدر السابق ، ص: ١٠ .

^(٧) قاموس الكتاب المقدس ، لنجبة من اللاهوتيين ، ص: ٧١٨ .



ويتصف هذا الانتقال بكونه يتم بمحبة المسيح في نظرهم ، وأنه تدريجي ، ويؤدي إلى الطهارة الكاملة .

- ٢- بمعنى الحبة التي ينتفي معها كل ما يضادها .
- ٣- تكريس المواد المستعملة عندهم من أجل استخدامها .

نقد هذه التعريفات :

ما سبق ذكره يتضح لنا أنَّ القداسة تشتمل على معانٍ باطلة ، منها ما يتعلق بالطهارة من الخطيئة الجدِّية ، وهي عقيدة باطلة كما بينت ذلك من قبل ، ومن المعانِي الباطلة أيضاً ما يعبرون عنه بالشراكة مع الله ، وهي تتضمن رفع المسيح الْعَلِيَّةُ إلى درجة الألوهية ، ثم عبادته من دون الله ، ومن المعانِي الباطلة كذلك تخصيص بعض الأشياء باستعمالات خاصة مثل الأواني وسائل الأدوات المستخدمة في الكنيسة، وهو ما يسمى عندهم بالاستعمال المقدس .

وهناك بعض المعانِي الصحيحة للقداسة مثل الطهارة من النجاسة ، والمحبة لله التي تطرد كل ما يضادها ، ولكنَّ النصارى في الواقع الأمر أبعد ما يكونون عن تحقيق هذه المعانِي ، بل إن دياناتهم قائمة على مناقضة هذه المعانِي ، فهم أهل الشرك بالله ، وهم أهل النجاسات المنافية لمعنى الطهارة .

كيفية حصول النصراني على القداسة :

يرى النصارى أنَّ القداسة تحصل بثلاثة أمور :

الأول : التقديس الذي حصل بدم المسيح – كما يزعمون – ، ويعبرون عنه أيضاً بالذبيحة ، ويعنون به تقديم المسيح نفسه على الصليب لتکفير الخطيئة بزعمهم .
يقول أيرنسايد عن هذا العمل (العظيم برأيه) : « وبفضل هذه الذبيحة يصير المؤمن مفرزاً لله ، ضميره مطهر ، وهو نفسه قد تحول من خاطئ أثيم إلى عابد مقدس ، وأصبح متمتعًا بالعلاقة المستمرة بشخص رب يسوع المسيح » ^(١) .

^(١) القداسة الوهمية والحقيقة ، ص: ٥٩ .

وتحصُول التقديس بهذه الذبيحة عند النصارى يستند إلى ما جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين : « لذلِك يسوع أَيْضًا لَكِ يقدس الشَّعْب بدمِ نفْسِه تَأْلم خارج الْبَاب » ^(٢) . وهذا التقديس عند النصارى أبدى ، بمعنى أَنَّه لا يتكرر مرة أخرى ؛ لأنَّ المَسِيح التَّطْهِيلَة قد أَكْمَل هذَا الْعَمَل تَامًا « لَأَنَّه بقِرْبَان وَاحِد قد أَكْمَل إِلَى الأَبْدَ المُقدَّسِين » ^(٣) .

الثاني : التقديس بالروح القدس : وهذا التقديس هو عمل إلهي في داخل الإنسان ، وهو تدريجي يستمر طول حياة النصراني إلى مجيء رب .

يقول هنري أيرنسايد مبيناً أثر هذا التقديس : « وبواسطة نار الروح المقدسة المطهرة التي تحرق كل زغل عندما يوضع الكل على مذبح التكريس وهو عمل ثان للنعمنة متميز ويتلئ التبرير وبدون يصبح التبرير قابلاً للضياع » ^(٤) .

الثالث : التقديس بكلمة الله ، وهو تدريجي يستمر طول مدة الحياة ، ولكنه خارجي أي يتعلق بسلوك النصراني ، وطرقه وهو النتيجة الظاهرة للتقديس بالروح القدس . والتقديس بكلمة الله هو ما يتعلمه النصراني من كتابه الذي يعتقد أَنَّه كلام الله ، ويحدث ذلك كل يوم .

وحقيقة التقديس عند النصارى هي الإيمان بأنَّ المَسِيح التَّطْهِيلَة هو رب ، ونهاية ذلك الانتحاد به ، وهم يرون أنَّ الإيمان به – على الوجه المذكور شرط لحصول القدسية ، ويعتمدون في ذلك على ما جاء في أسفارهم ، ومنها ما جاء في سفر الأعمال : « حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَان بِغَفْرَانِ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقدَّسِين » ^(١) .

يقول تشارلس ماكتوش شارحاً هذا النص « فَالإِيمَان هُنَا مُعْتَدِر أَنَّه واسطة التقديس لَأَنَّه يقرُّبُنَا بِالْمَسِيحِ ، وَالْخَاطِئُ الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْرَّبِّ يسوعُ الْمَسِيحِ يَقْتَرَنُ بِهِ فِي الْحَالِ فَيَصِيرُ وَاحِدًا فِيهِ ، كَامِلًا فِيهِ ، مَقْبُولاً فِيهِ وَهَذَا هُوَ التقديس الحَقِيقِيُّ وَالتبرير الصَّحِيحِ » ^(٢) .

^(١) الرسالة إلى العبرانيين : (١٣ / ١٢) .

^(٢) الرسالة إلى العبرانيين (١٠ / ١٤) .

^(٣) القدس الوهمية والحقيقة ، ص: ٤٤ .

^(٤) أعمال الرسل : (٢٦ / ١٨) .

^(٥) التقديس وما هو ؟ ص: ١٣ .

ويقول أيضاً : « ولكنَّ اختبارنا صحة هذا الحق ونمنا في إدراك معنى التقديس يقودنا إلى أن نفهم جلياً أنَّ ذلك ليس عملاً تدريجياً يجريه الروح القدس فينا بل هو نتيجة إتحادنا بال المسيح بحيث اشتراكنا في كل ملئه » ^(٣) .

وهذا التقديس غايتها أن يصبح الشخص مثل المسيح : « ومتى أتى الخاطئ إلى المسيح وآمن به فقد انتقل من وجوده الأول في الجسد ومتعلقاته ، وأصبح في المسيح والله لا يعود يراه إلا في المسيح ومثله ، لأنَّه أصبح واحداً معه » ^(٤) .

وما يؤكِّد أنَّ التقديس لا يحصل إلا بالاتحاد باليسوع ، ما صرَّح به أصحاب قاموس الكتاب المقدس : « ويحصل التقديس بالإتحاد باليسوع بالإيمان ، بحيث يقبل المؤمنون الحق فيسكن فيهم » ^(٥) .

ويظهر لي من هذه النصوص أنَّ القداسة عند النصارى لا تتحقق إلا بالشرك ؛ فهي قائمة على أساس ربوبية المسيح ، ثم إنَّها تفضي إلى الاتحاد به (حسب زعمهم) فيكون الشخص « مثله » ، « ومعه » ولا ندري كيف يتحقق هذا الاتحاد بين النصارى وبين من رفعه الله إليه ؟ !

المطلب الثاني : أهمية التقديس والقداسة عند النصارى:

تبُّرِزُ أهمية القداسة عند النصارى من خلال الأوجه التالية :

١ - كثرة ورود ذكر هذا المصطلح فيما يسمى بالكتاب المقدس :

يعتبر النصارى أنَّ فكرة القداسة هي فكرة كتابية (أي مستمدَّة مما يسمى بالكتاب المقدس) ، وقد وردت كلمة "مقدس" بمشتقاتها المختلفة أكثر من ستمائة مرة في ذلك الكتاب ^(٦) .

^(٣) المصدر نفسه ، ص: ١٤ .

^(٤) المصدر نفسه ، ص: ٢٠ .

^(٥) قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اللاهوتيين ، ص: ٧١٨ .

^(٦) اتبعوا القداسة ، جبوري بريد جز ، ص: ٨ .

٢- فكرة القدسية هي الفكرة الرئيسية لما يسمى بالكتاب المقدس :

يعتبر النصارى أن هذه الفكرة "القدسية" هي النسيج في كل أجزاء الكتاب لأنها عين ما يطلبه رب منهم ، فالرب يطلب منهم بكل تحديد أن يكونوا قدّيسين ، وقد جاء هذا الطلب في سفر لاوين : « إني أنا رب إلهكم فلتتقسّمون ، وتكونون قدّيسين ، لأنّي أنا قدوس ، ولا تجسّسو أنفسكم بذبب يدب على الأرض ۰۰۰ إني أنا رب الذي أصعدكم من مصر ليكون لكم إلها . فلتكونون قدّيسين لأنّي أنا قدوس »^(٢) .

وهناك نصوص أكثر تصريحًا بالأمر بالقدسية من هذا النص منها ماجاء في رسالة بطرس الأولى : « بل نظير القدس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضًا قدّيسين في كل سيرة لأنّه مكتوب : « كونوا قدّيسين لأنّي أنا قدوس »^(٣) .

يتحدث الكاتب النصراوي جيري "بريدجز" عن عموم هذا الأمر (الأمر بالقدسية) لجميع النصارى قائلاً : « لقد دعا الله كل مؤمن لحياة القدسية ، ولا يوجد من يستثنى من هذه الدعوة ، إنّها دعوة ليست فقط للخدم والمرسلين ومدرسي مدارس الأحـد المكرسين ، بل لكل مؤمن سواءً كان غنياً أو فقيراً ، متعلماً أو جاهلاً ، مشهوراً أو مغموراً الجميع مدعون لأن يكونوا مقدّسيـن »^(٤) ، ثم يربط الأمر بالدعوة إلى القدسية بناءً على ما ورد في النص السابق على أساس أن الله قدوس ، فيقول : « إنّ الدعوة لحياة المقدسة مبنية على حقيقة أنّ الله قدوس ، وأنّه قدوس فهو يطالبنا بأن تكون قدّيسين »^(٥) .

المطلب الثالث : المقدسون من الأشخاص عند النصارى :

إذا كانت القدسية احتلت حيزاً كبيراً في الديانة النصرانية ؛ فإنّ تقدیس الأشخاص قد احتل الحيز الأكبر منها ، وهو محور القدسية فيها .

^(٢) سفر لاوين : (١١ ، ٤٤ ، ٤٥)

^(٣) رسالة بطرس الأولى : (١ ، ١٥-١٦) .

^(٤) اتبعوا القدسية ، ص: ١٦ .

^(٥) المصدر السابق ، ص: ١٦ .

ومن خلال البحث في كتاب النصارى المقدس - عندهم - نجد أنَّ تقديس الأشخاص قد نال حظاً كبيراً بين ألفاظ التقديس ، وقد جاء لفظ تقديس الأشخاص بصيغ مختلفة في كتابهم المقدس في سبعة وثمانين موضعاً ، وهي على النحو التالي :

١- قَدِيس (بصيغة المفرد) ، وقد ورد هذا اللفظ مرتين ٠

٢- قَدِيسوا ، قَدِيسين ، قَدِيسى ، ورد أحدي وعشرين مرة ٠

٣- الْقَدِيسِيون ، الْقَدِيسِين ، ورد ثلاثة وستين مرة ٠

٤- قَدِيسات ، ورد مرة واحدة ٠

وإذا نظرنا أيضاً في هذا الكتاب ، نجد أنَّ المقدَّسين على نوعين :

النوع الأول : المقدَّسون في السماء : ويعتقد النصارى أن المقصود بهم الملائكة ، وقد جاء ذكرهم في كتابهم في ثمانية مواضع ، وليس هذا موضع بحثنا ٠

النوع الثاني : المقدَّسون من البشر : ويطلق على الفرد منهم لقب "قدِيس" ، وهي بحسب اعتقاد النصارى : « تطلق على الذين حصلوا من البشر على شيء من القدس » (٢) ٠

يقول أصحاب قاموس الكتاب المقدس : « وعلى هذا المعنى عند النصارى فإنَّ جميعهم قديسون بمعنى أنَّهم قد نالوا الخلاص ، وقد امتلأوا بالروح القدس » (٣) ٠

وهذا النص يبين أنَّ جميع النصارى يطلق عليهم (قدِيسون) ، وهذه القدسية يكتسبها النصراني بالتمثيل بيسوع ، وباكتساب شيء من صفاته بشدة التصاقه به (٤) ٠

استعمال مصطلح القدِيس وتطوره :

يقول أصحاب معجم اللاهوت الكتابي : « القدِيس بمعناه المطلق نادر في العهد القديم ، وكان مقصوراً على مختارى الأزمنة الأخيرة في ذلك العهد ، أمَّا في العهد الجديد فيستعمل للدلالة على (المسيحيين) ٠ وقد أطلق هذا المصطلح في البدء على أعضاء الجماعة الأولى

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اللاهوتيين ، ص : ٧١٩ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص : ٩١٧ ٠

(٤) المصدر نفسه ، ص : ٧١٨ ٠

في أورشليم ، وبخاصة على الجموعة الصغيرة التي حل عليها الروح القدس يوم العنصرة ، ثم أخذ استعماله يمتد ليشمل الإخوة في اليهودية ثم جميع المؤمنين »^(١) .

وهذا النص يبين أن لفظ (القدّيس) كانت بداية إطلاقه على اليهود ، ثم كان انتشاره وتوسيعه على يد النصارى ، حتى أصبح يطلق على كل نصارى .
المراد بتقدیس الأشخاص في هذا البحث

بعد أن بینت معنی التقدیس والقداسة عند النصارى ، ينبغي تحديد المراد بتقدیس الأشخاص في هذا البحث ، وللوضیح ذلك يمكن أن اختار التعريف التالي :
تقدیس الأشخاص عند النصارى هو كل غلو في الأشخاص من حيث الاعتقاد أو أو القول أو العمل .

وبناء على هذا التعريف ، سوف يتناول هذا البحث ما يلي :

١. تقدیس عیسی ابن مریم العلییل .

٢. تقدیس مریم عليها السلام .

٣. تقدیس من يطلق عليهم النصارى الرسل .

٤. تقدیس الباباوات

٥. تقدیس بعض رجال الدين .

٩

الفصل الثالث

جذور تقدیس الأشخاص

^(١) معجم اللاهوت الكتابي ، بلحة بإشراف الأب فاضل سيداروس اليسوعي ، ص : ٦٢٣ .

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

❖ المبحث الأول : تقدیس الأشخاص في الديانة الفارسية

❖ المبحث الثاني : تقدیس الأشخاص في الديانة الهندية

❖ المبحث الثالث : تقدیس الأشخاص في الديانة المصرية القديمة

❖ المبحث الرابع : تقدیس الأشخاص عند اليونان والرومان

تمهید :

خلق الله سبحانه وتعالى البشر مفطورين على توحيده والإيمان به ؛ ولذلك أخذ عليهم الميثاق بعبادته وحده لا شريك له ، وكان الناس على هذه الفطرة السوية والعقيدة الصحيحة حتى ظهرت أول بذرة لتقديس الأشخاص في عهد قوم نوح عليه السلام ، وكان أول المقدّسين من الأشخاص هم ود ، وسواع ، ويعوق ، ونسر ، وهم رجال صالحون كانوا قبل



بعثة نوح عليه السلام ، فلماً ماتوا اهتب الشيطان الفرصة ، ونفذ من خلاها إلى عقول وقلوب أتباعهم ، فزين لهم أن ينصبووا لهم أنصاً ليكون ذلك أشوق لهم على العبادة إذا ذكروه ، فوقعوا في حبائل الشيطان .

ولما وقعوا في الشرك ، وانتشرت عبادة الأوثان ، أرسل الله ﷺ إليهم نبие نوحًا عليه السلام ليذندهم قبل أن يجل بهم العذاب الأليم ، فدعاهم عليه السلام بكل الطرق ، وما زادهم ذلك إلا استكباراً ، حتى استحقوا عقاب الله ﷺ ؛ فأهلكهم الله بالطوفان ، ونجى نوحًا عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين .

قال ابن عباس عن هذه الآية : « أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبووا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا . فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت » (١) .

وقال محمد بن قيس : (كانوا قوماً صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلماً ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلماً ماتوا ، وجاء آخرؤن دبَّ أليهم إبليس ، فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر عبدوهم) ^(٢) .

ويتبين مما سبق ذكره عن قوم نوح الثانية خطورة تقديس الأشخاص والغلو فيهم وأثر ذلك على التوحيد، وذلك من خلال الأمور التالية:

١- أنَّ أول شرك حدث في الأرض وطراً على البشرية كان بسبب الغلو في محبة الصالحين .

٢- أنَّ هذا الانحراف كان أول ما غُير به دين الأنبياء عليهم السلام .

^(١) أخرجه البخاري : كتاب التفسير ، باب (وداً ولا سواعاً) برقم : (٤٩٢٠) .

^(٢) ذكره ابن حرير عند تفسير هذه الآية : (١٤ / ١٢٢)

٣ - علاقة تقديس الأشخاص بظهور عبادة الأصنام ؟ فقد كان تقديس الصالحين هو السبب المباشر في عبادة الأصنام التي وضعت في الأصل لأجلهم ^(١) .

المبحث الأول

تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية

وفييه مطالب

• المطلب الأول : تعريف المحبوبة والزراطنتية

^(١) انظر : غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية ، ثامر الغشيان ، ص: ٤٠ ، بتصرف واختصار .



-
- **المطلب الثاني** : تقطيس الفرس للجنس الفارسي
 - **المطلب الثالث** : تقطيس الفرس للملوكي
 - **المطلب الرابع** : تقطيس الفرس لبعض الأشخاص

أولاً : المحسوسية :

المحسوس هم غالب الفرس ، والمحسوس: جمع مفرد المحسوس ، وهو من يدين بالمحسوسية
ويعتنقها .

والمحسوسية ديانة وثنية ثنوية تعتقد بوجود أصلين للكون أحدهما للخير أو النور ، ويطلق
عليه بالفارسية (أهورا مزدا) ، وإله للشر أو الظلمة ، ويطلق عليه (أهریمان) ، وتقرر هذه



الديانة وجود صراع دائم بينهما إلى قيام الساعة ، والتي تقوم عندهم عند انتصار إله الخير على إله الشر ، وينبغي للمجوسى ، بناءً على ما سبق فعل الخير وترك الشر ومحاربته لتحقيق انتصار إله الخير في معركته الدائمة ضد إله الشر ^(١) .

وأمامًا سبب تسميتهم بهذا الاسم ، فأشهر ما قيل في ذلك ، أنه وصف لرجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا إليه ، وقيل إنها نسبة إلى قبيلة من قبائل الفرس ، أو أنها وصف لعبدة النار ^(٢) .

ومن أهم شعائر المحسوس تعظيم النار باعتبارها رمزاً لإله النور ، الذي يمثله في السماء الشمس والقمر ، وفي الأرض النار ، ولأنها – باعتقادهم – جوهر شريف علوي تنجيهم في العاد من عذاب النار ، ولأنها لم تحرق إبراهيم عليه السلام ^(٣)

ثانياً : الزرادشتية :

تنسب الزرادشتية إلى مؤسسها زرادشت ، الذي ولد على القول الراجح سنة ٦٦٠ قبل الميلاد بأذربيجان إحدى مقاطعات ميديا على مقربة من بحيرة أورميا في القسم الغربي من بلاد فارس ^(٤) .

ويزعم الزرادشتيون أنَّ الإله (أهورا مزدا) أوحى إلى زرادشت بكتاب (الأبستاق) ، ومعناه : الأصل أو المتن ، وهذا الكتاب كان يشتمل على واحد وعشرين سفراً ويكون من ألف فصل ، ويتحدث عن عقائد هذه الديانة الزرادشتية ، وعبادتها ، وشرائعها وتاريخها ، وتاريخ نبيها (بحسب اعتقادهم) ، وقد فقدت نسخه بعد غزو الإسكندر لفارس سنة ٣٣٠ ق.م ولم يبق منها إلا ما كان في حواضن من يسمى بـ(رجال الدين) ^(٥) .

تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية :

أولاً : تقديس الفرس للجنس الفارسي :

^(١) انظر : الملل والنحل ، الشهريستاني : (٢٦٠/٢)

^(٢) انظر : القاموس المحيط للفiroز آبادي ، ص: ٧٤٠ ، وسان العرب ، ابن منظور : (٨/٢٠٩)

^(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم : (٢٨٧/٢)

^(٤) انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، علي وافي ، ص: ١٥٠

^(٥) هذا المصطلح بحسب اعتقادهم ، وليس في الإسلام رجال يختصون بالدين دون غيرهم .

يقدّس الفرس القومية الفارسية حيث إنّهم « يرون الجنس الفارسي أفضل الأجناس على الإطلاق ، ومن جميع الوجوه ، وهم يعتقدون أنَّ غيرهم من الأمم يقتربون من الكمال بحسب قرب موقعهم الجغرافي من بلاد فارس وأنَّ شر الناس أبعدهم عنها » (٢) .

ويفسر الإمام أبو الحسن الندوبي ذلك قائلاً : « ويرون أنَّ لها فضلاً على سائر الأجناس والأمم وأنَّ الله قد خصّهم بموهبة ونحو لم يشرك فيها أحداً ، وكانوا ينظرون إلى الأمم حولهم نظرة ازدراء وامتحان ، ويلقبونها بألقاب فيها الاحتقار والسخرية » (٣) .

ومن الأدلة على وجود هذه النظرة لدى الفرس وبقائها حتى مجيء الإسلام ؛ موقف كسرى بن هرمز من كتاب رسول الله ﷺ ، حيث مرق خطابه وبعث إلى باذان — نائبه في اليمن — وأمره أن يسير إليه ويستتبّيه فإن تاب وإلا فليبعث برأسه إليه (٤) .

وقد عبر يزدجرد ملك الفرس عن هذا المعنى في خطابه المشهور لل المسلمين عندما أرسل إليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه طائفه من أصحابه ، وذلك قبل معركة القادسية ، ومن ضمن ما قاله يزدجرد : « إني لا أعلم في الأرض أمّة كانت أشقي وأقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نكل بكم قری من الضواحي ليكفوناكم ، ولا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون أن تقوموا لهم » (٥) .

وعند تحليل موقف كسرى وخطاب يزدجرد السابقين يظهر مدى ما يحمله الفرس لغير جنسهم من احتقار وازدراء ، حتى إنّهم لم يعدوا العرب شيئاً ، فضلاً أن يقوموا مقام الند لهم ؛ فهم في نظرهم أقل شأنًا من أن يفكروا في غزوهم ، وإنما يكفي أن يوكل بهم قرية من ضواحي القرى ليكفوهم أمرهم ، وهم يعدون أنَّ قيام العربي لهم شرف كبير لذلك العربي لم يطبع يوماً ما أن يصل إليه ، وهذا المعنى يدل على مدى اعتزار الفرس بجنسهم ، ثانياً : تقديس الفرس ملوكهم :

(٢) قصة الحضارة ، ول دبورانت : (٢ / ٤٣٢) .

(٣) ماذا حسر العالم بالخطاط المسلمين ، ص: ٤٢ .

(٤) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ابن هشام : (١/٧٣) .

(٥) اقام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضرى ، ص: ٦٤ .

ذكرت فيما سبق تقديس الفرس لجنسهم ، وهذا التقديس يفوّقه تقديسهم للملوكهم ، حيث يدعى الأكاسرة ملوك الفرس ^{أَنَّه يجري} في عروقهم دم إلهي ، وبناءً عليه ؛ فإنَّ الفرس ينظرون إلى ملوكهم وكأنَّهم آلهة ، ويدينون بالملك والوراثة في البيت المالك ٠

يقول الإمام الندوبي موضحاً نظرة الفرس إلى ملوكهم: « وكانت الأكاسرة ملوك فارس يدعون ^{أَنَّه يجري} في عروقهم دم إلهي ، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة ، ويعتقدون أنَّ في طبعتهم شيئاً علويًا مقدساً فكانوا يكفرون ^(١) لهم ، وينشدون الأناشيد بألوهيتهم ، ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر ، لا يجري اسمهم على لسانهم ، ولا يجلس أحد في مجالسهم ، ويعتقدون أنَّ لهم حقاً على كل إنسان ، وليس لإنسان حق عليهم ، وأنَّ ما يرضخون ^(٢) للأحد من فضول أموالهم وفتات نعيمهم إنما هو صدقة وتكرم من غير استحقاق ، وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة ، وخصصوا بيته معيناً – وهو البيت الكياني ^(٣) – فكانوا يعتقدون أنَّ لأفراده وحدهم الحق أن يلبسو التاج ويجبوا الخراج ، وهذا الحق ينتقل فيهم كابراً عن كابرٍ ٠٠ فكانوا يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك ، لا يغون به بدلًا ، ولا يريدون عنه حيصةً فإذا لم يجدوا في هذه الأسرة كبيراً ملكوا عليهم طفلاً ، وإذا لم يجدوا رجلاً ملكوا عليهم امرأة ، فقد ملكوا بعد شيرويه ولده أزدشير وهو ابن سبع سنين وملكو فرخ زاد خسرو ابن كسرى وهو طفل ، وملكو بوران بنت كسرى ٠٠ ولم يخطر ببالهم أن يملكو عليهم قائداً كبيراً أو رئيساً من رؤسائهم مثل رستم وجابان وغيرهما لأنَّهم ليسوا من البيت الملكي » ^(٤) ٠

وهذا النص يوضح المظاهر الكثيرة للتقديس الفرس للملوكهم المبني على أساس الدم الإلهي الذي يجري في عروقهم ، والذي جعلهم كالآلهة ، وهذه القداة للملوك هي ما عرف في أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر بنظرية الحق الإلهي التي اعتنقت في أقوى صورها في فارس في عهد الدولة الساسانية ٠

^(١) هكذا العبارة ، ولم يتضح معناها ٠

^(٢) هكذا العبارة ، وهي تدل على معنى العطاء ٠

^(٣) هكذا العبارة ، ولعلها الساسي كما جاء في مصادر أخرى ٠

^(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص : ٤٠ - ٤١ ٠

يقول الأستاذ "برون" عن هذه النظرية : « لم تعتنق نظرية الحق الإلهي بقوة كما اعتنقت في فارس في عهد الدولة الساسانية ، وقد كان الأكاسرة يزعمون أنَّ لهم الحق وحدهم أن يلبسو تاج الملك بما يجري في عروقهم من دم إلهي » ^(١) .

ثالثاً : تقديس الفرس لبعض الأشخاص :

١ - إشارات حول غلو الفرس في كيومرث :

يعتقد الفرس أنَّ كيومرث أول ملوكهم ، وعلماؤهم ينسبون الفرس إليه ولا يرتفعون نسبة إلى ما فوقه ، ومعنى هذا الاسم عندهم "ابن الطين" ، وهو عندهم أول ابن الطين وأول النسب ، فهم « متفقون أنَّ كيومرث هو آدم الليلة الذي هو أول الخليقة » ^(٢) .

والكيومرثية منسوبة إليه ، ويعتقد الفرس أنَّ الكيومرثية هي المحوسيّة الأصلية ^(٣) .

وقد ذكر بعض المؤرخين إشارات إلى غلو الفرس في كيومرث ؟ فقد ذكر المسعودي أنَّ : « الفرس تخبر أنَّ أول ملوكهم كيومرث ، ثمَّ تنازعوا فيه ؛ فمنهم من زعم أنَّه ابن آدم والأكبر من ولده ، ومنهم من زعم - وهم الأقل - أنَّه أصل النسل ، وينبوع الذر .. وللمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنَّه مبدأ النسل ، وأنَّه نبت مثل نبات الأرض ، وهو الريّاس هو وزوجته ، وهما شابة ومنشابة ، وغير ذلك مما يفحش إيراده » ^(٤) .

ويقول الشهريستاني : « وهؤلاء يقولون المبدأ الأول من الأشخاص كيومرث » ^(٥) .

وهذه الإشارات وإن لم تكن صريحة تماماً في تقديس كيومرث ، إلا أنَّها تدل على وقوعهم في بعض المبالغات في شأنه ، ووصفهم له بما لا يستحقه .
وأمام القول بأنَّه هو آدم الليلة فهو بعيد عن الصواب ؛ فإنَّ آدم الليلة نبي وهو أول الموحدين ، بينما كيومرث هذا هو الذي ينسب إليه القول بأصولين للكون ، وهذا يكفي في بيان الفرق بينهما والله أعلم .

٢ - تقديس زرادشت :

^(١) نقلًا عن كتاب فجر الإسلام ، أحمد أمين ، ص : ١١١ .

^(٢) تاريخ ابن حليدون : (١٧٧٠-١٧٨٠) / ٢ .

^(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم : (٢٦١/٢) .

^(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر : (١٤٩/١) - (١٥٠) .

^(٥) الملل والنحل : (٢٦١/٢) .

أحيطت شخصية زرادشت بحالة من التقديس والتعظيم ، ونسجت حوله مجموعة من الأساطير ، ومنها ما ذكره ول ديورانت عن ولادته بقوله : « وقد حملت به أمه حملاً إلهياً قدسياً ؛ ذلك أنَّ الملاك الذي كان يرعاه تسرب إلى نبات الهوما ، وانتقل مع عصاراته إلى جسم كاهن حين كان يقرب القرابين المقدسة ، وفي ذلك الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة الع神性 السماوية إلى صدر فتاة راسخة النسب سامقة في الشرف وتزوج الكاهن بالفتاة ، وامتزج الحبيان الملائكة والشعاع فنشأ زرسترا (زرادشت) من هذا المزيج ، فلمَّا ولد قهقهة عالياً من أول يوم ولد فيه ، ففرت من حوله الأرواح الخبيثة التي تجتمع حول كل كائن ، وأراد الشيطان أن يغريه ، ولكنَّه أخفق وشق صدره بطعنـة سيف وملئت أحشاؤه بالرصاص المنصرـم ، فلم يشكُ أو يتململ ، بل ظل مستمسكاً بيامـانه بأهورا مزدا (رب النور) الإله الأعظم ، وتحلى له أهورا مزدا ووضع في يديه الأستاق» ^(١) .
ويعتقد الزرادشـيون أنَّ روح الله هبطت من السماء إلى الأرض وحلت برحم أمَّه فحملته ولادته بشراً سوياً .

و جاء في كتاب زرادشت الحكيم : « إنَّ العـ神性 الـقدسـية أو روح القدس الذي صاحب زرادشت في أثناء حياته مع الناس على الأرض كان يسكن ملكوت السـماوات وأنَّه ظـل يـحلـ بالـكـائـنـاتـ الـعلـوـيـةـ وـاحـدـاـ وـاحـدـاـ إـلـىـ أنـ هـبـطـ منـ السـمـاءـ إـلـىـ الـأـرـضـ وـحلـ بـجـسـدـ ذلكـ الرـجـلـ المـختـارـ» ^(٢) .

وهـنـاكـ أـسـاطـيرـ أـخـرىـ حـولـ وـلـادـتـهـ ،ـ مـنـهـاـ أـنـ ثـورـاـ ظـهـرـ قـبـلـ مـوـلـدـهـ وـتـكـلـمـ مـنـبـئـاـ عـنـ ظـهـورـ مـنـقـذـ لـلـعـالـمـ مـنـ سـيـطـرـةـ قـوـىـ الـبـشـرـ ،ـ وـأـنـهـ لـاـ وـلـدـ أـحـاطـ بـالـدـارـ الـيـ وـلـدـ فـيـهاـ نـورـ قـدـسيـ وـهـاجـ ،ـ وـهـبـطـ بـخـمـ منـ السـمـاءـ وـدـنـاـ مـنـ الـأـرـضـ وـأـعـلـنـ الـنـبـأـ السـارـ ،ـ وـظـهـرـ عـرـضـ الـأـفـقـ فيـ السـمـاءـ كـوـكـبـ عـظـيمـ مـلـأـ ضـيـاـوـهـ جـمـيعـ أـنـحـاءـ الـفـضـاءـ ،ـ وـأـنـ حـاـكـمـ أـذـرـبـيـجـانـ لـاـ عـلـمـ بـهـ أـرـادـ قـتـلـهـ بـخـنـجـرـهـ ،ـ وـلـكـنـ يـدـهـ تـحـمـدـتـ وـلـمـ تـسـتـطـعـ تـحـرـيـكـ الـخـنـجـرـ ،ـ وـأـنـهـ أـلـقـيـ فـيـ النـارـ وـلـكـنـهـاـ

^(١) قصة الحضارة : (٤٢٤ / ٢) .

^(٢) نـقـلاـ عـنـ درـاسـاتـ فـيـ الـأـدـيـانـ الـوـثـيـقـةـ ،ـ اـحـمـدـ عـلـيـ عـجـيـبـةـ ،ـ صـ:ـ ١١٥ـ .

كانت بردًا وسلامًا عليه ٠٠٠ إلى غير ذلك من الأساطير^(١) التي نكتفي فيها بذكر ما
أوردته هنا ٠

ويتضح من هذه الأساطير مدى التقديس الذي حظي به زرادشت من خلال نسبة
هذه الخوارق واعتقاد حلول الروح القدسية في جسده والتي تشبه — من بعض الوجوه —
قول النصارى في حلول اللاهوت في المسيح (الكليل)، مما يرجح تأثر النصرانية بالزرادشتية
ووالله أعلم ٠

المبحث الثاني

تقديس الأشخاص في الديانة الهندية

^(١) انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، د. علي واي ، ص: ١٥١ ٠



وفيه مطلبان

- **المطلب الأول : التقديس في الهندوسية**
- **المطلب الثاني : تقديس بوذا**

المطلب الأول : التقديس في الهندوسية :



الهندوسية ديانة الجميرة العظمى في الهند ، و الديانة الرسمية للبلاد ، والهندوس يعتبرون أنفسهم السكان الأصليين للبلاد ٠

ويطلق على الهندوسية - أيضاً - الهندوكية ، والبرهمية نسبة إلى الإله براهما ، وهو - في اعتقاد الهندود - القوة العظيمة السحرية الكامنة ، التي تتطلب الكثير من العبادات ، وإنجاد الأناشيد ، وتقديم القرابين ، ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علماً على رجال الدين الذين يعتقدون أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي ^(١) .

والكتاب المعتمد عند الهندوس يطلق عليه اسم "الفيدا" أو "الويدا" ، وهو كتاب مقدس عندهم ، ومعنى الفيدا : العلم والمعرفة ، ويعتقد الهندوس أنَّه أزلي لا بداية له ، وأنَّه قديم وملهم به من قبل الإله براهما نفسه ، وأنَّ الذي جمع الفيدا حكيم من حكمائهم اشتهر باسم "فیدا فیاسا" ، أي : جامع الفيدا .

ويرى الباحث "مهاديفان" ^(٢) أنَّ ثمة إجماع بين العلماء المعاصرین على أنَّ الريك فيدا أقدم كتاب عرفته الشعوب الهندوآرية بشكل خاص ، والبشرية بشكل عام ^(٣) .

وهذا الحكم لا دليل عليه ، ولا يمكن القطع به لصعوبة الاستقصاء ، ولكنَّه يؤكِّد أصل القضية ، وهي قدم هذا الكتاب .

وهناك مصدر آخر للهندوس غير الفيدا ، وهو ما يعرف بقوانين مانو ، والذي يُعتقد أنَّه عاش في القرن الثالث الميلادي ، وهذه القوانين تحتوي على تفصيل الدين البرهيمي عقائده ، وعبادته ، ومعاملاته ، ونظمها الاجتماعية ، وكذلك تاريخ الكون ونشأته ، وخلق الإنسان ، وتقسيم الطبقات ، ويعد هذا السفر من أهم مراجع الباحثين في الدين البرهيمي ؛ لأنَّه استوعب جميع نواحي هذا الدين ، وهو يستمد أحکامه من أسفار الفيدا نفسها كما صرَّح بذلك مؤلفه في مقدمة الكتاب .

ويُعد نظام الطبقات من أبرز سمات المجتمع الهندوسي ، والدين الآري هو الذي قسم الإنسان الهندي حسب نسبة إلى أربع طبقات ، ولكل طبقة أحکام ووظائف لا تتجاوزها ،

^(١) انظر : أديان الهند الكبرى ، احمد شلي : ٣٩ ، وسيأتي الحديث عن البراهمة عند الحديث عن تقدیس الأشخاص في هذه الديانة .

^(٢) هو رئيس قسم الفلسفة في جامعة مدراس بالهند .

^(٣) نقلًا عن أقدم كتب في العالم ، د. لويس صليبا ، ص: ٥١ .

وال المصدر الأساسي لها هو الريح فيدا إضافة إلى ما أدخله «مانو» من التفاصيل الدقيقة وتوزيع وظائف كل طبقة^(١) .

ويعتمد النظام الطبيعي على ما جاء في الريح فيدا ، وهو كما يلي : « خلق الله طائفة البراهمة من فمه ، والكشتري من عضده ، والويس من فخذه ، والشودرا من رجله^(٢) . هذا هو الأساس الديني لنظام الطبقات ، وفيما يلي أهم ما تميزت به هذه الطبقات :

١ - البراهمة ، وهم رجال الدين في الديانة الهندوسية ، ومعنى البرهيمي العارف بالله ، والوظيفة الأساسية لهذه الطبقة هي تعلم أسفار الفيدات وتعليمها .

٢ - الكشتريا ، ومعنى الكشتري الشجاع صاحب السلطة والحكم ، ومن هذه الطائفة ينصلّب الملك ، ويجوز للكشتري أن يأخذ أموال الطوائف الأخرى سوى البرهيمي ، في حالة عدم الوارث .

٣ - الويسا : ومعنى الزراع والتجار ، وتقوم هذه الطبقة بالزراعة والتجارة وتربية المواشي .

٤ - الشودرا : ومعنى الذليل والمهين ، والوظيفة الوحيدة لهذه الطبقة خدمة الطوائف الأخرى دون أدنى حرج .

تعدد الآلهة عند الهندوس :

الآلهة متعددة في الديانة الهندوسية ، فالهندوس يميلون إلى عبادة القوى المؤثرة في الكون ؛ ولذلك كثرت معبوداتهم ، ولكنها انحصرت في ثلاثة يجتمعون عليها ، وهي :

١ - براهما : الإله الخالق لما في الحياة الذي صدرت عنه جميع الأشياء ، ويرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء .

٢ - سيفا أو سيو : الإله المُخرب المفني الذي تصفر به الأوراق الخضراء .

٣ - ويشنو: الإله الحافظ ، الذي حل في المخلوقات ، ليقي العالم من الفناء التام ، وهذه الثلاثة أقانيم لإله واحد هو "آتما" .

تقديس الأشخاص عند الهندوس :

^(١) انظر : تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة ، البيروني ، ص: ٧٦-٧٧ ، واليهودية وال المسيحية وأديان الهند الكبرى ، محمد ضياء الأعظمي ، ص: ٥٦٥ .

^(٢) اليهودية وال المسيحية ، الأعظمي ، ص: ٥٦٦ .

أولاً : تقديس طبقة البراهمة :

يقدس الهندوون البراهمة على أساس أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي ؛ وهذا كانوا
كهنة الأمة الذين لا تجوز الذبائح إلا في حضرة هم وعلى أيديهم ، ومن صور تقديسهم :
١ - يكون البراهمي موضع تقديس وعبودية ، ولو عمل عملاً يخالف الشرف .
٢ - كما أن "أغنى" يعد من الآلهة الكبيرة ، فكذلك البراهمي يعد من الآلهة الكبيرة .
٣ - يجوز للبراهمي إذا ما افتقر أن يتسلّل ، ولا يعاب عليه ، كما يجوز أيضاً أن ينهب
أموال الآخرين .
٤ - على السلطان أن يتتجنب قتل البراهمي ، ولو ارتكب أبشع الجرائم ، ولكن له أن
يطرده إذا رأى ذلك على أن يترك له جميع أمواله ولا يصييه بأذى .
٥ - الولد البراهمي البالغ من عمره عشر سنوات يكون موضع احترام لدى غيره وإن
كان عمره مائة عام ^(١) .

وهكذا يظهر لنا تقديس طبقة البراهمة من خلال الأمور التالية :

- ١ - اعتقاد أنهم من الآلهة الكبار ، وذلك نتيجة لاتصال طبائعهم بالعنصر الإلهي
لكونهم خلقوا من فم الإله براهما دون بقية الطبقات .
 - ٢ - تميزهم بالسيادة على جميع الطبقات .
 - ٣ - اختصاصهم بأرقى الوظائف دون غيرهم .
 - ٤ - تميزهم في تعاملهم مع جميع الطبقات الأخرى ، وتعامل الطبقات الأخرى معهم .
- ثانياً : تقديس كرشنا .

يعتقد الهندوون أن بعض آهتمهم قد حل في إنسان اسمه كرشنا ، والتقوى فيه الإله بالإنسان
، أو حل اللاهوت بالناسوت ، وتشبه عقيدة الهندوون في كرشنـا ما يعتقد النصارى في المسيح
الكليلـا تشابهاً كبيراً ، وسوف أفضل ذلك عند الحديث عن أثر الديانات الوثنية على النصرانية
بحول الله تعالى .

المطلب الثاني : تقديس بوذا في الديانة البوذية :

^(١) دراسات في اليهودية وال المسيحية وأديان الهند ، محمد الأعظمي ، ص: ٥٦٨ - ٥٦٩ ، وهو منقول من شريعة مانوا .



البوذية تنتسب إلى بوذا الذي ولد في إقليم نيبال في شمال الهند ، عام ٥٦٨ ق.م، وتوفي عام ٤٨٠ ق.م ، وتذكر المصادر التاريخية أنَّ أبوه كان من أهل الطبقة الممتازة ، وقد توفر له كل أنواع الترف والنعيم ، وقد أحاطت شخصيته بجموعة من الأساطير ؛ ومن ذلك « آنَّه لما بلغ أشده خرج ذات يوم من قصره فرأى شيخاً هرماً ، وخرج يوماً ثانياً فرأى رجلاً مريضاً ، وخرج يوماً ثالثاً فرأى ميتاً على جنازة ، فسأل صديقه عن الهرم وسببه ، وعن المرض وسببه ، وعن الموت وسببه ، ولما أخبره أنَّ كل مولود مصيره الهرم والمرض والموت كره بوذا هذه الدنيا والبقاء فيها وخرج ليلاً من قصره يطلب النجاة من الهرم والمرض والموت إلى الصحاري والغابات ^(١) .

ويعتبر ظهور البوذية – إضافة إلى الجينية – رد فعل للهندوسية ، ولاسيما في نظامها الطبقي ؛ ولذلك ظهرت هذه الديانة تدعو إلى الزهد والتقوف .

وقد نال بوذا – من بين أصحاب الديانات الهندية – النصيب الأكبر من التقديس والإحالة ، ويتجلى ذلك من خلال الأساطير الكثيرة التي نسجت حول شخصيته ، ومن خلال وصفه بصفات لا تكون للبشر ، بل لا تكون إلا لله ، بل وصل الأمر إلى اعتباره هو الإله والمعبد الذي توجه إليه سائر العبادات ؛ ولذلك انتشرت المعابد البوذية في كل مكان أولاً : الأساطير التي نسجت حول شخصيته :

١- جاء في إنجليل بوذا عن ولادته : « وما أن وصلت الملكة (أم بوذا) إلى بستان يدعى لومني حتى صنعت الأشجار باقة عظيمة من الأزهار المعطرة ، وببدأت أسراب العصافير تغدر على الأغصان .. ولما شعرت بالامها أرسل الإله براهما العظيم إلى هذه الروح الطاهرة أربعة ملائكة نصبو شبكة من الذهب لاستقبال الطفل الذي خرج من حنها الأيمن كالشمس المشرقة مشعاً وكاملاً » ^(٢) .

٢- « ولد بوذا نظيفاً لا كما يولد الأطفال ، بل نزل من بطن أمّه وهي واقفة ممسكة بغضن ، ولم تشعر بألم ، وكان جسمه نظيفاً كالمرأة » ^(٣) .

^(١) انظر : المصدر السابق ، ص : ٦٣٩ .

^(٢) إنجليل بوذا ، ترجمة سامي سليمان شيئاً ، نقاً عن كتاب الديانات الوضعية الحية في الشرقيين الأدنى والأقصى ، د . محمد العربي ، ص : ٢٧٣ .

^(٣) الديانات والعقائد في مختلف العصور . احمد عبدالغفور عطار ، ص : ١١٦ .

٣ - « يزعمون أنَّ من معجزاته ، وهو يتهيأ لفراق القصر أنَّ أبوابه فتحت من تلقاء نفسها ، ولم يسمع صوت خطوات جواده » ^(٣) .

وهذه النصوص تعطي أهمية كبيرة لولادة بوذا وتحدث عن خوارق حدثت في الكون من أجله ، منها ما كان قبل ولادته ، ومنها ما كان عند ولادته ، وهذه الأمور وإن كانت لا تتجاوز حد الأساطير ، إضافة إلى كونها تحالف طبائع الأشياء المحسوسة إلا أنها تبين مدى التقديس الذي أحاطت به شخصيته .

ثانياً : عبادة بوذا :

العبادات في البوذية لا تشتمل على حركات ، وإنما تتركز على أمرين :

١ - الإكثار من الحمد والثناء على بوذا ؛ لحسناته ، وكماله ، وجماله - بزعمهم - .
٢ - التلذذ بذكره وتصوره في الخلوة ، والمجتمع ، والدعاء أن يكون الشخص مثله في الحياة الثانية ، ويعود ذكر اسمه وتصوره من أعلى مراتب العبادة عند الرهبان البوذيين ^(٤) .
وما ذكر يتبيّن أنَّ البوذيين يتوجّهون لبوذا بالعبادة من خلال كثرة ذكره ، بل ودؤام ذكره على كل حال مع اعتبار ذلك من أفضل العبادات عندهم ، ومن المعلوم أنَّ العبادة هي أوضح صور التقديس ، وإذا كانت الديانات في الهند تقدس آلهة كثيرة فإنَّ البوذية جعلت بوذا هو الإله المقدس وحده لديها بل هو الأساس الذي تقوم عليه البوذية .

وما يؤكّد هذه العبادة الترانيم التي يترنم بها البوذيون ، ومنها :

أسجد للبوذا الإله الكامل الذي انكشف له العالم .

أسجد للبوذا الإله الكامل الذي انكشف له العالم .

أسجد للبوذا الإله الكامل الذي انكشف له العالم .

أعوذ بالبوذا الإله ^(١) .

وهذه الترنيمة لدى البوذيين تؤكّد اعتقادهم بألوهية بوذا ، وهو أعلى صور التقديس التي يمكن أن تكون للبشر .

^(٣) المصدر نفسه ، ص : ١١٨ .

^(٤) انظر : دراسات في اليهودية وال المسيحية وأديان الهند الكبيرى ، محمد الأعظمى ، ص: ٦٥٤ .

^(١) المصدر السابق ، ص: ٦٥٥ .

-
-
- المبحث الثالث**
- التقديس في الديانة المصرية القديمة**
- وفيه مطلبان**
- **المطلب الأول : تقدير المذهب**
 - **المطلب الثاني : تقدير ملوك الفراعنة**



تتميز الديانة المصرية بكثرة الآلهة ، لأنَّ المصريين القدماء كانوا يرجعون كل ظاهرة حسية ذات تأثير في حياتهم إلى قدرة علوية ، أو علة خفية تحرِّكها وتحكم فيها ، وتستحقق التقديس من أجلها ، وهذا بدوره أدى إلى تعدد المقدسات ، من الظواهر الحسية كالشمس والقمر والريح ، ونحو ذلك ، وأيضاً فإنَّهم اتجهوا بالعبادة والتقدیس إلى كل ما يرجون نفعه ، أو يخشون ضرره عليهم ، ولذلك انتشرت عبادة كثير من الحيوانات ، بل وحتى النباتات في تلك البيئة .



وللسبب ذاته تنوّعت هذه العبودات أيضًا فشملت بعض الظواهر الكونية في السماء ، كما شملت الظواهر الأرضية ، واتسعت دائرة هذه العبودات أيضًا فشملت الإنسان والحيوان و النبات وحتى الجمادات .

واسمي تلك العبودات بالإقليمية ؛ فكان لكل إقليم آلهة تخصهم ، ويمتد نفوذها في تلك المنطقة أو الإقليم ، وقد يتعدى نفوذ بعض الآلهة أحياناً إلى خارج تلك المنطقة بسبب الأوضاع السياسية ؛ فإذا غلبت قبيلة على أخرى امتد نفوذ آلهتها بعأً لذلك .

تقديس الأشخاص في الديانة المصرية القديمة :

١- مينا هو أول الآلهة المقدسة من البشر :

اعتقد المصريون القدماء وجود آلة من البشر ، واعتقدوا أنَّ روح الإله قد حلت فيها ، ويبدو أنَّ هذا الاعتقاد قد بدأ في عهد الملك "مينا" ، أو "منا" مؤسس الأسرة المصرية الأولى حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م الذي استطاع توحيد القاطرين الشمالي والجنوبي للبلاد ، وأعلن عقب هذا الانتصار أنَّ روح الإله قد حلت فيه ، ويبدو أنَّ الأحوال السياسية قد ساعدت على ظهور ذلك الاعتقاد ؛ فتحقيق الملك لتلك الانتصارات وتوحيده للبلاد هيأ له المناخ المناسب لإعلان حلول روح الله فيه ، وربما خيلت له نفسه أنَّه جدير بأن تحل فيه روح الإله ، أو أنَّه أراد بذلك ألا ينافيه في ملكه أحد من البشر لأنَّه وإن اشتراك مع غيره في الملك إلا إنَّه قد تفرد بالألوهية التي لا يمكن أن ينافيه فيها أحد ^(١) .

وقد تقبل المصريون هذه الفكرة وتسابقوا في تقديم ألوان من العبادة والتقديس لذلك الملك ، فكانوا — كما جاء في كتاب الفلسفة الشرقية : « يعاملونه معاملة الإله ، وكان أفراد من الرعية يضعون أنوفهم في موضع قدميه ليستنشقوا رائحتها ، ومن كان منهم مقرباً كان يسمح له بشم قدميه مباشرة ، وكان عرشه في نظرهم أقدس ما أشرقت عليه الشمس في الكون ، وشخصيته كانت أنفس شخصيات البشر جميعاً ، وكان المصريون إذا أحسوا بأنَّ هناك واحداً لا يفتخري الملك وعرشه بكل ما لديه من عزيز ونفيس مقتوا هذا الشخص وودوا لو يبيدونه من فوق الأرض » ^(٢) .

^(١) انظر : مصر الفرعونية ، أحمد فخرى ، ص: ٧٥ .

^(٢) نقلًا عن : دراسات في الأديان الوضعية القديمة ، أحمد عجيبة ، ص: ١٩٣ .

٢ - تقدیس ملوک الفراعنة :

ما سبق ذكره عن الملك الإله "مينا" أصبح ميراثاً لكل ملك أتى بعده من ملوك الفراعنة ، حيث اعتقاد المصريون : «أنَّ الفرعون ما هو إِلَّا ابن الإله "رع" والإله الملك "حور" أو "حورس" الذي هو إِلَّه الشر الذي يهب الحياة الطاقة والنور ، وكان الفرعون إِلَّا في الحياة أي ابن رع وإِلَّا في الموت ، حيث يتحول إلى الإله أوزيريس ، وما يؤكِّد فكرة الألوهية الفرعونية اتخاذ الفرعون مجموعة من الألقاب تكرس فكرة الألوهية ، وترتبطه ربطاً محكماً بعالم الآلهة ، ومنها : الإله العظيم ، الإله المحسن ، صانع الأشياء ، حور أو حورس ، إِلَه الملكتين أو إِلَه الأرضين »^(٢).

وَمَا يَتَصلُّ بِعِقِيدَةِ الْمُصْرِينَ فِي مَلُوكِهِمْ مَا جَاءَ فِي كِتَابٍ "دِرَاسَاتٍ فِي الشَّرْقِ الْأَدْنِيِّ" : «اعتقادهم أنَّ الْمَلَكَ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَمُوتَ وَإِنَّمَا يَبْدُأُ حَيَاةً خَارِقَةً لِلْطَّبِيعَةِ ، حَيَاةً يَكُونُ فِيهَا الوَسِيلَةُ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ مِنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الْآلهَةِ فَيَظْلِمُ الْحَامِيُّ وَالشَّفِيعُ الَّذِي يَرْعِي الْمَوْتَى كَمَا كَانَ يَرْعِي الْأَحْيَاءِ ؛ وَمِنْ هَنَا جَاءَتْ لَهْفَةُ الْقَوْمِ عَلَى تَشْيِيدِ مَقَابِرٍ ضَخْمَةً لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى جَثَثِ الْمَلَكِ مِنْ كُلِّ أَذْيَى وَلَتَهْيَءُ لَهُ وَسَائِلَ حَاصِّةً وَمَلَائِمَةً وَخَالِدَةً »^(٣) .

ويتبين لنا من العرض السابق أنَّ المصريين كانوا يُؤلهون ملوكهم الفراعنة ، على أساس أنَّ روح الإله قد حلَّت فيهم ، وهذه العقيدة لم تكن غريبة على الأوساط المصرية القديمة ، التي تعتقد حلول الأرواح في الحيوانات ، واعتقادهم بالحلول في الإنسان من باب أولى . وقد أشار القرآن الكريم إلى ادعاء الفرعون الذي كان في عهد موسى عليه السلام ، بأنه الإله ، حيث قال الله تعالى حاكِيًّا عنه : چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ

وبصرف النظر عن مدى اعتقاده بصدق ما ادعاه من مقام الالوهية لنفسه إلا أنه من الواضح أن هذه المقوله كان لها قبول عند قومه الذين قدموا له ألوان الخضوع والطاعة المطلقة مما أدى إلى استخفافه بهم كما قال تعالى : چن ٿ ٺڻ ٿ ئ ه چ الزخرف :

^(٢) الدين المصري، خنزير الماجد، ص: ١٣٩ - ١٤٠.

^(٣) نقلًا عن دراسات في الأديان الوضعية القديمة، أحمد عجيبة، ص: ١٩٤.

٣- أسطورة أوزير :

تنسب هذه الأسطورة إلى أوزير باعتبار أنه صاحب الدور البارز فيها، وهذه الأسطورة تتضمن تأليهاً للبشر في بعض جوانبها ، وملخصها كما يلي : كان أوزير - وهو إله النيل - قد حكم القطررين ، وكان موفقاً في حكمه وبطلاً من أبطال الحروب ، واسع الشهرة ، وكان أعداؤه يرتجفون أمامه مما جعل "ست" أو "سيت" - وهو أخيه - يحقد عليه ويختال لقتله ، فنجح في ذلك ، واستدرج أخيه حتى وضعه في صندوق محكم وأقفله وقدفه في البحر فأخذت "إيزيس" (زوجه) تبحث عنه في كل مكان حتى عثرت عليه وجاءت أشلاءه ، واستعانت بسحرها حتى دبت الحياة في جسمه ، وحطت عليه كما يحط الطير فحملت منه ، ولما كان من الصعب أن يحيي فوق الأرض حياته الأولى ؛ أصبح لزاماً عليه أن يحيي حياته الثانية ، وبذلك صار ملكاً للموتى ، ثمّ وضعت إيزيس ولداً هو حور أو حورس وترعرع في الخفاء ، فلما اشتد ساعده قام يقاتل "ست" حتى انتصر عليه ، ثم قادته أمّه إلى قاعة المحكمة ، فحياه الآلة ، ولكنَّ ست رفع عليه دعوى يطعن في صحة نسبه ، فعقد الآلة الكبار جلسة ، ثم وجدوا أن الحق يجانب حور فأعطوه ما كان لأبيه فخرج متوجاً وأصبح حاكماً للقطرين وبقى التاج فوق جبينه .

هذا هو ملخص هذه الأسطورة ، والذي يهمنا منها أنَّ أبطالها لم يكونوا سوى مجموعة من البشر - وإن اتصفوا بصفات الآلة - ؛ فهم يتصفون بالعداوة ، والمكر ، والشجاعة ، والقتال ، ونحو ذلك من الصفات البشرية ، وهم كذلك مجموعة من المعبودات التي عبدها المصريون عبادة قائمة على الحب والإخلاص حتى أنَّهم صوروا لهم صوراً من الجوادر .

والذي يجدر التنبيه عليه في هذا المقام هو أنَّ هذه الأسطورة انتشرت انتشاراً واسعاً في جميع أرجاء البلاد المصرية ، بسبب ما تميزت به معانٍ وأحساسات أهابت مشاعر الناس وعواطفهم لما فيها من إبراز وفاء الزوجة لزوجها ، وحبها لرضيعها ، وبر الابن بأبيه ، وحبه له ، وما أظهرته القصة كذلك من انتصار الحق على الباطل والخير على الشر .

المبحث الرابع

التقدیس عند اليونان والرومان

وفيه مطلبان

- **المطلب الأول : التقدیس عند الرومان**
- **المطلب الثاني : التقدیس عند الرومان**



المطلب الأول : التقديس عند اليونان :

تعرف بلاد اليونان القديمة باسم "هيلاس" ، وهي تشمل ما يعرف باسم شبه جزيرة البلقان حديثاً ، وجموعة الجزر المنتشرة في بحر إيجي ، وكذلك المدن اليونانية المنتشرة على ساحل شبه جزيرة آسيا الصغرى ^(١) .

المعبدات اليونانية :

تميزت العقيدة اليونانية – كما هو الحال في الديانات الشرقية – بتعدد الآلهة فكان عددها يفوق عدد آلهة قدماء المصريين ، حتى أصبح كل شيء إلهًا في هذه الديانة .

^(١) دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، أحمد عجيبة ، ص : ١٤٥ .



يقول ول ديورانت : « فكان كل شيء وكل قوة في الأرض أو السماء وكل نعمة أو نعمة وكل صفة — ولو كانت رذيلة — من صفات الإنسان تمثل إلهًا في صورة بشريّة عادة . وليس ثمة دين يقرب آلهته من الآدميين قرب آلهة اليونان . وكان لكل حرفة ، ولكل مهنة ، ولكل فن إله خاص أو راع حارس بلغة هذه الأيام » ^(٢) .

وهذا النص يؤكد كثرة الآلهة في الديانة اليونانية ، وشمولها لكل مظاهر الطبيعة ، فلا يوجد مظهراً من مظاهر الطبيعة إلا وله من الألوهية نصيب .

تقديس الأشخاص عند اليونان :

١ - الآلهة الأولمبية :

تعد الآلهة الأولمبية أشهر معتقدات اليونان القدماء ، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً بينهم ؛ فقد ورد ذكرها بالتفصيل في القصائد الهومرية (الإلياذة والأوديسا) ، وكتب عنها الكثير من الأساطير والأشعار ^(٣) .

وتنسب الآلهة الأولمبية إلى جبل أوليمبوس ، وهو أعلى جبل في اليونان اعتقاداً منهم أنَّ هذه الآلهة يعيشون على هذا الجبل ^(٤) .

ويعتقد اليونان أنَّ الآلهة الأولمبية - كما في الإلياذة والأوديسا - « يؤلفون حكومة ملكية وعلى رأسها زيوس ، وعددتهم اثنا عشر إلهًا ، وكلهم في صورة بشريّة إلا أن سائلاً عجيبة يجري في عروقهم فيكفل لهم الخلود ، وهم أقوى من الأبطال وأسرع حركة ، وهم يظهرون للناس أو يختفون كما يشاءون يسكنون قصوراً في السماء فخمة يقضون فيها حياة ناعمة في ربيع مقيم ، يأكلون ، ويشربون ، ويتزاوجون ، وتجترحهم السهام والرماح فيتأملون ويتحبون وهم حادثون وجدوا في الزمان وما يزالون خاضعين لتعاقب الأيام ، وهم على مثل هذا النقص من الناحية الخلقية لهم شهواتهم وعصبياتهم ، يتفرقون أحزاباً ويدخلون

^(٢) قصة الحضارة : (٦ / ٣١٨) .

^(٣) دراسات في الأديان الوضعية القديمة ، احمد عجيبة ، ص : ١٥٢ . والقصائد الهومرية هي أقدم ما وصل إلينا من شواهد الفكر اليونياني ، وهي تتألف من قصتين كبيرتين هما الإلياذة والأوديسا ، وتنسبان إلى هوميروس ، ويعتقد أنها كتبتا خلال مائتي عام .

^(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

في منازعات البشر ، ويتساهمون ، ويتضاربون ، يخونون ، ويغدرون ، ولا يرعون من البشر
إلا من يتقرب إليهم كيما كانت أخلاقه »^(١) .

وهذا النص يبين صفات الآلهة الأوليمبية ، وهي تتألف من اثني عشر إلهًا سبعة من الذكور وخمس من الإناث ، ونحن إذا تأملنا في هذا النص لا نكاد نفرق بين الآلهة وبين البشر ؛ لأنَّ أكثر هذه الصفات المعدودة من صفات الآلهة ليست في الحقيقة إلا صفات البشر ، وهذا أمر ظاهر ، وليس للآلهة اختصاص عن البشر إلا في أمرين اثنين :

الأول : الخلود ؛ فهم بالرغم من حدوثهم إلا أنَّهم مخلدون ، ولا نهاية لوجودهم ويعزى سبب هذا الخلود إلى وجود ذلك السائل العجيب الذي يجري في عروقهم .

والثاني : القدرة الخارقة للعادة ؛ فهم يستطيعون القيام بأعمال لا يستطيع أن يقوم بها بنو الإنسان ؛ ولذلك عهد إليهم بالإشراف على شؤون الكون .

ومن هذا العرض يتبيَّن لنا أنَّ نظرة اليونان إلى الآلهة الأوليمبية تحمل الكثير من وجوه التقديس للبشر ، بل إنَّ صورة الآلهة عندهم ليست في أغلب صفاتها إلا صورة البشر ، مع احتفاظ هذه الآلهة بخاصيَّتين تنفرد بهما عن بقية البشر كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

٢ - عبادة الأسلاف (الأموات) :

كانت عبادة الأسلاف أو الأموات من العبادات الشائعة بين اليونان القدماء – كما هي عند غالبية الشعوب القديمة – ، وذلك أنَّ الموتى في اعتقادهم كانت كائنات مقدسة وقد خلعوا عليهم ما كانوا يجدونه أكثر الألقاب احتراماً ، فكانوا يسمونهم الطيبين والقديسين والسعداء ، وكانوا يكتون لهم كل التمجيل ، وكان كل ميت في فكرهم إلهًا ، ولم يكن هذا التأليه امتيازاً مقصوراً على عظماء الرجال ، إذ أنَّه لم يكن هناك تمييز بين الأموات »^(١) .

وكان أصل هذه العبادة اعتقادهم أنَّ الموتى أرواح قادرة على أن تفعل للناس الخير والشر وتسترضي بالقرابين والصلة .

^(١) نقلًا عن المصدر السابق ، ص: ١٥٣ .

^(١) المصدر السابق ، ص: ١٥١ .

ويتحدث ديورانت عن هذه العبادة قائلاً : « وكانت عبادة الأبطال – وهي من المعتقدات اليونانية الهامة – امتداداً لعبادة الموتى فكان في وسع الآلهة – كما يعتقدون – أن تهب العظيم أو الشريف أو الرجل الجميل أو المرأة الجميلة الحياة الخالدة فتجعله أو يجعلها من بين الآلهة الصغرى ، ولقد اعتقدوا أيضاً أنه كان يحدث أحياناً أن يتول الإله – الذي هو في أول الأمر من الأسلاف أو الأبطال الموتى – يتقمص جسم إنسان فيستحيل هذا الإنسان إلهاً ، وقد يتصل الإله اتصالاً جنسياً مع امرأة من الآدميين فتلد بطلاً أو إلهاً كما فعل زيوس مع "أكمينا" فولدت هرقل » ^(٢) .

ويتبين لنا من هذا النص أنَّ اليونان كانوا يعظمون الموتى تعظيماً كبيراً يماثل تعظيمهم لأي إله من الآلهة الأخرى ، وأنَّ البشر سواء كانوا أبطالاً أو أمواتاً قد نالوا حظاً كبيراً من التقديس الذي يصل إلى درجة اعتقاد الألوهية لهم ، كما يظهر فيه عقيدة التجسد (التقمص) الإلهي للبشر ، مما يجعلنا نعتقد أنَّ تقديس البشر ، وقضية التجسد كانت من الموارد التي تأثرت بها النصرانية تأثراً كبيراً لاسيما مع التقارب الجغرافي بين اليونان والرومان الذين ظهرت فيهم النصرانية ٠

المطلب الثاني : التقديس عند الرومان :

كما هو الحال في أغلب الديانات الشرقية ، فقد تعددت الآلهة عند الرومان ، حتى أصبح لكل مظاهر الطبيعة إلهاً أو آلهة تعبد وأصبح لكل عمل أو وظيفة في هذه الإمبراطورية رب يقوم بهذا العمل ، فأصبحت قضية الأرباب أشبه بـ موظفين في مؤسسة كبيرة ، لكل موظف عمل خاص به لا يقوم به أحد غيره ، فهناك رب ينبع البذر ، وآخر يحمي الحقل ، وآخر يحرس الشجر وهكذا : « لكل رب اسمه وجنسه وعمله ، فعندهم للسماء إله ، وللحرب إله ، وللشجاعة إله » ^(١) .

تقديس الأشخاص عند الرومان :

انتشر عند الرومان عبادة الأباطرة ، كما كانت منتشرة بين الأديان الشرقية وخاصة الديانة المصرية القديمة ٠

^(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٦/٣٢٧) ٠

^(٢) الديانات القديمة ، محمد أبو زهرة ، ص: ٩٠ ٠

تحدّث الكاتبة أبكار السقاف عن نظرة الرومان إلى القيصر فتقول : « هذا الذي غدا تبعاً للوضع الجديد لا سيد الإمبراطورية فحسب ، وإنما السيد المطلق والذي تبعاً لتخلي الشعب له عن كل سلطة غدا حاكماً مطلقاً كما أنه تبعاً لهذه السلطة الإطلاقية (المطلقة) التي جعلته مطلقاً التصرف اعتبار فوق القانون ومن ثم ، فإنَّ من فوق القانون لا يحاكمه القانون ولذلك كان القيصر مادام حياً لا يحاكم .

إنَّ مجلس الشعب لا يحاكم القيصر إلا بعد موته فإذا كانت أعماله صالحة ارتقى إلى مصاف الأرباب ، ومن كان كذلك فلا شك أنَّه إنما كان صورة بخسنية للإله حل على الأرض ليخلص الإنسان من العذاب ومن ثم فهو المخلص .

وتذكر أحد من ارتقى إلى هذا المنصب وهو يوليوس قيصر^(٢) الذي نعت بالمخلص وتقول : « وفي العام الرابع عشر للميلاد أصدر مجلس الشيوخ لائحة بتأليف أغسطس كصورة بخسنية للإله على الأرض ولقبه بالمخلص »^(٣) .

وقد ترتب على ذلك التقديس لقيصر روما ، المتمثل في تأليفه عقيدة أخرى ، وهي اعتقاد رفعه إلى السماء بعد موته ، حيث جرى المنطق الروماني بأنَّ « من كان صورة بخسنية للإله على الأرض فليس ثمة شك في أنَّ مكانه السماء لا الأرض »^(٤) .

ثم أقسم (نوميروس أتيكوس) أنَّه رأى العين المخلص أغسطس يرتفع بعد موته إلى السماء .

وفي ذكر النصوص السابقة بيان تقدير الرومان للملوكهم الأباطرة ، ويمكن إجمال صورة التقديس لهم في أمرين :

الأول : تأليف الإمبراطور الروماني ، وربما أنَّ القانون الروماني هو الذي أعطاه هذه المترلة أو ساعدته على الوصول إليها ، وربما أنَّ الانتصارات التي حققها الإمبراطور ساعدت أيضاً على ذلك ، ولكنَّ الاحتمال الأكبر أنَّ ذلك راجع لاعتقاد أنَّ روح الآلهة قد حلّت

^(٢) هو غايوس يوليوس قيصر ، كان إمبراطوراً رومانياً ، ولد في روما عام ١٠٢ ق.م ، وكان فصيحاً قوي الحجة ، عُين والياً على غالياً واليرية عام ٥٩ ق.م ، وصنف كتاباً عن حروبه في غاليا يدعى من نفس ما كتب من التأثير باللاتينية . انظر : عصر أوغسطس قيصر وخلفاؤه ، د.أسد رستم ، ص : ٥٤ وما بعدها .

^(٣) الدين الإغريقي ، ص: ٧٢-٧٣ .

^(٤) المصدر نفسه ، ص: ٧٣ .

فيه، كما هو الحال في الديانة المصرية القديمة التي تأثر بها الرومان تأثراً كبيراً ، بل يمكن القول أنهما أخذوا عقيدة تأليه الإمبراطور من تأليه الملوك الفراعنة عند المصريين .

الثاني : عقيدة رفع البشر بعد موتهم ، وقد بُنيت على أساس أنَّ الإمبراطور لم يكن إلا صورة بحسدية للإله على الأرض ، فلا شك أنَّ مكانه السماء فيجب أن يعود إليها بعد موته .

وأخيراً فلا شك أنَّ هاتين العقائدتين الغاليتين في الأشخاص قد أثرت في النصرانية الناشئة في أحدى ولايات هذه الإمبراطورية ، وربما كانت موجودة لدى شاعول المواطن الروماني قبل أن يعلن ديانته الجديدة بسبب وجوده في تلك البيئة .

٩

الفصل الرابع

أسباب التقديس



وَفِيهِ أَرْبَعَةٌ هُبَّاْتُ

- ❖ المبحث الأول : الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للنصرانية
- ❖ المبحث الثاني : دور بولس
- ❖ المبحث الثالث : دور المجتمع النصراني
- ❖ المبحث الرابع : الدولة الرومانية

المبحث الأول :

الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للنصرانية

وَفِيهِ مَدْخُلٌ وَمَطْلَبٌ

- المطلب الأول : تأثر عقيدة الوهية المسيح بالديانات السابقة
- المطلب الثاني : تأثر عقيدة التثليث بالديانات السابقة



مدخل :

يبينت في الفصل السابق أنَّ الاعتقاد بوجود آلهة من البشر كان مألوفاً ومنتشرًا في الديانات السابقة للنصرانية ، ويظهر ذلك من خلال الأساطير الدينية التي تتحدث عن تلك الآلهة البشرية . وما أريد إثباته في هذا المبحث هو تأثر النصرانية بهذه الديانات ، واستقائها من ينابيعها ، وذلك من خلال المقارنة بين عقidiتى ألوهية المسيح ، والتثليث وما يتعلق بكل منها .

المطلب الأول : تأثر عقيدة ألوهية المسيح عند النصارى بالديانات السابقة :



أولاً القول ببنوة بعض البشر لله :

إنَّ لقب البنوَة لله – الذي أطلقه النصارى على المسيح العَلِيَّةَ – لم يكن ابتداعاً جديداً ، فقد سبقت الديانات الوثنية إلى وصف بعض الأشخاص بأنَّهم أبناء الإله ، فقد جاء في كتاب "الأصول الوثنية للمسيحية" للمؤلف "أندريه نايتون" أنَّ الهندود يقولون : «أنَّ الإله "سافستري" له ابن هو ابنه الوحيد واسمها "آتي" ، وأنَّه مولود غير مخلوق ^(١) ، وكانت الزرادشتية تعتقد: «أنَّ الإله متراس (مثرا) ابن هو، أي: (أهورا) ^(٢) . وكان الإسكندر الفاتح ينادي بابن الإله "آمون" ^(٣) ، وكان قسطنطين إمبراطور الرومان يؤمن بأنَّ (أيلو) – إله الطب ، وكثير الآلهة عند اليونانيين – هو إله الشمس وأنَّ أفلاطون ابن الله ^(٤) . ومن ألهem الرومان أيضاً "رومليوس" مؤسس رومية و كانوا يدعونه : ابن الله ويعتقدون أنَّه ولد من العذراء (راسيلفيا) ، وكذلك يؤلهون القيصر ويقولون إنَّه ابن الله ، وما يدلُّ أيضاً على وثنية هذا اللقب أنَّه جاء وصف (الابن الوحيد) على آتي ، كما في قانون الشليث عند الهندود ، وهذا الوصف مطابق تماماً لوصف النصارى للمسيح العَلِيَّةَ ، كما جاء فيما يسمى بقانون الإيمان عندهم .

ثانياً التجسد في الديانات الوثنية :

يقصد بالتجسد عند النصارى : «أنَّ المسيح ابن الله صار إنساناً باتخاذه لذاته جسداً» ^(١) .

وهو من أهم العقائد عند النصارى ، ويرى بعضهم أنَّ النصرانية ليست إلا الإيمان التجسدي ، وأنَّ كلمة التجسد مرادفة تماماً لكلمة النصرانية .

^(١) نقلأً عن تحرير رسالة المسيح ، أ . بسمة جستنية ، ص: ٣٦٥ .

^(٢) المصدر السابق ، ص: ٣٦٥ .

^(٣) انظر : عبقرية المسيح في التاريخ وكشف العصر الحديث ، ص: ٦٥ .

^(٤) نقلأً عن تحرير رسالة المسيح ، أ . بسمة جستنية ، ص: ٣٦٥ .

^(١) شرح أصول الإيمان : د . القس أندرووس واطسون ، د . القس إبراهيم سعيد ، ص: ١٥٤ .

يقول موريس وايلز عن التجسد: « توصف المسيحية غالباً بأنها إيمان بتجسدي و كلمتا مسيحية وتجسد متقاربتان إلى حد الترافق في أذهان كثير من الناس »^(٢) .

وإذا رجعنا إلى العقائد الوثنية السابقة للديانة النصرانية يتضح لنا بخلافه أن عقيدة التجسد من صميم تلك العقائد ، وهذا ما أثبته – أيضاً – كثير من الباحثين المحققيين من النصارى أنفسهم ، وسأجلي هذا الأمر من خلال هذا العرض إن شاء الله تعالى .

يقول العلامة دوان: « ومن عقائد الوثنين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم ، وقد ورد ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية »^(٣) .

وهذا النص يدل على أن تجسدة الآلة في صورة بشرية عقيدة مألوفة في الديانات الوثنية ، بل أنها صورة مشتركة عند أغلب هذه الديانات ، وأماماً على وجه التفصيل ؛ فإن من أهم الآلهة المتجسدة في صورة بشرية في تلك الديانات ما يلي :

١- تجسدة الإله في كرشنا :

جاء في كتاب "فوشنو بورانا" المقدس عند الهند ما يأتي : « وكافة الآلهة التي ليس لها ابتداء وانتهاء تكرمت بخلاص الأرض من حملها الثقيل رحمة منها بإرسال فشنو إلى رحم "ديفاكى" وولادته منها ، فإنه ولدها ، وتقمصه بكرشنا الذي هو نفس برهمة ، وإنه لسر عجيب كيف أن الإله تكيف بجسد إنسان »^(٤) .

ومن هذا النص يتبين أن الهندوسة يعتقدون أن كرشنا هو الإله "فشنو" الذي تجسدة من "ديفاكى" ، وظهر بالتالي ، وأنه جاء لخلاص البشرية من حملها الثقيل ، وهذه العقيدة تتطابق مع عقيدة النصارى في المسيح الكريستوس . وإذا كانت ديانة الهند سابقة على النصرانية ، فما من شك في تأثر هذه الديانة بمعتقدات الهند في عقيدة التجسد .

٢- تجسدة الإله في بوذا :

^(٢) أسطورة تجسدة المسيح ، مجموعة من المؤلفين من النصارى ، ص: ٢٧ - ٢٨ ، وهو من أهم الكتب المعاصرة في إنكار نسبة التجسد إلى المسيح عليه السلام ، والمؤلف المقصود عنه النص بروفسور الإلهيات والكتاب المقدس – عندهم في كلية المسيح – أكسفورد - بريطانيا .

^(٣) نقلأً عن : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد الشير ، ص: ٦٠ .

^(٤) المصدر نفسه ، ص: ٦١ .

لا تكاد صورة بوذا عند البوذيين تختلف عن صورة كرشنا عند الهندوين ، وما يوضح ذلك قول هوك^(١) بقوله : « والبوذيون يعدونه إلهًا تجسد أي آلهة إله ظهر بالناسوت أتى إلى هذا العالم ليعلم الناس ويرشدتهم ويفيدهم ويبيّن لهم طريق السلام ، والقول بالفداء بواسطة إله يظهر بالناسوت عمومي عند البوذيين »^(٢) .

وقال المستر بنصون^(٣) متحدثاً عن مناجاة العابد عمورا لـإله بوذا المتجسد : « لك التعظيم يا من ظهرت بشكل بوذا المتجسد يا رب الأرض لك المجد يا إلهي إله المتجسد الواحد الأبدى لك الاحترام يا رب الظاهر والرحمة مبادل الأوجاع والأحزان يا إله كل شيء يا حافظ الكائنات يا عالم الرحمة ورمزاها يا فادي »^(٤) .

ومما سبق يتضح لنا اعتقاد البوذيين بألوهية بوذا ، وتجسده ، لإنقاذ البشر وفداوهم ، وكذلك تعليم الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح ، وأن القول بالتجسد عام عند جميع البوذيين ، وهذه الصورة التي يعتقدوها البوذيين تشبه عقيدة الهندوين في كرشنا ، وهاتان العقائدتان تتطابقان مع عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام ، مما يؤكّد أن عقيدة التجسد عند الهندوين هي أحد اليهودية الأساسية للديانة النصرانية .

٣- تجسـد الإله في الفراعنة المصريـين :

يعتقد المصريون القدماء أنَّ ملوكهم الفراعنة ليسوا إلا آلهة متجسدة في صورة بشرية ، وكانوا يقدمون لهم ألوان العبادة بناءً على ذلك .

يقول ولز: « أمّا مصر فكان فيها فرد يرفع فوق الكهنة وهو التجسيد الحي الممثل لرب البلاد الأعلى وهو فرعون الملك الرب . . . وأصبح الملك الذي يتقلّد الملك في مصر ينظر إليه على أنه لم يكن من البشر وإنما كان إلهًا ثم تجسـد في فرعون »^(١) .

وكان المصريون يقدمون ملوكهم — ابتداءً من الملك مينا ومن بعده — أنواع العبادة على أنهم تجسـدـ لـإلهـ في صورة بشرية »^(٢) .

^(١) أحد المتصريين الفرنسيـين ، وله كتاب بعنوان : رحلة هوك .

^(٢) نقلـاً عن العقائد الوثنـية في الديانـة النصرـانية ، محمد طـه التـنبـير ، ص: ٦٢ .

^(٣) ذكر محمد طاهر التنبـير أنَّ له كتاب بعنوان (الملاك المسيح) ، ولم أجـد له ترجمـة .

^(٤) العقائد الوثنـية في الديانـة النصرـانية ، محمد طـه التـنبـير ، ص: ٦٣ .

^(٥) نقلـاً عن تأثير المسيحـية بالأديانـ الوضعـية ، أحمد عـجـيبة ، ص: ٣٩٢ .

وهكذا يتبيّن لنا ما سبق أنَّ اعتقاد قدماء المصريين بأنَّ ملك مصر هو الإله الذي تجسّد في الفرعون يطابق قول النصارى بأنَّ الإله تجسّد في صورة المسيح الكليل ، مَّا يؤكّد وثنيّة هذه العقيدة . والله أعلم .

تجسّد الآلهة الأولمبية والأسلاف عند اليونان :

يعتقد اليونان بتجسّد الآلهة في صورة بشرية ، كما في الآلهة الأولمبية ، وتجسّد الأسلاف (الأبطال) ، وقد ذكر ديورانت ما يؤكّد ذلك بقوله : « ولقد اعتقدوا أيضًا أنه كان يحدث أحياناً أن يترى الإله – الذي هو في أول الأمر من الأسلاف أو الأبطال المولى – يتقمص جسم إنسان فيستحيل هذا الإنسان إلى الله » ^(٢) .

واعتقاد اليونان في أبطالهم – والحق أن يقال في آهتهم – يتطابق مع اعتقاد النصارى في المسيح الكليل ، مما يعزز القول بتأثير النصارى بعقيدة اليونان في التجسد ، وهو – قبل ذلك – دليل على وثنيّة هذا العقيدة ، والله أعلم .

تجسّد الآلهة في الأباطرة الرومان :

من المعلوم أنَّ الرومان كانوا يؤلهون ملوكهم ، ويعبدونهم ، ويقيّمون لهم التماشيل والمعابد الخاصة ، ومن أشهر آهتهم روميلوس مؤسس رومية الذي يدعى : (ابن الله) وأنَّه ولد من العذراء (راسيلفيا) ، ومن آهتهم أيضًا يوليوس قيصر الذي يعتقدون أنَّه ابن الله ، وأغسطس قيصر يعتقدون أنَّه إنسان وإله ، وقالوا عن الإسكندر المقدوني المولود عام ٣٥٦ ق.م أنَّه إله على الأرض ، وهذا التأليه لهؤلاء البشر مبني على أساس اعتقاد تجسّد هذه الآلهة في صورة بشرية ، وإذا كانت الدولة الرومانية هي راعية النصرانية ، فلا غرابة إذا أن تستمد النصرانية بعض عقائدها من هذه البيئة التي عاشت فيها ، وأن تقبل الدولة الرومانية ديانة النصارى بعد أن أصبحت قريبة منها في كثير من العقائد .

و قبل أن نغادر موضوع التجسد – وقد تبيّن لنا وثنيّة هذه العقيدة – فإنّا نختتم بذكر شهادتين لمحققين من النصارى بتأثير الوثنية القدّيمة في عقائد النصارى ، وهي برهان على صدق ما توصلت إليه .

^(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

^(٣) قصة الحضارة : (٣٢٧/٦) .

أولاً : تقول الكاتبة "فرنسيس يونغ" ^(١) بعد أن ذكرت بعض الفرضيات في شأن أصل القول بالتجسد : « والتأثير الجامع للأدلة أدى إلى قبول واسع لوجهة النظر القائلة أنَّ المسيحيين الجدد – الأُمَّيين – (gentile) الناطقين باليونانية هم الذين حولوا المسيح – اليهودي من فلسطين – إلى كائن إلهي متجسد ، ويقولون : طالما لا يمكن تصور مثل هذا التطور في إطار العقيدة اليهودية الموحدة لله ، فالبيئة الوثنية التلفيقية وحدها هي الأصل لعقيدة التجسد » ^(٢) .

وهذا النص يصرّح بوثنية هذه العقيدة ، ويتضمن تبرئة رسالة المسيح عليه السلام منها . ثانياً : يقول زكي شنودة « كما كان في معتقداتهم (قدماء المصريين) ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم كذلك ، فقد كانوا يعتقدون مثلاً أنَّ حورمحب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء ، وأنَّ آبيس كان يتجسد في مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله فيها » ^(٣) .

والشاهد في النص قول قدماء المصريين بتجسد الإله آبيس في مولود تلك العجلة ، وأنَّ وجود هذه العقيدة القديمة كانت سبباً في قبولهم للنصرانية ، وهي شهادة من مرجع كبير عند النصارى ، وقد حسن أن نختتم بها هذا المطلب ، وبالله التوفيق .

المطلب الثاني : عقيدة التشليث :

التشليث عند الهندو :

يوجد في الديانات الهندية عدة صور للتخلص من أشهارها :

الصورة الأولى : الثالوث المكون من : (براهما ، وفشنو ، وسيفا) ، حيث يعتقد الهندو أنَّ الله واحد مكون من هذه الأقانيم الثلاثة ، ويعتبرون هذه الأقانيم غير منفكة عن

^(١) محاضرة في دراسة الأنجليل – العهد الجديد – في جامعة برمنجهام – بريطانيا .

^(٢) أسطورة تجسد الإله ، ص: ١٦٣ .

^(٣) موسوعة تاريخ الأقباط ، ص : ٣٤ .

الوحدة ، ويسمون هذا التعليم : "ثرى موري" ، ويعني باللغة السنسكريتية : الأقانيم أو المئات الثلاث ، ويعتبرون أن كل أقنوم من هذه الثلاثة إله ، وله وظيفة محددة كما يلي :

براهمَا : الإله الخالق للكون ، والمصدر الذي انبثقت منه جميع الآلهة .

فشنو : الإله الحافظ ، حامي العالم ، والمحسد في صورة (كرشنا) .

وسيفا : الإله المهلك والمبيد، الذي لا يظهر إلا في ميادين القتال والخروب .

الصورة الثانية : وهي الموجودة عند البوذيين ، حيث يعبدون لهاً مثلث الأقانيم ، ويسمونه "فو" ، وقد ذكر العلامة دوان أنَّ « البوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون لهاً مثلث الأقانيم ، ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام ، ويقولون : فو واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال »^(١) .

وقد يكون الإله فو هو بودا المشهور عند البوذيين ، ولا أجزم بذلك ، والمقصود أنَّ صورة التثليث عند الهند والبوذيين تشبه تثليث النصارى حتى في أسماء تلك الأقانيم .

التثليث عند قدماء المصريين :

كان التثليث عند قدماء المصريين أمراً مشهوراً ، وقد انتشر في جميع أنحاء مصر حتى أصبح لكل مدينة ثالوثاً خاصاً بها ، وأصبح الثالوث محور العقيدة المصرية .

جاء في تاريخ الأمة القبطية : « وكان التثليث - تمثيل الإله بشكل ثلاثة أقانيم - محور الديانة المصرية القديمة ، فكان عندهم ثوالث لكل مدينة هامة ثالوث خاص بها »^(٢) ومع كثرة هذه الثوالث إلا أن الثالوث المسماى "ثالوث ابيدوس" كان هو أشهرها على الإطلاق وهو مكون من ثلاثة أقانيم هي :

١ - الإله أوزيريس : وهو الأقنوم الأول ، ويطلق عليه الآب ، ويعتقد المصريون : « آنَّه الإله الأكبر العظيم ، علة ولادة الأقنوم الثاني ، وخالق كل المخلوقات ، وحاكم الأزلية ، ورب الأرباب »^(٣) .

^(١) نقلًّا عن العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد التنير ، ص: ٣٨-٣٩ .

^(٢) لجنة التاريخ القبطي، ص : ٢١:٢٢ .

^(٣) نقلًّا عن الله واحد أم ثالوث ، محمد مجدي مرجان ، ص: ٦٦ .

٢ - الإله هورس أو "حورس" ، وهو الأقنوم الثاني ، ويطلق عليه الابن ، وهو - عندهم - إله النطق والكلام ، ولذا صوروه رافعاً أصبعه إلى فمه ، وشبيهه بالعجل ، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم ، تشبه عندهم بإنسان ليكون قابلاً للموت ^(٢) .

٣ - الإله ايس أو أيزيس ، وهو الأقنوم الثالث ، والاعتقاد عنها أنها ملكة السماء ، وأنها أم الأقنوم الثاني ، ورمزوا لها بصورة طائر جميل يشبه العصفور ، وعلى رأسه صوجان ورسموا بجانبه عالمة الحياة ، وهم يشيرون بذلك إلى أنها باعة الحياة للبشر ^(٣) .

هذه صورة الثالوث عند قدماء المصريين ، ومشابهته للثالوث النصراني ظاهرة ؛ فهو مشابه له في الصورة (التثليث) ، وفي صفات كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة ، والتشابه قائم حتى في الألفاظ ، كما في لفظ الآب ، والابن ، والروح أو (باعت الحياة) . وهذا التطابق بين الثنائيين يجعلنا نقطع بأنَّ النصارى قد أخذوا ثالوثهم عن المصريين ، ولم يغيروا فيه حتى الأسماء .

تعليق :

في نهاية هذا البحث والذي ثبت فيه - عن طريق المقارنة الشابه الكبير بين الديانة النصرانية والديانات الوثنية السابقة في أغلب عقائدها نصل إلى نتيجة هامة وهي أنَّ الديانات الوثنية القديمة كانت منبعاً رئيسياً غذى النصرانية بأهم العقائد ، وإذا كانت أهم هذه العقائد الوثنية تقوم على تقديس الأشخاص والنظر إليهم على أنهن آلهة ، أو أبناء للآلهة ، أو أحد أركان هذه الآلهة ، أو أنَّ روح الآلهة قد حلت فيهم ، أو أنَّها آلة تحسد في صورة بشرية ، إلى غير ذلك من الاعتقادات التي يجمعها الغلو في البشر ؛ فإنه يصح لنا إذاً أن نعتقد أنَّ هذه الوثنيات سببُ رئيس من أسباب التقديس للأشخاص عند النصارى ، لا سيما ما يتعلق بشخص المسيح الكريستوس ، وأنَّها كانت بمثابة التربة الخصبة التي نما فيها تقديس الأشخاص عند النصارى والله أعلم .

^(٢) المصدر السابق ، ص : ٦٧ ، بتصرف واختصار .

^(٣) المصدر السابق ، ص : ٦٧ .

المبحث الثاني :
دور بولس في تأسيس تقديس الأشخاص في الديانة النصرانية
وفيه مدخل ومطالب



-
- **المطلب الأول :** رحالت بولس
 - **المطلب الثاني :** تأليف الرسائل
 - **المطلب الثالث :** العقائد التي ناطق بها بولس

مدخل :

إذا كانت الديانة الصرانية قد قامت على أساس تقديس الأشخاص فإن شاءوا
اليهودي والمسمي (بولس) يتحمل الجرم الأكبر ، بل الجرم كله عن وجود هذا الغلو ؛ لأنّه



هو المؤسس الحقيقي لهذه الديانة ، وقد سبق الحديث عنه ، وبيان موقفه الحقيقي من دعوة المسيح الكليل ، وما يهمنا هنا هو تفصيل دوره في تأسيس النصرانية ونشرها إلى جميع الأمم.

المطلب الأول : رحلات بولس :

ربما كانت رحلات بولس أهم أعماله التي قام بها ؛ لأنّها قد استغرقت جل وقته ، ولأنّه كان يقوم من خلالها بالدعوة إلى أفكاره ، ويُعد الأتباع الذين يقبلون آرائه ، وفيما يلي عرض مجمل لرحلاته التي قام بها من خلال ما ورد في سفر أعمال الرسل :

١ - بداية دعوته : كان بولس كان حريصاً على تهيئة نفسه قبل أن يقوم بنشر عقائده التي اخترعها لكي يقبلها الناس ، ولا سيما لأنّها كانت مصادمة لما عليه أتباع المسيح الكليل ؛ فقد بدأ أمره بإعلان أنّه رأى المسيح الكليل ، وأنّه أوحى إليه ، وأنّه قد أصبح بذلك رسول الأمم حيث قال : « بولس رسول لا من الناس ، ولا إنسان ، بل يسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات » ^(١) . ثمّ زعم بعد ذلك أنّ له إنجيلاً خاصاً لم يأخذه من أحد من البشر ، وإنّما أوحى إليه به من قبل المسيح الكليل ليدعوه به الأمم « وأدعوكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنّه ليس بحسب إنسان لأنّي لم أقبله من عند إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح » ^(٢) . وبعد هذه التهيئة ذهب إلى العربية ^(٣) ، ثمّ رجع إلى دمشق وبدأ يدعو ويعلن « أنّ المسيح ابن الله » ، ثمّ تشاور اليهود على قتله ، فهرب إلى أورشليم بعد أن قضى في دمشق ثلاث سنوات .

٢ - زيارته الأولى لأورشليم : هذه الزيارة هي الأولى لبولس إلى أورشليم وقد رفضه التلاميذ إلا ما كان من برنابا ، حيث أخذه وجاء به إلى التلاميذ ، ولكنّه لم يقابل منهم إلا بطرس ، ويعقوب ، وكان ذلك على انفراد ، ولم يمكث في هذه المدينة إلا خمسة عشر يوماً ، حيث حاول اليهود أن يقتلوه ، فهرب إلى قيصرية ثمّ طرسوس مسقط رأسه ، وبقي فيها عشر سنوات ، حتى جاء إليه برنابا وذهبا إلى أنطاكية وبقي فيها عاماً كاماً .

^(١) الرسالة إلى أهل غلاطية : (٤١-٤٢) .

^(٢) المصدر نفسه : (١١-١٢) .

^(٣) تطلق على بلاد العرب ، والمراد بما هنا المنطقة الواقعة جنوب دمشق . انظر : العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ،

٣- زيارته الثانية لأورشليم : سعى بولس وبرنابا بجذب مجاعة كبيرة في أورشليم فجمعوا التبرعات من أنطاكيه ، ثم ذهبوا إلى مدينة القدس ، ويبدو أنه عاد بعد ذلك إلى أنطاكيه ليبدأ من هناك ما أطلق عليه الرحلات التبشيرية الكبرى .

٤- رحلته الأولى : من أنطاكيه بدأت رحلته التي توصف بـ "التبشيرية" الأولى برفقة برنابا إلى سلوكية ^(١) ، ومنها سافرا في البحر إلى قبرص حتى وصلا إلى سلاميس ^(٢) وبافوس ^(٣) في هذه الجزيرة ، ومن هناك إلى آسيا الصغرى ، ثم برجة بيكيلية ^(٤) ثم أنطاكيه بيسيدية ^(٥) ، ثم أيقونية ^(٦) لسترة ^(٧) ودربة ^(٨) ثم رجعوا من نفس الطريق حتى وصلا إلى أنطاكيه .

٥- زيارته الثالثة لأورشليم : بعد أن عاد بولس وبرنابا إلى أنطاكيه ظهرت في القدس مشكلة الختان لغير اليهود والذين يسمونهم "الأميين" فذهبوا إليها للمرة الثالثة وعقد هناك الجمع المشهور الذي أطلق عليه "مجمع أورشليم" وكان بشأن قضية الختان وانتهى إلى إقرار السماح لغير اليهود بعدم الختان ، ثم عاد بولس وبرنابا إلى أنطاكيه مرة أخرى .

٦- الرحلة الثانية : بعد العودة إلى أنطاكيه بدأت رحلة بولس الثانية ، ويظهر أنَّ الغرض من هذه الرحلة فقد المناطق التي كان قد زارها في المرة الأولى ، واقتصر برنابا في هذه الرحلة مرفقاً بمرقس ، لهما ولكن بولس رفض ذلك وحدث بينهما خلاف كبير أدى إلى رجوع برنابا ومرقس إلى قبرص وأكمل بولس رحلته ، وعندما وصل إلى تسالونيكي

^(١) تقع على ساحل البحر المتوسط على بعد ٢٦ كم غرب أنطاكيه . انظر العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ، ص: ١٥٦ .

^(٢) تقع على الساحل الشرقي لجزيرة قرص ، وكانت مقر الحكومة الرومانية . انظر : المصدر نفسه ، ص: ١٥٦ .

^(٣) تقع في الطرف الجنوبي الغربي لجزيرة قبرص ، وكانت العاصمة الرسمية لجزيرة . انظر : المصدر نفسه ، ص: ١٥٦ .

^(٤) مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط (تركيا حالياً) ، وكانت الميناء الرئيسي لمقاطعة بيكيلية وهي مقاطعة رومانية في الجزء الجنوبي من آسيا . انظر المصدر نفسه ، ص: ١٣٨، ١٥٦ .

^(٥) نسبت إلى سيدية تميزاً لها عن أنطاكيه عاصمة سورية ، وسيدية منطقة في جنوب آسيا الصغرى ، وهي جزء من المقاطعة الرومانية في غلاطية . انظر المصدر نفسه ، ص: ١٥٧ .

^(٦) مدينة تقع على بعد ١٣٠ كم تقريباً جنوب شرق أنطاكيه بيكيلية . انظر : المصدر نفسه ، ص: ١٥٩ .

^(٧) مدينة على بعد ٣٠ كم جنوب غرب أيقونة ، وكانت مستعمرة رومانية . انظر المصدر نفسه ، ص: ١٥٩ .

^(٨) مدينة تقع على بعد ٩٧ كم جنوب شرق أيقونة على الحدود الجنوبية لمقاطعة غلاطية . انظر المصدر نفسه ، ص: ١٥٩ .

ناقش اليهود في مسألة آلام المسيح ، وقيامته بين الأمم ، فثار اليهود ضده وطردوه إلى بيرية ، فاضطر إلى الهروب إلى أثينا ، ومنها ذهب إلى كورنثوس ، ثم إلى أفسس ، ومنها عاد مرة أخرى إلى أنطاكية بعد رحلة استمرت ثلاثة أعوام .

٧- الرحلة الثالثة : بعد عودة بولس إلى أنطاكية بدأ منها رحلته الكبرى الثالثة

حيث ذهب إلى كل من غلاطية ثم فريجية ، ومكث فيها ثلات سنوات ثم أفسس ثم تركها وذهب إلى مقدونية ^(١) ، ثم اليونان ، ثم سار إلى فيليبي واستمر في طريقه إلى أورشليم ، وفيها أُهتم بتداينيس الهيكل ، فحاول اليهود قتله ولكن تدخلت السلطات الرومانية وأرسلت إلى قيصرية حيث حبس فيها لمدة ستين ، ثم نقل إلى رومية وبقي فيها عامين ثم قتل — بعد محاكمة — في عهد نيرون .

تحليل ومناقشة :

بعد هذا العرض الموجز عن رحلات بولس — بحسب ما جاء في سفر أعمال الرسل

— تتضح لنا الأمور التالية :

١- القول بأنَّ بربابا هو الذي أدخله على التلاميذ مع رفضهم له ، وأنَّه رافقه في رحلاته غير مسلم ؛ لأنَّ بربابا له إنجيل رفض فيه كل مزاعم بولس ، ولأنَّه لا وجه لرعايته بولس مع رفض جميع التلاميذ له ، وجميعهم على رأي واحد ، والقول بأنَّ هؤلاء تلاميذ المسيح العظيم مع نقلهم لآراء بولس الكفرية أمر لا يمكن التسليم به .

٢- أنَّ بولس قد أعلن من بداية دعوته استقلاله التام عن أتباع المسيح العظيم بعد أن أعلن أن له وحِيَا ، ورسالة ، وأنجِيلًا ، بل وأمَا أخرى ، غير اليهود ، وهم الأئمَّة ، وكفى بهذا دليلاً على استقلال النصرانية عن رسالة المسيح العظيم .

٣- أنَّ بولس في كل جولة يقوم بها يجد مقاومة عنيفة من قبل اليهود تصل إلى محاولة قتله ، وأنَّه كان يلوذ بالفرار من كل محاولة ، وهذا يدل دلالة واضحة أنَّ ما يدعوه إليه كان مخالفًا لما كان عليه اليهود سواء كانوا قد آمنوا بما جاء به المسيح أو أنهم بقوا على شريعة التوراة التي جاء بها موسى العظيم .

^(١) مقاطعة رومانية يفصلها عن مقاطعة آسيا بحر إيجي ، وهي الآن في النصف الشمالي من اليونان . انظر المصدر

٤ - هذه الرحلات كانت من أجل نشر الأفكار والعقائد التي يؤمن بها بولس ، وإن كان أثره محدوداً إلا أنه قد تحقق له بعض مما يدعو إليه .

المطلب الثاني : تأليف الرسائل

تعد رسائل بولس المرجع الأول في شرح العقائد التي دعا إليها ، وهي تشكل أغلب الجانب التعليمي من العهد الجديد ، ولها قيمة تاريخية كبيرة عند النصارى باعتبار أنها أول الآثار التي دونت للنصارى - كما يرى الكثير منهم - ، وبناء على ذلك ؛ فإنَّ بولس أول من كتب في النصرانية ، ورسائله أول ما تم قبوله لدى الكنيسة من كتب العهد الجديد ، فقد دونت قبل الأنجليل وقبل سفر الأعمال .

وهذه الرسائل موجهة إلى الكنائس التي أنشأها في أثناء رحلاته ، وبعضها إلى تلاميذه ، ويبلغ أربع رسائل ، ويناقش بولس فيها الخلافات بين أتباعه ، أو الخلاف الذي يحدث حول العقائد التي يدعو إليها ، وسوف تتحدث عن هذه الرسائل بحسب ترتيبها الحالي في العهد الجديد ، بشيء من الإيجاز لنخرج بفكرة موجزة عن أهم ما تضمنته .

١ - الرسالة لأهل رومية : تحتوي على ستة عشر إصحاحاً ، وتعد من أهم الرسائل من جهة بيان عقيدة بولس ، ولذلك تناولها كبار الشراع من النصارى بالشرح من أمثال أوريجانيس ، ويوحنا الذهبي الفم ، وتيودو ريطس ، وغيرهم ، وتتحدث عن مسائل ما يسمى عندهم بالтирير ، والخلاص ، وشريعة موسى ، والإيمان ، والقيمة النبوية لشخص ابراهيم عليه السلام ، ومن أهم آرائه في هذه الرسالة - وهو الموضوع الرئيس لها - أنَّ الخلاص من الخطيئة لا يكون بالإيمان بشرعية موسى عليه السلام التي تسمى (الناموس) ، وإنما بالإيمان بأنَّ المسيح عليه السلام هو رب « لأنَّه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرأ أمامه لأن بالناموس معرفة الخطيئة ، وأما الآن فقد ظهر رب الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء ، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون ٠٠٠ »^(١) .

٢ - الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس : تبلغ ستة عشر إصحاحاً ، وقد كتبها بولس عندما طلب منه أهل كورنثوس التدخل لحل المشكلات بين أتباعه ، عندما أثيرت بعض

^(١) الرسالة إلى أهل رومية : (٢٠-٢٣) .

القضايا المتعلقة بحكم الزنى ، والتقاضي لدى المحاكم الوثنية ، ومسألة اللحم المذبوح للأوثان هل يجوز أكله أم لا؟ وعقيدة قيمة الأموات ، وغيرها ، فأصحابهم بولس بتلك الرسالة ٠

٣- **الرسالة الثانية إلى أهل كورنثس** : يبلغ عدد إصلاحات هذه الرسالة ثلاثة عشر إصلاحاً ، وسبب تأليفها استمرار الخلافات بين أتباعه ، ولذلك تحدث فيها بولس عن علاقته بهذه الجماعة ، وتوصيته بجمع التبرعات من أجل أهل أورشليم ، ودفاعه عن نفسه أمام التهم الموجهة إليه ؛ وأسلوبها يتسم بالجدل مع خصومه ، ويتميز بالحدة ٠

٤- **الرسالة إلى أهل غلاطية** : تبلغ ستة إصلاحات فقط ، وهي موجهة إلى الكنائس في غلاطية ، وفيها يخاطب بولس الذين ارتدوا عن دعوته - بزعمه - ، ومن أهم موضوعاتها التأكيد أنَّ الخلاص لا يكون بالإيمان بشرعية الناموس وإنما بالإيمان بال المسيح (الرب في اعتقادهم) فقط ، وفيها يهاجم بولس المتمسكون بشرعية الناموس ٠

٥- **الرسالة إلى أهل أفسس** : تبلغ ستة إصلاحات فقط وموضوعها الرئيس - كما يزعم كاتبها - الحديث عن السر الذي قضاه الله - تعالى - منذ الأزل ، وبقي محجوباً في القرون الماضية ، وتحقق في المسيح ، وكشف لبولس ، وبحلول في الكنيسة ، ويقصد به - كما يظهر من الرسالة - الطريقة التي يوجه بها الله التاريخ إلى تمامه ^(١) ، وتتحدث الرسالة عن موضوعين أساسين ، الأول : الحديث عن الكنيسة بما في ذلك التحول العظيم الذي حدث في عهد المسيح (بزعمه) ، والثانى : هو إرشاده لمن يسمى (بالمعلمدين) ، وفيها دعوة بولس إلى وحدة الجماعة مع الحديث عن بعض الطقوس التي تؤدي في الكنيسة ٠

٦- **الرسالة إلى أهل فيليبي** : تبلغ أربعة إصلاحات فقط ، وتنسب إلى مدينة فيليبي التي زارها بولس في أثناء رحلته الثانية ، وفيها و تعرض فيها لمعاملة سيئة ؛ حيث سُجن ثم اضطر إلى مغادرة المدينة ، وترك فيها جماعة معظمهم من أصل وثني ، وكتب هذه الرسالة في سجنه ووجهها هو وتلميذه تيموثاوس إلى أهل فيليبي ، وذكر فيها ما حرى له من الاعتقال والسجن ، وحث أتباعه على الدعوة إلى الإنجيل الذي بشرهم به ٠

٧- **الرسالة إلى أهل قولسي** : تبلغ أربعة إصلاحات ، وتتضمن ذكر ما يسمى بالخدمة الرسولية ، ثم التحذير - وهو سبب كتابة الرسالة - من الأمر الذي يهدد الكنيسة

^(١) الرسالة إلى أهل أفسس : (١٠/١) ، النسخة المشروحة لما يسمى بالكتاب المقدس ، الفقرة الثامنة .



بالخطر ، وهو ما ينادي به معلمون من أهل البدع – بحسب اعتقاد بولس – من تعاليم وأحكام ، ثم توصيات تتناول العلاقة مع الآخرين ، ووصف الحياة العائلية ، والاجتماعية .

٨- الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي : تسالونيكي عاصمة إقليم مقدونية الروماني ، وقد زارها بولس في رحلته الثانية ، وكتب لأهلها هذه الرسالة البالغة خمسة عشر إصحاحاً وتحتوى على قبول دعوته ، ثم إرساله تلميذه تيموثاوس إلى هذه المدينة ، وعودته بالأخبار التي سررت بولس ، ومن أهم ما جاء فيها عقيدة المسيح المنتظر ، وهي أنَّ الرب "يسوع" سيترى من السماء ، ويقوم الذين ماتوا ومعهم من بقى من الأحياء ثم يُخطفون في الغمام للاقامة المسيح في الجو فيكونوا مع الرب .

٩- الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي : وهي أصغر الرسائل ، حيث تبلغ ثلاثة إصحاحات فقط ، وفيها يظهر افتخار بولس باتباعه من أهل تسالونيكي ، وحثّهم على الثبات على ما هم عليه ، ثم الإخبار بالأمور التي تسبق نزول المسيح ، مثل حدوث الردة ، وظهور الإلحاد على يد المسيح الدجال ، ثم حثّ أتباعه على الثبات ، وتحتتم بالحث على العمل وترك البطالة .

الرسائل من العاشرة حتى الثالثة عشر (الرعوية) : سميت هذه الرسائل بالرعوية لأنَّها موجهة إلى رعاة الكنائس ، وهم تلاميذ بولس ، وعددتها أربع ، وهي الرسالة الأولى والثانية إلى تلميذه تيموثاوس ، والرسالة إلى تلميذه تيطس ، والرابعة رسالته إلى تلميذه فيلمنون ، وهذه الرسائل متشابهة في مضمونها ، ولا تكاد تخرج عن طابع الوصية للتلاميذه ، وتدور حول تنظيم شؤون الكنيسة ، والأعمال التي تؤدي داخلها ، وكذلك التزام الأفكار التي دعا إليها بولس ، كما تتضمن الوصايا بعض الآداب المختلفة .

١٤- الرسالة إلى العبرانيين : وتبعد ثلاثة عشر إصحاحاً ، وموضوعها الرئيس هو شخصية المسيح العليل – كما يراها بولس – وأنَّه ابن الذي يجلس عن يمين الرب بعدما قام بعملية الفداء ، وهو عظيم الكهنة الذي مات فداء للبشر .

المطلب الثالث : العقائد والأفكار التي نادى بها بولس :

أولاً : العقائد التي دعا إليها بولس :

عقيدة الخلاص :

هذه العقيدة هي الأساس الذي قامت عليه جميع العقائد الأخرى عند بولس ، وهي التي غلت على تفكيره ، ففاضت بها رسائله ، وهي مبنية على عقيدة الخطيئة الجديّة ، والمصود هنا إثبات أنَّ بولس هو مبتدعها .

ويعرف الأب بولس إلياس الخوري بأنَّ عقيدة الخلاص هي من ابتداع بولس فيقول: « وما لاريب فيه أنَّ الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فغير عنها في رسائله بأساليب مختلفة ، هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عياراتهم فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا » ^(١) .

ويقرر بولس هذه العقيدة بقوله : « ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس للنناول التبني » ^(٢) ، « ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لينقذنا من العالم الشرير حسب إرادة الله وأبيينا » ^(٣) .

ومن هذين النصين يتضح لنا أنَّ بولس يجعل المدف من إرسال عيسى عليه السلام هو تخلص البشر من الإثم الذي لحق بهم بسبب خطيئة أبيهم آدم – بزعمه تتناقض أيضاً مع الغرض الحقيقي من إرسال عيسى عليه السلام ، وهو هداية بين إسرائيل ، وبذلك تتضح المفارقة بين الغاية الحقيقية من إرسال عيسى عليه السلام ، وبين الغاية التي يقررها بولس في رسائله ، ولذلك نجد أنَّ بولس يبتدع أموراً أخرى لكي تكتمل عنده صورة المخلص ومنها :

بنوة المسيح لله : تشغل هذه العقيدة أهمية كبيرة في فكر بولس ؛ فهو يجعل بنوة المسيح موضوع دعوته ، التي تضمنها إنجيله الذي يكرز به في المحاجع كما جاء في رسائله : « لأنَّ ابن الله يسوع المسيح الذي كرز به بينكم بواسطتنا » ^(٤) .

^(١) نقل عن المسيحية ، احمد شلي ص: ١٧٢ .

^(٢) الرسالة إلى أهل غلاطية : (٤/٦-٧) .

^(٣) المصدر نفسه : (١/٣-٤) .

^(٤) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس : (٩/٢٠) .

بل جعل بولس الإيمان بأنَّ المسيح ابن الله هو أساس الإيمان : « إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ بَلْ بِإِيمَانٍ يُسَوِّعُ الْمَسِيحَ » ^(٢) .

ولذلك كان أول ما دعا إليه بولس في الجامع هو أنَّ المسيح الْمَسِيحَ الْمَكَلُوبَ ابن الله ، كما جاء في سفر أعمال الرسل : « وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرَزُ فِي الْجَامِعِ بِالْمَسِيحِ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ » ^(٣) وأشير هنا إلى أمرين :

الأول : أنَّ بولس وهو يصف المسيح الْمَسِيحَ الْمَكَلُوبَ بأنه ابن الله يتحدث عن عنصر إلهي أزلي الوجود ، كما صرَحَ هو بذلك ، حيث يقول : « شَاكِرِينَ الْآبَ الَّذِي أَهْلَنَا لِشَرَكَةِ مِيرَاثِ الْقَدِيسِينَ فِي النُّورِ الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلْكُوتِ ابْنِ مُحَبِّتِهِ الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفَدَاءِ بِدَمِهِ غَفْرَانُ الْخَطَايَا الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرُ الْمَنْظُورِ بَكْرٌ كُلُّ خَلِيقَةٍ فَإِنَّ فِيهِ خَلْقَ الْكُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مَا يَرَى وَمَا لَا يَرَى ، الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خَلَقَ الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ ، وَهُوَ رَأْسُ جَسَدِ الْكَنِيَّةِ الَّذِي هُوَ الْبَدَاعَةُ بَكْرٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ لَكِي يَكُونَ هُوَ مَتَقْدِمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ » ^(٤) .

وهذا النص من أجمع النصوص في بيان اعتقاد بولس في المسيح الْمَسِيحَ الْمَكَلُوبَ ؛ فهو قد منحه كل صفات الألوهية ، وجعله شريكاً مع الله تعالى مع الإكثار من وصفه بالربوبية ، فيقول مثلاً : « لَكُنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ ، وَرَبُّ وَاحِدٍ يُسَوِّعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ » ^(٥) .

ونحن إذا حملنا هذا النص على ظاهره نرى أنَّ بولس يجعل الرب واحداً ، وهو الذي ينسب إليه جميع الأشياء وهذا الرب - عنده - ليس إلا عيسى ابن مریم الْمَسِيحَ الْمَكَلُوبَ .

الأمر الثاني : أنَّ بولس يحرص دائماً على ربط هذه العقيدة بالعقيدة الأساسية التي شغلت فكره ، وهي عقيدة الخلاص ، وما يدل على ذلك : « لَا تَأْنَهُ يَوْجُدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيلَةٌ

^(٢) الرسالة إلى أهل غلاطية : (٢/٦) .

^(٣) أعمال الرسل : (٩/٢٠) .

^(٤) الرسالة إلى كولوسي : (١/١٢ - ١٩) .

^(٥) الرسالة إلى أهل كورنثوس : (٨/٦) .

واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع ^(١) ، ويقول في نص أكثر صراحة : « ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي » ^(٢) . وهنا نجد أنَّ بولس أطلق على المسيح ابن الله ؛ لأنَّه المخلص للبشرية من الآثام .

عقيدة التجسد :

قرر بولس في الرسائل المنسوبة إليه عقيدة التجسد ، حيث جاء في خطابه للميذه تيموثاوس: « عظيم هو سر التقوى : الله ظهر في الجسد تبرر في الروح » ^(٣) . وهو يربط عقيدة التجسد بعقيدة الخلاص ربطاً وثيقاً حيث يقول : « الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله أ洁ى نفسه آخذًا صورة عبد صائر في شبه الناس ، وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ، لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسمًا فوق كل اسم ، لكي تخلوا باسم يسوع كل ركبة من في السماء ومن على الأرض ، وتحت الأرض ، ويعرف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب بحد الله الآب » ^(٤) .

وهكذا نجد أنَّ بولس يربط بين بنوة المسيح الكليل وكونه الرب و يجعل ذلك لأجل خلاص البشرية من الخطايا .

الصلب والفداء :

وهذه الحادثة وإن وقعت تاريخياً على غير عيسى الكليل ، من قبل اليهود ، وهي من أشد ما كان ينقم به النصارى عليهم إلا أنَّ بولس قد قام بدور خطير تجاهها ، وهو فلسفتها وتبريرها وفقاً لما يخدم عقيدته الأساسية ، وهي عقيدة الخلاص ، فقد سخر هذه الحادثة وجعلها الغرض من إرسال عيسى الكليل ، والوسيلة الوحيدة لتحقيق الخلاص الذي جاء المسيح الكليل من أجله ، ومن أقواله : « ولكنَّ الله يبين محبته لنا لأنَّه ونحن بعد خطأ

^(١) الرسالة إلى تيموثاوس : (٦/٢) .

^(٢) الرسالة إلى أهل غلاطية : (٢٠/٢) .

^(٣) الرسالة إلى تيموثاوس : (٣/١٦) .

^(٤) المصدر نفسه : (٣-١١) .

مات المسيح لأجلنا^(١) ، « هو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام »^(٢) : « الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا »^(٣) .

القيامة من بين الأموات :

لم تكتمل عقيدة الخلاص عند بولس ، بالاعتقاد بصلب المسيح الغَلَبَةُ ، ولم تكن هذه العقيدة مكتملة بهذه الصورة ؟ لأنّه ليس من المقبول أن تكون نهاية الإله المخلص هي الموت فحسب ، ويبدو أنّ بولس أدرك هذا الخلل فاخترع عقيدة أخرى ، وهي عقيدة القيامة من الأموات ، ثمّ أكملها باعتقاد أنّ المسيح الغَلَبَةُ بعدما قام من بين الأموات صعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وأنّه سيتولى الحساب يوم الدينونة ورأى أنّه بذلك قد اكتملت له صورة الإله .

وعقيدة القيامة يقررها بولس كما يلي : « نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أسلم من أجل خططيانا وأقيم لأجل تبريرنا »^(٤) ، ويقول أيضاً : « إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا ، وباطل أيضاً إيمانكم »^(٥) .

ونجد في هذين النصين ربط عقيدة القيامة بعقيدة الخلاص ، وعقيدة ألوهية المسيح الغَلَبَةُ ، لأنّه لا يعقل أن يكون إلهًا ثمّ يموت ولا يقوم من الأموات ، ونلاحظ أنّه يجعل الإيمان بهذه العقيدة أساساً (كرازته) ، وأنّه بدون الإيمان بها يبطل الإيمان من أصله .

محاسبة الناس يوم القيمة :

كانت آخر عقائد بولس المتممة لنظرية الخلاص ، هي أنّ المسيح الغَلَبَةُ – وهو الإله الابن في نظره – هو الذي سيتولى الحساب يوم القيمة ، ومن أقواله في ذلك : « أقام الله المسيح من الأموات ، وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وأخضع كل شيء تحت قدميه »^(٦) ، وفي نص أصرح من ذلك يقول : « لابد

^(١) الرسالة إلى أهل رومية : (٨/٥).

^(٢) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس : (١٥/٥).

^(٣) الرسالة إلى أفسس : (٧/١) الرسالة إلى كولوسي : (١/١٤).

^(٤) الرسالة إلى رومية : (٤/٤-٢٤).

^(٥) الرسالة إلى كورنثوس : (١٥/١٤).

^(٦) الرسالة إلى أهل أفسس : (١/٢٢).

أننا جمِيعاً نظَرُهُ أَمامَ كرسيِّ المَسِيحِ لِيُنالَ كُلُّ مَا كَانَ بِالجَسْدِ بحسبِ مَا صُنِعَ خَيْراً
كَانَ أَوْ شَرًّا »^(١) ، وَجَاءَ فِي الإنجيلِ المنسوبِ إِلَيْ يُوحَنَّا اخْتِصَاصُ المَسِيحِ الْعَلِيِّ دُونَ
اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « الْأَبُ لَا يَدِينُ أَحَدًا بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ
الْدِينُونَ لِلْابْنِ »^(٢) .

وَعِقِيدَةُ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُبَنِيةٌ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ الْعَلِيِّ هُوَ إِلَهُ الْابْنِ ، وَلِذَلِكَ تُولِي
هَذِهِ الْمَهمَةُ .

التثليث :

لَمْ تَسْتَقِرْ عِقِيدَةُ التثليثِ بِصَفَةِ رَسِيمَةٍ إِلَّا فِي أَوْآخِرِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ ، وَلَمْ أَجِدْ نَصًا
صَرِيقًاً عَنْ بُولِسِ فِي هَذِهِ الْعِقِيدَةِ ، وَلَكِنْ جُذُورُهَا تَعُودُ إِلَيْهِ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونُ هُوَ
وَاضِعُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، أَوْ إِنَّ أَقْوَالَهُ كَانَتْ الْأَرْضُ الَّتِي نَبَتَ فِيهَا ، وَقَدْ وَجَدْتُ نَصًاً قَدْ
يَكُونُ عِنْدَهُمْ بِمَثَابَةِ الْأَصْلِ لِهَذِهِ الْعِقِيدَةِ عِنْدَهُ ، حِيثُ يَقُولُ : « نَعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعُ ، وَمَحْبَةُ
اللهِ ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقَدِيسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ »^(٣) .

ثَانِيًّا : إِلَغَاءُ الشَّرِيعَةِ :

لَمْ يَقْتَصِرْ دُورُ بُولِسِ عَلَى ابْتِداَعِ الْعَقَائِدِ الْجَدِيدَةِ ، بَلْ قَامَ بِدُورٍ آخَرَ يَتَمَثَّلُ فِي إِلَغَاءِ
الشَّرِيعَةِ الَّتِي كَانَ مَعْمُولاًً بِهَا عِنْدَ الْيَهُودِ ، وَذَلِكَ مِنْ خَلَالِ :

١ - مُحاولةُ نَفْضِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَصْلِهَا :

لَقَدْ دَعَا بُولِسُ مِنْ خَلَالِ رسائلِهِ إِلَى التَّحْرُرِ مِنْ شَرِيعَةِ النَّامُوسِ فَقَالَ : « وَأَمَّا الْآنُ
فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنْ النَّامُوسِ إِذْ مَاتَ الْذِي كَنَا مُسْكِنِي بِهِ »^(٤) .

ثُمَّ تَدْرَجَ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى اعْتَبَرَ النَّامُوسَ لَعْنَةً جَاءَ الْمَسِيحُ الْعَلِيِّ لِيَخْلُصَ مِنْهَا : «
الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا »^(٥) ، وَهُوَ مَعَ هَذِهِ الدُّعَوةِ إِلَى التَّحْرُرِ
مِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَصْلِهَا ، فَقَدْ حَاوَلَ إِلَغَاءَ كَثِيرٍ مِنَ الشَّرَائِعِ وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ :

^(١) يُوحَنَّا : (٥/٢٢) .

^(٢) المَصْدُرُ نَفْسُهُ : (٥/٢٢) .

^(٣) الرَّسَالَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ : (١٣/١٤) .

^(٤) الرَّسَالَةُ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةَ : (٧/٦) .

^(٥) الرَّسَالَةُ إِلَى أَهْلِ غَلاطِيَّةَ (٣/١٣) .

(أ) إلغاء شريعة الختان:

كان اليهود المتبعون لشريعة موسى العليّة يختنون ، وسموا لأجل ذلك « أهل الختان » وسموا غيرهم أهل الغرلة، وكانت أول مشكلة في موضوع الختان عندما دخل بعض الوثنيين في النصرانية ، وكانوا غير مختنون ، فانعقد مجتمع القدس لمناقشة هذا الموضوع وانتهى بإعفاء الأميين من هذه الشريعة ، ثم جاءت رسائل بولس بعد ذلك لتقرر ذلك ، ومن أقواله : « ها أنا بولس أقول لكم إنّه إن اختنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً »^(١) .

وقام بولس بتأويل معنى الختان بأنّه ليس الختان المعروف وإنما هو الإيمان ، وهو الذي ينفع « ما نفع الختان لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان »^(٢) ثم نجده بعد ذلك يقول معنى الختان تماماً ، فيجعله بالروح فقط : « وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان »^(٣) .

(ب) تحليل سائر الأطعمة المحرمة :

جاء بولس ليحل كل ما كان محظياً في التوراة ، بل ذهب إلى أنَّ الطهارة والنجاسة لا تتعلق بذوات الأشياء ، وإنما هي بحسب نظرية الأشخاص إليها وعند ذلك « لم يبق شيءٌ بحسب ذاته إلا من يحسب شيئاً بحسب فهو له بحسب»^(٤) ثم يؤكّد بأنَّ المؤمنين (بالنصرانية) قد أصبح كل شيءٍ ظاهراً بالنسبة إليهم « كل شيءٍ ظاهر بالنسبة للطاهرين ، وأما النجسون وغير المؤمنين فليس شيءٌ ظاهر ، بل قد تنحس ذهنهم أيضاً وضميرهم »^(٥) . وهكذا يتدرج بولس حتى يعلن أنَّ كل شيءٍ قد أصبح حلاً له « كل الأشياء تحل لي ، لكن ليس كل الأشياء توافق ، كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط على شيءٍ ، الأطعمة للجوف ، والجوف للأطعمة والله سيبيدها وتلك »^(٦) .

^(١) المصدر السابق : (٥/٢) .

^(٢) الرسالة إلى أهل رومية : (٣/٣٠) .

^(٣) الرسالة الثانية إلى أهل رومية : (٢/٢٥-٢٩) .

^(٤) الرسالة إلى أهل رومية ١٤/١٤

^(٥) الرسالة إلى أهل تيطس ١/١٥

^(٦) الرسالة إلى أهل كورنثوس : (٦/١٢، ١٣) .



ويفهم من هذه النصوص أنَّ ما كان محرماً في التوراة قد أصبح حلالاً عند بولس
ويدخل في ذلك لحم الخنزير والخمر ، وغيره من المحرمات المعلومة .
ثالثاً : إدعاء عالمية الرسالة .

كانت رسالة المسيح خاصة ببني إسرائيل ، ولكنَّ بولس خرج بنصرانيه عن هذه الفئة
الخاصة ليبشر بدينه الجديد كلَّ الأمم فنجده يقول : « يسوع المسيح ربنا الذي به لأجل
اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم »^(١) ، « إني مديون لليونانيين والبرابرة
، للحكماء والجهلاء »^(٢) ، « لأنَّكم جيئاً أبناء الله بالإيمان باليسوع لأنَّ كلَّكم
الذين اعتمدتم باليسوع قد لبستم المسيح ، ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبد ولا حر ،
ليس ذكر ولا أنثى ، لأنَّكم جيئاً واحد في المسيح يسوع »^(٣) ، ولم يقف الحد عند ذلك ،
بل أدعى بولس أنَّه صاحب الحق في إخراج هذه الدعوة إلى خارج النطاق الذي رسمه لها
المسيح الكليل حيث يقول « لي أنا أصغر القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم
بغنى المسيح الذي لا يستقصى »^(٤) ، وقد طبق عملياً هذا المبدأ ، فخرج يدعو إلى النصرانية
خارج فلسطين ، وأماماً رحلاته المسماه عند النصارى بالتبشيرية ، فقد كانت كلها خارج
فلسطين ولغير اليهود .

ونخلص من العرض بأنَّ دور بولس تركز في أمرتين :
الأول : التأسيس للنصرانية ، ويتمثل في تأليف الرسائل التي تتضمن ما دعا إليه .
والثاني : نشر النصرانية ، من خلال ادعاء عالميتها ، ثم من خلال رحلاته التي خرج
بها إلى غير اليهود من جميع الأمم ، وبذلك يتبيَّن أثر بولس في تأسيس العقائد الغالية في
المسيح الكليل .

^(١) الرسالة إلى أهل رومية : (١/٤-٥).

^(٢) المصدر نفسه : (١/٤).

^(٣) الرسالة إلى أهل غلاطية / ٣ - ٢٦ / ٢٨.

^(٤) الرسالة إلى أفسس : ٣ / ٨.

المبحث الثالث

دور المجامع الكنسائية في تقدیس الأشخاص

وفيه ثلاثة مطاب

- **المطلب الأول** : تعريف المجامع الكنسائية
- **المطلب الثاني** : أثر مجتمع نيقية والقدسية في تقدیس
الأشخاص
- **المطلب الثالث** : نقط المجامع الكنسائية | جمالاً



المطلب الأول : تعريف المجامع النصرانية :

المجامع جمع مجمع ، والجمع - بحسب تعريف النصارى : « اجتماع رؤساء الكنيسة ، بحسب الأصول والقوانين لحاجة في الكنيسة تقتضيها الظروف ، يتدارس فيها أولئك الرعاة الموضوع المطروح عليهم ويأخذون القرار الضروري وينفذونه إلى جميع المسيحيين الذين يرعونهم » ^(١) .

وتتنوع هذه المجامع بحسب الفئة المجتمعة ، ولكنها لا تخرج عن ثلاثة أنواع :

- ١ - مجامع عامة : وتسمى "المسكونية" ، وتحجّم رؤساء الكنائس في كل العالم .
- ٢ - مجامع طائفية : وهي التي تختص بطائفة ، أو مذهب معين .
- ٣ - مجامع إقليمية : وهي التي تختص بإقليم أو مكان ما .

ويعود تاريخ المجامع النصرانية إلى بداية النصف الثاني من القرن الميلادي الأول ، حيث يذكر النصارى أنَّ أول المجامع النصرانية هو المجمع الذي عقد في أورشليم برئاسة يعقوب اين حلفاً أسقف أورشليم استناداً إلى ما جاء في سفر أعمال الرسل ^(٢) .

وأمامَ الأساس الذي يعتمد عليه النصارى في إقامة هذه المجامع ، ويستدلون به على شرعيتها ؟ فهو ما نسبوه إلى المسيح عليه السلام ^{أنَّه قال} : « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » ^(٣) .

وأمامَ أسباب انعقادها، فتعود إلى حل الخلافات التي تحدث بين النصارى ، ولاسيما في مسائل الإيمان ، وقد تكون أيضاً لتنظيم شؤون الكنيسة ، وسن القوانين التي تحقق ذلك ، ويرجع القمص كيرلس الأنطوني أسباب انعقاد المجامع إلى خمسة أمور هي :

- ١ - بحث المسائل المتعلقة .
- ٢ - وضع النظم والقوانين الالزمة لسياسة الكنيسة .
- ٣ - حل المشاكل العامة التي تعرّض الكنيسة .
- ٤ - فض المنازعات والخصومات بين الأكليروس أو بين الشعب أو بين كليهما .

^(١) مدخل إلى المجامع المسكونية للأبون ميشيل أبرص وأنطوان عرب ، ص: ٢٠ .

^(٢) أعمال الرسل : (٢٠/١) .

^(٣) محق : (٢٠/١٨) .

٥ - محاكمة رجال الأكليروس إذا صدر منهم ما ينافي الإيمان القويم أو يخالف ما تقرره البيعة من قوانين ^(١).

وهذه الأسباب التي ذكرها كيرلس تعود إلى سببين رئيسيين هما :

الأول: حل الخلافات العقدية ، والثاني : تنظيم شؤون الكنيسة .

وقد كانت هذه الجامع مكانية في بداية الأمر واستمرت كذلك حتى عهد قسطنطين الذي أظهر اعتماده للنصرانية ، ثم أُعلن الدين النصرانية ديانة رسمية للدولة ، وعقد أول مجمع مسكوني ، وهو مجمع نيقية ، ثم أصبحت هذه الجامع تعقد بطلب من الامبراطور في الغالب ، وذلك بحسب ما يستجد من الأمور بالنسبة للكنيسة .

أهمية هذه الجامع لدى النصارى :

تشكل هذه الجامع أهمية كبيرة لدى النصارى ، حيث أصبحت أهم المصادر للعقائد النصرانية ، بدليل أنَّ أغلب العقائد التي عليها النصارى اليوم قد أخذت صفتها الرسمية من هذه الجامع ، ولو لم يوجد لها أي سند من مصادر آخر من كتبهم ، ولذلك يصفها النصارى بالمقدسة ، لأنَّهم يعتقدون أنَّ الأساقفة الذين يجتمعون يمثلون من يسمى عندهم بالرسل ، وأنَّ الروح القدس هو الذي يقود النقاش فيما بينهم ، وبناء على ذلك ؟ فإنَّ قرارات هذه الجامع مستوحاة من الروح القدس ، ولذلك درجوا على القول في نهاية كل مجمع : « لقد حسن لدى الروح القدس ولدينا ٠٠٠ » ^(٢) .

المطلب الثاني : أثر مجمع نيقية والقسطنطينية على تقدس الأشخاص

أولاً : مجمع نيقية :

أسباب انعقاد المجمع وزمنه ومكانه :

في كنيسة الإسكندرية ظهر خلاف حول طبيعة المسيح الْكَلِيلُ ، بدأ في عام ٣١٣ م ، ونشأ بين كلٍ من السكندر بطرييرك الإسكندرية وآريوس أحد كهنة الإسكندرية وخلاصة هذا الخلاف أنَّ السكندر يرى أنَّ الكلمة ابن الله مساوٍ للأب ، وأنَ له طبيعة واحدة ، أمَّا آريوس فقد اعتبر هذا التعليم هرطقة وليس من تعليم الإنجليل ، وكان رأيه في الأب والابن

^(١) عصر المجمع : (٣٠-٢٧) ، باختصار .

^(٢) مدخل إلى المجمع المسكونية ، الأبوان ميشال أبرص وأنطوان عرب ، ص: ٢٢ .

يتلخص في أنَّ الله هو الإله الواحد والأزلي الموجود بذاته وأنَّ المسيح ﷺ مخلوق مثل كلِّ الخلق ، وليس أزلِياً ، وليس من جوهر الآب ، فقد خرج من العدم بحسب مشيئة الله ، وأنَّه متغير وليس ثابتاً ، ومعرفته بالله محدودة وليس مطلقة ، ولا يستطيع أن يعلم الآب بطريقه كاملة ، وأنَّه ليس إلهًا ، ولا يملك الصفات الإلهية المطلقة ، وبناءً عليه ؛ فهو ليس إلهًا بذاته ولكنه ارتقى هذه الدرجة عن طريق رفع الله الآب له^(١) .

وقد اشتد التراع بينهما ، وعقدت من أجل ذلك مجتمع عدة لكنها فشلت في تحقيق اتفاق بينهما حتى وصل الخبر إلى قسطنطين الذي هاله هذا الخلاف الذي يشكل خطراً على إمبراطوريته ، فأرسل أحد مستشاريه وهو هوسيوس^(٢) إلى مصر لحل التراع ولكنه وجد أنَّ التراع قد اشتد فلم يصح إليه كلاً الطرفان فعزم قسطنطين على عقد مجمع للأساقفة لتقرير التعليم الصحيح .

الإعداد للمجمع :

عقد قسطنطين مجلساً من الأساقفة عام ٣٢٥م ، في نيقية حضره عدد لا يقل عن ٣١٨ أسقفاً ، وحشد كبير من رجال الدين الذين هم أقل منهم درجة ، وبلغ عددهم ألفين وثمانٍ وأربعين شخصاً ، واجتمع المجلس في أحد قصور الإمبراطور ، وكان برئاسة قسطنطين نفسه ، وافتتح المناقشة بدعاوة موجزة وجهها إلى الأساقفة طلب إليهم فيها أن يعيدوا إلى الكنيسة وحدتها ، ثم بدأ جلسات المجمع التي حضر قسطنطين أكثرها واستمرت مدة تربوا على الشهرين^(٣) ، ولما رأى الإمبراطور استمرار الخلاف رأى أن بعض هؤلاء متفقون في الرأي وقدر عددهم بثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً عقد لهم مجلساً خاصاً عظيماً ، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيه فدفعه إليهم وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على ملكي لنصنعوا فيها ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين ، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذب عنه ووضعوا له أربعين كتاباً

^(١) تاريخ الفكر المسيحي، د. القس حنا الخضري، ص: ٦٣٥-٦٧٤ ، قصة الحضارة، ول ديوانت: (٣٩٢/١١) ، مختصر تاريخ الكنيسة، أندرولر، ص: ١٥ (الحاشية)، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الآب جان كمي، ص: ١١٨ .

^(٢) هو أسقف قرطبة ومستشار قسطنطين في المسائل الدينية ، وكان أحد مثلي الغرب في مجمع نيقية . انظر : تاريخ الكنيسة المفصل ، مجموعة من المؤلفين : (١٧٢/١) .

^(٣) انظر قصة الحضارة ، ول ديوانت : (١١/٣٩٤) ولتفصيل ذلك انظر : حياة قسطنطين ، يوسايوس ، ص: ٢٢٣ .

في السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعلمها ويعمل بها ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا بها ، ثم اجتمع هؤلاء الذين اختارهم قسطنطين واتفقوا على ما يسمى بقانون الإيمان ^(١) .

ويمكن تلخيص القرارات التي نص عليها هذا القانون على النحو التالي :

- ١ - القول بألوهية المسيح ﷺ .
- ٢ - تكفير من يذهب إلى أنَّ المسيح ﷺ إنسان .
- ٣ - تكفير آريوس الذي يرى أنَّ المسيح بشر مخلوق وليس إلهًا .
- ٤ - إحراق جميع الكتب والرسائل التي لا تقول بألوهية المسيح وتحريم قراءتها .

تعليق على مجمع نيقية :

- ١ - أنَّ مجمع نيقية يعبر بوضوح عن مدى هيمنة قسطنطين على شؤون النصارى عموماً والكنيسة خصوصاً حيث استطاع أن يفرض عليهم عقيدة ألوهية المسيح ﷺ التي تتلازم مع عقيدته الوثنية .
- ٢ - اختيار قسطنطين لرأي الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وترك الأكثرين وهم بقيمة المجتمعين الذين بلغ عددهم ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً يدل على أنَّه لم يكن يهتم بالوصول إلى الحقيقة والرأي الصحيح ، وأنَّه لم يتنصر على الحقيقة بل بقى على وثنيته .
- ٣ - يتضح لنا بجلاء كيف ساهم هذا المجمع في نشر النصرانية بشكل كبير ؛ حيث دخل الكثير من الوثنين فيها ؛ لأنَّه لم يعد ثمة فرق في المعتقد بين من يعبد إلهًا بشرياً ومن يعبد إلهًا من الأوثان والكل يتحقق للإمبراطور هدفه السياسي .
- ٤ - أنَّ العقيدة التي نادى بها آريوس وهي التي كان عليها أكثر المجتمعين في الحقيقة هي عقيدة التوحيد ، ولكنَّ عقيدة التثليث فرضت بقوة السيف .
- ٥ - أنَّ عقد الجامع المسكونية التي ابتدعها قسطنطين كان له أبلغ الأثر في ترسيم العقائد والقوانين النصرانية .

^(١) التاريخ المجموع على التحقيق ، لسعيد ابن البطريق ، ص: ١٢٧ .



ثانياً : مجمع القسطنطينية الأول :

أسباب انعقاد المجمع :

لم يفلح مجمع نيقية المسكوني الأول في حسم الخلافات القائمة بين طوائف النصارى ، التي تركت حول شخصية المسيح الكليل بشكلٍ نهائي ، فمجمع صور الذي عقد بعد نيقية نقض ما تم تقريره في نيقية ، وأيضاً ؛ فإنَّ مجمع نيقية لم يتعرض بشكلٍ مفصل لقضية الروح القدس من حيث متركته ، وعلاقته بالآب ، أو الابن ، مما ولد تساؤلات كثيرة حوله أهو إله مساوٍ للآب والابن في الجوهر ؟ أم أنه مخلوق مثل بقية المخلوقات ؟ ، ثم تطورت هذه التساؤلات إلى خلافات حقيقة فيما بعد ، ويدو أنَّ كنيسة الإسكندرية ، التي تزعمت القول بألوهية الابن في مجمع نيقية تزعمت القول بألوهية الروح القدس أيضاً ، ولكنَّ هذا القول كان يواجه بمعارضة كبيرة من أغلب الموحدين ، وكان هذا الخلاف هو سبب انعقاد مجمع القسطنطينية الأول .

أمَّا على وجه التفصيل ، فقد ظهر عددٌ من الأساقفة الذين يجاهرون بأنَّ الروح القدس ليس إلهاً ، وإنما هو مخلوق ، وكان من أبرزهم مقدنيوس ، الذي اعتلى كرسي القسطنطينية عام ٣٤٣ م ، وابوليناريوس أسقف اللاذقية بالشام الذي يرى نزول رتبة الروح القدس عن الأقئوم الثاني (الابن) ، والأقئوم الأول (الآب) .

ولما انتشرت هذه المقالات التي تنكر ألوهية الروح القدس قام الأساقفة الذين يتزعمون القول بألوهية الروح القدس ضدهم ، وعدوا رأيهم هرطقة وخرجاً عن الإيمان القويم ، وأطلقوا عليهم خصوم الروح القدس ، ورفعوا هذا الأمر إلى император ثيودوس الكبير^(١) ، والذي دعا بدوره إلى عقد مجمع لمناقشة هذا الأمر .

أهم قرارات هذا المجمع :

كان المدفُّ الرئيسي من هذا المجمع مناقشة قضية ألوهية الروح القدس ، التي ثار حولها الخلاف ، ولذلك كان أهم قراراته حسم هذا الخلاف حيث قرر المجمع ألوهية الروح القدس، وأنَّه مساوٍ في الجوهر مع الأقئوم الأول(الآب) ، والأقئوم الثاني(الابن) ، وبهذا القرار

^(١) إمبراطور روماني تسلم السلطة في الشرق في الفترة من (٣٧٩ - ٣٩٥) . انظر : تاريخ الكنيسة المفصل ، لنجمة من المؤلفين : (١٥٣/١) .

اكتمل بناءً على الثالث النصراوي ، وقد أكد أصحاب هذا المجمع وجوب التمسك بما جاء في قانون الإيمان النيقاوي ، كما قرر هذا المجمع محاربة كل من خالف قرارات هذا المجمع ، واعتباره من المراطقة ، وطرده من منصبه ٠

وبتقرير الوجهة الروح القدس واقتدار التثليث أخذت العقائد النصرانية صورتها النهاية ، والتي بقي عليها النصارى حتى اليوم ٠

ويعتقد النصارى أنَّ مجمع القدس إضافة إلى نيقية الأول هي أهم المحاجع النصرانية على الإطلاق لأنَّها تمثل – في نظرهم – أساس الإيمان القويم ، وما يجدر لفت النظر إليه هنا : أمران :

الأول : بالرغم من الأهمية الكبيرة لهذه المحاجع إلا أنَّها لم تحظ بإجماع حقيقي من قبل جميع الطوائف التي شاركت فيها ، ولم يزد الموحدون الذين يحملون الاعتقاد الصحيح يدافعون عن عقيدتهم حتى بعد صدور هذه القرارات القاضية عليهم بالحرمان والخروج من الإيمان القويم ٠

الثاني : أنَّ مجمع القدس هو مجمع مشرقي في الأصل إذ لم يحضر هذا المجمع أسقف روما ، ولم يرسل ممثلين له ، ومع ذلك فسرعان ما اعترفت به كنيسة روما ، بعد أن وصلت إليها قراراته وأعلنت خصوصيتها لجميع ما صدر عنه من قرارات ٠

المطلب الثالث : أهم الانتقادات الموجهة للمجامع النصرانية إجمالاً :

الوجه الأول : كانت الموضوعات الكبرى التي تناولتها المحاجع الأولى هي المسائل العقدية التي دار حولها الخلاف بين النصارى ، وكان ذلك من أكبر جنایات هذه المحاجع ؛ لأنَّ أمور العقيدة لا يجوز أن تكون عرضة للاحتهاد البشري ، وأن تكون مرهونة بآراء البشر ، التي تتأثر غالباً بالأهواء والمصالح الشخصية ، وإنما يؤخذ أمر العقيدة من الوحي الذي يأتي به الأنبياء ، الذين يتصرفون بكمال الحرص على إبلاغ آقوامهم ما يجب أن يعتقدونه في ربهم ، وما يجب له من التوحيد ، ولذلك ؟ فإنَّ الأنبياء يبينون هذا الأمر غاية البيان ، لأنَّ القضية الكبرى في دعوتهم ، ولأنَّ معرفته أوجب الواجبات ، ولكن لما أعرض النصارى عن هذا الوحي المبين الذي كان متمثلاً فيما جاء به عيسى عليه السلام ، واستبدلواه بآراء البشر وقعوا في الضلال المبين ، والخلاف العريض ولم يزدوا على ذلك حتى اليوم ٠

الوجه الثاني : أنَّ هذه الجامع لم تحلِّ إجماعاً حقيقياً بين جميع الأعضاء المشاركين فيها، بل إنَّه لم يوجد قرارٌ من قراراها إلا و يوجد له مخالفون ، ولا يُعقد مجمع إلا ويأتي بعده ما ينافسه ، ويلغى قراراته ، هذا ما تشهد به سيرة هذه الجامع ، فكيف يمكن وصف هذه الجامع بأدنى قدر من الشرعية ، فضلاً عن وصفها بالقداسة ، كما يصفها النصارى بذلك .

الوجه الثالث : وُصِفت هذه المجامع بأنها مقدسة ، وأقول : من أين جاء تھا هذه
المقدسة والنصارى أنفسهم يعترفون بأنها ليست إلا أقوال آبائهم ورؤسائهم ، وهي عرضة
للجهل ، والخطأ ، وربما الكذب ، فكيف يكون كلام البشر مقدسا ؟ .

إنَّ القداسة لا تكون إلا للوحى الذي جاء من عند الله ، وسائل النصارى ما مصير هذه القدسية بعد أن قررت هذه الجامع نفسها عصمة البابا ، وإذا أصبح البابا معصوماً فما قيمة هذه الجامع بعد ذلك ؟ .

الوجه الرابع : أن العقائد التي قررها هذه المجامع تتعارض حتى مع نصوص الأنبياء .

وَمَا يَدْلِيْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ النَّصُوصَ الدَّالِلَةَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفِيَ الْوَهْيَ الْمُسِيحِ
الْمُكَلَّبِ وَنَفِيَ التَّنْتِلِيثُ هُوَ أَضْعَافُ النَّصُوصِ الدَّالِلَةِ عَلَى نَقْيَضِ ذَلِكَ ، مَعَ أَنَّ النَّصُوصَ الَّتِي
تَخَالَفُ هَذِهِ الْأَصْلِ هُوَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَسْفَارُ ، وَالْمَثَالُ الَّذِي ذُكِرَتْهُ
يَقَاسِي عَلَيْهِ فِي بَقِيَّةِ الْعَقَائِدِ .

والمقصود أنَّ هذه المجامع من أسباب تقديس الأشخاص ؛ لأنها هي التي قررت العقائد
الغالية في المسيح التعيس .

المبحث الرابع

دور الدولة الرومانية في تثبيت عقائد النصارى

وفيه مطلبان

• **المطلب الأول** : أثر الدولة الرومانية على النصرانية

الجمالية

• **المطلب الثاني** : أثر الدولة الرومانية في تأسيس العقائد

الغالبية



المطلب الأول : أثر الدولة الرومانية على النصرانية إجمالاً

بعد عهود الاضطهاد التي عاشها النصارى من قبل الرومان والتي استمرت ما يقارب ثلاثة قرون ، تغيرت الأمور تماماً لصالح النصارى ، وقد كان إعلان قسطنطين إتباعه لل المسيح العَلِيَّةِ بداية التحول في هذا الموقف .

وقد تعددت صور العطف القسطنطيني ، على النصارى عموماً وعلى الكنيسة خصوصاً ، وهو يسعى بذلك لتحقيق أهدافه السياسية ،تمثلة في بسط نفوذه على جميع رعاياه ، ويمكن إجمالاً إنعامات الدولة الرومانية في عهده على النصارى ، فيما يلي :

- ١ - إصدار مراسيم العفو والسامح عن النصارى ، وإعطاؤهم الحرية الدينية الكاملة وإلغاء جميع الأوامر السابقة ضد هم .
- ٢ - إطلاق سراح كل المسجونين من السجون والمناجم أو الحرف التي أمروا بالاشتغال بها .
- ٣ - إعفاء القسسين من الضرائب .
- ٤ - استرجاع جميع الذين حرموا من وظائفهم في الجيش والخدمة الملكية .
- ٥ - بناء الكنائس وتشييدها على حساب الدولة .
- ٦ - تقريب الأساقفة وجعلهم مستشارين في الدولة .
- ٧ - الأمر بإعادة جميع ممتلكات النصارى وأموالهم .
- ٨ - ترك الكنيسة لتتولى شؤونها القضائية .
- ٩ - أجاز للكنيسة امتلاك الأرض وقبول الهبات ، وأصبحت الكنيسة هي الوريثة لأملاك الشهداء الذين لم يعقبوا ذرية .
- ١٠ - جعل يوم الأحد يوم العطلة الرسمية للدولة .

تلك هي أهم الإنعامات التي حظيت بها الكنيسة في عهد قسطنطين^(١) والتي ساهمت بشكل كبير في إقبال الناس على النصرانية وقبولهم للتعميد واكتسحت النصرانية رقعة كبيرة من الدولة .

^(١) انظر : قصة الحضارة ، ول ديو رانت : (٣٨٩/١١) ، مختصر تاريخ الكنيسة ، اندره ملر ، ١٥٠ .



المطلب الثاني : تأثير الدولة الرومانية في تأسيس العقائد الغالية في المسيح العلیٰ :

لقد ساهمت الدولة الرومانية في تأسيس العقائد الغالية المتعلقة بشخصية المسيح العلیٰ ، من خلال الأمور التالية :

الأمر الأول : السماح للنصارى بحرية التعبير عن عقائدهم ، وإظهار شعائر عبادتهم ، وهذا القدر من الحرية سمح لهم بنشر عقائدهم ، القائمة على تقديس المسيح العلیٰ ، حتى انتشرت في رقعة كبيرة من أرجاء الدولة الرومانية ، وكان انتشارها في هذه المرحلة عن طريق الاحتكاك المباشر بين النصارى وبين أصحاب الديانات الأخرى .

الأمر الثاني : تبني الدعوة إلى عقد المجامع المسكونية : هدف حسم الخلافات العقدية وإعطاء هذه المجامع نوعاً من الشرعية ، لتصبح ملزمة للجميع بحكم أنها ثبتت من خلال هذه المجامع .

الأمر الثالث : فرض هذه العقائد بقوة السيف ، من خلال السلطة التي تملكتها الإمبراطورية ، وقد حدث هذا الأمر في مجمع نيقية وبسببه انتشرت النصرانية في أكبر رقعة من العالم في ذلك الوقت .

وإذا كانت العقائد التي قررتها تلك المجامع تقوم على تقديس الأشخاص لاسمي المسيح العلیٰ ؟ فإن هذه المجامع تعد من الأسباب الرئيسة في تأسيس تقديس الأشخاص عند النصارى . والله أعلم .



الباب الثاني

المقدّسون من الأشخاص

و فيه خمسة فصول

- ❖ الفصل الأول : تقطيس عيسى ﷺ
- ❖ الفصل الثاني : تقطيس من يسمى بالرسل
- ❖ الفصل الثالث : تقطيس الbabawat
- ❖ الفصل الرابع : تقطيس رجال الدين
- ❖ الفصل الخامس : صور عامة في التقطيس



الفصل الأول

تقديس عيسى العلییہ‌السلام



وفيه أربعة مباحث

❖ المبحث الأول : عقيدة الوهية المسيح العلییہ‌السلام

❖ المبحث الثاني : عقيدة بنوة المسيح لله تعالیٰ

❖ المبحث الثالث : عقيدة التثلیث

❖ المبحث الرابع : تقدیس هریم علیها السلام

المبحث الأول

عقيدة الوهية المسيح (العلقمة)

وفيه مطالب

- المطلب الأول : النصوص التي يستدل بها النصارى على الوهية المسيح
- المطلب الثاني : الاستدلال بالآيات التي أجرأها الله تعالى على يد المسيح
- المطلب الثالث : مناقشة دعوى الوهية المسيح



المطلب الأول : النصوص التي يستدل بها النصارى على ألوهيته:

يستدل النصارى على ألوهية المسيح الكليلة بنصوص من العهد القديم والجديد ، وحاصل استدلاهم من هذه النصوص يرجع إلى ثلاثة أمور ، وهي :

- ١ - نسبة الألقاب الإلهية إليه ٠
- ٢ - نسبة الكمالات الإلهية إليه ٠
- ٣ - الأمر بتقديم العبادة إليه ^(١) ٠

وسوف أذكر فيما يلي أمثلة من أدلةهم على كل أمر من هذه الأمور ، دون تكرار الأدلة ذات الدلالة الواحدة ، وبالله التوفيق ٠

أولاً : نسبة الألقاب الإلهية إلى المسيح الكليلة ، ومن النصوص في ذلك :

- ١ - « في البدء كان الكلمة ، والكلمة عند الله ، وكان الكلمة الله » ^(٢) ٠
- ٢ - « أحبب توما وقال له : (ربى وإلهي) » ^(٣) ٠
- ٣ - « احترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتتها بدمه » ^(٤) ٠
- ٤ - « لأنّه يولد لنا ولد ، ونعطي ابنًا ، وتكون الرئاسة على كتفه ، ويدعى اسمًا عجیباً مشاراً إلهاً قدیراً أباً ابدیاً رئيس السلام » ^(٥) ٠
- ٥ - « هوذا العذراء تحبل ، وتلد ابنًا ، ويدعون اسمه عَمَّانوئيل ، الذي تفسيره : الله معنا » ^(٦) ٠

^(١) انظر : شرح أصول الإيمان : د. القس أندراؤس واطسون ود. القس ابراهيم سعيد ، ص ٤٨ ، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الكاثوليكية ، الترتيب القمص ميخائيل مينا : (٢٤٦/١) ٠

^(٢) يوحنا : (١/١) ٠

^(٣) المصدر نفسه : (٢٠/٢٨) ٠

^(٤) أعمال الرسل : (٢٠/٢٨) ٠

^(٥) أشعيا : (٩/٦) ٠

^(٦) متى : (١/٢٣) ٠



وحاصل الاستدلال من هذا الوجه أنَّ المُسِيحَ الْمَتَّهَلَّ وُصفَ بِأَنَّهُ اللَّهُ ، الْرَّبُّ ، إِلَهٌ ، عَمَّا نَوَيْلَ ، وَهَذِهِ الْأَلْقَابُ لَا يُوَصَّفُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ ، وَيَقَاسُ عَلَى ذَلِكَ كُلُّ لَقْبٍ "إِلَهِي" اطْلَقَ عَلَى الْمُسِيحِ الْمَتَّهَلَّ^(١)

ثانيًا : نسبة الكمالات الإلهية إليه :

وحاصل الكمالات المنسوبة إليه خمسة أمور :

١ - الأزلية : « هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ »^(٢) ، « وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ »^(٣) ، « وَالآنَ مَجْدِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ »^(٤) ، « أَنَا هُوَ الْأَلْفُ وَالْيَاءُ ، الْبَدْءُ وَالنَّهَايَةُ يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ ، وَالَّذِي يَأْتِي الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ »^(٥) .

٢ - عدم التغيير : « وَأَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسْتَأْتِي الْأَرْضَ ، وَالسَّمَاوَاتِ هِيَ عَمَلُ يَدِيكَ ، هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى ، وَكُلُّهَا كَثُوبٌ تَبْلِي ، وَكُرْدَاءٌ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيِّرُ ، وَلَكِنْ أَنْتَ وَسِنُوكَ لَنْ تَفَنِي »^(٦) ، « يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا ، وَالْيَوْمُ ، وَإِلَى الأَبَدِ »^(٧)

٣ - الحضور في كل مكان : « لَأَنَّهُ حِينَما اجْتَمَعَ اثْنَانٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَّا كُلُّ أَكُونَ فِي وَسْطِهِمْ »^(٨) .

٤ - العلم بكل شيء : « كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيْيِ منْ أَبِي ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْابْنَ إِلَّا الْآبُ ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْابْنُ ، وَمِنْ أَرَادَ الْابْنَ أَنْ يُعْلَمَ لَهُ »^(٩) ، « وَلَا كَانَ فِي أُورْشَلِيمَ فِي عَيْدِ الْفَصْحِ آمِنًا كَثِيرُونَ بِاسْمِهِ إِذْ رَأَوُا الْآيَاتِ الَّتِي صَنَعَ لَكُنْ يَسُوعُ لَمْ يَأْتِنَهُمْ

(١) انظر : ألوهية المسيح والرد على الآريوسية ، الشمامس الإكليريكي مكرم عزيز فهمي ، ص : ٣٨-٤٠ .

(٢) يوحنا : (١ / ٢) .

(٣) المصدر نفسه : (٨ / ٥٨) .

(٤) المصدر نفسه : (٥ / ١٧) .

(٥) رؤيا يوحنا : (١ / ٨) .

(٦) الرسالة إلى العبرانيين : (١ / ١٠-١٢) .

(٧) المصدر نفسه : (٨ / ١٣) .

(٨) المصدر نفسه : (٢٠ / ١٨) .

(٩) المصدر نفسه : (١١ / ٢٧) .

على نفسه لأنه كان يعرف الجميع ، ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان » ^(١) .

٥- القدرة غير المحدودة : « قائلين : نشكرك أيها رب الإله القادر على كل شيء ، الكائن والذي كان ، والذي يأتي لأنك أخذت قدرتك العظيمة وملكت » ^(٢) .

هذه أمثلة من النصوص التي استدل النصارى بها على ألوهية المسيح ، وهم يستدلون بها كما يلي : بما أنَّ الكمالات الإلهية غير منفصلة عن الجوهر الإلهي ، وبما أنَّ المسيح الكليل قد نسبت إليه الكمالات غير المنفصلة عن ذات الجوهر الإلهي ، فينتتج بالضرورة أنَّ المسيح الكليل إله ^(٣) . وهذا الاستدلال قريب من الاستدلال بالوجه الأول .

وهناك كمالات أخرى يذكرونها بعض النصارى ، مثل الحي الذي لا يموت ، والخلق ، والديان ، وهم يستدلون بها كما يستدلون بالكمالات السابقة ، وقد أعرضت عنها رغبة في عدم التكرار ^(٤) .

ثالثاً : استدلاهم بنصوص تدل على وجوب تقديم العبادة للمسيح الكليل أو باسمه .

١ - « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » ^(٥) .

٢ - « إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع المدعون قديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا » ^(٦) .

٤ - « وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول : ولتسجد له كل ملائكة الله » ^(٧) .

المطلب الثاني : استدلاهم بالأيات التي أجرأها الله على يد المسيح :

من الأمور التي تعلق بها النصارى في استدلاهم على ألوهية المسيح الكليل ، ما أجراه الله تعالى له من الآيات العجيبة تأييداً له ، وتصديقاً لرسالته ، وقد ذكرروا نصوصاً كثيرة

^(١) يوحنا : (٢٣/٢) .

^(٢)رؤيا يوحنا : (١١/١٧) .

^(٣) شرح أصول الإيمان ، د. القس أندراوس واطسون ود. القس ابراهيم سعيد ، ص: ٤٩ .

^(٤) انظر للمزيد ، ألوهية السيد المسيح والرد على الآريوسية ، الشamas مكرم عزيز فهمي ، ص: ٣٨-٤١ .

^(٥) متى : (٢٨/١٩) .

^(٦) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس : (١/٢) .

^(٧) الرسالة إلى العبرانيين : (١/٦) .

ينسبونها إلى المسيح ﷺ ، ويستدلون بها على ألوهيته على اعتبار أنَّ هذه الآيات لا تصدر إلا من إله ؛ فما دام أنَّ المسيح ﷺ يشفى المرضى ، ويحيي الموتى ، ويمشي على الماء ، ويُسكن العواصف ، ويشبع الخمسة آلاف شخص من خمسة أرغفة وسمكتين ، وغير ذلك مما ينسبونه إليه ^(١) ، فليس هو إلا إله ، ولن يستعمله إلا أعمال الإله .

جاء في علم اللاهوت النظامي عند الحديث عما يسمى معجزات المسيح ﷺ أَنَّهَا : « دليل راهن على أَنَّه الله ، لأنَّ عمل المعجزات علامة على القدرة الإلهية » ^(٢) .

ويقول أثناسيوس : « فطرده الأرواح الشريرة ، وخروجها في الحال لا يمكن أن يكون عمل إنسان بل عمل الله ، من ذا الذي بعد أن رأه يشفى الأمراض الخاضع لها الجنس البشري يتحاسر ويقول : إِنَّه لا يزال إنساناً وليس إِلَهًا ؟ ، فقد طهر البُرْص ، وجعل العُرْج يمشون ، والصُّم يسمعون ، والعمي يصرون ، وبإجمالي طرد من كل البشر كل مرض ، وكل ضعف ، من كل هذا كان ممكناً لأبسط إنسان أن يرى لاهوته » ^(٣) .

وهكذا يتضح لنا استدلال النصارى بهذه الآيات على ألوهيته المسيح ﷺ ، وسوف أناقش هذا الرأي عند الرد على تلك العقيدة بعون الله تعالى .

^(١) انظر : ألوهيية السيد المسيح والرد على الآريوسية ، الشمامس مكرم عزيز فهمي ، ص: ٦٨-٧٠ .

^(٢) نقلًا عن كتب تأثير المسيحية بالأديان الوضعية ، د. احمد عجيبة ، ص ٣٦٣ ، ولم يذكر الناقل اسم المؤلف .

^(٣) تجسد الكلمة ، ص ٦٤ ، عن المصدر السابق ص ٣٦٤ .

المطلب الثالث : مناقشة دعوى ألوهية المسيح

أولاً : بطلان هذه العقيدة من خلال الدليل التاريخي :

يزعم النصارى أنَّ استدلالهم على ألوهية المسيح مستند إلى كتبهم ، وهذا الإدعاء أبعد ما يكون عن الصواب لانقطاع صلة هذه العقيدة بالأناجيل ، من وجهين :

الوجه الأول : أنَّ الأنجليل لا تشتمل على ألوهية المسيح ؛ لأنَّ القول بها لم يظهر إلا في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، أي بعد ما يقارب ثلاثة قرون من رفع المسيح العليل ، والنصارى يقولون إن الأنجليل قد كتبت بعد صعود المسيح العليل^(١) ، ولو كانت ألوهية المسيح العليل مستقرة في هذه الأنجليل لم يكن ثمة داعٍ لعقد مجمع لمناقشتها ، ولم يحدث الخلاف أصلًا حولها ، ولم يحتاج إلى فرضها بقوة السيف . وهذا يدل على أن هذه العقيدة أقحمت في الأنجليل بعد ذلك . وهذا الوجه مبني على القول بأسبقية كتابة الأنجليل على القول بألوهية المسيح العليل ، وهناك قول خلاف ذلك ، والاستدلال به أقوى ، ويوضحه الوجه الثاني .

الوجه الثاني : أنَّ القول بألوهية المسيح العليل سابق لظهور هذه الأنجليل ، وبذلك يُعرف بعض المحققيين من النصارى ، وسأذكر في هذا المقام شهادتين تؤيد ما ذكرته .

الشهادة الأولى : يقول الكاتب (Kalthoff) : « إنَّ صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأنجليل ، وإنَّ هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتا فيزيقية) التي كانت ذات سيطرة ، وكانت آرائها شائعة وتكاد تكون عامة أو عالمية »^(٢) .

الشهادة الثانية : يقول الكاتب (Pliecederer) : « إنَّ معلم التنبؤ عند اليهود ، وعظات الأحبار ، والخيال الشرقي ، والفلسفة الإغريقية قد احتللت كلَّ ألوانها ، ومن هذه الأصياغ جاءت صورة المسيح التي ظهرت في العهد الجديد »^(٣) .

^(١) نحن نعتقد أنَّ المسيح العليل رُفع إلى السماء ولم يصعد ، والنصارى يعبرون بهذا اللفظ للتدليل على ألوهيته .

^(٢) ، ^(٣) : نقلًا عن كتاب المسيحية ، لأحمد شلي : ص ١٦٣ .

ونستطيع أن نصل على كلا الوجهين السابقين إلى أن القول بألوهية المسيح الكليل لم يكن صادراً عن الأنجليل ، بل كان نتاجاً للفسفات والوثنيات التي كانت منتشرة في البيئة التي ظهرت فيها النصرانية ، ولاشك أن بولس هو الذي استخرج من هذا المزج عقيدة الألوهية ، وأيضاً : فإنما بقيت غريبة ومنبوذة من قبل الغالبية الذين كانوا من الموحدين حتى جاء قسطنطين فثبتها بقوة السيف ، ولكنها -بطلالها ، ولقلة المعنتين لها على الحقيقة أقحمت بعد ذلك في الأنجليل لتأخذ صبغتها الشرعية ، ومن ثم تحضى بالقبول عند النصارى ، وإذا ثبت خلو الأنجليل منها ، فبراءة رسالة المسيح الكليل منها من باب أولى ، ولكننا - تترلاً في الجدال - نستطيع أن نقضها حتى من خلال النصوص الواردة في الأنجليل نفسها التي يؤمن بها النصارى ويزعمون أنها عملكم في إثبات هذه العقيدة .

ثانياً : بطلان هذه العقيدة من النصوص الواردة في العهد الجديد :

حاصل استدلال النصارى على ألوهية المسيح الكليل يعود إلى اتصافه بصفات الألوهية وإذا نظرنا في النصوص الواردة في العهدين القديم والجديد ، نجد أنها تدل على نقىض ذلك ، وأنبه إلى أن الاستدلال بهذه النصوص ليس إقراراً بصحتها المطلقة ، وإنما من باب الإلزام لهم بما يؤمنون به بصحته ، وتفصيل ذلك من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : وصف عيسى الكليل بالعبودية التامة لربه عليه السلام :

فهو يصلي : « ثم تقدم قليلاً ، وخر على وجهه ، وكان يصلي قائلاً : يا أبا إله إن أمكن فلتبع عني هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » ^(١) .
ويدعوه ويتهلل إلى ربه : « وهو المسيح الذي رفع الدعاء والابتهاج بصراخ شديد ، ودموع ذوارف إلى الذي يوسعه أن يخلصه من الموت فاستجيب طلبه لتقواه » ^(٢) .
ويسجد لله : « أنت تسجدون لما لستم تعلمون أمّا نحن فنسجد لما نعلم » ^(٣)

^(١) محق : (٣٩ / ٢٦) .

^(٢) الرسالة إلى العبرانيين : (٧ / ٥) .

^(٣) يوحنا : (٤ / ٢٢) .

الوجه الثاني : عيسى عليه السلام يتمتع بـكامل الصفات البشرية :

فهو يجوع : «وبينما هو راجع إلى المدينة عند الفجر أحس بالجوع فرأى تينة عند الطريق فذهب إليها ، فلم يجد عليها غير الورق فقال لها : لا يخرج منك ثمر للأبد » ^(١) .
و يخاف من اليهود ، ويختفي عنهم : « فعزموا منذ ذلك اليوم على قتله . فكف يسوع عن الجولان بين اليهود علانية ، فذهب من هناك إلى الناحية المتاخمة للبرية ، إلى مدينة يُقال لها أفرام فأقام فيها مع تلاميذه » ^(٢) .

و ينام : « فعصفت ريح شديدة ، وأخذت الأمواج تندفع على السفينة حتى كادت تمتليء ، وكان هو (عيسى عليه السلام) في مؤخرها نائماً على الوسادة ، فأيقظوه وقالوا له : يا معلم أما تبالي أننا نملك ؟ » ^(٣) .

ويُقتل - بحسب زعمهم - « إنَّ إِلَهَ آبائِنَا أَقَامَ يسوعُ الْذِي قُتِلَّتْمُوهُ إِذْ عَلَقْتُمُوهُ عَلَى حَشْبَةٍ » ^(٤) .

ويحزن : « . . . فقال لهم : نفسي حزينة حتى الموت امكثوا هنا واسهروا » ^(٥) .
وتدمع عيناه : « فلما رأها اليهود تبكي وي بكى معها اليهود الذين رافقوها جاش صدره ، واضطربت نفسه ، وقال : أين وضعتموه ؟ قالوا له يا رب تعال فانظر فدمعت عينا يسوع » ^(٦) .

وهو مولود : كما جاء في بداية إنجيل متى : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم » ^(٧) .

وهو الصبي : « وقف النجم فوق حيث كان الصبي » ^(٨) .

^(١) متن : (٢١/١٩-٢٠).

^(٢) يوحنا : (١١ / ٥٣-٥٤).

^(٣) مرقص : (٤ / ٣٧-٣٨).

^(٤) أعمال الرسل : (٥ / ٣٠).

^(٥) مرقص : (١٤ / ٣٤).

^(٦) يوحنا : (١١ / ٣٣-٣٥).

^(٧) متن (١/١).

^(٨) المصدر نفسه : (٢/٩).

وهو ناصري : وهي (نسبة إلى ناصرة) : « أَنَّهُ سيدِنَا ناصريًّا » ^(١) .

وهو ابن داود : « قال العميان لعيسى : ارحنا يا ابن دود » ^(٢) .

وله أم وأخوة : « قال واحد لعيسى : هؤلا أمك وأخواتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك » ^(٣) .

ويركب الجحش : « وقولوا لابنة صهيون : هؤلا ملوك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وتحش ابن أتان » ^(٤) .

ويختنق : « ولما قمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمى يسوع » ^(٥) .

وهذه النصوص في غاية الوضوح ، ولو سألنا من له أدنى مسكة من عقل وقلنا له : من يتصرف بهذه الصفات هل يمكن أن يكون إلهًا ؟ أم أنه إنسان ، يتمتع بكل الصفات البشرية ؟ ، وهل يمكن أن يكون هو رب الخالق للسموات والأرض ، والعليم بكل شيء ، والقادر على كل أمر ؟ !

الوجه الثالث : عيسى عليه السلام يتعرض لسائر أنواع الأذى :

فهو يتعرض لإغواء الشيطان : « ثُمَّ صعد يسوع إلى البرية من الروح ليُجَرِّب من إبليس » ^(٦) .

ويتعرض للبصق واللطم واللكم - بزعمهم - : « حينئذٍ بصقوا في وجهه ، ولكموه ، وآخرون لطموه قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ » ^(٧) .

ويجلد ، ويُعرَّى ، ثم يوضع الشوك على رأسه ، ويتعرض للاستهزاء ، ويضرب على رأسه : « .. وأمّا يسوع فجلده ، وأسلمه للصلب » ^(٨) .

^(١) متن : (٢٣ / ٢) ٠

^(٢) المصدر نفسه : (٢٧ / ٩) ٠

^(٣) المصدر نفسه : (٤٧ / ١٢) ٠

^(٤) المصدر نفسه : (٥ / ٢١) ٠

^(٥) لوقا : (٢١ / ٢) ٠

^(٦) متن : (١١ - ١ / ٤) ٠

^(٧) المصدر نفسه : (٦٨ - ٦٧ / ٢٦) ٠

^(٨) المصدر نفسه : (٢٦ / ٢٧) ٠

« فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتبية ، فعروه ، وألبسوه رداءً قرمزيًا وضفروا إكليلًا من شوك ووضعوه على رأسه ، وقصبة في يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ، ويستهزئون به قائلاً : السلام عليك يا ملك اليهود ، وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه » ^(١) .

و حول النصوص السابقة أقول : من يتعرض لكل هذا الإيذاء عندكم ، ثم لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً من ذلك هل يصلح - عند أحد من العقلاة - أن يكون إلهًا ، و نترك الجواب على ذلك لهم إن كانوا يعقلون !

الوجه الرابع : عيسى عليه السلام يصرح بأنه إنسان وابن إنسان :

« تعجب الناس قائلاً : أي إنسان هذا ؟ فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه » ^(٢) .

« فقال له يسوع : للشالب أوجرة ، ولطيور السماء أو كار ، وأماماً ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » ^(٣) .

ويقول لتلاميذه وهو في الجليل : « وفيما هم يتربدون في الجليل قال لهم يسوع : ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس » ^(٤) .

فهذه بعض النصوص التي يصرح فيها عيسى عليه السلام بأنه إنسان وابن إنسان ، ويشهد من رأه بأنه إنسان فمن أين للنصارى أنه إله ؟ ! ، أم أنه كانوا أعلم به من نفسه ، ومن تلاميذه الذين كانوا معه ؟ !

ومن اللافت للنظر أن كلمة (ابن الإنسان) وردت في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فقط أكثر من ستين مرة ^(٥) ، ونحن نسأل جميع العقلاة : أيهما أولى بالقبول كلمة وردت أكثر من ستين مرة أو كلمة لم ترد - على فرض صحة ثبوتها - إلا عدة مرات فقط ؟ .

^(١) متى : ٢٧/٢٧-٣٠ .

^(٢) المصدر نفسه : (٨/٢٧) .

^(٣) المصدر نفسه : (٨/٢٠) .

^(٤) المصدر نفسه : (١٧/٢٢) .

^(٥) انظر : دراسات في الملل والنحل ، محمد الشرقاوي: ص ٩٠ .

ومع اعتراف عيسى عليه السلام بانسانيته ، فإنّه يقر أيضًا بما امتن الله به عليه من الرسالة وأنّه يعمل بما يأمره به مُرسله ٠

« من يقبلكم يقبلني ، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني » ^(١) ، وهو يحدد أيضًا رسالته بأنّها خاصة ببني إسرائيل : « لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة » ^(٢) ، وهو إنما ينفذ وصيّة من أرسله : « طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني ، وأتم عمله » ^(٣) .

الوجه الخامس : عيسى عليه السلام يعترف بعجزه وحاجته إلى إلهه الذي في السماء ويقر بوحدانيته :

فهو يقول : « أن لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً . كما أسمع أدين ، ودينونتي عادلة ، لأنّي لا أطلب مشيئةي ، بل مشيئة الآب الذي أرسلني » ^(٤) ، ويقر بأنّ إلهه في السماء : « قال عيسى : لا تدعوا لكم أباً على الأرض ، لأنّ أباكم واحد الذي في السموات » ^(٥) .

بل إنّ عيسى عليه السلام ينفي عن نفسه حتى مجرد الوصف بالصلاح وقد يكون ذلك تواعداً منه ، ويجعل ذلك لله وحده : « وقال يسوع لم تدعوني صالحًا لا صالح إلا الله وحده » ^(٦) .

ويبيّن أنّ حقيقة ما جاء به ، هو إفراد الله تعالى وحده بالعبادة : « فأجابه يسوع : للرب إلهاك تسجد ، وإياه وحده تعبد » ^(٧) .

وخلالصه هذا الوجه أنّ عيسى عليه السلام يؤكّد أنّه لا يوجد إلا إله واحد ، هو الذي في السماء ، وهو الذي يجب أن يدعى ، وأنّه ينفي عن نفسه ، حتى مجرد الوصف بالصلاح ، وأنّه يدعو إلى إفراد الله تعالى وحده بالعبادة ، فكيف يكون لها من كان هذا حاله؟! .

^(١) متى : (٤٠/١٠) .

^(٢) المصدر نفسه : (١٥/٢٤) .

^(٣) يوحنا : (٤/٣٤) .

^(٤) المصدر نفسه : (٥/٣٠) .

^(٥) مرقص : (٢٣/٩) -

^(٦) المصدر نفسه : (١٠/١٨) .

^(٧) لوقا : (٤/٩) .

ثالثاً : بطلان هذه العقيدة من خلال الرد على أدلة :

الرد على دعواهم باتصاف المسيح الغٰيْلَةُ بالكمالات الإلهية :

عند تحليل النصوص التي يستدل بها النصارى على ما يسمونه بالكمالات الإلهية ، نجد

أنّها ترجع إلى أمرتين :

الأول : الاعتماد على ما ورد في صدر إنجيل يوحنا والذى يفيد - بزعمهم - أزلية المسيح ، ومن ثمّ ألوهيته بناء على ذلك .

الثاني : الاعتماد على ألفاظ الربوبية ، والألوهية التي وصف بها المسيح الغٰيْلَةُ ، وإلي مناقشة هذين الأمرتين .

١- الجواب عن النص الوارد في الإنجيل المنسوب ليوحنا :

جاء في صدر هذا الإنجيل : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة عند الله ، وكان الكلمة الله » ^(١) . وفي هذا النص تناقض واضح بين عباراته ؛ فقوله : (في البدء كان الكلمة) لا يُعرف هذا البدء لأي شيء ، وإذا كانت الكلمة في البدء فهذا يعني أنّه قبل البدء لم تكن الكلمة ، وإذا لم تكن الكلمة ، لم تكن ولادة المسيح أزلية ؟ . ومن جهة أخرى قوله : (في البدء) تحديد لزمن ، وهو يتناقض مع قوله : (والكلمة عند الله) ، فإذا كانت الكلمة عند الله ، فأين كانت قبل البدء ؟ . ومن جهة ثالثة : كيف تحولت هذه الكلمة إلى شيء محسوس ، وكيف أصبحت هذه الكلمة إله الذي به كان كل شيء مما في السموات وعلى الأرض ؟ ! .

وإذا كانت الكلمة بمعنى الكلام الذي كان به عيسى الغٰيْلَةُ ، وهي كلمة "كن" فمن المقطوع به أنّ ذلك لم يحدث إلا بعد زمن ، وأنّ عيسى قبل الكلمة لم يكن شيئاً ، ثمّ خلقه الله تعالى بعد ذلك .

وكذلك ؛ فإنّ الأسلوب الفلسفـي الظاهر لهذه العبارة يدل على غرائبها حتى على إنجيل يوحنا ، فضلاً على أن تكون من كلام المسيح الغٰيْلَةُ .

^(١) يوحنا : (١/١) .

وإذا صرفا النظر عن كل ذلك ، ورجعنا إلى أقوال النصارى أنفسهم ، فإننا سنجد أنَّ الحجة قائمةً عليهم أيضاً . وهذه شهادة من البروفسور عبد الأحد داود (١) ، وهو أحد المهددين من النصارى ، والخبير بكتاباتهم وبلغات الأنجليل الأصلية ، وهو يثبت التحريف في هذه العبارة حيث يقول : « وكثيراً ما دحضر الكتاب الموحدون الأوائل العبارة الأولى من إنجيل يوحنا ، وجعلوا قراءتها الصحيحة كما يلي : (في البدء كانت الكلمة وكانت الكلمة مع الله ، وكانت الكلمة كلمة الله [The word was god,s] غير أنَّ الكلمة [God,s]) . معنى الكلمة الله (التي تعادل باليونانية : Theou) قد جرى تحريفها إلى : (Theos أي الله ، ويلاحظ من عبارة : (في البدء كانت الكلمة) أنَّ الكلمة لم تكن موجودة قبل البدء ، ولا يقصد بـ (الكلمة الله) أنها كيان مستقل ومميز مع الله ، ولكنها تعبير عن علمه ومشيئته تعالى عندما قال : (كن) فكان ، وعندما يشاء الله أن يخلق تكفي منه (سبحانه) الكلمة الأمر (كن) » (٢) .

٤- الجواب عن إطلاق لقب الألوهية والربوبية على المسيح ﷺ .

قبل الشروع في الجواب عن إطلاق لقب الألوهية والربوبية على المسيح ﷺ أبين حقيقة هامة في هذا الباب ، وهي أنَّ النصوص الواردة في إنجيل يوحنا – كما في بقية الأنجليل – مملوءة بالمحاجز (٣) ، والذي لا بد معه من التأويل ، وأيضاً ؛ فإنَّ كثيراً من الأقوال المنسوبة إلى المسيح ﷺ يغلب عليها الإجمال الذي تحتاج معه إلى التفصيل والبيان ، ومن نبه إلى هذا الأمر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال : « وممَّا ينبغي أن يعلم أنَّ سبب ضلال النصارى ، وأمثالهم من الغالية ، كغالبية العباد والشيعة ، وغيرهم ثلاثة أشياء : أحدها : ألفاظ متتشاهدة بمحملة مشكلة منقولة عن الأنبياء (اتبعوها) ، وعدلوا عن الألفاظ

(١) كان كبير الكهنة ، وأستاذ اللاهوت ، وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان ، ولد عام ١٨٦٧ م في إيران وتلقى فيها تعليمه ، ثم عمل ضمن بعثة رئيس أساقفة "كاتبريري" التي توجه النصارى الآشوريين ، وفي عام ١٨٩٢ أُرسل إلى روما لتعلم الدراسات الفلسفية واللاهوتية ، وفي عام ١٨٩٥ م عُين كاهناً ، وفي طريقه إلى إيران عام ١٩٠٤ م قادماً من بريطانيا توقف في إسطنبول وجرت بينه وبين جمال أفندي وبعض علماء المسلمين عدة مناظرات اعتقد على إثرها الإسلام – والحمد لله – . انظر مقدمة كتابه الآتي ذكره .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ، عبد الأحد داود ، ص ٢٨-٢٩ .

(٣) وهذا ليس بغرير ؛ إذ المحاجز يناسب الغلو الذي هو من صفاتهم .

الصريحة المحكمة وتمسكون بها ، وهم كلّما سمعوا لفظاً فيه شبهة تمسكون بها ، وحملوه على مذهبهم ، وإن لم يكن دليلاً على ذلك ، والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك ، إمّا أن يفوضوها ، وإمّا أن يتأنلوها ، كما يصنع أهل الضلال يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية أو السمعية ، ويعدلون عن الحكم الصريح من القسمين »^(١) .

وقال الشيخ رحمة الله الهندي^(٢) – رحمه الله – منبهاً على ذلك المعنى: « قد عرفت في الأمر الخامس من المقدمة أنَّ كلام يوحنا مملوء بالمحاجز فقلما تجد فقرة لا تحتاج إلى التأويل ، وقد عرفت في الأمر السادس أنَّ الإجمال يوجد كثيراً في أقوال المسيح عليه السلام^(٣) ؛ بحيث لم يفهمها معاصروه ولا تلاميذه في كثير من الأحيان ما لم يفسرها بنفسه ، وقد عرفت في الأمر الثاني عشر أنَّ عيسى عليه السلام ما بين الوهبيته إلى (العروج)^(٤) بيان لا يبقى فيه شبهة ويفهم منه صراحة هذا المعنى ، فالآقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالباً مجملة منقوله عن إنجيل يوحنا وعلى ثلاثة أقسام : بعضها لا يدل بحسب معانيها الحقيقية على مقصودهم ، فاستنباط الألوهية منها مجرد زعمهم ، وهذا الاستنباط والزعم ليسا بمعتمدين ولا جائزين في مقابلة البراهين العقلية القطعية والنصوص العيساوية»^(٥) .

بعد هذا البيان ، يمكن الجواب عن ألفاظ الألوهية والربوبية بما يلي :

(أ) إطلاق لفظ الإله على المسيح عليه السلام :

عند الرجوع إلى إطلاق هذا اللفظ في نصوص العهدين القديم والجديد ، نجد أنَّ هذا اللفظ لم يكن إطلاقه خاصاً بعيسى عليه السلام ، بل إنَّه قد شمل غيره من الأنبياء ، فقد اطلق على موسى عليه السلام^(٦) ، كما في سفر الخروج : « فقال رب لموسى : انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون ،

^(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية : (٢/٣١٥).

^(٢) هو محمد رحمة الله بن خليل الهندي ، يعرف (خليل الرحمن) الكيروان العثماني الهندي ، ينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، من علماء الهند ، ولد عام ١٢٣٣ هـ ، في قرية كيرانة بالهند ، وله جهد عظيم في مقاومة التنصير بالقاربة الهندية ، وخاصة في مجال التأليف ، ومن أحلٌ كتابه في ذلك: كتاب إظهار الحق ، توفي عام ١٣٠٨ هـ ، ولترجمته انظر : مقدمة كتاب إظهار الحق ، تحقيق : د. محمد أحمد عبد القادر خليل ملکاوي .

^(٣) هذا الكلام غير دقيق ، ولعله يقصد : (في الكلام المنسوب إلى المسيح عليه السلام) لأنَّ المسيح عليه السلام فوق كونهنبي من اشتهر بالحكمة ، وبذلك وصفه القرآن الكريم ، مما يبعد معه أن يكون كلامه بهذه الصفة والله أعلم .

^(٤) هكذا العبارة ، وربما كان يقصد رفعه إلى السماء ، والله أعلم .

^(٥) إظهار الحق : (٣/٧٥١).



وَهَارُونَ أَخْوَكَ يَكُونُ نَبِيًّا^(١) ، وَجَاءَ فِي سِياقِ الْحَدِيثِ عَنْ هَارُونَ اللَّطِيفِ^(٢) : « وَهُوَ يَكْلِمُ النَّاسَ عَنْكَ ، وَيَكُونُ لَكَ فَمًا ، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلَهًا^(٣) » ، وَجَاءَ أَيْضًا عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ اللَّطِيفِ^(٤) : « اللَّهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللَّهِ فِي وَسْطِ الْأَلَهَ يَقْضِي^(٥) » .

وَفِي هَذِهِ النَّصُوصِ نَجُدُ أَنَّ لِفْظَ إِلَهٍ ، وَالْأَلَهَ أَيْضًا قدْ أَطْلَقَ عَلَى مُوسَى اللَّطِيفِ^(٦) ، وَعَلَى مَنْ هُمْ أَقْلَى درَجَةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُمْ قَضَاهُ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شَيْوَعٍ مِثْلِ هَذَا الْلَّقَبِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، وَعَلَى بَقِيَّةِ الْبَشَرِ كَذَلِكَ ، وَالنَّاصَارَى لَمْ يَقُولُوا بِالْأَلوهِيهِ مُوسَى اللَّطِيفِ^(٧) ، فَضَلاًّ عَنِ القَوْلِ بِالْأَلوهِيهِ مِنْ هُوَ دُونَهُ مِنَ الْبَشَرِ ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَيُلَزِّمُهُمْ - لِصَحَّهُ - اسْتِدْلَالَهُمْ بِهَذِهِ النَّصُوصِ - القَوْلُ بِالْأَلوهِيهِ مُوسَى اللَّطِيفِ^(٨) ، وَالْقَضَاهُ مِنْ بَيْنِ إِسْرَائِيلَ ، وَكُلُّ مِنْ اطْلَقَ عَلَيْهِ هَذَا الْلَّقَبِ فِي هَذِهِ الْأَسْفَارِ الَّتِي يَؤْمِنُونَ بِهَا ، فَإِنْ أَقْرَبُوا بِوْجُوبِ تَأْوِيلِهَا فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَحِمْلِهَا عَلَى الْمَجَازِ ، وَأَنَّ الْمَرَادَ غَيْرَ مَعْنَى الْأَلوهِيهِ الْحَقِيقِيِّ ، فَيُلَزِّمُهُمْ فَعْلُ ذَلِكَ أَيْضًا فِي النَّصُوصِ الْوَارِدَةِ - عَنْهُمْ - فِي حَقِّ الْمَسِيحِ اللَّطِيفِ^(٩) سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

وَلَا بدَّ مِنْ حَمْلِ تَلْكَ النَّصُوصِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرَهَا عَلَى الْمَجَازِ ، وَأَنَّهَا لَا تَعْنِي أَكْثَرَ مِنْ بَحْرَدِ السِّيَادَهُ أَوِ التَّسْلِطِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى أَلَوهِيهِ مُوسَى اللَّطِيفِ^(١٠) لَهَارُونَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ سَيِّدُهُ ؛ لِأَنَّهُ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَا ، وَتَكُونُ أَلَوهِيَّتُهُ لِفَرْعَوْنَ بِمَعْنَى التَّسْلِطِ عَلَيْهِ ؛ لَمَّا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السُّلْطَانِ الَّذِي أَيْدَاهُ بِهِ ، وَكَذَلِكَ إِطْلَاقُ لِفْظِ الْأَلوهِيهِ عَلَى الْقَضَاهُ مِنْ بَيْنِ إِسْرَائِيلَ لَا يَمْكُنُ حَمْلُهُ إِلَّا عَلَى الْمَجَازِ ، وَيَكُونُ الْمَرَادُ مِنْهُ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ .

(ب) إِطْلَاقُ لِفْظِ الرَّبِّ عَلَى الْمَسِيحِ :

إِذَا كَانَ الإِجْمَالُ سَمِّةً فِي نَصُوصِ الْأَسْفَارِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاصَارَى عَلَى دُعَوَى الْأَلوهِيهِ الْمَسِيحِ اللَّطِيفِ^(١١) ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُونَا إِلَى الْبَحْثِ فِي النَّصُوصِ الْأُخْرَى ؛ لِمَرْفَعِ التَّفْسِيرِ الصَّحِيحِ لِلنَّصُوصِ الْجَمِلَةِ ، وَإِذَا بَحَثْنَا فِي إِطْلَاقِ كَلْمَةِ الرَّبِّ عَلَى الْمَسِيحِ اللَّطِيفِ^(١٢) ، نَجُدُ أَنَّهَا فِي أَغْلَبِ الْمَوَاضِعِ لَمْ يَرِدْ إِلَّا بِمَعْنَى الْمَعْلُومِ ، وَهُوَ أَكْثَرُ الْأَوْصَافِ الَّتِي اتَّصَفَّ بِهَا عِيسَى اللَّطِيفِ^(١٣) ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ قَوْمَهُ الْوَحِيَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْهِ ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ الَّذِي ذَكَرَتْهُ هُوَ تَفْسِيرُ صَاحِبِ الْإِنجِيلِ الَّذِي

(١) المخروج : (١/٧٠) .

(٢) المصدر نفسه : (٤/١٧٠) .

(٣) المزامير : (٢/٨١) .

جاءت فيه هذه النصوص ، وهو يوحنا ، حيث يقول : « وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو وأثنان من تلاميذه فنظر إلى يسوع ماشياً فقال : هؤلا حمل الله فسمعه التلميذان يتكلم فتبعاً يسوع فالتفت يسوع ، ونظرهما يتبعان فقال لهما : ماذا تطلبان ؟ فقالا : (ري) الذي تفسيره يا معلم ، أين تكث » ^(١) .

وهذا النص لا يحتاج إلى تعلق ، فإذا اعتبرنا أن لفظة (الرب) من الألفاظ المحملة ، التي تحتاج إلى تفسير ، فإننا في هذا الموضع لن نجد تفسيراً أولى من تفسير قائل هذه العبارة نفسه ، والذي فسرها بهذا المعنى ، وإنَّ من اللافت للنظر شدة حرص يوحنا على دفع أي توهُّم ، وقطع كل شبهة عن أي معنى آخر يمكن أن يفهم من هذه الكلمة ، حتى آنَّه يذكر تفسير الكلمة بعدها مباشرة ، وفي نفس النص ، وهذا الذي فعله في هذا النص كرره في نص آخر ، حيث جاء في نفس السفر حواراً بين عيسى عليه السلام ومريم التي تدعى بالجدلية « قال لها يسوع : يا مريم فالتفت تلك وقالت له : (ربوني) الذي تفسيره يا معلم ، قال لها يسوع : لا تلمسيني لأنَّي لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهب إلى أخي وقولي لهم : إني أصعد إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم » ^(٢) .

وفي هذا النص نجد أنَّ يوحنا ينص نصاً صريحاً على تفسير كلمة الرب **بالمعلم** ، ثم يذكر أيضاً من القرائن الأخرى ما يقطع أي احتمال بفهم معنى الألوهية ؛ فيذكر أنَّ عيسى عليه السلام إخوة ، وأعظم من ذلك قوله : آنَّه سيصعد ^(٣) إلى إلهه الذي في السماء ، وبهذا نجد أنَّ هذا الدليل قد قطع كل شبهة ، ودفع كل توهُّم يمكن أن يتصل به النصارى في الاستدلال بكلمة الرب على معنى الربوبية الحقيقة لعيسى عليه السلام ، بل أصبح هذا النص دليلاً على بشرية عيسى عليه السلام ، وعبوديته لربه سبحانه وتعالى .

وخلاصة القول آنَّه لا يوجد نص واحد صرَّح فيه المسيح عليه السلام بأنَّه إله ، وإذا كان المسيح هو الرب فهل يليق به أن يكتم أعظم حقيقة على أتباعه أو على عباده ، مع بيانه لما هو دون ذلك بكثير ؟ ! وبذلك يتبيان بطلان هذه الدعوى ، والحمد لله على تعالى .

^(١) يوحنا : (١/٣٥-٣٨).

^(٢) المصدر نفسه : (٢٠//١٦-١٧).

^(٣) دائماً يعبر النصارى بلفظ الصعود ، ونحن نقول : (رُفع) . كما أشرت من قبل .

رابعاً : الرد على استدلالهم بما يسمى المعجزات على ألوهيته .
يمكن الرد على استدلال النصارى بالآيات التي أظهرها الله على يديه على ألوهيته من
خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ هذه الآيات دائرة في سياق إظهار القدرة الإلهية على كل شيء ؛ فالله سبحانه وتعالى الذي له القدرة الكاملة والحكمة التامة يجري على أيدي أنبيائه وعباده ما يكون حارقاً للعادة المألوفة ، ويكون ذلك لحكم عظيمة ، منها بيان قدرته المطلقة على كل شيء ، وتصديق رسالته ، وتحقيق الغلبة لهم على أعدائهم ، وإذا كان هذا شأن هذه الآيات ؟ فليس فيها أي مستند للقول بألوهية من جرت على يديه ، بل هي دليل على ألوهية من أجرها على يدي النبي تصديقاً لرسالته .

الوجه الثاني : أنَّ التأييد بالآيات المعجزة لم يكن خاصاً بعيسى عليه السلام ، بل هو لسائر الأنبياء ، بل إنَّ من الأنبياء من كانت معجزته أظهر من معجزات عيسى عليه السلام ، فتحويل العصا الجامدة إلى حية تسعى أمام الناس أعظم من إحياء الميت الذي كان مخلوقاً ولكنه فقد الروح ، وهو كذلك أعظم من إبراء الأكمه والأبرص ، وأيضاً : فإنَّ انشقاق البحر بضربه عصا وتحوله إلى طرق عديدة حتى يصبح نجاً لموسى عليه السلام وقومه ، وهلاكاً لفرعون وجنوده في نفس الأمر أية أخرى لا تقل شأنهاً عما جاء به عيسى عليه السلام إن لم تكن أعظم منها ، فلماذا لا يقر النصارى بألوهية موسى عليه السلام ، وقد ظهر على يديه من الآيات ، ما هو أعظم مما ظهر على يدي عيسى عليه السلام ، وهم يقرأون كل ذلك في توراتهم ؟ ! .

وقد ظهر من الآيات على أيدي أنبياء بني إسرائيل ، ما يهرا العقول ، ويلفت الأنظار ، فمن ذلك ما ورد عن حزقيال ^(١) : « فتبئـت كما أمرت . وبينما أنا أتبـأـ كان صوتُ وإذا رعش ، فتقربـت العظام كل عظم إلى عظمـه . ونظرـت وإذا بالعصب واللحم كـسـاهـاـ ، وبـسط الجلدـ عليهاـ من فوقـ ، وليسـ فيهاـ رـوحـ . فقالـ ليـ : تـبـأـ للـروحـ ، تـبـأـ يا ابنـ آـدـمـ ، وـقـلـ للـروحـ هـكـذاـ قالـ السـيـدـ الـرـبـ : هـلـمـ يا رـوحـ منـ الـرـياـحـ الـأـرـبـعـ ، وـهـبـ عـلـى هـؤـلـاءـ

^(١) يقال إلهـ نـيـ ، ولا أـعـلـمـ دـلـيـلاـ عـلـى صـحـةـ نـبـوـتـهـ ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ .



القتلى ليحيوا . فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح ، فحيوا وقاموا على أقدامهم حيشاً عظيم جداً جداً »^(١) .

وورد عن إيليا أيضاً^(٢) أنه أحيا ولداً صغيراً : « فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : يارب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش »^(٣) . وورد مثل ذلك عن يسوع أيضاً^(٤) ، وكل ما ذكرته مذكور في أسفارهم – وإن كنا لا نملك دليلاً مستقلاً على صحته – ، فأي وجه لتخصيص عيسى عليه السلام بالألوهية دون غيره من الأنبياء أو من تنسب إليهم النبوة ، أم أنه التحكم وإتباع الهوى؟!^(٥) .

الوجه الثالث : أنَّ عيسى عليه السلام يصرح بأنه لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه ، بل يفعل ذلك بمشيئة الله تعالى ، بل إنه يعترف بعجزه عن أن يفعل شيئاً من نفسه ، فهو يقول : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً ، كما أسمع أدين ، ودينونتي عادلة لأنني لا أطلب مشيئة بل مشيئة الآب الذي أرسلني »^(٦) .

رابعاً : بطلان هذه العقيدة من خلال الدليل العقلاني :

إذا نظرنا إلى عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام بالمنظار العقلي المجرد بحد من التناقضات مما يحول دون قبولها ، ويمكن أن نضع العشرات من الأسئلة ، التي لا يمكن أن يجد لها جواباً منطقياً في ظل الاعتقاد بمثل هذه العقيدة ، وإحاللة العقل لها مما يشعر به النصارى ، ولذلك يفرضون على أتباعهم التسليم بها دون نقاش ؛ لعجزهم عن الإجابة عن التساؤلات التي يمكن أن يثيرها عقل أي إنسان مهما كان بسيطاً .

وليس الغرض استعراض الأسئلة التي يمكن أن يطرحها العقل حول هذه العقيدة ، فهذا موضوع يطول استعراضه ، ولكنني سأشير فقط إلى بعض الأوجه في مناقضة هذه العقيدة لتصريح العقل ، ومنها ما يلي :

(١) حزقيال : (١٤-٣٧/١)، والنص طويل جداً اقتصرت على الشاهد منه .

(٢) كذلك يقال إنهنبي ، ولا أعلم دليلاً على صحة نبوته ، والله أعلم .

(٣) الملوك الأول : (١٧-٢١/٢٤) .

(٤) الملوك الثاني : (٤/٣٢-٣٧) .

(٥) يوحنا : (٥/٢٠) .

الوجه الأول : أنَّ وصف عيسى عليه السلام بالصفات البشرية ، يتعارض كليًّا مع مبدأ الألوهية المزعوم له ، بل إنَّ ثبوت صفة واحدة من الصفات البشرية ينفي معنى الألوهية عنه ، فكيف يكون لهاً من يجوع وينام ويركب الجحش ؟ ، و يقاس على ذلك بقية الصفات البشرية التي اتصف بها المسيح عليه السلام .

الوجه الثاني : أنَّ وصف المسيح عليه السلام بالألوهية يتعارض مع صفات أخرى ، فكيف يكون لهاً ، وملكاً ؟ ، بل ما حاجته إلى الملك وهو الإله ؟ ، وكيف يكون لهاً ورسولاً في ذات الوقت ؟ ، ومن الذي يمكن أن يرسله وهو الإله ذاته ، وكيف يكون لهاً وعلماً في آن واحد ؟ ، وكيف يكون لهاً وإنساناً في نفس الأمر ؟ .

الوجه الثالث : إنَّ وجود إلهين لهذا الكون غير مقبول عقلاً ، لأنَّ العقل البشري يقضي بوجوب وجود طرفين ، إله ، وملوه يتوجه له بالعبادة ، وبمعنى آخر أيضاً : طرف يأمر وينهى وطرف ينفذ ذلك الأمر ، وينتهي عن ذلك النهي ، وبغير ذلك لا يمكن أن ينتظم أمر الكون ، وهذا أمر ظاهر ، فلو افترضنا وجود ملوكين في مملكة واحدة ، كل له أمر ونهي ، فإلى من سيتوجه شعبهما ؟ ، إنَّ الأمر سيؤدي في النهاية إلى فساد عريض لا يمكن أن ينتهي إلا بوجود ملك واحد يتوجه إليه الشعب بالطاعة والانقياد ، ويمكن أن نعود ونسأل من كان يدير هذا الكون من الإلهين هل هو الإله الخالق أم الإله الذي صلب ، ومات ، ودفن – كما يزعمون – !؟

الوجه الرابع : أنَّ الأوهية المسيح عليه السلام تتعارض مع نزول الروح القدس بالوحي إليه ، وكذلك نزول هذا الملك ليقويه – كما ترجم أسفار النصارى – فكيف يكون لهاً ثم يوحى إليه ؟ ، بل كيف يكون لهاً ويحتاج إلى الوحي ؟ ومن الذي يمكن أن يوحى إلى إله ؟ ، وإن كان هذا الإله مساوٍ للأخر – كما يزعمون – فكيف يوحى أحدهما إلى الآخر ؟ ، وهكذا نجد سلسلة من الأسئلة لا يمكن أن نجد لها جواباً شافياً ، بل لا يمكن أن نجد لها جواباً صحيحاً ، وإذا كان الروح القدس – أيًا كان هذا الروح عندهم – نزل ليقوي المسيح عليه السلام – كما نصت عليه كتبهم – فكيف يكون لهاً من يحتاج إلى من يتزل إليه ليقويه ؟ .

الوجه الخامس : أنَّ وصف عيسى عليه السلام بأنه مولود من الله يتناقض مع كونه مساوٍ لله – بزعمهم – ، فكيف يكون المولود مساوٍ للوالد من كل وجه ؟ ، ويتناقض أيضاً مع

كونه إلهًا ، فكيف يكون مولوداً وإلهًا في نفس الأمر ؟ وماذا كان هذا الإله قبل الولادة ، وبعدها ، وأنباء فترة رضاعه ، ماذا كان دوره ؟

خامساً : بطلان هذه العقيدة من خلال القرآن الكريم :

يتميز القرآن الكريم في نقضه لهذه العقيدة بتعدد أساليبه ، ووضوح بيانه ، وبلاعنة برهانه ، وربطه هذه القضية بالإيمان ، وتحقيق الوحدانية لله سبحانه وتعالى ، وقد سد بهذا المنهج الرشيد كل طريق وقطع كل شبهة يمكن أن يتعلّق بها متعلّق في إثبات ألوهية المسيح عليه السلام ، وسوف أورد في هذا المقام بعض الأوجه في نقض ألوهية المسيح عليه السلام ، ببيان الوجه الدال على ذلك ، ثم أتبعه بذكر الشاهد عليه من الآيات ، دون التعرض إلى التفسير المفصل لوضوح القرآن في هذه القضية إلا ما دعت الحاجة إلى ذكره ، وبالله التوفيق .

الوجه الأول الأمر بتوحيد الله تعالى والنهي عن الشرك :

في القرآن الكريم نجد الأدلة الكثيرة التي تأمر بتوحيد الله تعالى ، والنهي عن الشرك به ، ولا شك أنَّ اعتقاد ألوهية المسيح عليه السلام من أعظم الشرك بالله تعالى ، وما ينافي التوحيد من أصله ، وكل نهي عن الشرك يتضمن النهي عن اعتقاد ألوهية المسيح ، والآيات التي تنهي عن الشرك كثيرة ، قوله تعالى : چ گے کے گے گے گے چ النساء: ٣٦

الوجه الثاني إنكار ألوهية المسيح والحكم الصريح على صاحبها بالكفر :

وقد ورد ذلك في موضعين من القرآن الكريم كلها في سورة المائدة .

الموضع الأول : قوله تعالى : چ گے کے گے گے گے چ المائدة: ١٧ ، والثاني قوله تعالى : چ ٹھ ٹھ ڈھ ٹھ ٹھ ٹھ ٹھ چ المائدة: ٧٢ ، ومعنى الآيتين ظاهر ، لكن يلفت النظر في الآيتين أمران : الأول : الاتفاق التام بين ألفاظ الآيتين الكريمتين ، والثاني : أخبرت الآيتان أنَّ أصحاب هذه المقالة يقولون : (إن الله هو المسيح ابن مريم) ، ولم تذكر أنَّهم يقولون إنَّ (المسيح هو الله) ، والذي يظهر لي أنَّ في ذلك إشارة إلى قول النصارى بخلوّ الله في المسيح عليه السلام - تعالى الله عن قولهم - ، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الرازي رحمه الله حيث قال : « وذلك لأنَّهم يقولون (يقصد النصارى) أنَّ إفnom الكلمة اتحد بعيسي » ^(١) .

^(١) تفسير الرازي : (١٩٠-١٩١ / ١١)

الوجه الثالث : إخبار عيسى عليه السلام بأنّه مربوب لله تعالى ، وأنّه دعا قومه إلى عبادة ربّه عز وجل وحده لا شريك له ٠

وفي هذه الآيات الثلاث دلائل كثيرة على مرادنا ومنها:

- ١ - في الآيات الإخبار بأنَّ عيسى عليه السلام وقومه كلهم مربوبون لله تعالى وحده .
 - ٢ - وفيها - كذلك - الأمر بعبادة الله وحده دون سواه .
 - ٣ - في الآية الأولى إخبار بأنَّ عبادة الله وحده هي الصراط المستقيم .
 - ٤ - من الآية الأولى والثانية : أنَّ من حاد عن هذا الصراط المستقيم ، وأشرك مع الله تعالى ، فقد استحق الوعيد العظيم من الله بالحرمان من الجنة ، والقرار في النار ، ووصفه بالظلم الذي لن يجد معه من ينصره يوم القيمة .
 - ٥ - أنَّ عيسى عليه السلام قد التزم بكل ما أمره الله به تجاه قومه من أمرهم بعبادة الله وحده طيلة بقائه فيهم ، وبذلك يتحقق عليهم يوم القيمة في جعلهم إياه شريكاً مع الله تعالى .

الوجه الرابع : أنَّ عيسى عليه السلام يقر بعبوديته لربه ، ولا يستنكف من عبادته :
ومن جميل ما يمكن أن يرد به على النصارى في دعواهم الوهية المسيح عليه السلام أنَّ أول
كلمة نطق بها المسيح عليه السلام - وكان ذلك بأية عظيمة ، وهي كلامه في المهد ^(١) - هي
إعلانه العبودية لله سبحانه وتعالى ، كما في قوله تعالى : چڏڙ ڙڙڙ ک ک ڻ
چ مريم: ٣٠ كما أنَّ آخر كلمة في سياق هذه المعجزة هي إعلان ربوبية الله تعالى له ولقومه

(١) لم يرد في أناجيل النصاري كلها أي إشارة إلى هذه المعجزة العظيمة ، وهذا من دلائل إخفائهم للحق .

، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُفَرِّدَ بِالْعِبَادَةِ ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ لَا غَيْرُهُ : ٧٤

٣٦ مریم: چ

فإذا كانت أول كلمة في هذه الآية العظيمة التي أجرأها الله تعالى للمسيح عليه السلام هي الاعتراف بعبوديته لله تعالى ، وآخرها الاعتراف بكمال ربوبية الله تعالى له ولقومه ، وأنَّ هذا هو الصراط المستقيم ، فأي ضلال وقع فيه من يدعى الوهبيَّة بعد هذا الحق ؟ . ولكن ماذا بعد الحق، إلا الضلال !

الوجه الخامس : أنَّ الْحَوَارِيْنَ يَعْتَرِفُونَ بِرَبوبِيَّةِ اللهِ لَهُ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ اللهِ
أَنْ يَتَزَلَّ عَلَيْهِمُ الْمَايِّدَةَ مِنَ السَّمَاءِ ٠

وَهَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ عِيسَى ﷺ لَيْسَ بِإِلَهٍ ، وَلَا يَمْلِكُ شَيْئاً مِّنْ صَفَاتِ إِلَهٍ مِّنْ عَدْدِ أُوْجَهٖ :

أولها : أنَّ الْحُوَارِيْنَ وَصَفُوا عِيسَى بَأَنَّهُ (ابن مريم) ، ولو كان يعتقدون بِالْأَلْوَهِيَّةِ لَمْ يَحْسِنُوا أَنْ يَخْلُعُوا عَنْهُ لَقْبَ الْأَلْوَهِيَّةِ فِي مَثْلِ هَذَا الْمَوْطَنِ – وَهُوَ مَوْطَنُ طَلْبِ الْآيَةِ الْمَعْجَزَةِ ، وَالَّذِي فِيهِ تَشْرِيفٌ لَهُ ثُمَّ يَصْفُونَهُ بَأَنَّهُ ابن مريم .

ثانيها : أَنَّهُمْ صرحوَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ رَبُّهُ فِي قَوْلِهِمْ : (هَلْ يَسْتَطِعُ رَبُّكَ) ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفَعُوهُ إِلَيْهِ مُعْتَرِفِينَ . مُتَرْتِلَهُ عَنْدَ اللَّهِ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَطْلُبْ مِنْ رَبِّهِ .

ثالثها : أنَّ عيسى اللَّهُ طلب من الله تعالى بوصفه رباً للجميع كما في قوله : (ربنا) أن يُتَلَّ عليهم هذه الآية ، وقد تحققت لهم هذه الآية للحكم الواردة في الآيات السابقة ،

(٢) وهذه الآية العظيمة لم ترد في أسفار العهد الجديد مطلقاً مع ذكرهم لما هو دونها بكثير.

المبحث الثاني

دُعْوَى بِنَوَّةِ الْمَسِيحِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْكَلَمُ

وفیہ مطالب

- **المطلب الأول** : تقرير قوله بنوة المسيح من **خلال القول بالولاية الأزلية**
 - **المطلب الثاني** : تقرير **طعوه بنوة المسيح من النصوص الواردة في مكتبهم**

• **المطلب الثالث : تقرير دعوه بنوة المسيح من خلل الاستدلال**

بخلل المسيح

• **المطلب الرابع : مناقشة دعوه بنوة المسيح**

المطلب الأول : تقرير قوهم بنوة المسيح ﷺ من خلال قوهم بالولادة الأزلية :
يعتقد النصارى بأنَّ المسيح ﷺ مولود من الله – سبحانه وتعالى – ، وقد تضمن
قانون الإيمان عندهم تلك العقيدة ، حيث جاء فيه : « ويرب واحد يسوع المسيح ، ابن الله
الوحيد ، المولود من الآب ، قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود
غير مخلوق ، مساوٍ للأب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء »^(١) .
وهذا القانون يتضمن أنَّ عيسى ﷺ هو ابن الله الوحيد ، وأنَّه مولود من الله (تعالى
الله) منذ الأزل ، وأنَّه مساوٍ لله عز وجل في الجوهر .

^(١) انظر قانون الإيمان ، البابا شنودة الثالث ، ص : ٥٠ وما بعدها .



هذه خلاصة عقيدتهم ، وسأحاول بقدر المستطاع ، وبحسب ما يُفهم من كلام علمائهم توضيح مفرادتها، وتقريرها من وجهة نظرهم ، كما يلي :

١- وجود المسيح الكليل وجود أزلي :

جاء في تفسير إنجيل يوحنا عند ذكر السبب في عدم إيراد يوحنا لميلاد المسيح في إنجيله كما ورد في الأناجيل الأخرى : « لأنَّ الإنجيل على يد القديس يوحنا قصد به أن ينبيء إلى أنَّ السيد المسيح قبل أن يظهر كإنسان في صورة ابن الإنسان (يسوع) كان له وجود قبل الزمان ، وجود أزلي مع الآب في السماء قبل أن يتزل على الأرض متجسدًا (آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس) ^(٢) . إنَّ المسيح قبل أن يولد من مريم كان هو الكائن منذ الأزل ، إله مريم ، وخالق مريم ، وكل الخليقة . فليس ميلاده من مريم في الحقيقة إلا لأنَّه تجسد منها ، أي أنَّ ميلاده ليس كميلاد أي طفل آخر ، فميلاد أي طفل يعني وجوده ، لأنَّه ميلاده يصير له وجود ، أمَّا السيد المسيح فقبل أن يولد من مريم العذراء كان كائناً منذ الأزل مع الآب ، وهو الذي أراد فخلق كل الوجود » ^(٣) .

وهذا النص الذي ذكره شراح إنجيل يوحنا يبين اعتقادهم في عيسى الكليل ، وأنَّه إله موجود مع الله منذ الأزل ، وخالق كل الخليقة ، وأنَّه تجسد في مريم ، ولم يولد منها على الحقيقة .

٢- تفسير البنوة والولادة :

النصارى يتحاشون – ابتداءً – تفسير هذه الولادة بالولادة البشرية التي تحدث نتيجة الاقتران بين الزوجين ، كما أنَّهم يفرقون بين هذه البنوة وما ورد في أسفار العهدين القديم والجديد من وصف المؤمنين بأنَّهم أبناء الله ، وهم لم يستطعوا – ولن يستطيعوا – أن يقدموا لنا تفسيراً منطقياً ومحقعاً لهذه الولادة ، وغاية ما عندهم في هذا الشأن أنَّهم يذكرون بعض الأوصاف والمقتضيات لهذه البنوة (المزعومة) ، فيصفون هذه البنوة بالأزلية ، والأصلية ، وأنَّها حبة سرية قائمة ، وأنَّ المسيح الكليل هو الشخص الوحيد الذي حاز رضي الله ، وأنَّه في وحدة كاملة مع الله – تعالى – ، ومن أقوالهم في تقرير هذا الشأن :

^(٢) هذة الجملة مأخوذه من الرسالة إلى فيليي : (٧/٢) ، وقد سبق ذكرها .

^(٣) الإنجيل للقديس يوحنا مع تفسيره ، تأليف لجنة أعتمدت تشكيلها البابا كيرلس السادس ، ص: ١٦٨ .

جاء في كتاب المدخل إلى العقيدة المسيحية : « الابن صادر عن الآب ، ولكنَّه (مولود غير مخلوق) . فالمخلوق يخرج من العدم إلى الوجود بإرادة الله ، ولكنَّ ابن الله يصدر من صبيم الله الآب نفسه . لذلك فإنَّ هوة تفصل الخالق والمخلوق ، أمَّا ابن الله والله الآب فهما على الصعيد نفسه ، لأنَّهما يشتراكان كلاهما في الطبيعة الإلهية الواحدة .. أمَّا يسوع المسيح فهو ابن الله بطبيعته أي أنَّه بحد ذاته في وحدة كاملة مع الآب ولذلك دعى (ابن الله الواحد) »^(١) .

ويحاول القس ابراهيم سعيد أن يفسر معنى هذه البنوة عند تفسيره لجملة (ابن العلي) ، التي وردت في الإنجيل المنسوب إلى لوقا قائلاً : « يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد (بابن العلي) أو (ابن الله) ، فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله وإنما لقليل ولد الله ، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جمِيعاً أنَّهم أبناء الله ، لأنَّ نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة ، ولم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر ، ولا الزمنية ، ولا في الجوهر ، ولكنَّه تعبر يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح والله ، وهي محبة متبادلة ، وما المحبة التي بين الآب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها ، وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها »^(٢) .

وأما القُمُص ميخائيل مينا ، فيشبه هذه الولادة بولادة الشعاع من الشمس ؛ فكما أنَّ الشعاع يصدر من الشمس طبيعياً فهكذا الابن يولد من الآب ، وكما أنَّه لا يظهر جرم الشمس بدون شعاع لم يكن الآب أبداً بدون الابن^(٣) .

٣- مساواة المسيح الكلِيلَةُ لِللهِ سبحانه وتعالى في الجوهر :

يعتقد النصارى كذلك أنَّ عيسى ابن مريم الكلِيلَةُ مع كونه ابنَ الله إلا أنَّه مساوٍ لله سبحانه وتعالى فيما يسمونه بالجوهر أي مساوٍ له في الطبيعة الإلهية ، ومعنى ذلك أنَّ الصفات التي تكون لله عز وجل تكون أيضاً للمسيح الكلِيلَةُ ، وإذا تعمقنا في قراءة عبارتهم في هذا السياق نجد أنَّهم يجعلون المسيح الكلِيلَةُ أعظم من الله سبحانه وتعالى ، وينصونه بأمور

^(١) كوسني بندلي وجموعة من المؤلفين : (١٠٢-١٠١) .

^(٢) نقلًا عن محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص: ٩٣ .

^(٣) انظر : علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية : (٢٥٦/١) .

من الربوبية والألوهية لا يجعلونها الله تعالى ، كقولهم : خالق كل الخليقة ، وخالق كل الوجود ، وأنه كان به كل شيء ، وأن المسيح عليه السلام هو الذي تقدم له ، وباسم العبادة في الدنيا ، وهو الذي يتولى شؤون الخلق يوم القيمة ، ويحق لنا أن نسأل ونقول : إذا كان المسيح عليه السلام هو الخالق للوجود ، وبه كان كل شيء ، وهو الذي له حق العبادة في الدنيا ، وسيتولى أمر الخلق يوم القيمة ، إذا كان هذا هو حاله فما الذي بقى الله تعالى بعد ذلك ؟

المطلب الثاني : تقرير دعوى بنوة المسيح عليه السلام من النصوص الواردة في كتبهم ٠

ليس لدى النصارى أدلة يمكن أن يعوّل عليها في القول ببنوة المسيح عليه السلام لا من الأقوال المنسوبة إليه ، ولا من أقوال من يدعونه من تلاميذه ، بل غاية ما يعتمدون عليه في إثبات هذه الدعوى إنما هي نصوص تشتمل على ألفاظ محملة ، ومشتبهة اعتقادوا أنها دالة على بنوة المسيح عليه السلام وجعلوها أساساً لهذه العقيدة ، وهي لا تخرج عن قسمين :

الأول : نصوص يرون أنها دالة على بنوة المسيح عليه السلام الله تعالى ٠

الثاني : نصوص يرون أنها دالة على أبوة الله تعالى للمسيح عليه السلام ٠

وفيمما تفصيل لذلك مع ذكر الأمثلة عليه ٠

أولاً : النصوص التي جاء فيها اطلاق الابن على المسيح عليه السلام وهي نوعان :

النوع الأول : التصریح بلفظ (ابن الله) : ومن الشواهد عليها ما يلي :

١ - « .. فتقدم إليه الجرّب ^(١) ، وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال : مكتوب : ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان ، بل بكلمة تخرج من فم الله » ^(٢) .

٢ - « وكان المحتازون يجذّبون عليه ، وهم يهزون رؤوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبنيه في ثلاثة أيام ، خلص نفسك ! إن كنت ابن الله فأنزل عن الصليب » ^(٣) .

٣ - « وإذا هما قد صرحا قائلين : ما لنا ولك يا يسوع ابن الله ؟ أجيئت إلى هنا قبل

الوقت لتعذبنا ؟ » ^(٤) .

^(١) المقصود به هنا الشيطان ، كما جاء ذكره في بداية الإصلاح .

^(٢) محق : (٤/٣-٤) .

^(٣) المصدر نفسه : (٤٢/٤٠-٣٩) .

^(٤) المصدر نفسه : (٨/٢٩) .

النوع الثاني : ذكر لفظ (الابن) مفرداً ، أو مضافاً إلى الله تعالى : ومن الشواهد عليه

١ - « وليس أحد يعرف ابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا ابن ، ومن

أراد ابن أن يعلن له » ^(٥) .

٢ - « وأما ذلك اليوم ، وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين في

السماء ولا ابن إلا الآب » ^(٦) .

ومن النصوص الدالة على لفظ ابن مضافاً إلى الضمير العائد على الله ما يلي :

٣ - « فإنَّ اللَّهَ الَّذِي أَعْبَدَهُ بِرُوحِي فِي إنجيلِ ابْنِهِ شَاهِدٌ لِي كَيْفَ بِلَا انْقِطَاعٍ اذْكُرْكُمْ » ^(٧)

٤ - « فَاللَّهُ إِذَا أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شَبَهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ وَلِأَجْلِ الْخَطِيَّةِ وَإِنَّ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ

لَكِي يَتَمَّ حُكْمُ التَّامُوسِ فِينَا » ^(٨) .

وما له علاقة بلفظ البنوة وصف المسيح ﷺ بالابن "الحبيب" و "الوحيد" ، وهما من

أشد ما يتعلق به النصارى في اختصاص عيسى ﷺ بالبنوة لله دون غيره ، ومنها :

٥ - جاء في قصة تعميد يوحنا : لل المسيح ﷺ « ۰ ۰ ۰ وَكَانَ صَوْتٌ مِّنَ السَّمَاوَاتِ

أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبِ الَّذِي بِهِ سَرَرتَ » ^(٩) .

٦ - « اللَّهُ لَمْ يَرِهِ أَحَدٌ قَطُّ . الابن الوحد الذي هو في حضن الآب هو خَبِيرٌ » ^(١٠) .

٧ - « لَأَنَّهُ هَكُذا أَحَبَ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لَكِي لَا يَهْلِكَ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ . لَأَنَّهُمْ يَرْسِلُ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمَ » ^(١١) .

^(٥) المصدر نفسه : (٢٧/١١) .

^(٦) مرقس : (٣٢/١٣) .

^(٧) الرسالة إلى أهل رومية : (٩/١) .

^(٨) المصدر نفسه : (٣/٨) .

^(٩) مرقس : (١١/١) .

^(١٠) يوحنا : (١٨/١) .

^(١١) المصدر نفسه : (١٦/٣ - ١٧) .

٨- « بـهـذـا أـظـهـرـت مـحـبـة الله فـيـنـا ، أـنَّ الله قـد أـرـسـل اـبـنـه الـوـحـيد إـلـى الـعـالـم لـكـي نـحـيـا بـهـ فيـهـذـا هـيـ المـحـبـة : لـيـس أـنـنـا نـحـن أـحـبـنـا الله ، بل أـنـهـ هو أـحـبـنـا ، وـأـرـسـل اـبـنـه كـفـارـة لـخـطـايـانـا » ^(٤) .

وهـذـا الـوـصـفـان يـتـعـلـق بـهـا النـصـارـى فـي إـثـبـات خـصـوصـيـة هـذـه الـبـنـوـة بـالـمـسـيـح ، كـمـا جـاء فـي كـتـاب الـمـدـخـل إـلـى الـعـقـيـدة الـمـسـيـحـيـة : « وـلـذـلـك دـعـي (أـيـ المـسـيـح الـكـلـيـلـا) اـبـنـه الـوـحـيد ، أـيـ أـنـهـ وـحـدـه اـبـنـه بـالـمـعـنى الـكـامـل لـهـذـه الـعـبـارـة ، بـيـنـنـا نـحـن لـا نـدـعـى أـبـنـاء الله إـلـا لـأـنـ مـحـبـة الله تـتـبـيـنـا رـغـمـ المـهـوـة السـحـيقـة بـيـنـ طـبـيـعـة الله وـطـبـيـعـتنا الـمـخـلـوقـة » ^(٥) .

الـقـسـمـ الثـانـي : الـأـلـفـاظـ الـقـيـ جـاءـ فـيـهـا إـطـلاقـ لـفـظـ الـأـبـوـةـ عـلـىـ اللهـ وـهـيـ نـوـعـانـ :

الـنـوـعـ الـأـوـلـ : الـنـصـوـصـ الـقـيـ جـاءـ فـيـهـا لـفـظـ الـأـبـ مـطـلـقاً ، وـمـنـهـا :

١- « فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ أـجـابـ يـسـوعـ وـقـالـ : أـحـمـدـكـ أـيـهـا الـأـبـ رـبـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ لـأـنـكـ أـخـفـيـتـ هـذـهـ عـنـ الـحـكـمـاءـ وـالـفـهـمـاءـ ، وـأـعـلـنـتـهـا لـلـأـطـفـالـ ، نـعـمـ أـيـهـا الـأـبـ هـكـذـا صـارـتـ الـمـسـرـةـ أـمـامـكـ » ^(٦) .

٢- « وـقـالـ يـاـ أـيـهـاـ الـأـبـ : كـلـ شـيـءـ مـسـطـطـاعـ لـكـ . فـأـجـزـ عـنـ هـذـهـ الـكـأسـ » ^(٧) .

الـنـوـعـ الـثـانـيـ : الـنـصـوـصـ الـقـيـ جـاءـ فـيـهـا لـفـظـ الـأـبـ مـضـافـاً إـلـىـ المـسـيـحـ الـكـلـيـلـاـ ، وـمـنـهـا :

٣- « لـيـسـ كـلـ مـنـ يـقـولـ لـيـ : يـاـ رـبـ يـدـخـلـ مـلـكـوتـ السـمـاـواتـ . بـلـ الـذـيـ يـفـعـلـ إـرـادـةـ أـبـيـ الـذـيـ فـيـ السـمـاـواتـ » ^(٨) .

٤- « كـلـ مـنـ يـعـتـرـفـ بـيـ قـدـامـ النـاسـ اـعـتـرـفـ أـنـاـ أـيـضاًـ بـهـ قـدـامـ أـبـيـ الـذـيـ فـيـ السـمـاـواتـ ، وـلـكـنـ مـنـ يـنـكـرـيـ فـيـ قـدـامـ النـاسـ أـنـكـرـهـ أـنـاـ أـيـضاًـ قـدـامـ أـبـيـ الـذـيـ فـيـ السـمـاـواتـ » ^(٩) .

هـذـهـ بـعـضـ الـنـصـوـصـ الـقـيـ يـسـتـدـلـ بـهـاـ الـنـصـارـىـ عـلـىـ دـعـوـيـ أـبـوـهـ اللهـ لـلـمـسـيـحـ الـكـلـيـلـاـ ، وـبـالـتـالـيـ إـثـبـاتـ بـنـوـتـهـ بـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ ، وـسـوـفـ أـنـاقـشـهـاـ فـيـ مـوـضـعـهـاـ إـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـ .

^(٤) رسـالـةـ يـوـحـنـاـ الـأـوـلـيـ : (٤/٩-١٠) .

^(٥) كـوـسـيـتـيـ بـنـدـلـيـ وـمـجـمـوعـةـ مـنـ الـمـؤـلـفـينـ ، صـ: ٢٠١ .

^(٦) مـقـتـ: (١١/٢٥-٢٦) .

^(٧) مـرـقـسـ: (١٤/٣٦) .

^(٨) مـقـتـ: (١٧/٢١) .

^(٩) المـصـدرـ نـفـسـهـ: (١٠/٣٢-٣٣) .

المطلب الثالث : تقرير هذه الدعوى من خلال الاستدلال بميلاد المسيح عليه السلام :

استدل النصارى بميلاد المسيح عليه السلام العجيب من غير أب على بنوته لله تعالى وقالوا : إن كان المسيح قد ولد من غير أب فلا بد أن يكون الله - تعالى عن قولهم - هو أبوه ، ويكون هو حينئذ ابن الله ، وهم يتوصلون بذلك إلى القول بألوهيته أيضاً ؛ لأنَّ الابن - في زعمهم - يأخذ طبيعة أبيه .

وما يؤكِّد هذا الاستدلال من أقوال النصارى ما يلي :

- ١ - يقول القس لبيب ميخائيل تحت عنوان : (لماذا نؤمن بأنَّ المسيح هو الله؟) : «إنني أؤمن بأنَّ المسيح هو الله على أساس ميلاده المعجزي من عذراء» ^(٣) .
- ٢ - ويقول إبراهيم لوقا : «ولقد اخزت المسيحية منذ بدأها ذلك الميلاد العجيب برهاناً على لاهوت المسيح ، وهي في ذلك لم تنحرف عن جادة الصواب ، فالشخص الذي يولد على غير الطبيعة والمألوف لا يمكن أن يكون إلا شخصاً خارج عن دائرة البشر» ^(٤) .

المطلب الرابع : مناقشة دعوى بنوة المسيح عليه السلام :

أولاً : الرد على استدلالهم بأزلية الابن وولادته من الله تعالى :

يقع النصارى في التناقض تقرير هذه العقيدة ابتداءً ، فضلاً عن تفسيرها وإقناع أتباعهم بصحتها ، ومن الأوجه التي تنقض هذه الدعوى من أصلها - بإذن الله - ما يلي :

الوجه الأول : التناقض بين مفردات هذه الدعوى ، وبيان ذلك كما يلي :

(أ) قوله عن المسيح : (المولود قبل كل الدهور) ، كما ينص قانون إيمانهم ، ومن حقنا أن نتسائل : كيف يكون مولوداً ، وتكون ولادته قبل كل الدهور ؟ . وإذا بحثنا عن تفسير هذه العبارة فسنجد أنهم يفسرونها بأنه المولود منذ الأزل . وهذا التفسير أبلغ في التناقض ؛ لأنَّه لا يجتمع القول بأنه مولود وأنَّه موجود منذ الأزل ، وإذا كان الوجود الأزلي

^(٣) هل المسيح هو الله ، ص ١٢٦ ، نقاً عن كتاب تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، أحمد عجيبة ، ص ٣٥٩ .

^(٤) المسيحية والاسلام ، ص ١٢٩ . نقاً عن المصدر السابق .

هو الذي لم يسبق بعده . فكيف يصح أن يقال إنَّ المسيح ﷺ موجود منذ الأزل ، ومع ذلك فهو مولود ؟ ، ولا شك أنَّ الولادة حدث ، والحدث لابد أن يكون مسبوقاً بزمن . وإذا قال النصارى إنَّ هذه الولادة غير حقيقة ، وَهَا بمعنى المحبة ، والعلاقة الخاصة . قلنا إنَّ هذا اللفظ (مولود من الآب) لا يدل على هذا المعنى ؛ لأنَّ قولهم : (مولود من الآب) ثم قولهم بعده : (قبل كل الدور) يعين معنى الولادة . والله أعلم .

(ب) قولهم : (مولود غير مخلوق) : وهنا نجد التناقض من جهة العبارة ذاتها ومن جهة تفسير النصارى لها . أمّا التناقض في ذات العبارة فهو ظاهر ؛ لأنَّ الولادة خلق ، ولا يمكن أن يكون الشيء مولوداً ولا يكون مخلوقاً .

وأمّا التناقض في تفسيرهم لمعنى الولادة ، فمنهم من يقول هي الاشتراك في الطبيعة الإلهية ، كما يشبه الابن أباه في الطبيعة ، وهذا التفسير يلزم منه أنْ يقرَّ أصحابه بأنَّ هذه الولادة هي الولادة الحقيقة ، وهي الولادة البشرية ؛ لأنَّها هي التي (يشبه فيها الابن أباه) ، فإنْ فرُوا من هذا التفسير وأنكروه لم يستقم لهم هذا التشبيه .

(ج) قولهم : (مساوٍ للأب في الجوهر) ، ومقصودهم أنَّ عيسى ﷺ مساوٍ لله تعالى في الجوهر أي في الطبيعة ، وهذا غير مسلم . فكيف يكون مولوداً منه ومساوٍ له في نفس الأمر ؟ ! . فالعقل لا يقبل ذلك ؛ لأنَّ الابن لابد أن يكون دون الأب في الزمان ، والذات ، والصفات ، وإذا كان الابن مساوياً لأبيه من كل وجه ، فلماذا كان هذا أباً وذاك أباً ؟ ! وتشبيههم الولادة بولادة الشعاع من الشمس ينقض هذه المساواة من ثلاثة أوجه : الأول : أنَّ صدور الشعاع من الشمس لا يسمى ولادة ، ولم تُعرف هذه التسمية على الاطلاق إلا عندهم .

والثاني : لا يقول عاقل بأنَّ شعاع الشمس مساوٍ للشمس نفسها ، فالقول بذلك مكابرة للعقل والحس معاً .

والثالث : على التسليم بصحة هذا التشبيه ؛ يلزم منه أن تكون هذه الولادة متحددة كما أنَّ شعاع الشمس يتحدد كل يوم ، وهذا ما لا يقول به النصارى . وبذلك أصبح هذا التشبيه ذليلاً على بطلان تلك العقيدة .

وهذه الدعوى (دعوى المساواة) تكذبها أسفارهم ، فقد جاء فيها - منسوباً إلى المسيح عليه السلام - : « لأنَّ أَبِي أَعْظَمْ مِنِي »^(١) ، وجاء أيضاً : « أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقَةُ ، وَأَبِي الْكَرَامُ ، كُلُّ غَصْنٍ فِي لَا يَأْتِي بِشَرْهٍ يَتَرَعَّهُ »^(٢) .

وتفسير هذا النص الثاني - لو صح - كما يلي : الكرمة هي المسيح عليه السلام ، وهي الشجرة الطيبة ، والله - عز وجل - هو الكرام ، وهو الذي زرع الشجرة ، والتلاميذ هم أغصانها ، ثم إنَّ المسيح عليه السلام قد نسب الترعرع إلى الله تعالى^(٣) . وهذا التفسير ينقض المساواة بين الله عز وجل وبين المسيح عليه السلام ، أو بين الكرام والكرمة - بحسب تعبير النص .

وأما قول القس إبراهيم الذي ينفي فيه القول بالولادة الطبيعية ، ويعلل ذلك بأنه لو كان كذلك لقيل (ولد الله) ، فأقول : إنَّ ما نفيته هنا قد ورد به قانون إيمانك الذي ينص على أنَّ الابن (مولود من الله) ، وهذا تناقض ظاهر بين قوله ، وقانون إيمانه . وأما تناقضات المفسرين ، فإنهما يقولون إنَّ هذه الولادة ، ليست بمعنى الولادة البشرية ، وليس بالمفهوم المجازي الذي تفسر به البنوة الواردة في حق غيره من الأنبياء أو غيرهم ولكنها حبَّة سرية ، خاصة ، فائقة ، ونحن نقول ما هي حقيقة هذه الحبَّة؟ وكيف كانت منذ الأزل؟ وليس عندهم جواباً يشفي الغليل ! .

الوجه الثاني : النصوص التي جاءت في أسفارهم تنقض هذه الدعوى ، حيث دلت على ولادة بشرية حقيقية للمسيح عليه السلام من مريم عليها السلام ، وأفادت أنَّ مريم أتتها الملائكة وبشرها بالмолود ، ومع ذلك لم يخبرها بأنَّ هذا المولود هو الإله ، وإنما اكتفى بقوله: « ستلد ابناً ، وتدعوه اسمه يسوع لأنَّه يخلص شعبه من خطاياهم »^(٤) . ونحن لا نعلم كيف يبشر الملك مريم بأنَّ هذا المولود سيكون اسمه يسوع ، ويكتتم عنها البشارة بأنَّه هو الإله؟! ، ولا نعلم إن كان هذا الملك يعلم أنَّ هذا المولود هو الإله أم أنه كان جاهلاً بهذه الحقيقة حتى جاء النصارى الذين علموا بذلك ، وأخبرونا به ، ولا مناص لهم في هذا المقام من اتهام هذا الملك إما بالجهل ، أو بالكتمان ، أو بالذهول عن أعظم الحقائق ، وهي حقيقة الألوهية .

^(١) يوحنا : (١٤/٢٨) .

^(٢) المصدر نفسه : (١٥/٢) .

^(٣) انظر : النصرانية في ميزان العقل والإسلام ، محمد سليم فاضلي ، ص: ٢٩-٣٠ .

^(٤) متى : (١/٢١) .

وتفيه هذه النصوص بأنَّ مريم حبت بهذا المولود ، وولدته ، وهربت به إلى مصر ، خوفاً عليه من ملك اليهود ، وأنَّ هذا المولود كان ينمو ، ويكبر ، ويعرض له ما يعرض لسائر البشر من النوم ، والخوف ، وأنَّه كان يأكل ، ويشرب ، ويُعذب ، ويُصلب ، ويموت ، ويُدفن ، إلى غير ذلك من الأمور ، ونحن نطلب من النصارى أن يأتوا بصفة واحدة من هذه الصفات يمكن أن تتفق مع كون المسيح اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ إِلَهًا أو ابناً لِإِلَهٍ ! ، وقد أشرت إلى طرف منها عند الحديث عن دعوى ألوهية المسيح اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ .

الوجه الثالث : استدلالهم على أزلية المسيح اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ بما أوردوه في كتبهم : « قبل أن يوجد إبراهيم أنا كائن » ، من أبلغ الدلائل على كذبهم ، وبيان ذلك من وجهين :

الأول : أنَّه يحق لنا — بناءً على ظاهر هذا الدليل — أن نقول : إنَّه من المعلوم أن نوحًا وآدم وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام كانوا قبل إبراهيم اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ ، فإنَّ كان مجرد (القبليَّة الزمنية) دليلاً على أزلية المسيح اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ ؛ فإنَّ هذا الاستدلال سينقض من أصله لكون هؤلاء الأنبياء عليهم السلام قبل إبراهيم اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ ، وعليه فيتحقق لنا أن نقلب الدليل عليهم ونقول : إنَّ هذا دليل على ألوهية آدم ، ونوح ، وغيرهم من كان قبل إبراهيم .

والامر الثاني : نقول للنصارى كيف يكون عيسى اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ قبل إبراهيم اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ ، ثم لا يخبر هذا النبي العظيم الذي هو أبو الأنبياء عن إلهه ، وهل يليق به أن يbjحد إلهه ولا يخبر بأدنه خبر عنه فضلاً عن أن يعبده هو ويأمر الناس بعبادته ؟ أم أنَّه كان جاهلاً بذلك كله ، ولم يتفطن إليه إلا النصارى الذين أخرجوا هذا العلم (المكتوم !) إلى الناس ! . إنَّ هذا الدليل الذي استدلوا به — لو صحي — أعظم ثمة لهذا النبي الكريم اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ ، وفهمتهم تردد بين تجھيله بأعظم الحقائق ، وهي ألوهية المسيح ، أو كتمه وتقصيره في إبلاغها ، وكلا الأمرين عظيم يُتره عنها من امتدحه الله تعالى بقوله : چ □ □ چ النجم: ٣٧ .

الوجه الرابع : وهو تابع لما سبق ، وهو أن أقول : كيف يكون هذا الإله موجوداً منذ الأزل ، ولا يعلم عنه أحد ؟ لا من الأنبياء ولا من غيرهم ، ولمن كان يتوجه الناس في عبادتهم ودعائهم ، وهو غافلون عن إلههم ؟ ! ، بل كيف يكون هذا (الإله) معطلاً عن أفعاله الإلهية ، ومن كان يدبر أمر هذا الكون ويقوم على شؤونه وشؤون الخلق جميعاً هل هو الإله (المجهول) — أم أنَّه الحي القيوم سبحانه وتعالى عما يصف الظالمون ! .

ثانياً : الرد على استدلالهم ببعض الألفاظ على بنوة المسيح

ذكرت عند عرض أدلة النصارى على بنوة المسيح الكلية أنها راجعة إلى ألفاظ مجملة ومشتبهة ، جاءت في نصوص كتبهم ، وهذه الألفاظ هي لفظ البنوة والأبوبة ، وعند دراسة النصوص التي وردت فيها تلك الألفاظ ، والنصوص الأخرى التي جاء فيها إطلاق هذه الألفاظ على غير المسيح الكلية تبين لنا المعنى الصحيح والمراد منها ، ومن ثم تبين لنا عدم صحة استدلال النصارى بها على بنوة المسيح الكلية ، وبيان ذلك من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ معنى لفظ البنوة لا يمكن حمله على معنى البنوة الحقيقة ولا يمكن حمله على غير المجاز ؛ وأنَّ المراد به ليس أكثر من الدلالة على معنى القرب ، والمحبة ، والصلاح ، والولاء ، والطاعة ، ونحوها من الألفاظ ، وهذا المعنى مما استفاضت به نصوص العهد القديم والجديد على السواء ، ومن ذلك :

جاء في إنجيل يوحنا : « الآب يحب الابن » ^(١) ، « الآب يقرب الابن » ^(٢) ، « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأنَّ زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع أن يخطيء لأنَّه مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون » ^(٣) .

وهذه النصوص تفسر البنوة بالمحبة ، والقرب ، وعدم المعصية ، وهكذا يمكن أن يقال في بقية النصوص ، وسيأتي المزيد من البيان لها ، وهذا المعنى يؤكده الكثير من العلماء .

يقول الإمام تقى الدين الجعفري ^(٤) : « فلغتهم (النصارى) تسمى الولي ابناً ، وتسمى المربي أباً ، ويعبرون عن ذلك بأبوبة النعمة ، وبنوة الخدمة . وذلك عندهم مشهور ، وفي نبوات أنبيائهم مرسوم مذكور » ^(٥) .

^(١) يوحنا : (٣٥/٣) .

^(٢) المصدر نفسه : (٢٠/٥) .

^(٣) المصدر نفسه : (١٠-٩/٣) .

^(٤) هو صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزيني ، وكتبه "أبو البقاء" ، واشتهر بلقبين تقى الدين وقاضي قوص ، ولد عام ٥٨١ هـ ، وسكن منطقة الجعافرة بمصر ، وله مؤلفات قيمة في الرد على اليهود والنصارى ، ولا يعرف له غيرها ، وهي : تخرجيل من حرف الإنجيل ، والبيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ، والرد على النصارى ، انظر : مقدمة كتاب تخرجيل من حرف الإنجيل ، دراسة وتقدير خالد محمد عبده : ص ٣ .

^(٥) تخرجيل من حرف الإنجيل ، ص : ١١٣ .

ويقول المهدى إلى الإسلام محمد مجدى مرجان^(٣): «والحقيقة أنَّ اللفظ الذى كان يطلق في بعض الأحيان على السيد المسيح الكليل لم يكن يقصد به على الإطلاق وجود علاقة نسب خاصة بين الله وبين السيد المسيح الكليل ، كما لم يكن يقصد به ولادة السيد المسيح الكليل أو تناслه من الله ، أو إنفراده وحده ببنوة الله ، وإنما قُصد بها فقط إبراز قرب السيد المسيح الكليل من الله ، ويشترك في هذا القرب الإلهي مع السيد المسيح الكليل كافة أنبياء الله وخلصاؤه ، وباقى عباده الصالحين »^(٤) .

الوجه الثاني : أن هذا اللقب لم يختص به عيسى الكليل ، بل ورد إطلاقه على غيره ، ومن ذلك ما جاء في إنجيل لوقا من وصف آدم الكليل بـ« ابن الله »^(٥) . ووصف داود الكليل بـ« ابن الله » إِنَّى أَخْبَرُ مِنْ جَهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ قَالَ لِي : أَنْتَ ابْنِي ، أَنَا الْيَوْمُ وَلَدْتُكَ ، أَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَكَ الْأَمْمَ مِيراثًا لَكَ ، وَأَقَاصِي الْأَرْضَ مَلْكًا لَكَ . تَحْطِمُهُمْ بِقَضَيْبٍ مِنْ حَدِيدٍ . مِثْلُ إِنَاءِ خَرَافٍ تَكْسِرُهُمْ »^(٦) .

ولو طبقنا منهج النصارى في الاستدلال على هذا النص ، فلن نجد أولى من داود الكليل بلقب البنوة لله ؛ لقوله: (أنت ابني) ثم قوله: (أنا اليوم ولدتك) ، وهذه العبارة لم ترد حتى في حق عيسى الكليل ، ولكننا نجد في نفس هذا النص من القراءن ما يدل على أنَّ المراد بالبنوة القرب ، مثل قوله: (اسألني فأعطيك) ، و قوله: (تحطموهم بقضيب من حديد) ، فهي تبين المراد غاية البيان ٠

وقد وُصف سليمان الكليل بـ« ابن الله ، وأنَّ الله أبوه » هُوَذَا يُولَدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صاحب راحة ، وأريحه من جميع أعدائه حواليه . لأنَّه أسمه يكون سليمان . فأجعل سلاماً وسكونة في إسرائيل في أيامه ، هو يعني بيتاً لاسمي ، وهو يكون لي ابناً ، وأنا له أباً ، وأثبتت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد »^(١) .

^(٣) ولد في أسرة نصرانية ، وكان شماساً في الكنيسة ، ثم اعتنق الإسلام وألف أربعة كتب في إظهار الحق ، منها: «المسيح إنسان أم إله» و«الله واحد أم ثالوث» في الرد على عقيدة التشليث .

^(٤) الله واحد أم ثالوث ، ص: ٧٨ .

^(٥) لوقا: (٣٨/٣) .

^(٦) المزامير : (٢/٧) .

^(١) أخبار الأيام الأول : (٩/٢٢) (٩-١٠) .

وُوصَفَ بعْضُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا فِيهِ زِيادةٌ عَلَى مَعْنَى الْبَنْوَةِ ؛ كَمَا وُصَفَ يَعْقُوبُ السَّلَّيْلَةُ بِأَنَّهُ (الابن البكر) : « فَتَقُولُ لِفَرْعَوْنَ : هَكُذَا يَقُولُ الرَّبُّ : إِسْرَائِيلُ ابْنُ الْبَكْرِ » ^(٢) . وُوصَفَ بِالْبَنْوَةِ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ ؛ فَقَدْ وُصَفَ الْمَلَائِكَةُ بِالْبَنْوَةِ لِلَّهِ : « وَلَكِنَّ الَّذِينَ حَسَبُوا أَهْلًا لِلْحَصُولِ عَلَى ذَلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يُزَوْجُونَ وَلَا يُزَوْجُونَ . إِذَا لَا يُسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْوِلُوا أَيْضًا لِأَنْهُمْ مِثْلُ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ » ^(٣) ، « وَكَانَ ذَاتُ يَوْمِ أَنَّهُ جَاءَ بَنُوا اللَّهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ » ^(٤) ، وَالْمَرَادُ بِبَنِي اللَّهِ هُنَّ الْمَلَائِكَةُ .

وُوصَفَ بِالْبَنْوَةِ لِلَّهِ بَنُوا إِسْرَائِيلُ : « أَنْتُمْ أَوْلَادُ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ » ^(٥) ، وَكَذَلِكَ جَاءَ وَصَفَ صَانِعِي السَّلَامِ بِأَنْهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ « وَطَوْبِي لِصَانِعِي السَّلَامِ لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ » ^(٦) ، بَلْ جَاءَ عَلَى لِسَانِ الْمَسِيحِ السَّلَّيْلَةِ أَنَّ الَّذِينَ يَحْسِنُونَ إِلَى أَعْدَائِهِمْ سَيَكُونُونَ أَبْنَاءُ اللَّهِ : « وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ : أَحْبَبْتُمْ أَعْدَاءَكُمْ ، بَارَكْتُمْ لَا عَنِّيْكُمْ ، أَحْسَنْتُمْ إِلَى مِبغَضِيْكُمْ ، وَصَلَّيْتُمْ لِأَجْلِ الَّذِينَ يَسْبِئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ ، لَكِي تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ » ^(٧) . وَاحْتَمَ بِهَذَا الشَّاهِدَ : « لَكُنْ يَكُونَ عَدْدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرْمَلَ الْبَحْرِ الَّذِي لَا يَكَالُ وَلَا يَعْدُ ، وَيَكُونُ عَوْضًا عَنْ أَنْ يَقَالُ لَهُمْ لَسْتُمْ شَعْبِيْ يَقَالُ لَهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ الْحَيِّ » ^(٨) . وَهُلْ يَقُولُ النَّصَارَى بَعْدَ هَذَا النَّصْرِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَكُونُ عَدْدُهُمْ كَرْمَلَ الْبَحْرِ أَنَّهُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللَّهِ؟! .

الوجه الثالث : أَنَّ اسْتِدْلَالَ النَّصَارَى عَلَى خَصْوَصِيَّةِ عِيسَى السَّلَّيْلَةِ بِهَذِهِ الْبَنْوَةِ بِعَضِ الْأَلْفَاظِ الْخَاصَّةِ مِثْلِ : الابن البكر ، والوحيد ، وابن العلي منقوض أيضًا من جهتين :

^(١) الخروج : (٤/٢٢) .

^(٢) لوقا : (٢٠ / ٣٥-٣٦) .

^(٣) أيوب : (١/٦) .

^(٤) التثنية : (١٤/١٩) .

^(٥) متي : (٥/٩) .

^(٦) متي : (٥/٤٤-٤٥) .

^(٧) هوشع : (١/١٠) .

الأولى : ما اثبته قريراً من وصف غير المسيح ﷺ بهذا اللقب من الأنبياء والملائكة وغيرهم ، وإذا ثبتت البنوة لفرد واحد غير المسيح ﷺ بطل قوله بأنَّه (الابن الوحيد) .

الثانية : أنَّ هذه الأوصاف التي يزعمون خصوصيتها بال المسيح ﷺ قد ثبتت لغيره ، وقد مر معنا أنَّ إسرائيل ﷺ قد وصف بأنَّه (الابن البكر) ، ولقب (ابن العلي) وصف به جميع بني إسرائيل : «أنا قلت أنكم آلة ، وبنوا العلي كلكم» ^(٣) ، ووُصف به التلاميذ : «بل أحبو أعداءكم ، وأحسنوا ، وأفروضا وأنتم لا ترحون شيئاً فيكون أجركم عظيماً ، وتكونوا بني العلي» ^(٤) ، ولقب (الابن الحبيب) وصف به بنiamين ^(٥) : «ولبنيامين قال : حبيب الرب يسكن لديه آمناً يستره طول النهار ، وبين منكبيه يسكن» ^(٦) ، ووُصف سليمان ﷺ بأنَّه محبوب الله ، ولم يكن في الأمم مثله : «أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ، ولم يكن في الأمم الكثيرة مثله ، وكان محبوباً إلى إلهه» ^(٧) .

ومن هذه النصوص نجد أنَّ هذه الأوصاف التي يدعى النصارى خصوصيتها بال المسيح ودلالتها على بنوته لله دون غيره أنها قد وردت لغيره ، ويتبين لنا بطلان هذه الدعوى ، وأنَّه ليس للمسيح أي مزية عن غيره من البشر إلا ما احتصه الله تعالى من أمر الرسالة .

الوجه الرابع : شهادة المسيح ﷺ نفسه وشهادة أتباعه بعدم خصوصيته بهذا اللقب ؟ فقد ساوي المسيح ﷺ بينه وبين أتباعه «أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» ^(٨) ، ففي هذا النص نجد أنَّه ساوي بينه وبين أتباعه في أبوة الله تعالى لهم ، ثم وضح معنى الأبوة ، وأنَّها تعني الوهبية لله لهم بدليل اقتران اللفظتين في نفس النص .

وكذلك فإنَّ أتباع المسيح ﷺ لم يفهموا هذا المعنى (الخاص) للبنوة الذي يدعوه النصارى ، فنجد لهم يطلقون هذا اللقب على أنفسهم ، فهذا يوحنا الذي يصفه النصارى بالحبيب ويَدُّعون قربه من المسيح ﷺ يقول مخاطباً بقية الأتباع : «انظروا أيَّة محبة أعطانا

^(٣) الزامير : (٦/٨٢) .

^(٤) لوقا : (٣٥/٦) .

^(٥) يُقال إنه أحد أبناء يعقوب عليه السلام ، ولم أجده ما يدل على صحة ذلك ، والله أعلم .

^(٦) الثنية : (١٢/٣٣) .

^(٧) نحرياً : (٢٦/١٣) .

^(٨) يوحنا : (١٧/٢) .

الآب حتى نُدعى أولاد الله . أيتها الأحباء الآن نحن أولاد الله »^(٢) . فهذه شهادة من يوحنا بإطلاق هذا اللقب على غير المسيح عَلَيْهِ الْمَسِيحُ ، وأيضاً ؛ فإنَّ في هذا النص تفسيراً لمعنى البنوة بالمحبة ، ويتأكد هذا المعنى من تفسيره لمعنى الولادة من الله (تعالى) بعد ذلك بأنَّهَا جتنا بـ المعصية ، حيث يقول: « كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة لأنَّ زر عه يثبت فيه ، ولا يستطيع أن يخطيء لأنَّه مولود من الله ، بهذا أولاد الله ظاهرون »^(٣) . فهذا يوحنا المقدم عندهم يفسر البنوة بالمحبة ، وترك المعصية . فهل النصارى أعلم بالMessiah من نفسه ، وتلميذه المقرب إليه الذي أطلق هذا الوصف على بقية أتباعه؟!

الوجه الخامس : أنَّ ما ذُكر في معنى البنوة يصح في معنى الأبوة ، ومن الشواهد التي تبين أنَّ هذا اللقب لم يكن خاصاً بـ عيسى عَلَيْهِ الْمَسِيحُ ، بل اشترك معه آخرون ما يلي :

١ - اطلق هذا اللقب على داود عَلَيْهِ الْمَسِيحُ حيث جاء في العهد القديم : « وجدت داود عبدي . بدهن قدسي مسحته الذي تشتت يدي معه أيضاً ذراعي تشدده . . . هو يدعوني أبي أنت . إلهي وصخرة خلاصي »^(٤) .

٢ - نسب المسيح عَلَيْهِ الْمَسِيحُ هذا اللقب إلى جميع قومه حيث يقول: « لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات »^(١) .

٣ - وما نسب إليه أيضاً قوله لأتباعه : « ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء ، لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم »^(٢) .

٤ - وأوضح منه ما نسب إليه : « قال لها يسوع لا تلمسيني لأنِّي لم أصلد بعد إلى أبي ، ولكن اذهب إلى إخوتي ، وقولي لهم: إنِّي أصلد إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم »^(٣) . وهذه القرينة (إلهي وإلهكم) ، تقطع الشك من أن يفهم من البنوة غير ما ذكرت من المعانى . والله أعلم .

^(٢) رسالة يوحنا الأولى : (٢-١/٣) .

^(٣) المصدر السابق : (٩-١٠/٣) .

^(٤) المزامير : (٨٩/٢٠-٢٧) .

^(١) محت : (٥/٤٥) .

^(٢) مرقس : (١١/٢٥) .

^(٣) يوحنا : (١١/٢٥) .

الوجه السادس : وهو النصوص الدالة على بشريته ، وأنّه إنسان ، وابن إنسان ، وقد فصلت ذلك في المبحث السابق بما يعني عن إعادته .

ثالثاً : الرد على استدلالهم بعيالد المسيح الشقيقة من غير أب :

سبق أن قررت استدلال النصارى على بنوة المسيح العجيبة بميلاده العجيبة من غير أب ، وبطلان هذا الاستدلال من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ هذا الحدث آية من آية الله تعالى دائرة في سياق القدرة الإلهية التي ليس لها حد، وليس فيه دليل على كون المسيح ﷺ ابنَ الله تعالى ، ودعوى البنوة لله يكذبها ما في أناجيلهم من ذكر نسب المسيح ﷺ ، وقد جاء نسبه في إنجيل متى ولوقا ، وهو المشهور عندهم بابن داود ، والعجيب أَنَّهم يزعمون أنَّ زوج مريم عليها السلام هو يوسف النجار (٤) ، فكيف يكون زوجها يوسف النجار ، ويكون ولدتها ابنَ الله؟ !

الوجه الثاني : أنَّ الولادة من غير أب لم يختص بها عيسى ﷺ وحده ، فحواء قد خلقت من غير أم ، وذلك أعظم من الخلق من غير أب ؛ وأعظم منه خلق آدم العظيم نفسه ، الذي خلق من غير أب ولا أم ، بل خلق من تراب ، وخلق آدم وحواء مفصل في التوراة التي يؤمن بها النصارى ، ومع ذلك لم يقولوا أنَّ آدم ابن الله أو أنَّ حواء ابنة الله ،

يقول الجاحظ^(١) : « إنَّ كَانَ الْمَسِيحَ (الْمُكَلَّلَ) إِنَّمَا صَارَ ابْنَ اللَّهِ ، لَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكْرٍ ، فَآدَمَ وَحْوَاءِ إِذْ كَانَا مِنْ غَيْرِ ذَكْرٍ وَأَنْتَيْ أَحْقَ بِذَلِكَ ، إِنْ كَانَتِ الْعُلَةُ فِي الْخَيَادَهِ وَلَدًا أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ غَيْرِ ذَكْرٍ »^(٢) .

الوجه الثالث : أَنَّهُ يُوجَدُ فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنَ الْمُخْلوقَاتِ - مَا نَعْلَمُ وَمَا لَا نَعْلَمُ - مِنْ يُولَدُ بِلَا أَبٍ ، فَهَلْ يَعْقُلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمُخْلوقَاتِ أَبْنَاءً أَوْ بَنَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْحَقِيقَةِ ؟ !

^(١) هو أبو عثمان بن بحر الكنابي الليثي ، لقب بذلك لأن عينيه ناتحتين ، وإليه تنسب فرقة الجاحضية من الفرق الكلامية ، وهو تلميذ النظام ، وله تصانيف أشهرها كتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، والرد على اليهود ، والرد على النصارى ، توفي سنة ٢٥٠ أو ٤١٢/٣ . انظر : وفيات الأعيان ، ابن خلkan : (٤١٧-٤١٢) ، سير أعلام النبلاء ،

الذهبي: (١١/٥٢٦-٥٣٠) .

^(٢) المختار في الرد على النصارى ، ص: ١١٦ .

وهل يعقل أن نطلق عليها مثل هذا اللقب ، وعلى منهج النصارى في الاستدلال فكم سيكون من أبناء الله أو بنات الله من هذه المخلوقات ؟ !

يقول رحمة الله الهندي - رحمه الله : « وقد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته فيستدلون تارة أَنَّه ولد بلا أب ، وهذا الاستدلال ضعيف جداً ، لأنَّ العالم حادث بأسره وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة - على زعمهم - وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم في أسبوع واحد ، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم فكل من هذه يشارك المسيح الْكَلِيلُ في كونه مخلوقاً بلا أب ويفوق عليه في كونه بلا أم ، وتتوالد أصناف الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم ، فكيف يكون هذا سبب في الألوهية ؟ » ^(٣)

الوجه الرابع : أنَّه يلزم من هذا الادعاء كثير من اللوازم الباطلة ، ومن أعظمها أنْ يتصف الله عز جل و هو (الأب) في نظرهم بكمال الصفات الأبوية والزوجية ، وأمَّا اللوازم التفصيلية لكونه أباً أو زوجاً فمما يستثنى ذكرها في هذا الموضع ، وربما كان التلميح إليها دون تفصيل أحکم ، والله أعلم .

رابعاً : مناقشة استدلالهم من القرآن الكريم :

للقرآن الكريم منهج متميز في نقض هذه الدعوى ، يتسم بالوضوح التام ، والإقناع عن طريق الحجج والبراهين القاطعة ، ويتميز بالتأثير العظيم في الوجдан عن طريق ذكر شناعة هذا القول ، وعظيم الوعيد لأصحابه في الدنيا والآخرة ، وبيانه في الأوجه التالية :

الوجه الأول : بيان مشاكلة النصارى للكافر السابقين في هذه المقالة ، وهو تضمين

لَكُنْكُنْ جِ التَّوْبَةِ: ٣٠ .

وفي هذه الآية إخبار بأنَّ دعوى بنوة المسيح ﷺ تعالى تشبه مقالة الكفار السابقين للنصارى ، وهي تدل – والله أعلم – على أمرتين :

^(٣) اظهار الحق، ٧٦٥/٣ :

الأول : الحكم بکفر أصحاب هذه المقالة ، ويستنبط ذلك من حيث أنه لم يرد لهم في هذا الموضع إلا قولهم بنبوة المسيح عليه السلام ، فعلم أنه سبب كفراً بهم .

الثاني : في الآية إشارة لطيفة ، وهي أَنَّهُ يوجد فيمن سبق من الكفار من قال بالبنوة لله تعالى (١) ، وحاصل الأمرين أَنَّ النصارى قد شاهدوا من سبقهم من الكافرين في القول ، وهو ادعاء ابن الله تعالى ، وفي الحكم ، وهو الكفر بالله تعالى .

وقوله:(ذلك قولهم بأفواهم) إشارة إلى تكذيبهم ، وأنَّ مقالتهم لا تتجاوز ألسنتهم .

الوجه الثاني : استحالة اتخاذ الله تعالى للولد :

وهذه الآية تشبه الآية السابقة وتتضمن أموراً أخرى منها:

١- أنه ليس لأصحاب هذه المقالة أي برهان على صحتها ، وإنما هو محض الافتراض

والكذب على الله تعالى .

٢- الوعيد الشديد لأصحابها ، وأنه ليس بينهم وبين العذاب - إن لم يتوبوا - إلا

انقضاء الحياة الدنيا .

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَضُمُّ أَمْوَالًا عَظِيمَةً مِنْهَا :

(١) وهذا ما أثبته عند الحديث عن الديانات الوثنية السابقة للنصرانية .

- ١- الإشارة إلى شناعة نسبة الولد إلى الله ، وأنه قول عظيم تكاد السموات أن تنفطر ، والأرض أن تنشق ، والجبال أن تسقط من هوله ،
- ٢- بيان استحالة اتخاذ الله تعالى للولد .
- ٣- الوعيد الشديد لأصحاب هذه المقالة بأنهم جميعاً سيأتون إليه يوم القيمة ، وهذا يتضمن عذابهم . والله أعلم .

الوجه الرابع : وهو من ألطافها – وقد سبقت الإشارة إليه – : أنَّ أولَ كلمة نطق بها المسيح عليه السلام، وكان ذلك في آية عظيمة – وهي كلامه في المهد – هي نقض هذه الدعوى وذلك في قوله تعالى : چ چ چ چ چ ید د د د د ز ژ ژ ژ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ب ب ب ب گ گ گ گ ن ن ن ن ٹ ٹ ٹ ٹ م ٹ ٹ ٹ ٹ چ مريم: ۲۹ - ۳۲

وقد نقض عيسى عليه السلام هذه الدعوى من جهتين :
الأولى بقوله : (إني عبد الله) ولو كان ابن الله لقال : (إني ابن الله) لا سيما أنَّ المقام مقام
إعجاز ، وتشريف أيضاً .

الثانية : بقوله (وبِرَأْ بُو الْدِي) ، وهو من أصرح الأدلة على نفي هذه العقيدة فلو كان له أب لأشركه في البر ، وخاصة أنَّه قد ذكر ذلك في مقام ذكر منة الله تعالى عليه ، وقد مدح الله تعالى قبله – وفي نفس السورة – يحيى بن زكريا عليهما السلام بقوله تعالى عنه : چٽ ٿ ڦ ٿ ٿ ڦ چ مریم: ۱۴ . وهل يعقل أن يكون باراً بأمه ، وعاقاً لأبيه الذي هو إله – بزعم النصارى - ؟!

- النهي عن الغلو ، ويتضمن غلو النصارى في نسبتهم الولد إلى الله تعالى .
- بيان حقيقة عيسى عليه السلام ، وأنه ابن مريم وليس ابن الله ، وأنه رسول الله ، والملحق بكلمة من الله تعالى وهي قوله (كن) .

-
- ٣- بيان وحدانية الله تعالى ، واستحالة اتخاذه سبحانه للولد .
- ٤- بيان غناه الكامل وأنَّ له ما في السموات والأرض ، فلا حاجة له إلى الولد .
- الوجه السادس :** بيان كمال الله تعالى المطلق ، وذلك بنفي التولد ، والولاة عنه :
ويدل على ذلك سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن ، لكونها تتحدث عن توحيد
الله تعالى .

المبحث الثالث

عقيدة التثلية

وفي مطلبان

- **المطلب الأول :** تقرير عقيدة التثلية عن النصارى
- **المطلب الثاني :** الرد على عقيدة التثلية



المطلب الأول : تقرير عقيدة التثليث عند النصارى :

يعتقد النصارى أنَّ الله مكون من ثلاثة أقانيم^(١) : الآب ، والابن ، والروح القدس ، وهذه الثلاثة إله واحد ، يعبرون عنه بقولهم : وحدة في تثليث ، وتثليث في وحدة^(٢) ، ووجه قدس الأشخاص فيها اعتقادهم أنَّ عيسى ابن مريم التَّثَلِيلُ هو الأقنوم الثاني من الثالوث .

أولاً: أهمية هذه العقيدة عند النصارى :

التثليث من أهم العقائدنصرانية ، ويتضمن القول بألوهية المسيح ، وبنته لله تعالى . يقول القس توفيق جيد: في بيان أهميته: «إنَّ عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية وأساسها كلها لأنَّها تتصل بذات الله حسبما أعلن لنا نفسه في كتابه، فمعرفتها هي معرفة الله والإيمان بها هو الإيمان بالله ، ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله»^(٣) . ويقول أيضاً: «إنَّ الدخول في المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل سر الثالوث الأقدس ، إنَّ كلمة السر التي بها يقبل أي كائن في ملوك السماء هي سر الأزل سر الثالوث الأقدس، هذا الاسم اسم الآب والابن وروح القدس ينبغي أن يوضع على كل من يلتح بباب الملائكة، هذه هي السمة التي ينبغي أن يحملها على جنبيه كل داخلي إلى ملوك السماء، سمة الثالوث الأقدس»^(٤)

ويقول القُمُص إبراهيم في كتابه (التثليث والتوحيد) مبيناً خطر نفي التثليث وما يترب عليه : «لا يصح مطلقاً نفي التثليث لأنَّه باتفاقه تنتفي أنت ، إذ هو أنموذجك ومصدر

^(١) الأقانيم : جمع مفرده أقنوم ، وهي كلمة سريانية الأصل ، وتعني – عند النصارى – من له تميُّز عمّا سواه بغير انفصال . انظر : موسوعة الحقائق الكتابية ، برسوم ميخائيل ، ص: ١٢٥ .

^(٢) انظر : علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، للمنتبج القمص ميخائيل مينا : (١٩٤/١) .

^(٣) نقلًا عن: الله واحد أم ثالوث ، محمد مجدي مرجان ، ص: ١١٦ .

^(٤) المصدر نفسه ، ص: ٢١ .

صفاتك الذاتية الثلاثية الذات والنطق والحياة وآثارها غير مفقودة ، فكيف يصح انتفاؤك وأنت موجود.. بنفي الأقانيم الثلاثة الإلهية..»^(٥)

وتقوم فلسفة التشليث عند النصارى على أساس أنَّ الله (تعالى) ذات ، ولها كيان وجود، كما أنها عاقلة وحية، وهذه الثلاثة أي الذات والعقل والحياة هي أركان الذات^(١) . ويشرح الدكتور محمد محيي مرجان فكرة الثالوث قائلاً : «يرى فلاسفة المسيحية أنَّ الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم أي ثلاثة عناصر أو أجزاء ، وهذه الأقانيم أو الأجزاء الثلاثة هي : الذات ، والنطق ، والحياة ٠

فالله موجود بذاته ٠ ناطق بكلمته ٠ حي بروحه ٠

كل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفاً معيناً أو مظهراً خاصاً ، فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الأب ، وإذا نطق فهو الابن ، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس^(٢) .

ويتكلف النصارى بكل وسيلة لإثبات ثالوثهم ، وهم غير متتفقين على طريقة واحدة في ذلك ، بل كل له طريقته الخاصة في ذلك ، ولكننا إذا درسنا أساليبهم في إثبات ذلك نجد أنها لا تخرج في الغالب عن أسلوبين :

الأسلوب الأول : ضرب الأمثلة الكثيرة على أنَّ التشليث أمر متصور ، ومحسوس يمكن ملاحظته في الإنسان بل وفي النبات ، وحتى في الحيوان ٠

الأسلوب الثاني : وعادة ما يلجئون إليه عند عجزهم عن الإقناع بالأسلوب الأول ، أو عجز أتباعهم عن فهم تلك الأمثلة ، وهو أن العقيدة للاعتقاد لا للنقاش ، وهذا الأسلوب أقرب ما يكون إلى حيلة الأب الجاهل حينما يسأله ابنه لماذا يفعل كذا أو يترك كذا ؟ فيحيل عجزه بالقول إنَّ عليك أن تطيع أمري وتنتهي عن همي !

ونرجع إلى بيان الأسلوب الأول ، وهو ضرب الأمثلة ، فمن ذلك تشبيه الله المثلث الأقانيم بالإنسان المثلث العناصر ، فكما أنَّ الله ذات كونية فكذلك الإنسان بذاته كائن

^(٥) المصدر نفسه ، ص: ١٠ ٠

^(١) انظر : فلسفة اللوقس (الكلمة) ، د ٠ رشدي حنا عبدالسيد ، ص : ٢ ٠

^(٢) الله واحد أم ثالوث ، ص: ٩ ٠

على صورة الله ومثاله . وكما أنَّ الله ناطق كذلك فالإنسان ناطق على صورة الله ومثاله .
وكما أنَّ الله حيٌ فكذلك الإنسان حيٌ على صورة الله ومثاله ^(٣) .
ومن أمثلتهم كذلك على إلههم ذي الأقانيم الثلاثة تمثيلهم ذلك بالتفاحة . « فكما أنَّ
التفاحة لها ثلات خواص هي الذات والطعم والرائحة ، ويمكن التمييز بين هذه العناصر
الثلاثة وإن كانت التفاحة واحدة فالرائحة مثلاً غير الذات والطعم ، والذات هي علة الطعم
والرائحة ، وكما أنَّ التفاحة لا توجد بدون الطعم والرائحة كذلك لا يمكن تصوير الآب
بدون الآبن والروح القدس فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله » ^(١) .

ثم يضربون أمثلة مشابهة على الشمس والشجرة والأسرة السعيدة ، وغيرها . وعند
النظر في أدلةهم نجد أنَّ كتابهم المقدس لم يشتمل على لفظة "الثلوث" ، أو "الأقانيم" ،
ويعرف بعض النصارى بذلك ، ومنهم ج . وتلر ، حيث يقول : « ومعروف أنَّ تعبير
الثالث لم يكن موجوداً مادياً في العهد الجديد ، ولا لدى الآباء الرسوليين » ^(٢) .

وإنما أخذ النصارى ثالوثهم من القانون الذي وضعه لهم أثنا سبعين ^(٣) ، وينص على « إنَّ
الإيمان الكاثوليكي أي العام أن نعبد إلهاً واحداً في ثالوث ، وثالوثاً في وحدانية غير مشوشين
الأقانيم ، ولا مقسمين في الجوهر، فإنْ أقئوم الآب آخر، وأقئوم الروح القدس آخر، لكن
للآب والآبن والروح القدس لاهوتاً واحداً وبحداً متساوياً، وعظمة متساوية في الأزلية » ^(٤) ،
ومع ذلك فإنَّ النصارى يتكلفون غاية التكلف في إثباته ، والاستدلال عليه من كتابهم
المقدس وما يدل على ما جاء في سفر العدد : « بيار كك الرب ويحرسك ، يضيء الرب
بووجهه عليك ويرحمك ، يرفع الرب وجهه عليك وينحك سلاماً » ^(٥) .

^(٣) المصدر نفسه ، ص: ١٠ .

^(٤) المصدر السابق ، ص: ١٤ .

^(٥) المهرطقة المسيحية ، ص: ٧٧ .

^(٦) ولد بالإسكندرية عام ٢٩٦ م ، ولعب دوراً هاماً في مجمع نيقية ، واعتلى عرش الإسكندرية عام ٣٢٦ م . اظر :
موسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة : (١٣٥-١٣٤) .

^(٧) خلاصة اللاهوت العقائدي ، مكاريوس : (٥٨) .

^(٨) العدد : (٦ / ٢٤-٢٦) .

ويفسر رمسيس ونيس هذا النص قائلاً : « ييار كك الرب ويحرسك (الله الأب) ، ويضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك (الله ابن) ، يرفع الرب وجهه عليك وينحك سلاماً (الله الروح القدس) ^(٦) .

وبعد ذكر هذا النص وتفسيره الدال على تكلفهم وتلاعفهم ، نجد أنَّهم يتمسكون بنصين هما أكثر ما يعتمدون عليه النصارى وهما :

- ١ - « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس » ^(١) .
- ٢ - « كان الذين يشهدون في السماء ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس ، وهو لاء الثلاثة هم واحد » ^(٢) .

المطلب الثاني الرد على عقيدة التشليث :

بعد أن عرضت عقيدة التشليث بحسب ما فهمته من أقوال النصارى ، يمكن أن أو جز الرد على هذه العقيدة ، بما يلي :

أولاً: لا يوجد في الكتاب المقدس نص واحد في إثبات لفظة « التشليث » أو ما يسمونه « بالأقانيم » ، وقد بينت ذلك عند ذكر استدلالهم على هذه العقيدة .

ثانياً: إذا كانت الأنجليل تحتوي على كثير من النصوص الباطلة ، فهذا النصان هما في مدار الريب والشك ، وهما كذلك عند علمائهم ، ومنهم « أولف هرنك » الذي نظر إلى عبارة مي وجعلها دخيلاً على المسيحية « النصرانية » لاعتبارين :

الأول : أنَّ الكلام عن المسيح وهو يلقى الموعظ ويعطي التعليمات لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية .

الثاني : أنَّ صيغة التشليث هذه غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل ^(٣) .

^(١) الكلام هنا منقول من كتاب النصرانية من التوحيد إلى التشليث ، محمد الحاج ، ص : ٢٢٠ .

^(٢) مي : (٢٨ / ٢٩) .

^(٣) يوحنا : (٥ / ٧) .

^(٤) انظر : المسيحية بين التوحيد والتشليث ، د . عبد المنعم فؤاد ، ص : ٢٠٦ - ٢٠٩ .

ثالثاً : بالنسبة للنص الذي ذكره يوحنا فإننا الترجم الحديث لما يسمى بالكتاب المقدس قد حذفتها باعتبارها نصاً دخيلاً أقحمه كاتب مجهول منذ قرون ^(٤)

رابعاً : أن هذه العقيدة تخالف العقل ؟ فإن من بداهة العقول أن الواحد لا يكون ثلاثة ، بل لا يكون اثنين وتوضيح الواضح أمر في غاية الصعوبة ، فهو بمثابة من يطلب الدليل على وجود النهار والشمس في وسط السماء . ولذلك فكل من أراد توضيح هذه العقيدة وقع في التناقض ولا بد ، ومن الأمثلة على ذلك التناقض ما وقع فيه أثناسيوس ، الذي وضع قانون التشيّط نفسه - فنجد أنه يقول : « إن الإيمان المستقيم هو مؤسس على أن الأقانيم تتميز عن بعضها بالخواص الأقنية فقط . اعني خاصة أقنوم الآب أنه غير معلول وله الأبوة ، وخاصة أقنوم الابن أنه معلول وله البنوة . وخاصة أقنوم الروح القدس الانبات ، وهذه هي الخواص التي فيها في كل أقنوم وفي الآخرين بمفرده ما ليس في الأقنيمين الآخرين ، وفي الآخرين ما ليس فيه . ثم تشتراك الأقانيم الثلاثة بالجوهر الإلهي ومن ثم لهم إرادة واحدة وذاتاً واحدة ، أي أن لكل من الآب والابن والروح القدس ما لآخر من الألقاب والصفات . وكل ما يناسب إلى أحدهم من السرمدية ، وعدم التغيير ، والعدل ، والجودة ، والحق ، والعلم والمشيئة ، والقوة ، وأي صفة من صفات اللاهوت الكاملة يناسب إلى الآخر بمعنى واحد ، وعظمة واحدة ، وذلك لأن الطبيعة واحدة ^(١) .

والتناقض في هذا النص ظاهر ؟ حيث يقرر أثناسيوس في أول النص أن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة تميز عن الآخر في صفاتيه الخاصة ، وبمثل لذلك بأن أقنوم الآب يتميز بأنه غير معلول ، وأقنوم الابن يتميز بأنه معلول ، وأقنوم الروح القدس يتميز بأنه منبثق ، ثم يؤكّد أن الخواص التي توجد في كل أقنوم بمفرده لا توجد في الأقنيمين الآخرين ، ثم يتناقض بعد ذلك فيقرر أن كل هذه الأقانيم لها إرادة واحدة ، وذاتاً واحدة ، وطبيعة واحدة ، بل وأن ما يوجد في كل أقنوم من الألقاب والصفات يوجد في الآخر بنفس المعنى والعظمة . فائي تناقض أعظم من هذا ؟ ! .

^(٤) انظر الإسلام والأديان الأخرى ، اللواء أحمد عبد الوهاب ، ص: ٩١

^(١) علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، المتبني القمص ميخائيل مينا : (١٩٤-١٩٥/١) .

خامساً : عجز أصحاب هذه العقيدة عن توضيحها بمنطق يقبله العقلاء ولجوؤهم إلى ضرب الأمثلة كما ذكرت ، فإن لم تُجدى فرضاً على الناس التسليم والانقياد بدعوى أنَّ هذا هو شأن العقائد ، فهي تقابل بالانقياد دون نقاش^(٢) ، ولا ندرى كيف يؤمن النصارى بعقيدة لم يفهمها فضلاً عن أن يقنع بها؟!

سادساً : اعتراف النصارى بعجزهم عن فهم هذا الثالوث .
يقول صاحب رسالة « التوحيد والتثليث » : « من الصعب علينا أن نحاول فهم هذا الأمر (التثليث) بعقولنا القاصرة كما قال الدكتور توراس لأنَّ الله روح »^(١) .
وبتحدث د . محمد مجدي مرجان ، عن تجربته بعد حديثه عن التثليث : « ولقد تابعت طويلاً كلامات النقول وناقشت ذوي العقول ، بل لقد أتاحت لي ظروف نشأتي في عائلة تؤمن بإله ثالوثي... وتقيم الابتهالات و... أتاح لي ذلك وغيره الاطلاع على كثير من العلوم الدينية ، والأسرار اللاهوتية ، ولقد بذلت جهداً كبيراً في محاولة إقناع عقلي وفكري بظروف ولادي ونشأتي التي تختتم الإيمان بالله الثالوث بحكم الوراثة والتقليد والانسياق والعادة ، ولكنني فشلت في هذا فذهبت أبحث العقائد الأخرى »^(٢) .

سابعاً : الأمثلة التي يذكرها النصارى لا تزيد هذه العقيدة إلا غموضاً ، بل لا تزيد الإنسان إلا إيماناً باستحالة الثالوث عقلاً وحساً . وأما تشبيههم الله - سبحانه وتعالى - بالإنسان فهو من قياس الغائب على الشاهد ، فكيف يشبه من چذذث چذذث ط ط چالشوري: ١١ من هو دون ذلك ، وكيف يشبه الخالق بالملحق ؟
ونحن نعلم أنَّ التشبيه لابد فيه من وجود صفة أو صفات مشتركة بين المشبه والمشبه به ، فما التشابه بين الخالق والملحق والرب والمربوب عند النصارى ؟
إذا كان الله ذاتاً ، وناطقاً ، وحيَا ، فهل يوجب ذلك أن يكون مثل الإنسان الذي له ذات ، وهو ناطق ، وحي ؟ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

^(٢) في عقيدة المسلم هناك أمور محددة غير قابلة للنقاش لأننا لا نستطيع إدراكتها بعقولنا مثل ذات الله وأمور الغيب ونحوها ، أما مaudعاً ذلك فما أكثر دعوة القرآن إلى التدبر والتفكير في آيات الله الكونية والشرعية .

^(١) نقلًا عن كتاب المسيحية بين التوحيد والتثليث ، عبد المنعم فؤاد ، ص: ٢٢٨ .

^(٢) الله واحد ألم ثالوث ، ص: ٥ .

وأمّا التشبيه بالتفاحة التي لها ذات وطعم ورائحة ، فنحن نستطيع أن نقول على فرض التسليم بذلك إنَّ خواص هذه التفاحة لا تقتصر على هذه الثلاثة الصفات المذكورة ، فالتفاحة ، وما يماثلها لها حجم ، ولون ، وشكل ، وملمس ، وزن ، وغير ذلك من الأوصاف ، فلماذا لا يقول النصارى بدلاً من الثالث بالرابع والخامس والسادس ، وهكذا بعدد خواص المشبه به حتى يستقيم تمثيلهم ، ونجد أننا في غنى عن الاسترسال في الرد فقد ظهر من الأدلة على بطلان هذه العقيدة ما حصل منه المقصود إن شاء الله .

رد القرآن الكريم على هذه العقيدة :

المبحث الرابع

تقديس مريم عليها السلام

وفيه تمهيد ومطلبان

- المطلب الأول : التقديس الاعتقادي**
- المطلب الثاني : التقديس العملي**



تمهيد :

يرتبط تقديس النصارى لمريم عليها السلام بتقديسهم للمسيح الغَلَيْلَةُ ؟ فعقيدتهم فيها ترتبط بعقيدين من العقائد المتعلقة بالمسيح الغَلَيْلَةُ ، وهما :

١ - عقيدة ألوهية المسيح الغَلَيْلَةُ ؛ فلكون المسيح الغَلَيْلَةُ إِلَهًا - عندهم - فإنَّ مريم لابد أن تكون هي والدة الإله .

٢ - عقيدة تجسد المسيح الغَلَيْلَةُ ، وعندهم أنَّ التجسد لم يتم إلا عن طريق العذراء مريم ، ولو لا أنها قبلت أن تكون جسداً للمسيح الغَلَيْلَةُ لم تتم عملية التجسد . يقول اللاهوتي الأرثوذكسي نقولا كباسيلاس : « إنَّ التجسد لم يكن فعل الأب وقدرته وروحه فحسب ، ولكنَّه أيضاً فعل إرادة العذراء وإيمانها ، فبدون الكلية النقاوة ، بدون مساعدة إيمانها لكان تحقيق هذا المقصود متذرراً » ^(١) .

وهذا النص يبين دور مريم في عملية التجسد ، وأنَّها قمت طبقاً لإرادتها وقبوتها لها . وإذا بحثنا في مظاهر تقديس النصارى لمريم عليها السلام نجد أنَّها تضمن جانبين جانب اعتقادياً ، وجانب عملي ، وسأتحدث عن ذلك فيما يلي :

المطلب الأول : التقديس الاعتقادي :

ويُعد الجانب الأهم في تقديس مريم عليها السلام عند النصارى ، ومن أهم صوره :

١ - الاعتقاد بأنَّ مريم والدة الإله :

يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أنَّ مريم هي والدة الإله ، وأنَّ الله تعالى اختارها منذ الأزل لتكون أمّاً لابنه . وهذه العقيدة من أهم العقائد المتعلقة بمريم عليها السلام .

وقد تقررت في المجمع المسكوني الثالث (مجمع أفسس الأول) عام ٤٣١ م ^(٢) . وكان إقرارها ردًّا على مقالة نسطور أو "نسطوريوس" الذي كان كاهناً بأنطاكية ثم رُسم أسفقاً

^(١) نقلًّا عن مدخل إلى العقيدة المسيحية ، كوسٍي بندلي وجموعة من المؤلفين ، ص: ١٢٠ .

^(٢) انظر خلاصة اللاهوت المريعي ، الأب أوغسطين دوبرة لاتور ، ص: ٦٥ ، الرواية الأرثوذك司ية لوالدة الإله ، مجموعة من المؤلفين ، ص: ١٢٣ ، ومريم أم الرب ورمز الكنيسة ، ماكس توريان ، ص: ٨٥ .

على القسطنطينية عام ٤٢٨ م ، وكان يقول إنَّ مريم لم تكن سوى امرأة ، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة ، وعليه ؛ فلا يجوز القول بأنَّ مريم هي التي تلد الله ، بل التي تلد يسوع الإنسان ، ولذلك اعتاد أن يستخدم لقب "انثروبوقوس" أو "خرستوطوقوس" الذي يعني والدة المسيح ، ورفض أن يطلق عليها "ثيوطوقوس" الذي يعني والدة الإله^(١) .

ولما بلغ ذلك مسامع كيرلس^(٢) ببابا الإسكندرية كتب رسالة إلى نسطورس عام ٤٢٩ م مبيناً فيها التعاليم الصحيحة - بزعمه - في شأن مريم عليها السلام ، ثمَّ كتب رسالة ثانية إلى نسطورس لذات الغرض .

وفي عام ٤٣١ م انعقد المجمع المككوني الثالث بأفسس تحت رئاسة البابا كيرلس ، وممَّا قاله البابا في ذلك المجمع : « السلام لمريم والدة الإله، كثر العالم كله الملوكي، المصباح غير المنطفيء ، إكليل البتولية ، صوجان الأرثوذكسيَّة ، الهيكل غير المفهوم ، مسكن غير المحدود ، الأم وعذراء »^(٣) .

وتقرر في هذا المجمع حرمان نسطور ، حيث أعلن المجمع أنَّ « من لا يعترف بأنَّ عمانوئيل هو الله حقاً ، وبالتالي فإنَّ القديسة العذراء هي "الشيفتو كوس" إذ ولدت كلمة الله المتجسد حسب الجسد فليكن محروماً »^(٤) .

وبذلك أدان المجمع رأي نسطور ، وثبت لقب والدة الإله كعقيدة لجميع النصارى .

أدلة النصارى على أنَّ مريم والدة الإله :

عند البحث في استدلال النصارى على هذه العقيدة نجد أنَّه يعود إلى أصل واحد ، وهو الاستدلال بألوهية المسيح الكليل - بزعمهم - ، وأنَّه إذا كانت العذراء قد ولدت "عمانوئيل" الذي معناه الإله فهي والدة الإله .

^(١) انظر خلاصة اللاهوت المريخي ، ص: ٦٦ ، الرؤية الأرثوذكسيَّة ، ص: ١٢٢ ، القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي ، القمص تادرس يعقوب ملطي ، ص: ٢٨ .

^(٢) يسمى كيرلس الكبير الأول والبابا الرابع والعشرون ، تولى البابوية في الفترة (٤١٢-٤٤٤) م ، وتولى رئاسة مجمع أفسس عام ٤٣١ م . انظر: تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطي ، ص: ٨٧ .

^(٣) القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي ، القمص تادرس يعقوب ملطي ، ص: ٢٨ .

^(٤) المصدر نفسه ، ص: ٣٠ .

ومع أنَّ هذه العقيدة لم تقر إلا متأخرًا ، إلا أنَّ النصارى يحاولون الاستدلال عليها بنصوص الأسفار ، ومن أشهر أدلةهم في ذلك دليلاً :

الأول : يطلقون عليه دليل البشرة ، ويراد به عندهم بشارات الملائكة بميلاد "الإله" في زعمهم ، وهو النص الوارد في إنجيل لوقا : « فدخل إليها الملائكة وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ! الرب معك . مباركة أنت في النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكت ما عسى أن تكون هذه التحية ! . فقال لها الملائكة : لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلى وتلدرين ابناً وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيمًا ، وابن العلي يدعى ، ويعطيه الله كرسي داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون ملكه نهاية فقالت مريم للملائكة : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً . فأجاب الملائكة وقال لها الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظلك ، فذلك أيضًا القدس المولود منك يدعى ابن الله . وهوذا أليصابات نسيتك هي أيضًا حبلٍ بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرًا لأنَّه ليس شيء غير ممكن لدى الله . فقالت مريم : هوذا أنا أمة الله . ليكن لي كقولك . فمضى من عندها الملائكة »^(١) .

الدليل الثاني : دليل الزيارة ، ويقصد به زيارة مريم لنسيتها أليصابات (زوجة زكريا) كما يقولون ، وقد جاء في هذا النص : « فقامت مريم في تلك الأيام ، وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهودا ، ودخلت بيت زكريا ، وسلمت على أليصابات . فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتকض الجنين في بطنها ، وامتلأت أليصابات من الروح القدس ، وصرخت بصوت عظيم ، وقالت : مباركة أنت في النساء ، ومبركة هي ثمرة بطنك ! فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربِّي إلى ؟ فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني أرتکض الجنين بابتهاج في بطني . فطوبى للي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل ربِّي »^(٢) .

وي يكن نقد هذه العقيدة بما يلي :

١ - هذه العقيدة لم تقر إلا في مجمع أفسس الذي عقد في عام ٤٣١ م . أي بعد ما يقارب أربعة قرون من رفع المسيح الكليل ، وهذا يعني عدم وجود نصوص في الأنجليل تدل

^(١) لوقا : (١/٢٨-٣٨) .

^(٢) المصدر نفسه : (١/٣٩-٤٥) .

عليها شأنها في ذلك شأن الكثير من العقائد المبتدةعة عند النصارى التي تقر نتيجة الخلاف الذي يقع بينهم ، ولو وجد النص الصحيح والصریح لم يقع فيها الخلاف .

٢ - كان الغرض من إثباتها في الحقيقة هو تأكيد عقيدة أخرى ، وهي القول بألوهية المسيح الكليل ، والذي يلزم منه القول بأنَّ مريم هي والدة الإله ، وهذا يعني أن هذه العقيدة ليس لها مستند صحيح ، وإنما نشأت لخدمة عقيدة أخرى دار حولها الخلاف .

٣ - من وجه آخر أقول : إنَّ هذه العقيدة لم تقرباً بناً على نصوص عند النصارى ، وإنما كانت ردًا على مقالة نسطور بأنَّ مريم هي أم المسيح الكليل ، وهذا يتضمن القول ببشرية المسيح الكليل ، وهو ينقض ما تقرر سابقاً لدى النصارى من القول بألوهيته ، فلزم النصارى القول بأنَّ مريم هي والدة الإله لإثبات الأمر الأول ، وهذا يدل على أنَّ النصوص التي أوردها النصارى من الكذب الذي احتلقوه لإثبات عقائدهم المبتدةعة .

٤ - لم ترد البشارة بأنَّ مريم عليها السلام هي والدة الإله على لسان الملك ، وإنما جاءت في قول مريم ، ثمَّ في قول أليصابات – كما في النص الثاني – وهذا يدل على أن هذا النص من الكذب ؛ لأنَّه لو كانت مريم هي والدة الإله لكان ذلك الأمر أول ما يشير به الملك ، وإنما جاء وصف المولود كما في النص السابق بأنه : ابن ، يسوع ، ملك ، وهذه ليست من صفات الإله وإنما هي من صفات سائر البشر . والله أعلم .

٤ - بتوالية مريم الدائمة :

يعتقد النصارى بتوالية مريم وأنَّ ابن الله – بزعمهم – ولد من عذراء حافظت على بكارتها ، وبقيت عذراء في الولادة وبعدها ، وقد أقرت في الجمجمة المسكوني الخامس (القسطنطيني الثاني) عام ٥٥٣م، وجاء فيه : «إذا لم يعترف أحد بميلادي ابن الله الأول من الآب قبل الدهور ، وهو ميلاد لا زمني ولا جسدي ، والآخر في الأيام الأخيرة ، وهو الذي نزل من السماء وتجسد في مريم القدِيسة المجيدة أمَّ الله الدائمة البتولية ، وولد منها فليكن ملعوناً»^(١) .

وهاتان العقائدان اتفقت عليهما جميع الطوائفنصرانية ، وزاد الكاثوليك ما يلي :

^(١) انظر : اللاهوت المقارن ، البابا شنودة : (٩٥/١) ، خلاصة اللاهوت المرعبي ، الآب وغستان دوبرة لاتور ، ص: ٢٧١ ، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله ، مجموعة من المؤلفين ، ص: ١٢٩ .

٣- عقيدة الجبل بلا دنس :

ويقصد بها عندهم أنَّ مريم عليها السلام افتدت منذ أن حُبِلَ بها من دنس الخطيئة الأولى ، التي تلوث بها جميع البشر - بزعمهم - ، وأنَّها قد تفردت من بين جميع البشر بأنَّها ولدت دون أن تصيبها أدنى لطخة من الخطيئة الأصلية الأولى .

وقد تقررت بإعلان البابا بيوس التاسع لها عام ١٨٥٤ م ، وجاء في إعلانه: « إنَّ الطوباوية العذراء مريم قد صينت منذ اللحظة الأولى للجبل بها سليمة من كل لطخة من لطخات الخطيئة الأصلية ، وذلك بنعمة من الله الكلبي ، وبإنعام منه ، نظراً إلى استحقاقات يسوع المسيح مخلص الجنس البشري »^(١) .

وهكذا يرى النصارى تميز مريم عليها السلام عن بقية البشر ، بأنَّها لم تتلوث بالخطيئة الأولى ، وأنَّ ذلك راجع إلى استحقاق المسيح الكلبي نفسه .

وليس لهذه العقيدة أصل في أسفار النصارى ، وهم يعترفون بذلك ، ولكنَّهم يرجعونها إلى قداستة مريم عليها السلام ، ويربطونها بعقيدة والدة الإله ، وبتواليتها الدائمة ، ويررون أنَّها تعبير عن سابق إعداد لتكون أم المسيح الكلبي .

ويمكن نقد هذه العقيدة بما يلي :

١- أنَّ هذه العقيدة لا تستند على أي دليل من كتب النصارى ، وهذا باعترافهم هم ، وهذا يدل قطعاً على ابتداعها ، وما يؤكِّد ذلك :

٢- أنَّها لم تقر إلا في عام ١٨٥٤ م ، أي بعد زمان المسيح بأكثر من ثمانية عشر قرناً ، فأين الباباوات السابقون والذين يقارب عددهم المائتين عن هذه العقيدة !

٣- أنكر الأرثوذكس والبروتستانت هذه العقيدة ، بل ردت عليها ، وما رد به الأرثوذكس على ذلك أمران :

الأول : أنَّ عملية الفداء تمت بصلب المسيح لا قبله ، والقول بأنَّ مريم ولدت مفتداة من الخطيئة لا يجعل عملية الخلاص التي قام بها المسيح ذات قيمة .

^(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، لجنة التأليف بالكرسي الرسولي ، ص ١٦١ ، وخلاصة اللاهوت المريمي ، الأب أوغسطين دوبرة لاتور ، ص: ٨١-٨٢ .

والثاني : إذا كان القول بأنَّ مريم ولدت مفتداة لأجل أنَّها ساهمت في إعداد الطبيعة التي تحسدت في أحشائهما ، فإنَّ كلَّ نسل المسيح قد شارك في ذلك ، فليست مريم مزية عن غيرها ، فلماذا لم يكرِّم هذا النسل بالافتداء من الخطيئة كما حدث لمريم ؟

٤ - صعود مريم بجسدها إلى السماء :

يرى الكاثوليك أنَّ مريم بعد أن أتت حيالها على الأرض رُفعت بالجسد والنفس إلى السماء لتكون ملكة السماء ، وتحلُّس عن يمين ابنها . ولم تقر هذه العقيدة إلا عام ١٩٥٠ م ، في عهد البابا بيوس الثاني عشر ، وجاء في إعلانه : « نؤكِّد ونعلن ونحدد عقيدة أوحى بها الله وهي أنَّ أمَّ الله الطاهرة مريم الدائمة البتولية ، بعدما أتت مسيرة حيالها في الأرض ، رُفعت بالجسد والنفس إلى المجد السماوي »^(١) .

وهذه العقيدة – كسابقتها – ليس عليها دليل مما يسمى بالكتاب المقدس ، ولكن الكاثوليك يحاولون الاستدلال عليها من خلال ربطها بقداسة مريم عليه السلام ، وربطها بألوهية المسيح الكليل نفسه من جهة أخرى ، وحاصل استدلاهم يعود إلى أمرتين :
١ - كما أنَّ مريم متحدة مع ابنها الإلهي (هكذا يقولون) اتحاداً وثيقاً ، ومشتركةً معه في مصيره ؛ فإنَّ انتقالها إلى السماء بالجسد والنفس متفق مع ما يقتضيه ذاك الاتحاد ، ولم يكن ممكناً فصلها عن ابنها بعد مماتها .

٢ - وصف مريم بأنَّها حواء الجديدة ، وهذا يعني أنها موازية لآدم الجديد (يقصدون به عيسى الكليل) ، وقد اتحدت بآدم الجديد اتحاداً وثيقاً ؛ ولذلك فلا بد أن تتحد معه في النصر ، فكما أنَّ قيامة المسيح جانب جوهرى لانتصاره على الخطيئة ؛ فكذلك لا بد أن تنتهي الحرب التي خاضتها مريم متحدة مع ابنها بتمجيد جسدها البتولي وذلك برفعه إلى السماء .

وهذا الدليل يعود من حيث المعنى إلى الدليل الأول . ويمكن نقد هذه العقيدة بما ذكرته في العقيدة السابقة مما يعني عن إعادته هنا .

^(١) خلاصة اللاهوت المريمي ، الأب أوغسطين دوبرة لاتور ، ص: ٩٢ .

٥- أنَّ مريم عليها السلام شريكة في الخلاص مع المسيح عليهما السلام :

يعتقد الكاثوليكي بمشاركة مريم عليها السلام بمشاركة المسيح عليهما السلام في عملية الفداء التي قام بها ؛ ويقولون : كما أنَّ الله جعل المسيح على وجه خاص الوسيط والفادي أراد على نحو فعال ربط شخص الأم وعملها بشخص ابنتها وعمله .

وهذه العقيدة أُقرت كذلك في المجمع الفاتيكي الثاني ، وجاء فيه : « أن العذراء الطوباوية التي أعدت منذ الأزل في تصميم تحسد الكلمة كي تكون أمَّ الله ، غدت على الأرض ، بتدبير العناية الإلهية أمًا حبيبة للمخلص الإلهي وشريكة سخية في عمله بصفة فريدة أبداً ، وأمَّه للرب وديعة بالحبل باليسوع ، بوضعها إياه في العالم ، وبتعذيبها له ، وبتقدمة في الهيكل إلى أبيه ، وبتألمها مع ابنها الذي مات على الصليب ، ساهمت في عمل المخلص مساهمة لا مثيل لها بخضوعها وإيمانها ، برجائها ومحبتها الحارة كي تعود الحياة الفائقة الطبيعية إلى النفوس . ولهذا كانت لنا أمًا في نطاق نظام النعمة » ^(١) .

وهذا النص يبين بعض أوجه مشاركة مريم عليها السلام للمسيح عليهما السلام في عملية الخلاص ؛ ولأجل هذه المشاركة فقد أطلق على مريم الألقاب الكثيرة ، ومنها : الحامية ، والمعينة ، المساعدة ، والوسيلة ^(٢) .

٦- مريم أم الكنيسة ، وأم أبناء الله ، وأم الناس :

أطلق الكاثوليكي هذا اللقب مؤخرًا على مريم ، ويرعمون أنَّه بسبب دورها في عملية الخلاص ، وقد أوضح ذلك المجمع الفاتيكي الثاني ، حيث جاء فيه : « لهذا يتونحى الجميع المقدس ، وهو يقدم تعليم الكنيسة التي فيها يتم الفادي خلاصنا ، أن يوضح بعناية ، من جهة دور الطوباوية العذراء في سر الكلمة المتجسد ، والجسد السري ، ومن جهة أخرى واجبات المفتديين نحو أمَّ الله ، أمَّ المسيح ، أمَّ البشر ، وفي طليعتهم المؤمنين » ^(٣) .

وهذه العقيدة مبنية – كالعقائد السابقة – على أنَّ مريم هي أمَّ الله ، وليس لها أدلة مستقلة من كتبهم .

^(١) الوثائق الجمعية للمجمع المسكوني الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة : ٦١ ، ص: ١٣٥-١٣٦ .

^(٢) المصدر نفسه ، الفقرة نفسها ، ص: ١٣٦ .

^(٣) المصدر نفسه ، الفقرة : ٥٤ ، ص: ١٢٩ .

المطلب الثاني : التقديس العملي :

تمهيد :

حظيت مريم عليها السلام بتقديس كبير عند النصارى بناء على الاعتقاد بأنّها أم الله ، وهي عندهم فوق جميع البشر - عدا المسيح - ، وفوق الملائكة كذلك . وقد أكد المجمع الفاتيكان الثاني هذه المترفة الرفيعة ، حيث جاء فيه : « إنَّ مريم التي رفعت بنعمة الله ، بعد ابنها فوق كل الملائكة وفوق كل البشر أُمّا اللَّه كلية القدسية ، وعاشت أسرار المسيح لتكرّمها الكنيسة بحق ، إكراماً خاصاً . وبالواقع قد كرمت العذراء مريم بلقب أمَّ اللَّه منذ أقدم الأجيال ، والمؤمنون يلجأون إلى حمايتها ، ضارعين إليها في كل مخاطرهم وحاجاتهم ، ولا سيما منذ الجمع الأفسيسي ، حيث عرف تكريّم شعب الله لمريم نمواً غريباً تحت أشكال الإكرام والمحبة والتوكيل إليها والتشبه بها حسب كلماتها النبوية »^(١) .

وهذا النص يبيّن الإكرام الخاص الذي حظيت به مريم عليها السلام ، باعتبارها والدة الإله ، ويحدد بعض صور التقديس لها ، مثل الاستغاثة بها في طلب الحاجات ، أو الحماية من المخاطر ، أو التوكيل بها عند الرب . وأهم صور إكرامها على التفصيل :

١- اطلاق ألقاب التعظيم عليها :

فهي : والدة الإله ، أمُّ الكنيسة ، أمُّ أبناء الله ، أمُّ البشر ، أمُّ الأحياء ، فائقـة القدسـة ، كلـية القدسـة ، المـمتلـة نـعـمة ، المـلـكة ، مـلـكة السـمـاء ، حـوـاء الجـديـدة ، حـوـاء الثـانـيـة ، أمُّ جـمـيع الأـحـيـاء ، أمُّ الـحـيـاة الـجـديـدة ، الـحـامـيـة ، الـنـصـيرـة ، الـظـهـيرـة ، الشـفـيعـة ، الوـسـيـطـة ، وـسـيـطـة كلـنـعـم ، المـنـارـة الـذـهـبـيـة ، وـغـيرـهـا مـنـ الـأـلـقـاب .

وهذه الألقاب تتضمن تقديساً كبيراً لها ، من حيث كثرتها ، ومن حيث اشتمال بعضها على الشرك الصريح ، مثل وصفها بوالدة الإله ، والشفيعة ، والنصير ، وهذه الألقاب مما لا يجوز إطلاقه إلا على الله تعالى .

^(١) المصدر السابق ، فقرة ٦٦ ، ص: ١٣٩-١٤٠ .

٢- إقامة الأعياد لأجلها :

وهذه الأعياد تقام بزعم النصارى تخليداً لذكرها ، وتذكيراً بفضائلها ، وهم يجعلون لكل حدث مهم في حياتها - بحسب معتقدهم - عيداً ، ومن أهم الأعياد التي تقام لأجلها وتسمى بالأعياد المريمية ما يلي :

أ - عيد ميلادها ، ويُقام في ٨ أيلول من كل عام .

ب - دخولها الهيكل ، ويُقام في ٢١ تشرين الثاني .

ج - وفاتها ، ويسمى عيد النياحة أو الرقاد ، ويُقام في ١٥ آب .

د - صعود جسدها إلى السماء - بزعمهم - ^(١) . وهذا العيد في الأصل مبني على عقيدة صعود مريم بجسدها إلى السماء ، وهي من عقائد الكاثوليك ، ولكنَّ الأرثوذكس يختلفون بهذا العيد ، مما يدل على اعتقادهم بتلك العقيدة ، وإن كانوا لا يعلنونها كعقيدة رسمية ، لعدم وجود أدلة عليها .

وهذه الأعياد تشتمل على قراءة نصوص من الأنجليل ومن رسائل العهد الجديد ، وتتضمن الشرك بالله تعالى ، من خلال وصف مريم عليها السلام بما لا يجوز أن يكون إلا الله ، أو بطلب ما لا يقدر عليه إلا هو ، أو بعبادتها والسجود لها ، ومن الأمثلة على ذلك : في عيد ميلاد والدة الإله - بزعمهم - يقولون : « فمريم قد فاقت بهاءً على كل مولود لأنَّها إذ ولدت ولدت بالجسد إله الكل من حشا لا زرع فيه وهي وحدها الباب لابن الله الوحيد الذي احتازه وحفظه مغلقاً » ^(٢) ، « يا والدة الإله أنت الفردوس السري إذ أنت أنت المسيح بغير فلاحة الذي منه نصبت في الأرض شجرة الصليب الحاملة الحياة . فالآن إذ نسجد له مرفوعاً لك نعظم » ^(٣) .

ويوضح ذلك أكثر ما جاء فيما يسمى عندهم بعيد الرقاد : « هلموا يا عشر محبي الأعياد نتوج البيعة بالنشائد في رقاد تابوت الله ، لأنَّ السماء اليوم تبسط أحضانها متقبلة التي ولدت من لا يسعه الكل ، والأرض تتزين بالبركة والبهاء معيدة ينبوع الحياة .

^(١) انظر : اللاهوت المقارن ، البابا شنودة : (٨٩/١) ، الرؤية الأرثوذك司ية لوالدة الإله ، مجموعة من المؤلفين ، ص: ٣٨ ، القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي ، القمص تادرس ملطي ، ص: ٧٨ .

^(٢) الرؤية الأرثوذك司ية ، ص: ٤٥ .

^(٣) المصدر نفسه ص: ٤٧ .

والملائكة يقيمون مصفاً مع الرسل محددين بمهابة والتي ولدت عنصر الحياة متنقلة من حياة إلى حياة فلنجد لها جميعاً مبتهلين وقائلين : لا تنسى أيتها السيدة المشاركين لك في النسبة البشرية »^(١) .

وهذه النصوص تتضمن الشرك بعيسى عليه السلام وعريم على السواء ، بتعظيمها ، والسجود لهما ، وما يذكر من حال السماوات والأرض والملائكة لأجلهما في يوم عيد مریم – كما يزعمون – ، وهذا يدل على أن النصارى قد تجاوزوا حدود الإكرام الذي يدعونه ووقعوا في الشرك الصريح في عيسى وفي أمه على السواء .

٣- تقدیس صور مریم عليها السلام :

يقدس النصارى الصور التي يزعمون أنها لمریم عليها السلام ، ويسمونها بالأیقونات ، وهي ذات مكانة مقدسة عندهم ؛ ولذلك يصفونها بـ "الكتاب المقدس الملون" ، ويزعمون أنها تقربهم من الشخص المصور حتى يكونوا في حضرته ، وهي أداة للصلة لُكْرَم و تُبَخَّر ، وهي تبارك المكان – باعتقادهم – ؛ لأنها تحضر إليه الشخص المرسوم ، ولأجل ذلك توضع في الكنائس^(٢) .

وهذه الأیقونات – مثل الأعياد المريمية – تعبر عن أهم الأحداث في حياة مریم عليها السلام – كما يعتقد النصارى – ، ومن أبرزها :

أ- أیقونة البشارة ، ويقصد بها بشارة الملك لمریم عليها السلام بميلاد المسيح عليه السلام .

ب- أیقونة الميلاد ، وهي تعبير عن ميلاد المسيح عليه السلام .

ج- أیقونة رقاد مریم ، أي موتها ، وهي تعبير عن ذلك المشهد .

ومن الأمور المشتركة بين جميع الأیقونات أمران :

الأول : أنها تحتوي على ثلاث بحثات ، الأولى على هامة مریم ، والآخريان على كتفيهما ، وذلك يرمي عندهم إلى عذرية مریم قبل الولادة ، وأنثائها ، وبعدها .

والثاني : وجود صورتها مع صورة المسيح عليه السلام ، وهذا يرمي إلى ارتباط مریم بال المسيح الوثيق ، وتحديداً يرمي إلى عقيدة والدة الإله .

^(١) المصدر السابق ، ص: ٦٦ .

^(٢) المصدر السابق ، ص: ٧٧-٧٨ .

وما سبق ذكره عن الأيقونات يتبيّن لنا أمران :

١ - وقوع النصارى في الشرك في هذه الأيقونات من خلال اعتقادهم بأنَّ مريم والدة الإله .

٢ - عبادتهم الحقيقة لهذه الصور – وإن كانوا ينكرون ذلك نظريًّا – من خلال طلب شفاعتها وبركتها ، وما يؤكّد ذلك أيضًا وجود بعض الأيقونات التي تظهر فيها صورة مريم وهي واقفة ، ويداها نحو السماء في وضع صلاة وابتهال ، وهذا يرمي عندهم إلى شفاعتها للجنس البشري ^(١) .

وللأجل وقوعهم في عبادتها قامت حرب كبيرة ضد هذه الأيقونات من قبل المصلحين باعتبار أنها من مظاهر الوثنية والشرك بالله تعالى ؛ ولذلك فإنَّ البروتستانت يحرّمون وضع الأيقونات في الكنائس .

٤ - عبادة مريم عليها السلام :

يوجد في طقوس النصارى ما يدل على عبادة النصارى لمريم عليها عبادة حقيقة ، ومن ذلك :

١ - جاء في الصلاة التي تسمى بصلاة النوم الصغرى ما يلي: « أَيَّتْهَا الْمُجِيدةُ الْمَبَارَكَةُ والدَّةُ إِلَهُ الدَّائِمَةُ الْبَتُولِيَّةُ قَدَمَ صَلَاتِنَا إِلَى ابْنِكَ وَإِلَهُنَا مَتَوَسِّلَةٌ إِلَيْهِ لَكِي يَخْلُصَ نَفْوسَنَا إِنِّي أَنَا عَبْدُكَ يَا وَالدَّةُ إِلَهُ أَكْتُبَ رَأِيَاتَ الْغَلَبةِ يَا جَنْدِيَّةَ مَحَامِيَّةَ ، وَأَقْدَمَ لَكَ الشَّكْرَ كَمْنَقْذَةَ مِنَ الشَّدَائِدِ . لَكُنْ بِمَا أَنَّ لَكَ الْعِزَّةَ الَّتِي لَا تَحَارِبُ اعْتِقَبِيَّ مِنْ صَنُوفِ الشَّدَائِدِ حَتَّى أَصْرَخَ إِلَيْكَ : افْرَحِي يَا عَرْوَسًا لَا عَرْوَسَ لَهَا » ^(٢) .

٢ - وأيضاً جاء في الصلاة التي تسمى صلاة باكر : « أَيَّتْهَا الْعَذْرَاءُ مَرِيمُ وَالدَّةُ إِلَهُ الْقَدِيسَةِ الشَّفِيعَةِ الْأَمِينَةِ لِجَنْسِ الْبَشَرِيَّةِ ، اشْفَعِي فِينَا أَمَامَ الْمَسِيحِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لَكِي يَنْعَمَ لَنَا بَغْفَرَانَ خَطَايَانَا . السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيَّتْهَا الْعَذْرَاءُ الْمَلَكَةُ الْحَقِيقَةُ السَّلَامُ لِفَخْرِ جَنْسِنَا وَلَدَتْ لَنَا عَمَّانُوئِيلَ نَسَّالَكَ اذْكُرِنَا أَيَّتْهَا الشَّفِيعَةُ الْمُؤْمِنَةُ أَمَامَ رَبِّنَا يَسُوعَ لِيغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا » ^(٣) .

^(١) المصدر السابق : ص ، ٨٠ .

^(٢) المصدر السابق ، ص ، ٤١-٤٢ .

^(٣) القدسية مريم في المفهوم الأرثوذكسي ، القمص تادرس يعقوب ملطي ، ص: ٧٥ .

خلاصة :

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدْلِي بِدَلَالَةٍ صَرِيقَةٍ أَنَّ مَرِيمَ قَدْ عَبَدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَمَا عَبَدَ عِيسَى الْعَلِيُّ الْمَكِينُ ،
وَذَلِكَ مَا يَكْذِبُ دُعَوَى النَّصَارَى فِي عَدَمِ عِبَادَتِهِمْ لَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الفصل الثاني

تقديس من يطلق عليه النصارى (جماعة الرسل)

وفيه بحث

❖ **المبحث الأول :** جماعة الرسل عن النصارى

❖ **المبحث الثاني :** صور تقطيس هذه الجماعة

❖ **المبحث الثالث :** هنافشة اعتقاد النصارى حول هذه الجماعة

البحث الأول

جماعة (الرسل) عند النصارى

وفي مطلبان

- المطلب الأول : نظرة حول المصادر النصرانية التي تحدثت عن جماعة الرسل
- المطلب الثاني : المرأة بجماعة الرسل في المصادر النصرانية

المطلب الأول : نظرة حول المصادر النصرانية التي تحدثت عن جماعة الرسل :



يدعى النصارى أنَّ عيسى عليه السلام قد اختار من أتباعه اثني عشر رجلاً وجعلهم رسلاً ، وأعطاهم سلطانه ، وأمرهم أن يكرزوا بالإنجيل الذي جاء به جميع بني إسرائيل ؛ وبناءً على ذلك ، فقد اطلق النصارى على هذه الجماعة لقب (الرسل) .
ومن أهم المصادرنصرانية التي تحدثت عن جماعة الرسل ما يلي :

- ١- سفر أعمال الرسل .
- ٢- تاريخ الكنيسة ، ليوسابيوس القيصري الذي كان معاصرًا لقسطنطين الذي تولى عرش الإمبراطورية عام ٣٢٣ م ، وهذا الكتاب من أهم وأقدم المصادر التي تحدثت عن هذه الجماعة .
- ٣- تاريخ الأمة القبطية ، من تأليف لجنة التاريخ القبطي .
- ٤- تاريخ الفكر المسيحي ، للدكتور القس حنا الحضري .
- ٥- الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، لنيافة الأنبا يوأنس .

وإذا أردنا البحث عمّا كُتب عن هذه الجماعة من خلال هذه المصادر فسنلاحظ

الملاحظات التالية :

الأولى : أنَّ هذا البحث يكتنفه بعض الصعوبات ، وفي المقام الأول منها قلة المصادر والوثائق التاريخية التي تتحدث عن هذه الفترة الأمر الذي يتبع عنه قلة المعلومات في هذا الباب ، وبالتالي الخروج بصورة غير دقيقة عن هذه الجماعة ، فنحن لا نجد في هذه المصادر حديثاً مفصلاً عنها مع أنها تتبع أعلى المنازل التي يمكن أن يصل إليها البشر وهي متصلة الرسالة ، وهذا الحكم ينسحب على الفترة التاريخية التي عاشت فيها تلك الجماعة . وقد اعترف بعض النصارى بهذه الحقيقة ، ومن ذلك :

يقول نيفا الأنبا يوأنس: « سنحاول بقدر الإمكان أن نرسم صورة لدى انتشار بشري الخلاص في العالم القديم على أيدي (رسل) المسيح . . لكنَّها مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد ، فتاريخ الكنيسة في العصر (الرسولي) تعوزه المصادر والوثائق التاريخية السليمة ، والموثوق بها . . ومن هنا كانت الصعوبة والتعقيد » ^(١) .

^(١) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، ص: ١٢٢ .

وهذا الأمر الذي أشرت إليه يصل أحياناً إلى الحد الذي لا نجد فيه أي معلومة عن بعض أفراد هذه الجماعة غير أسمائهم .

وهذا الملحوظ مع كونه في غاية الغرابة إلا أنَّ له دلالة في غاية الأهمية ، وسنذكرها في موضعها عند مناقشة الآراء حول تلك الجماعة .

الثانية : يستثنى من الحكم السابق ما ورد في حق اثنين ؛ أمّا الأول فإنَّه من أفراد هذه الجماعة ، وهو بطرس الذي يرى النصارى أنَّه رئيس الجماعة ، وأمّا الثاني فهو بولس ، ومع أنَّ هذا الرجل لم يرد له أي ذكر في قائمة هذه الجماعة ، لا في الأنجليل ولا في أقوال النصارى أنفسهم إلا أنَّه قد نال منزلة فاقت منزلة جميع أفراد هذه الجماعة حتى بطرس نفسه ، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله .

الثالثة : أنَّ السفر المسمى بسفر أعمال الرسل ، والذي يختص بالحديث عن هذه الجماعة لا يتعرض لبطرس — وهو رئيس الجماعة عندهم — إلا بشيء قليل من الذكر ، وأمّا النصيب الأكبر فقد حازه بولس الذي يقارب الحديث عنه ثلثي هذا السفر ، وأمّا بقية هذه الجماعة فإنَّ الحديث عنهم لا يكاد يذكر ، وبعضهم لم يرد إلا اسمه فقط .

المطلب الثاني : المراد بجماعة الرسل في المصادر النصرانية :

١- إطلاقات الكلمة في هذه المصادر :

يقول أصحاب قاموس الكتاب المقدس عن كلمة رسول أنها أطلقت على ما يلي :

١- يطلق الاسم بصفة خاصة على تلاميذ (الرب) يسوع الإثني عشر ، الذين اختارهم ليعاينوا حوادث حياته على الأرض ، ويروه بعد قيامته ، ويشهدوا له أمام العالم بعد حلول الروح القدس عليهم .

٢- وأطلقت لفظة رسول أيضاً على برنبابا الذي لازم بولس في خدماته الأولى في أنطاكية ، وفي آسيا الصغرى .

٣- وأطلقت كذلك بمعنى أعم على المبشرين بالإنجيل .

٤- وُسُمِي مخلصنا رسولاً ، وهو خليق بهذا الاسم ، لأنَّه هو المرسل من الآب لخلاص البشرية وفي ٤٢ موضعًا من إنجيل يوحنا يتحدث المسيح عن نفسه بأنَّه مرسل من الآب^(١) .

^(١) قاموس الكتاب المقدس : ٤٠٣ .

وهذا البيان لإطلاق كلمة الرسول عند النصارى يلاحظ عليه أمران :

الأول : أنَّ أشهر إطلاقاتها على جماعة التلاميذ الإثني عشر ، الذين يعتقد النصارى أنَّ المسيح الكليل عينهم ، وهذا هو المشهور عندهم ، وهو ما تؤكد موسوعة الكتاب المقدس ، التي جاء فيها : « وهي تستعمل في العهد الجديد بصورة رئيسية للإشارة إلى تلاميذ المسيح الإثني عشر ، وإلى بولس وغيره من المسيحيين الذين شغلتهم العمل التبشيري » ^(١) .

الثاني : إغفاله لإطلاق هذه الكلمة على بولس ، مع أنَّ هذا الإطلاق قد ورد كثيراً في العهد الجديد ، وقد جاءت الإشارة إلى هذا الإطلاق في نص موسوعة الكتاب المقدس السالف الذكر .

٢ - وصف هذه الجماعة في العهد الجديد :

يعتقد النصارى أنَّ عدد هذه الجماعة اثنا عشر شخصاً ، وأنَّهم رسل من قبل المسيح الكليل ، ويستندون في تحديد هذا العدد على ما ورد في إنجليل متى : « ثمَّ دعا الاثني عشر ، وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ، ويسفوا كل مريض ، وكل ضعف ، وأمَّا أسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه : الأول سمعان الذي يقال له بطرس ، وأندراوس أخوه ، ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه ، فيلبيس ، وبرشوملاوس ، توما ، ومتي العشار ، ويعقوب بن حلفي ، ولباوس الملقب تداوس ، سمعان القانوني ، ويهودا الإسخريوطى الذي أسلمه ، هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع ، وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تضوا ، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى حرف بيت إسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون ، أكرزوا قائلين : إنَّه قد اقترب ملوكوت السماوات . اشفوا مرضى ، طهروا برصاً ، أقيموا موتى ، أخرجو شياطين ، بمحاناأخذتم مجاناً أعطوا ٠٠٠ » ^(٢) .

وهذا النص ، بل وهذا الإصلاح الذي أوردت منه النص يعد في غاية الأهمية عند النصارى حيث إنَّه – عندهم – يؤكِّد تكليف عيسى الكليل – الرب عندهم – بالرسالة لهؤلاء الاتباع .

^(١) موسوعة الكتاب المقدس ، ص : ١٥٧ ، نخبة من ذوي الخبرة ، لم تذكر اسمائهم في الكتاب المذكور .

^(٢) متى : (٨-١٠) . والإصلاح الأول كله في شأن هذه الجماعة .

يقول متى هنري - شارح إنجليل متى - في مقدمته لشرح هذا الإصلاح الذي أوردت منه النص المذكور : « هذا الإصلاح هو بثابة عظة الرسامة التي ألقاها رب يسوع المسيح حينما رقى تلاميذه الإثنى عشر إلى درجة الرسولية » ^(١).

وهذا النص المنسوب إلى عيسى عليه السلام - عند تحليله - يثبت أموراً ، منها :

١ - تحديد عدد رسل المسيح عليه السلام - بزعم النصارى - وأنهم اثنا عشر .

٢ - أنه يُعد عندهم بثابة اعتماد هؤلاء التلاميذ رسلاً .

٣ - أنه يتضمن إعطاءهم السلطان المؤيد لرسالتهم ، وهو سلطانهم في إخراج الأرواح النجسة ، وشفاء المرضى ، والضعفاء .

٤ - تحديد مضمون هذه الرسالة ، وهو الكرازة باقتراب ملوكوت السماوات ، والذي يعلق عليه هنري متى بقوله : « دعوا الناس يعرفون أن ملوكوت الميسيا ، الذي هو الرب في السماء يجب أن يؤسس الآن حسبما جاء في الكتب ، الأمر الذي يتطلب أنهم يجب أن يتوبوا عن خططيتهم ويتركوها لكي يهلوا لامتيازات هذا الملوكوت » ^(٢) .

٥ - تحديد المرسل إليهم ، وهم اليهود دون غيرهم .

وأماماً تحديد عدد هؤلاء الرسل بالاثني عشر ففيه سر عند النصارى ، وقد ذكره أندره لومير ^(٣) قائلاً : « في العدد اثناعشر إشارة مباشرة إلى أسباط إسرائيل الإثنى عشر . وإذا كان يسوع قد اختار اثني عشر رجلاً فلكي يجعل منهم كوادر إسرائيل الجديد » ^(٤) .

شروط الرسول عند النصارى :

الرسول عند النصارى من توفر فيه شرطان ذكرهما أصحاب الكتاب المقدس وهما :

« الأول : أن يكون قد اتصل بالمسيح عليه السلام ، وعاشره ، وتلقى تعاليمه منه مباشرة .

والثاني : أن يكون المسيح عليه السلام قد دعاه إلى هذه الخدمة » ^(٥) .

^(١) تفسير الكتاب المقدس : (٣١٦/١) .

^(٢) تفسير إنجليل متى : (٣٢٣) .

^(٣) هو باحث في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي كما جاء في التعريف به في بداية مقاله في المرجع الذي سأشير إليه .

^(٤) تاريخ الكنيسة المفصل : (٤٠/١) .

^(٥) قاموس الكتاب المقدس : (٤٠٣) .

المبحث الثاني

صور تقديس جماعة الرسل عند النصارى

وفيه مطلبان

- **المطلب الأول** : صور تقديس **الثانية** عنصر
- **المطلب الثاني** : تميز بطرس وبولس عن بقية من يسمون **بالرسل**



المطلب الأول : صور تقديس الإثني عشر :

لقد غلا النصارى في شأن هذه الجماعة ، وأفاضوا عليهم من الألقاب والصفات ما لا يستحقونه، وفيما يلي محاولة لرصد أهم صور التقديس لهذه الجماعة ، مع تدعيم ذلك بما يمكن من أقوال النصارى وتقريراتهم .

الصورة الأولى : دعواهم أنَّ الربَّ خصمَهُمْ بِكثِيرٍ مِّنَ الْعَطَايَا :

فالنصارى يرون أنَّ عِيسَى الْعَلِيَّ - الرب في نظرهم - هو الذي اختار هذه الجماعة من بين أتباعه ليكونوا رسلاً يكرزون بالإنجيل الذي جاء به ، ويرون أنَّ عِيسَى الْعَلِيَّ هو الذي سماهم رسلاً : « ولما كان النهار دعا تلاميذه ، واختار منهم اثني عشر ، الذين سماهم أيضاً رسلاً : سمعان الذي سماه أيضاً بطرس ، وأندراوس أخاه ... » ^(١) .

وقد ذكر الآب خليل أَدَهُ اليسوعي كثيراً مما اختصت به هذه الجماعة ، حيث يقول ما مختصره : « ثُمَّ أَخْذَ - يعني عِيسَى الْعَلِيَّ - بِتَشْقِيفِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ . وَكَانَ الرَّبُّ إِذَا ضَرَبَ مَثَلًا لِلْجَمِيعِ يَفْسُرُهُ لَهُمْ وَحْدَهُمْ فِي الْخَلْوَةِ ، لَأَنَّهُمْ أَعْطُوا مَعْرِفَةَ مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ ، وَكُلَّ الْكَلَامِ الَّذِي أَعْطَاهُ إِلَيْهِ الْآبُ ، وَقَدْ أَحْبَبَهُمْ إِلَى الْغَايَةِ ، وَصَلَّى خَصْوَصًا مِنْ أَجْلِهِمْ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِمْ مِنْ الْآبِ أَنْ يَكُونُوا وَاحِدًا ، وَأَنْ يَكُونُوا مَعَهُ لِيَرَوُا مَجْدَهِ ... وَلَئِنْ يَرَتِبَ أَحَدٌ فِي حَقِيقَةِ السُّلْطَةِ الَّتِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا عَلَى شَعْبِهِ قَالَ لَهُمْ صَرِيḥًا (يوحنا ٢١/٢٠ ، ٢١/١٧ ، ١٨/١٨) : (كما أَرْسَلْتِنِي الْآبُ أَنَا مَرْسُلُكُمْ) ، فَرِسْلَةُ الرَّسُلِ هِيَ رِسْلَةُ الْمَسِيحِ الْعَلِيِّ بِالذَّاتِ ... إِذَا كَانَتِ الطَّاعَةُ لِلرَّسُلِ وَاجِبَةُ كَالطَّاعَةِ لِلْمَسِيحِ ، فَالسَّلَطَانُ الَّذِي لَهُمْ سَلَطَانُ الْمَسِيحِ بَعْنَيهِ . وَزَادَ عَلَى ذَلِكَ تَصْرِيḥًا بِقُولِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : (متى ١٨/١٨) الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ كُلَّ مَا رَبَطْتُمُوهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ ، وَكُلَّ مَا حَلَّتُمُوهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ » ^(٢) .

وهذا النص فيه جملة من المزايا التي يرى الكاتب أنَّ المَسِيحَ الْعَلِيَّ قد منحها لهؤلاء الرسل - بحسب اعتقاده - وهي :

١ - الخلوة بهم ، وتخسيصهم بتفسير الأمثلة التي يضر بها لشعبه .

^(١) لوقا : (٦/١٣-١٤) .

^(٢) الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض ، : ٥٥-٥٧ باختصار .

٢- معرفتهم بأسرار ملوكوت السماوات ، والوحى الذى أوحاه الله للمسيح ﷺ .

٣- حبه لهم إلى الغاية .

٤- الصلاة من أجلهم ، والإلحاح على الآب أن يتحدونا بال المسيح ﷺ ، ويروا مجده .

وقد بين يوحنا صاحب الإنجيل هذه الصلاة التي كانت من أجل هؤلاء الرسل تحت عنوان : (الصلاة من أجل تلاميذه) ، فقال ما نصه مختصراً : « من أجلهم أنا أسأّل . لست أسأّل من أجل العالم ، بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك .. وأنا مجد فيهم . ولست أنا بعد في العالم ، وأمّا هؤلاء فهم في العالم ، وأنا آتى إليك أيّها الآب القدس ، احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما نحن . حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك الذي أعطيتني حفظهم ، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهاك ليتم الكتاب .. قدسهم في حقك . كلامك هو حق كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ، ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق ^(١) . »

٥- طاعتهم واجبة مثل طاعة المسيح ﷺ .

٦- أنهم نالوا نفس السلطان الذي ناله المسيح ﷺ .

ومن العطایا التي يذكرها النصاری لهذه الجماعة - غير ما ذكره الكاتب - أنَّ المسيح ﷺ معهم ، وهو يقودهم كل يوم ، بل وإلى منتهى الدهر : « .. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » ^(٢) .

وقد جاء في كتاب التعليم المسيحي لدى الكنيسة الكاثوليكية - وهو الكتاب المعتمد عندهم - ما يؤكد هذا المعنى : « ... ولكن هناك وجهاً لمهمتهم ثابتاً ، فقد وعدهم المسيح بأن يبقى معهم إلى منتهى الدهر » ^(٣) .

الصورة الثانية : دعوى شهودهم قيامة المسيح ﷺ :

يعتقد النصارى بأنَّ المسيح ﷺ قد صُلب ، ودُفن في قبره ، ثمَّ قام من بين الأموات ، ثمَّ ظهر لهؤلاء الرسل أربعين يوماً ، وكان يحدثهم عن ملوكوت الله .

^(١) يوحنا : (١٧-٩/١٧) مختصراً .

^(٢) متى : (٢٨/٢٠) .

^(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية : ص ٢٧٤ .

جاء في سفر أعمال الرسل : « بعدهما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة ، بعدهما تألم ، وهو يظهر لهم أربعين يوماً ، ويتكلّم عن الأمور المختصة بملكوت الله » ^(١) .

وقد جاء في الأنجليل أيضاً الإشارة إلى ما نالته هذه الجماعة من شهودهم قيامة رب من بين الأموات – بزعمهم – ومن ثم تخصيصها بالحديث عن ملكوت السماوات ومن النصوص التي جاءت في هذا الباب ما يلي :

١ - ما جاء على لسان بطرس : « فينبغي أنَّ الرجال الذين اجتمعوا معنا كلَّ الزمان الذي فيه دخل إلينا ربُّ يسوع وخرج ، منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا يصير واحدٌ منهم شاهداً معنا بقيامته » ^(٢) .

٢ - وأشار أيضاً إلى هذه الآية العجزة – بشيء من الفخر – في حديثه أمام اليهود قائلاً : « أَيَّهَا الرِّجال الإِسْرَائِيلِيُّونَ : اسْمَاعُوا إِلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ يَسُوعُ النَّاصِريُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهُنَّ لَكُمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ بِقُوَّاتِ وَعَجَابِ وَآيَاتِ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ . هَذَا أَحْذَنُوهُ مُسْلِمًا بِعِشُورَةِ اللَّهِ الْمُخْتُومَةِ ، وَعَلِمَهُ السَّابِقُ ، بِأَيْدِي أُمَّةٍ صَلَبَتُمُوهُ وَقُتِلَتُمُوهُ ، الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ ناقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يَمْسِكَ مِنْهُ » ^(٣) .

٣ - ثم يكرر بطرس – في عظه لليهود – هذه القضية ، وكأنَّه يريد أن يكرس هذه العقيدة مبيناً أنَّ داود الغَلَيْلِيُّ – الذي أقسم الله له بأن يقيم من صلبه من يجلس على كرسي ملكه – قد أخبر أيضاً عن قيمة المسيح الغَلَيْلِيُّ من بين الأموات : « .. أَيَّهَا الرِّجالُ الْأَخْوَةُ يسوعُ أَنْ يقالُ لَكُمْ جَهَاراً عَنْ رَئِيسِ الْآبَاءِ داودَ أَنَّهُ ماتَ وُدُفِنَ ، وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هَذَا الْيَوْمِ . فَإِذَا كَانَ نَبِيًّا ، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ حَلَفَ لَهُ بِقِسْمٍ أَنَّهُ مِنْ ثُرَّهِ صَلَبَهُ يَقِيمُ الْمَسِيحَ حَسْبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كَرْسِيهِ ، سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ .. فَيَسْوَعُ هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ ، وَنَحْنُ شَهُودٌ عَلَى ذَلِكَ » ^(٤) .

^(١) أعمال الرسل : (٢/١) .

^(٢) المصدر نفسه : (٢٢-٢١/١) .

^(٣) المصدر نفسه : (٢٤-٢٢/٢) .

^(٤) المصدر السابق : (٣٣-٢٩) .

والمقصود من هذه الشواهد أنَّ النصارى يجعلون من أعظم ما أُعطي هؤلاء المسمَّون بالرسل شهودهم لقيامة رب ، حتى إنَّ بعضهم يحصر المهمة الأساسية لهم بالإعلان عن قيامة المسيح العَلِيِّ لبني إسرائيل ٠

يقول الباحث أندره لومير : « وكان مهمة الاثني عشر الأساسية أن تعلن عن قيامة يسوع إلى رجال إسرائيل » ^(١) .

الصورة الثالثة : دعوى نزول الروح القدس وتأييده لهم :

يدعى النصارى أن الروح القدس قد نزل وحل على هؤلاء (الرسل) في اليوم الخمسين بعد قيامة المسيح العَلِيِّ - بزعمهم - من بين الأموات وبعد صعوده إلى السماء بعشرة أيام ، وهم يسمون هذا اليوم الذي نزل فيه الروح القدس بيوم العنصرة ^(٢) .

ويررون أنَّ الروح القدس بعد أن حل عليهم زودهم بقدرات خاصة من القدرة على التكلم باللغات المختلفة ، التي لم يكونوا يعرفونها ، وعلى الخطابة ، وعمل المعجزات ^(٣) . ويستندون في ذلك على ما ورد في سفر أعمال الرسل : « ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنَّا من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » ^(٤) .

ويعتبر النصارى أنَّ نزول الروح القدس على هذه الجماعة بمثابة تحقيق الوعد الذي وعدهم به المسيح العَلِيِّ - رب في نظرهم - وقد قال لهم : « لكنكم ستثالون قوة ملىء حل الروح القدس عليكم ، وتكونون لي شهوداً في أورشليم ، وفي كل اليهودية ،

^(١) تاريخ الكنيسة المفصل : (٤٠/١) .

^(٢) قيل إن ذلك نسبة إلى النار على اعتبار أنها عنصر . انظر : تاريخ الأمة القبطية : ص : ٤٣ .

^(٣) انظر تاريخ الأمة القبطية : ص : ٤٢ .

^(٤) أعمال الرسل : (٤-٢) .

والسامرة، وإلى أقصى الأرض »^(١) ، وكذلك وعدهم بأنَّ الروح القدس نفسه هو الذي سيعدهم : « وأمَّا أنتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير »^(٢) .
ويعظم النصارى هذا اليوم – يوم الخمسين – لاعتبار آخر ، وهو أَنَّهم يعودونه بداية التاريخ لكنائسهم ، ولذلك يصفونه بـأنَّه يوم ميلاد الكنيسة ، وهذا مبني على اعتبار أنَّ هؤلاء الإثني عشر (الرسل في اعتقادهم) هم الذين انشأوا هذه الكنائس ، وأنَّ وجودها الواقعي قد بدأ في هذا اليوم^(٣) .

ويعتقد النصارى أنَّ أثر نزول الروح القدس لم ينته بانتهاء هذه الحادثة بل أنَّه استمر معهم مما كان سبباً في انتشار دعوتهم إلى أقصى الأرض .

يوضح الباحث جان بوتان – أحد مفسري ما يسمى بالكتاب المقدس – هذا الأثر قائلاً : « كان أهم شيء في الموضوع أن يفهم الجميع أنَّه ما من شيء يقدر أن يعرقل انتشار الكنيسة إلى أقصى الأرض ، حتى ولا أعنف الاضطهادات ، لأنَّ روح الله الذي حل على الرسل في يوم الكنيسة الأول سيواصل عمله في رسول المسيح الكلية إلى نهاية العالم »^(٤) .

وهذا القدر الذي ذكرت يوضح المترلة التي نالها هؤلاء الرسل بسبب ما نالهم من عطايا (روحهم القدس!) ، مما أعلى مرتلتهم لدى النصارى .

الصورة الرابعة : التأييد بالمعجزات :

يرى النصارى أنَّ المسيح الكلية تحقيقاً لرسالة هؤلاء الإثني عشر ، ولأجل قيامهم بما يسمى بالكرازة بالإنجيل فقد أيدهم بالمعجزات ، وأعطاهم سلطاناً على جميع الشياطين ، وشفاء الأمراض ، والضعفاء ، ويورد لوقا هذا الأمر قائلاً : « ودعا تلاميذه الإثني عشر ، وأعطاهم قوةً وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض ، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويسفوا المرضى »^(٥) .

ويتحدث سفر أعمال الرسل عن هذه الآيات التي أيد الله بها هؤلاء ، ومن ذلك :

^(١) أعمال الرسل : (٨/١).

^(٢) المصدر نفسه : (٥/١).

^(٣) انظر مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرولر ، ص : ٢٥.

^(٤) تاريخ الكنيسة المفصل : (٢٠/٢).

^(٥) لوقا : (٩/١ - ٢).

١ - « وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب .. وكان مؤمنون ينظمون للرب أكثر ، جماهير من رجال ونساء ، حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على فُرُش وأسرّة ، حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم . واجتمع جمهور المدن الخيطية إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نحبسة ، وكانوا ييرأون جميعهم » ^(١) .

فانظر إلى غلو النصارى في هذه الجماعة لاسيما بطرس الذي أصبح مجرد ظله من أعظم ما تتعلق به هم الناس في شفاء مرضاهם وإخراج الأرواح النجسة منهم .

٢ - المعجزة التي حدثت لهم في السجن عند اضطهادهم من قبل كهنة اليهود ، وكيف أنهم خرجوا منه بأعجوبة : « ققام رئيس الكهنة وجميع الذين معه فألقوا أيديهم على الرسل ، ووضعوهم في حبس العامة . ولكنَّ ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال : اذهبوا قفووا وكلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة » ^(٢) .

ويلاحظ أنَّ سفر أعمال الرسل مع ذكره لهذه المعجزات العجيبة ، إلا أنَّه جعل النصيب الأكبر منها لبطرس ، الذي يُعد عندهم رئيس الرسل ، وسوف أتحدث عنه بالتفصيل في موضعه إن شاء الله .

الصورة الخامسة : سلطان مغفرة الذنوب :

يعتقد النصارى أنَّ المسيح صلوات الله عليه بعد أن ظهر للثانية عشر بعد قيامته من الأموات ، وكلفهم بالرسالة أنَّه أيدهم بسلطان مغفرة الذنوب ، وإمساك الغفران ، وأصبحت بذلك ذنوب العباد ، بل أمرهم مرهونة بمؤلاء ، وهذا غاية التقديس فيهم .

وقد جاء تقرير هذا السلطان الذي نالوه في إنجيل يوحنا : « فقال لهم يسوع أيضاً : سلام لكم ! كما أرسلني الآب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفح وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من غرفتم خطاياه تعفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » ^(٣) .

^(١) أعمال الرسل : (٥/١٦-١٢) .

^(٢) المصدر نفسه : (٥/١٧-٢١) .

^(٣) يوحنا : (٢٠/٢٣-٢١) .

وهذا السلطان المزعوم قد ورثه من يسمى بـ رجال الدين وعلى رأسهم الباباوات ،
وسوف أتحدث عنهم في موضعه ان شاء الله .

الصورة السادسة : مكانتهم تصاهي مترلة الأنبياء السابقين أو أعظم :

وتستمر حلقة التقديس لهذه الجماعة ، حتى يصل الأمر إلى أن يجعل بعض النصارى
مترلة هذه الجماعة مساوية لمترلة الأنبياء السابقين ، وقد ساوي بينهم في التسمية لوقا في
إنجيله ، حيث جعل من أتباع المسيح اللَّهُ أَكْبَرُ أنبياء ورسل : « ولذلك أيضاً قالت حكمة الله
: إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءً وَرَسُلًا فَيَقْتَلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ ، لَكِي يَطْلَبَ مِنْ هَذَا الْجَيْلِ دَمَ
جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْذِ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ » ^(١) .

وقد جعل بولس نفسه في مترلة أعلى من مترلة هؤلاء الأنبياء باعتبار أن تلقיהם للوحى
لم يكن بمعاينة من (الرب بزعمه) كما حدث له هو ذلك ، وقد أشار إلى هذا
الفرق بقوله : « فَإِنَّا نَتَصْرَفُ بِرَبَاطَةِ جَائِشٍ عَظِيمٍ لَا كَمْوَسَىٰ ذَي يَضْعُفُ قَناعًا عَلَى وَجْهِهِ
لَثَلَا يَنْظَرُ بَنُو إِسْرَائِيلَ نَهايَةَ مَا يَزُولُ » ^(٢) .

وهذا النص كما يدل على القدر في هذا النبي الكريم ، فإن فيه تفضيل بولس لنفسه
على موسى اللَّهُ أَكْبَرُ من حيث أَنَّهُ أُعْطِيَ مِنْ رِبَاطِ الْجَائِشِ مَا لَمْ يَصُلْ إِلَيْهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ اللَّهُ أَكْبَرُ .
يقول عبدالمجيد الشرفي موضحاً تلك المترلة الرفيعة لبولس على سائر الأنبياء وأَنَّهُ : « أَجَلَّ مِنْ
موسى وَهَارُونَ وَدَاؤِدَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِذَا قَرَئَتِ رسَالَتَهُ وَكَلَامَهُ فِي
البَيْعَةِ قَامُوا قِيَاماً إِعْظَاماً وَأَجْلَالاً لَهُ وَلِكَلَامِهِ » ^(٣) .

الصورة السابعة : مترلتهم فيما يسمى بيوم الدينونة :

تند مترلة هذه الجماعة عند النصارى حتى تشمل الآخرة ، حيث يعتقدون أنَّ هؤلاء
الرسل مترلة تختلف عن بقية الناس في يوم الدينونة ، وأنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ عَرْشًا ،
ويقومون بمحاسبة أسباط بنى إسرائيل ، وقد جاء هذا الاعتقاد استناداً على ما أورده متى في

^(١) لوقا : (١١/٤٩-٥٠) .

^(٢) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس : (٣/١٣-١٤) .

^(٣) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع ، ص: ٥٢٣ .

إنجيله ، حيث قال : « مَنْ جَلَسَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ ، تَحْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى
الثَّيْرَةِ عَشَرَ كَرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَثْنَيْ عَشَرَ » ^(١) .

المطلب الثاني : امتياز بطرس وبولس عن بقية من يسمى بالرسل :

حظي بطرس وبولس من بين أفراد هذه الجماعة بمتلة رفيعة لم يصل إليها أحد ، وإذا
قارنا بين الآخرين نجد أنَّ بولس بالرغم من أنَّه لم يكن في عداد من يسمى بالرسل
المنصوص عليهم في أسفار العهد الجديد ، إلا أنَّه قد تبوأ متلة وذكراً لم يبلغه أحد من أفراد
هذه الجماعة حتى بطرس نفسه الذي يعد رئيس الجماعة نفسها ، وسألناه فيما يلي عنهمما
، كما جاء في المصادر النصرانية نفسها .

أولاً : متلة بطرس :

بطرس اسم يوناني ، معناه صخر أو حجر وهو رئيس جماعة من يسمى بالرسل ،
وكان يسمى سمعان ، واسم أبيه يونا ، ويزعم النصارى أنَّ المسيح الكليل قد سماه بهذا الاسم
، وكانت مهمته صيد السمك ، ويرجح أنَّه كان تلميذ يوحنا المعمدان قبل مجئه إلى المسيح
الكليل ، وقد دعاه المسيح الكليل ثلاث مرات ليكون تلميذاً ، ثمَّ دعاه ثانيةً ليكون رفيقاً
ملازماً ، ثمَّ دعاه ثالثاً ليكون رسولاً له ^(٢) .

ويبرز النصارى متلته ويخصونه بأمور لا يشاركه فيها غيره .

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ما يدل على تميزه عن بقية الاثني عشر ، ومن
ذلك قولهم : « وَقَدْ سَاعَدَ حَمَاسَ بَطْرُسَ وَنشاطِهِ وَغَيْرِهِ عَلَى أَنْ يَبْرُزَ كَالْمُتَقْدِمِ بَيْنَ التَّلَامِيذِ
مِنَ الْبَدَائِيَّةِ ، فَيُذَكَّرُ أَسْمَهُ دَائِمًاً أَوْلًاً عِنْدَ ذِكْرِ أَسْمَاءِ الرَّسُلِ ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ أَسْمَاءِ التَّلَامِيذِ
الثَّلَاثَةِ الْمُقْرَبِينَ جَدًّا إِلَى يَسُوعَ كَانَ أَسْمَهُ يُذَكَّرُ أَوْلًاً ، فَمِثْلًاً فِي التَّجْلِيِّ ، وَعِنْدَ إِقَامَةِ ابْنَةِ
بَايِّرِسَ ، وَفِي بَسْتَانِ حَتْسِيمَانِيِّ ، وَهَلْمَ جَرَا . . . » ^(٣) .

وأماماً على وجه التفصيل ، فإنَّ أهم ما تميز به ما يلي :

^(١) متن : (١٩/٢٨) .

^(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس : ص : ١٧٤ .

^(٣) المصدر نفسه : ص : ١٧٥ .

١- بطرس أول من اعترف بحقيقة المسيح اللَّهُ :

يعتقد النصارى أنَّ أكثر ما يميز بطرس عن بقية رفاقه أنَّه أول من أدرك حقيقة المسيح اللَّهُ ، واعترافه بأنَّه ابن الله « قال لهم : وأنتم من تقولون أني أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ابن الله الحي ! . فأجاب يسوع وقال له : طوب لك يا سمعان ابن يونا ، أن لحماً ودمًا لم يعلن لك ، لكن أبى الذي في السموات » ^(١) .

٢- الرب منح سلطانه إليه :

جاء منح هذا السلطان عقب اعترافه بأنَّ المسيح اللَّهُ ابن الله ، وكأنَّه مكافأة له على ذلك ، وقد جاءت الإشارة إليه منح في إنجيل متى: « وأنا أقول لك أيضًا يا بطرس ، وعلى هذه الصحراء أبني كنيستي ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملوكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات » ^(٢) .

يقول المفسر النصراني ولIAM كارلي عند تفسير هذه الفقرة : « إنَّ هذه العبارة من المسيح ليست سهلة ، قد أعطاه المسيح بعض الامتيازات ، وبعض المسؤوليات ، فالعبارة تشير إلى سلطة مزيدة ، وقوة خاصة لبطرس . ومن ذلك أنَّ بطرس الخادم الأمين للملوكوت ، الذي معه المفتاح ليفتح باب الملوكوت أمام الراغبين في الخلاص » ^(٣) .

٣- قيادته للتلاميذ بعد خيانة يهوذا :

يعتقد النصارى أنَّ بطرس هو الذي قاد التلاميذ إلى سد الفراغ بانتخاب البديل ليهوذا ، وأنَّه قام بتوضيح معنى حلول الروح ، وأنَّ الخلاص يكون بالإيمان بابن الله لغفرة الخطايا ، وبسبب هذا التقدم انضم إلى الكنيسة أول ثلاثة آلاف عضو ^(٤) .

٤- ما نسب إليه من القيام بالمعجزات :

ومما يرفع شأن بطرس – أيضًا – ما ينسب إليه من المعجزات ، مثل شفاء المرضى ، فهو يشفى الشحاذ الأعرج ، وأيناس ، وهو الذي أحيا طابيشا بعد أن كانت ميتة .

^(١) متى : (١٦/١٥-١٧) .

^(٢) المصدر نفسه : (١٦/١٨-١٩) .

^(٣) تفسير متى : (١/٣١٦-٣١٨) ، بتصرف .

^(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص : ١٧٥-١٧٦ .

ثانياً : متزلة بولس :

يمكن إيضاح متزلة بولس بصورة عامة من خلال المقارنات التالية :

ال الحديث عنه في أسفار العهد الجديد يأخذ مساحة كبرى لا يوازيها الحديث عن جميع الآثني عشر ، الذين يعتقد أنهم من الرسل ، وأيضاً فإن عدد الرسائل المنسوبة إليه إضافة إلى سفر أعمال الرسل – الذي يتحدث أغلبه عنه – يعادل – تقريباً – ما كتب في الأنجلترا مجتمعة ، وبعبارة أخرى : فإن ما كتب عن بولس يعادل نصف أسفار العهد الجديد ، ثم إذا قارنا بين رسائله ، ورسائل العهد الجديد فسنجد أن عدد رسائله يبلغ أربع عشرة رسالة من بين واحدٍ وعشرين رسالة هي بمجموع رسائل العهد الجديد ، مما يعني أن بولس قد حضي بثلثي رسائل العهد الجديد ، وأخيراً فإذا قارنا بين ما كتب عنه في سفر أعمال الرسل بما كتب عن غيره من يعد من الرسل فسنجد أن الحديث عنه أخذ ثلثي هذا السفر .

وهذه المقارنات توضح مدى ما يتمتع به من التقديس ، والتمجيل عند النصارى .

وهذا الأمر ينسحب على كتابات النصارى أنفسهم ، ويوضحه أمران :

الأول : أن الدين يكتبون عنمن يسمى بالرسل لا يكادون يكتبون في الحقيقة إلا عن بولس وأمّا غيره ، فلا يكاد أن يذكر ، ومن الأمثلة على ذلك أن أندرولر ، في كتابه مختصر تاريخ الكنيسة قد كتب عنمن يعتقد أنهم من الرسل في أربع عشرة صفحة ، أي معدل صفحة وسدس الصفحة لكل شخص ، بينما تحدث عن بولس في واحدٍ وأربعين صفحة ، وهذا المثال غني عن التعليق !

الأمر الثاني : أن الكثير من النصارى قد أفرد بولس بمؤلفات مستقلة تتحدث عن جوانب مختلفة من شخصيته ، بينما لا نجد شيئاً من ذلك لغيره من أفراد هذه الجماعة .

أهم ما تميز به بولس عن جميع الآثني عشر:

١- رؤية الرب وتلقى الوحي منه مباشرة :

وهذا قد حصل له – بزعمهم – في حادثة دمشق المشهورة ، وقد تحدثت عنها بالتفصيل عند الحديث عن نشأة بولس .



يتحدث بولس عن تفريغه بهذا الأمر فيقول : « بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل يسوع المسيح ، والله الآب الذي أقامه من بين الأموات » ^(١) .

ويؤكد أصحاب الكتاب المقدس حصول هذه الرؤية والسماع من رب - بزعمهم - بالقول : « وإنَّه من المؤكَّد أيضًا أنَّ الرب يسوع لم يتكلَّم فقط مع بولس ، بل أيضًا ظهر له فرآه مرأى العين ٠٠٠ وبينما لا يتضح الشكل الذي رأاه بولس فيه إلا أنَّه كان أكيدًا ، واضحًا مما جعله يتحقق أنَّه يسوع و ابن الله الحي » ^(٢) .

ولأنَّ بولس قد رأى الرب - بزعمهم - ، وتلقى وحيه ، فإنَّه لم يعد بحاجة إلى أن يذهب إلى تلاميذ المسيح الكتلانية فضلاً عن أن يستشيرهم أو يأخذ عنهم ، وقد صرَّح بذلك قائلاً : « ولكن لما سُرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ، ودعا في بنعمته أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم لوقت لم استشر لحمًا ولا دمًا ، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلني ، بل انطلقت إلى العربية ، ثم رجعت أيضًا إلى دمشق » ^(٣) .

٢- آنَّه رسول إلى جميع الأمم :

يعتقد النصارى أنَّ بولس قد تميز عن جميع من يسمى بالرسل - بما فيهم بطرس - بأنَّه رسول إلى جميع الأمم ، بينما كان بطرس رسول اليهود دون غيرهم . يقول بولس متحدثاً عن هذه النعمة التي نالها -- : « لي أنا أصغر جميع القديسين ، أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بمعنى المسيح الذي لا يستقصى » ^(٤) .

ويؤكد أندروملر هذا التميُّز حيث يقوله : « وإنَّ كانا كلاهما (بطرس و بولس) منقادين بالروح القدس ، لكنَّ كان الأول رسول اليهود العظيم ، والثاني رسول الأمم العظيم » ^(٥) .

ولما كانت رسالة بولس مختلفة - باعتبار القوم المرسل إليهم - عن بقية من يسمى بالرسل كان لبولس أيضًا إنْجيل خاص به يزعم أنَّه تلقاه مباشرة من الله .

^(١) الرسالة إلى أهل غلاطية : (١/١) .

^(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص : ١٩٧ .

^(٣) الرسالة إلى أهل غلاطية : (١٥/١-١٧) .

^(٤) الرسالة إلى أفسس : (٨/٣) .

^(٥) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص: ٤١ .

وقد تحدث بولس عن هذا الإنجيل ، وعن إعراض الناس عنه بسببه فقال : « إِنَّي أَتَعْجَبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكُذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنَعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرٍ ! لَيْسَ هُوَ آخَرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَوْجِدُ قَوْمًا يَزْعُجُونَكُمْ ، وَيَرِيدُونَ أَنْ يَحْوِلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ »^(١) . وهذا النص يحمل إشارة ضمنية ببطلان ما يتضمنه إنجيله ، مما أدى إلى إعراض الناس عنه ، وتحولهم إلى الإنجيل الآخر الذي كان لدى بطرس .

وقد سُمي الإنجيل الذي جاء به إنجيل الغرلة (أي غير المختوين) في مقابل الإنجيل المسمى إنجيل الختان الذي هو لليهود فقال : « إِنَّ هُؤُلَاءِ الْمُعْتَرِفِينَ لَمْ يَشِيرُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ . بَلْ بِالْعَكْسِ ، إِذْ رَأَوْا أَنَّيْ أَتَقْتَلْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغَرْلَةِ كَمَا بَطَرَسْ عَلَى إِنْجِيلِ الْخَتَانِ فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بَطَرَسْ لِرِسَالَةِ الْخَتَانِ عَمِلَ فِي أَيْضًا لِلْأَمْمَ »^(٢) .

٣- نشاطه المميز عن بقية الجماعة :

يرى النصارى أنَّ بولس قد تميز عن جميع من يسمى بالرسل بنشاطه التبشيري ، ويعتبر هذا التمييز من الأمور التي رفعت من شأنه بين بقية رفقائه . يقول أصحاب الكتاب المقدس: « وَمَعَ أَنَّهُ (أي بولس) لَمْ يَكُنْ مِنَ الْاثْنَيْ عَشْرَ إِلَّا أَنَّهُ جَاهَدَ وَتَعَبَّ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعًا ، وَكَرَزَ فِي بَلَادِ أَكْثَرَ ، وَكَتَبَ رِسَالَاتٍ أَكْثَرَ »^(٣) . وجاء أيضًا في تاريخ الأمة القبطية : « وَامْتَازَ بُولَسُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مِنَ الْاثْنَيْ عَشْرَ بِأَعْظَمِ عَمَلٍ تَبَشِّيرِيٍّ فِي الدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ »^(٤) .

٤- وضع التماثيل والصور له :

ومن أجل ما تمنع به بولس من الأمور التي ذكرتها من قبل فقد نُصِّبت له التماثيل في كل مكان ، وزينت الكنائس بصور رسول الأمم ! . ويوجد له في الوقت الحاضر تمثال ضخم في باحة كنيسة روما ، حيث يعتقد أنَّه قد مات ودُفن في هذه المدينة .

^(١) الرسالة إلى أهل غلاطية : (٨-٦/١)

^(٢) المصدر السابق : (٢/٦-٨)

^(٣) قاموس الكتاب المقدس ، ص: ٤٠٣

^(٤) تاريخ الأمة القبطية : ص: ٤٦

٥- تلاوة رسائله في الكنيسة وقيام النصارى عند ذلك تعظيمًا وإجلالاً له :

من طقوس النصارى ما يسمى بقداس الأحد ، الذي يقام كل أسبوع في الكنيسة وفيه يقرأ من رسائل بولس ، ويقوم النصارى تعظيمًا لشأنه ، وقد ذكرت النص الوارد في ذلك عند الحديث عن تفضيل النصارى لهذه الجماعة على الأنبياء .



المبحث الثالث

نقد ما سبق عرضه

وفييه مطالب

- **المطلب الأول** : نقط طعنون في رسوليّة من يسمّى بالرسّل
- **المطلب الثاني** : طعنون في أنّ عدّة من يسمّى بالرسّل اثنا عشرين
- **المطلب الثالث** : أتباع المسيح عليه السلام بما جاء في القرآن العظيم



المطلب الأول : دعوى رسولية الجماعة الإثني عشر :

المحور الأول : مناقشة أصل هذه الدعوى :

أصل هذه الدعوى القول بألوهية المسيح ﷺ ، وأنه بمقتضى اهـا عينهم رسلاً ، وأعطـاهـم سلطـانـهـ ، ويمـكـنـ منـاقـشـتهاـ منـ خـالـلـ الـأـوـجـهـ التـالـيـةـ :

الوجه الأول : إذا كانت ألوهية المسيح هي الأصل الذي اعتمد عليه النصارى فقد بيـنـتـ فيما سـبـقـ بـطـلـانـ هـذـهـ الدـعـوـىـ ، وـإـذـاـ بـطـلـ هـذـاـ الأـصـلـ بـطـلـ ماـ بـنـيـ عـلـيـهـ ، فـيـلـزـمـ منـ ذـلـكـ بـطـلـانـ القـوـلـ بـرـسـالـةـ هـؤـلـاءـ الـأـتـبـاعـ .

الوجه الثاني : أنَّ عيسى ﷺ ليس له ميزة عن بقية البشر إلا بالرسالة ، وإذا كان حاله كذلك فإنه لا يملك لنفسه – فضلاً عن غيره – ضرًّا ولا نفعًا ، ولا يستطيع دفع هذا السلطان – المزعوم – هؤلاء الأتباع لأنَّه لا يملكه ؛ فهو لا يملك الشفاء من الأمراض ، ولا إخراج الشياطين ، فضلاً عن مغفرة الذنوب أو إمساك الغفران والتحليل والتحريم ، وإذا تقرر ذلك بطل كل سلطان يزعم النصارى أنَّه قد منحه هؤلاء الأتباع .

الوجه الثالث : أنَّ دعوى الرسالة تقتضي وجود الوحي الذي يتزل على الرسول ليبلغه إلى الناس ، وبناءً على ادعاء النصارى رسالة هؤلاء الأتباع فإنَّه لابد أن يكون عيسى ﷺ قد أوحى إليهم ، وهذا ما قررت بطلاقه آنفًا ، وإنما أن يكون الله تعالى هو الذي أوحى إليهم ، وهذا ما لم يقل به النصارى ، ولا بحد دليلاً واحداً ، ولا نصاً واحداً على أنَّ هؤلاء المسمين بالرسل كان يوحى إليهم ، وما يذكره النصارى من أمر الروح القدس ، فغايته أنَّ الروح القدس – عندهم – يأتي بالتأييد ، أو بالمعجزات ، ولكنهم لم يذكروا نصاً واحداً يقولون عنه إنَّه وحي من الله هؤلاء الأتباع .

وإنما النص الذي أورده لوقا في نزول الروح القدس عليهم في حجاب عنه بما يلي :

١- جاء في نفس الإصلاح بعد هذه الرواية أنَّه كان يقيم في أورشليم يهود أتقياء وأئمَّة تجمهروا وأخذتهم الحيرة لأنَّهم سمعوا هؤلاء الرسل بلغات مختلفة حتى إنهم قالوا ساخرين « إنَّ هؤلاء قد امتلأوا من النبيذ » ^(١) ، والتعليق هنا : كيف تكون حادثة بهذه الشهرة ، بحيث يجتمع الناس ويسمعون الرسل يتكلمون بلغات مختلفة فيتحيرون ، وتكون

^(١) أعمال الرسل : (١٣/٢)

بهذه الأهمية ، بحيث يتوقف عليها إثبات رسالة هؤلاء الرسل ، كيف تكون هذه الرواية بهذه الصفة ثم لا يذكرها إلا شخص واحد هو لوقا ؟ ، ولا يذكرها أصحاب الأنجليل أو على الأقل من كان منهم حاضراً لهذه الواقعة من تنسب إليهم الأنجليل مثل متى ويوحنا ، وقد كانت - لو صحت - أعظم شرف ينالونه وينقلونه للناس .

٢ - أنَّ لوقا نفسه لم يكن حاضراً لهذه الحادثة ؛ لأنَّه أخبرَ الله استفادَ إنجيله من مات ومرقس ، فكيف أخبرَ بها ؟ وهل علمَ بها لوحده دونَ أنْ يعلمَ بها من نقلَ عنهم إنجيله ؟ أوَّلهُ أوَّلَهُ إِلَيْهِ بَهَا ؟ أوَّلهُ افترَاها من تلقاء نفسه ؟ وأكتفيَ بهذين الوجهين في هذا المقام .

المحور الثاني : الغموض والجهالة التي تحيط بهذه الجماعة :

يعترف النصارى بأنَّ الجهالة تحيط بأحوال هذه الجماعة ، وأنَّ الغموض يكتنف الفترة التي عاشوا فيها ، وذلك بسبب قلة المصادر الموثوقة التي تحدثت عن تلك الفترة ، وهذه الجهالة لأحوالهم ، والغموض الحيط بفترة حياتهم أمر لا يمكن أن يكون مبرراً مع كونهم بهذه المترلة ، وذلك من وجهين :

الوجه الأول : من المعلوم - ضرورة - أنَّ الرسُل هم أشرف الناس على الإطلاق ، وسادة المجتمع الذي يعيشون فيه ؛ لما خصهم الله به من الفضل في كونهم وسطاء بين الله تعالى وبين خلقه في تبليغ ما أنزله الله إليهم ، ولكونهم القدوتات الصالحة الذين تتعلق هم الناس بهم وتتأثر بما تسمع من أقوالهم ، وما تراه من أحوالهم ، مما يلزم منه أن تكون أقوالهم موضع السمع والطاعة ، وأعمالهم موضع الاقتداء ، وهذه الحيثيات تعني أنَّ سيرتهم حاضرة عند أقوامهم ، وأقوالهم معروفة - ولو في الأذهان - وأعمالهم محفوظة عندهم .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما يدعوه النصارى من كونهم يأتون بالمعجزات ، من شفاء المرضى ، والضعفاء ، وإخراج الشياطين ، بل ومغفرة الذنوب لم يكن في وسع أحد من الناس أنْ يجعل من هذا شأنهم .

الوجه الثاني : لا يمكن أن يكون أمر هؤلاء بهذا المستوى من الجهالة ، التي تصل إلى حد أنَّ أكثر من نصف أفراد هذه الجماعة لا يُعرف عنهم شيئاً فضلاً عن معرفة سيرتهم أو أعمالهم في حين يُعرف من هم دونهم في ، وهم الذين يسميهم النصارى (آباء الكنيسة) ، فإنَّ سيرتهم من القرن الميلادي الأول ، إلى عصرنا الحاضر معروفة ، بل ومفصلة حتى ألفت

فيها الكتب المستقلة^(١) على الإجمال والتفصيل ، فكيف يجهل النصارى سيرة رسالهم ، ويغدون بسيرة آبائهم – الذين نقلوا عن هؤلاء (الرسول) – صباحاً ومساءً؟! .
وإذا استثنينا من هذه القاعدة ما ذكر من سيرة بطرس وبولس اللذين اشتهر أمرهما كان هذا الاستثناء دليلاً على ما ذكرته من أنَّ هذه الجهالة بهم مع اشتهر أمر هذين (الرسولين) أمر غير مبرر ولا مقبول عند العقلاء ، وأنَّ هذا الشذوذ دليل على أنَّ القضية ملقة من أساسها لإضفاء الشرعية على ما يقوم به بطرس وبولس ، والله أعلم .

المخور الثالث : مناقشة ما ورد من أخبارهم :

عند تحليل الأخبار الواردة عن هذه الجماعة لا يجد ما يدل على رسالتهم، وبيان ذلك : أنَّ هؤلاء لو كانوا رسلاً يبلغون ما أمرهم الله به لوجدنا في أقوالهم ، وأفعالهم ، ما يدل على ذلك من الدعوة إلى وحدانية الله تعالى – وهي أساس دعوة الرسل جميعاً – أو تعليم الأحكام الشرعية ، أو حتى الدعوة إلى أصول الأخلاق التي دعا إليها جميع الرسل من العدل والصدق والرحمة وغيرها ، بل إنَّ سيرهم الشخصية ليس فيها ما يدل على أنَّهم قدوات للناس ، بل يوجد نقىض ذلك ، مما يمكن إيضاحه من خلال الأمثلة التالية :

١ - أنَّ بطرس كبير الرسل – عندهم – ورئيس الجماعة الذي أعطاه رب – بزعمهم – سلطانه موصوف من قبل المسيح ﷺ نفسه وفي نص واحد بثلاث صفات ، الواحدة منها كافية في إسقاط أهليته للرسالة بل في كونه من المؤمنين ، حيث قال عنه المسيح ﷺ فيما نسب إليه – : « فالتفت وقال لبطرس : اذهب عني يا شيطان ، أنت معثرة لي ، لأنك لا تكتم بما الله لكن بما للناس »^(٢) .

فهذه ثلاثة أوصاف لبطرس : شيطان ، معثرة ، لا يهتم بما لله ، فهل يصلح أن يكون رسولاً من أتصف بواحدة من هذه الصفات ، وهل يصلح أن يكون من الأتباع الحقيقيين للمسيح ﷺ؟! بل تُنسب إلى المسيح ﷺ أنَّه أخبر بأنَّ بطرس سوف ينكره أمام الكهنة من اليهود عند القبض عليه – بزعمهم – : « قال له يسوع : الحق أقول لك : إنَّك في

^(١) من هذه الكتب : كتاب دليل إلى قراءة آباء الكنيسة ، لأدبيرت – ج . همان ، وآباء الكنيسة ، أسد رستم ، وقديسون وشهداء يسوعيون سيرة مختصرة للأب : سامي حلاق اليسوعي ، وغيرها كثيرة .

^(٢) متى : (٢٣/١٦) .

هذه الليلة قبل أن يصبح ديك تنكري ثلاث مرات »^(١) ، وقد تحقق ذلك كما يذكر السفر نفسه : « أَمَّا بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار ، فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي ؟ فأنكر قدام الجميع قائلاً : لست أدرى ما تقولين ! . ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى ، فقالت للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصري ! . فأنكر أيضاً بقسم : إِنِّي لست أعرف الرجل ! . وبعد قليل جاء القِيَام وقالوا لبطرس : حقاً أنت أيضاً منهم ، فإنَّ لغتك تظهرك ! . فابتداً حينئذٍ يلعن ويحلف : إِنِّي لا أعرف الرجل ! ، وللوقت صاح الديك »^(٢) .

٢ - يهوذا الملقب بالإسخريوطى كان خائناً ، بل ثبت عندهم أنه الذي أسلم رسوله أو ربه كما يعتقد النصارى - إلى اليهود مقابل ثلاثين من الفضة : « حينئذٍ ذهب واحد من الاثنين عشر الذي يُدعى يهوذا الإسخريوطى ، إلى رؤساء الكهنة وقال : ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه »^(٣) .

٣ - أمّا بولس فإن إتصافه بالكذب ، والتفاق ، والتملق ، واتخاده ذلك مطية لتحقيق مآربه فأمرأشهر من أن يذكر ، وقد أشرت إليه فيما سبق من الحديث عنه ،

٤ - وبالجملة ، فقد وصف عيسى عليه السلام - بحسب أسفارهم - هذه الجماعة بعدم الإيمان ، ولو بمقدار حبة خردل ، وبالإلتواء ، الدالة على التفاق : « فأجاب يسوع وقال : أيها الجيل غير المؤمن ، المحتوى ، إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم ٠٠٠ . ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا : لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه^(٤) ؟ . فقال لهم يسوع : لعدم إيمانكم ، فالحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكتتم تقولون لهذا الجبل : أنتقل من هنا إلى هناك فينتقل »^(٥) .

^(١) المصدر السابق : (٣٤/٢٦) .

^(٢) المصدر السابق : (٧٤-٦٩/٢٦) .

^(٣) المصدر السابق : (١٦٩-١٤/٢٦) .

^(٤) المراد بذلك الشيطان الذي مع الغلام ، كما جاء التصريح بذلك قبل هذا الموضع .

^(٥) متى : (٢٠-١٧/١٧) .

فها هي عبارات المسيح ﷺ لهذه الجماعة تصرح بأنهم ليس لديهم من الإيمان مثقال حبة خردل ، وتوحي بمدى غضبه عليهم ، وإذا كان هذا حالم فكيف يمكن أن يكونوا رسلاً إلى الناس ٠

وخلاصة هذا الأمر أنَّ الأولى أن يوصف أفراد هذه الجماعة بما وصف به المسيح ﷺ من يأتي من بعده حيث جاء – فيما ينسب إليه - : « ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضللون كثيرين » ^(١) . فهذا الوصف هو الأصدق في حقهم ، والله أعلم ٠

المحور الرابع مناقشة ما يدعي النصارى أن المسيح ﷺ قد منحهم إياه :

يدعى النصارى أنَّ هؤلاء الأتباع – بوجب ما منحهم رب – يشفون المرضى ، والضعفاء ، ويخرجون الشياطين ، يحلون ويحرمون ، والمسيح ﷺ – بزعمهم – يصدق على هذه الأحكام في السماء ، وكذلك فإنهم يملكون غفران الذنوب ، أو إمساك الغفران ، ثم هم فوق ذلك يجلسون على اثني عشر عرشاً يوم القيمة ليحاسبوا أسباط بنى إسرائيل ٠

هذه أهم الأمور التي ينسبونها إلى هؤلاء الأتباع ، والجواب عنها أن نقول : إنَّ جميع هذه الأمور مما احتص الله تعالى به ، وعليه ، ونسبة واحدة منها لغير الله تعالى على جهة الاختصاص يُعد شركاً به ، فيتعين أنَّ هؤلاء شركاء مع الله تعالى ، وكفى بهذا دليلاً على بطلان ما ذهبوا إليه ٠

خلاصة هذه الدعوى :

من خلال ما سبق مناقشته من دعوى رسالة هؤلاء الاثني عشر نصل إلى ما يلي :
إنَّ دعوى رسالة الاثني عشر باطلة ، لما ذكرته من الأوجه السابقة ، ولما عُلم من ديننا ، الذي هو خاتم الأديان من آنَّه لم يكن بين عيسى ﷺ ، وبين نبينا ﷺ أحد من الأنبياء .
وأمام القول بأنهم من المؤمنين بالمسيح ﷺ ، فالأرجح أنهم ليسوا كذلك ، لما يلي :

- ١ - مخالفتهم لأمر المسيح ﷺ بخروجهم إلى غير اليهود ٠
- ٢ - اتصافهم بكثير من الصفات تناقض الإيمان ؟ من الخيانة ، والنفاق ، ونحوها ٠
- ٣ - اتصافهم بالشرك بالله سبحانه وتعالى في ربوبيته ٠

^(١) المصدر السابق : (٢٤/١١) .

٥- اختلاف صورهم عن الصورة التي جاء ذكرها عن أتباع المسيح ﷺ ، كما جاء في القرآن الكريم ، وهو ما سألينه في الفقرة القادمة إن شاء الله تعالى .

مناقشة تفضيل بطرس على بقية الجماعة :

تميز بطرس عن بقية الجماعة - كما يرى النصارى - بأمور أهمها ما يلي :

١- أنه أول من اعترف بأنَّ المسيح ﷺ هو ابن الله .

٢- أنَّ الرب - المسيح - بزعمهم - قد منحه سلطانه .

٣- قيادته للتلاميذ ، لاسيما في انتخاب الثاني عشر .

٤- ما نسب إليه من المعجزات .

وي يكن الرد على هذه المزاعم من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : استدلالهم بالنص الذي ورد في أنه أول من اعترف بأنَّ المسيح ﷺ هو ابن الله مبني على أصل باطل ، هو القول ببنوة المسيح ﷺ الله تعالى ، وقد بيّنت بطلانه ؛ وبناء عليه ؛ فإنه يلزم بطلان النتيجة التي وصلوا إليها ، وأنَّ هذا النص لابد أن يكون مما تُنسب إلى المسيح ﷺ ، هو بريء منه ، لأنَّه لم يثبت - في الأنجليل نفسها - نص واحد صريح قال فيه المسيح ﷺ أنه ابن الله .

الوجه الثاني : مما يدل على الكذب في هذا النص ما جاء فيه ، بعد فقرات قليلة من أنَّ المسيح ﷺ قد وصف بطرس بأنه شيطان ، معثرة ، منافق ، وهو ما يتعارض تماماً مع ما سبق ذكره من الثناء على بطرس .

الوجه الثالث : لا يمكن ليعسى ﷺ - وهو أعرف الناس بالله - أن يمنح ذلك السلطان لغيره ، لأنَّه لا يملكه ، ولأنَّ ذلك يلزم منه إقراره بالشرك ، وحاشاه ﷺ ذلك ، وهو الذي جاء لإخراج العباد من حمأة الشرك ، وتزكية نفوسهم بالعبودية للله تعالى .

الوجه الرابع : وهو يتعلق بما سبق ، وهو أنَّ هذا السلطان - لو سلمنا به تترلاً في الخطاب معهم - لم يكن خاصاً ببطرس ، فيكون دليلاً على تميزه عنهم ؛ لأنَّه قد تُنسب إلى المسيح ﷺ أنه قد منح هذا السلطان أيضاً لجميع التلاميذ: « فالحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلوون على الأرض يكون محلولاً في السماء . وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه

يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات ، ولأنَّه حيَّشما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمِي فهناك
أكون في وسطهم »^(١)

الوجه الخامس : استدلاهم بـأنَّ بطرس قد قاد التلاميذ – على فرض التسليم به –
ليس فيه دلالة في ذاته ، بمعنى أنَّه لا يدل على أفضلية مطلقة لبطرس ؛ لأنَّ هذه القيادة قد
تكون لسبب آخر كأن يكون أكبرهم سنًا أو لسبقه عليهم في صفة خاصة أو جبت تقدمه
عليهم . وأما كونه الذي أخبرهم بـأنَّ الخلاص لا يكون إلا بالإيمان بابن الله ، فقد بينت
أصله الباطل الذي يقوم عليه ، في الوجه الأول من هذه المناقشة .

الوجه السادس : ما نسب إليه من شفاء المرضى ، وغير ذلك من المعجزات الأخرى
فإنَّ ذلك لم يكن مختصاً به ؛ فقد نسب أيضاً إلى بقية التلاميذ ، كما في الأنجليل .
وأمَّا دعوى تميُّز بولس المطلق على هذه الجماعة ؛ فقد قررت فيما سبق أنَّه مبدع
والعدو الأول لرسالة عيسى عليه السلام ، مما يقطع كل طريق للقول بكونه من أتباعه فضلاً عن
القول برسالته .

المطلب الثاني : مناقشة دعوى أن عددهم اثنا عشر رسولاً :
تقول أناجيل النصارى على أنَّ عدد من يسمى بالرسل اثناعشر رسولاً ، ويقول
علماؤهم إنَّه يشترط في الرسول أن يكون قد اتصل باليسوع عليه السلام ، وتلقى منه التعاليم
مباشرة ، وأن يكون المسيح عليه السلام قد ندبه إلى هذه الخدمة ، وبين نصوص أناجيلهم ،
وأقوال علمائهم بعض التناقضات ، يمكن إيجادها في الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ بولس الذي لم يرد في القائمة التي أعلن المسيح عليه السلام – بزعم
النصارى – أفهم الرسل ، ولم ينطبق عليه أيٌّ من شرطي النصارى التي اشترطوها في
الرسول ، حيث إنه لم يلتقي باليسوع عليه السلام طول حياته ، ولم ينتدب من قبله لهذه الرسالة مع
ذلك كله فهو معود عند النصارى من الرسل بل إنَّه عندهم في الطليعة ، فهو رسول الأمم
، وسيرته عندهم تدل على أنَّه أعظمهم على الإطلاق ، ولا ندرى بأى حيلة استطاع هذا
الرجل أن يفلت من (شروط علمائهم) ، و(قدسيّة نصوص أناجيلهم) لينال أعظم المراتب
بين هؤلاء الموصوفين بالرسل ، ويصبح أعظمهم على الإطلاق .

^(١) متن : ٢٠-١٨/١٨

الوجه الثاني : أنَّ حيانة يهوذا الاسخريوطى العظمى إضافة إلى كونها قدح في اختيار المسيح عليه السلام ، فإنَّها تنقض عدد هؤلاء المسمين بالرسل ليصبح أحد عشر رسولاً فقط ، ويلزم من ذلك لوازم ، منها خلو العرش الثاني عشر يوم الديونة من يجلس عليه ، ومن ثمْ فإنَّ سبطاً من أسباط بنى إسرائيل لن يتم حسابهم في ذلك اليوم لعدم وجود من يحاسبهم ، وإن قال النصارى أنَّ الرسول الثاني عشر هو متias أعترضنا على قولهم من عده جهات :

الجهة الأولى : أنَّ في ذلك نقض من عينهم المسيح عليه السلام بنفسه ولا محالة .

الجهة الثانية : أنَّ في ذلك اعتداء على سلطان المسيح عليه السلام في تعين الرسل .

الجهة الثالثة : أنَّ في ذلك نقض للشروط التي وضعوها ، فإنَّ هذا المدعو متias لم يثبت أنه لقي المسيح عليه السلام طيلة حياته ، وكذلك فإنَّه لم ينده إلى تلك الخدمة .

الوجه الثالث : أنَّ إجراء القرعة لا اختيار الرجل الذي يكمل الثاني عشر بين متias ، والرجل الآخر ، وهو يوسف الذي يدعى بارسابا ، وللمقاب بيغوس (١) يدل على أنَّ الرجلين استوفيا الشرطين اللازمين لكونهما من الرسل ، وعلى ذلك فإنَّ كلا الاثنين يعدان من الرسل مما يجعل العدد الحقيقي ثلاثة عشر رسولاً ، فيبطل قول النصارى بأنَّ عددهم اثنا عشر رسولاً ، ويتناقض بذلك قدسيَّة أناجيلهم التي تحدد هذا العدد .

الوجه الرابع : أنَّ هناك من يطلق عليه اسم الرسول و ليس من الرسل الذين عينهم المسيح عليه السلام بنفسه ، ولا من تنطبق عليه شرطاً الرسل ، كما حددها علماء النصارى ، ومن أبرزهم بولس ، وبرنابا اللذين وصفا بالرسول ، بل ورد أنَّ لفظ الرسول - كما ذكرت من قبل - يشمل كل مبشر بالإنجيل .

وأقرر هنا أنَّ قضية عدد الرسل ليست ذات أهمية كبيرة عندنا لبطلان أصلها ، وهو القول برسالتهم ، ولكننا نناقشها لما يقتضيه البحث العلمي من جهة ، ولبيان أنَّ بطلان أصلها يلزم منه بطلانها كنتيجة ، وهذا ما أثبته ، والحمد لله تعالى .

(١) انظر : أعمال الرسل : (٢٣/١) .

المطلب الثالث : أتباع المسيح عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم :

صورة أتباع المسيح عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم صورة مشرقة ، و مختلفة اختلافاً كلياً عن الصورة التي رسماها النصارى لأتباعه ، و سوف أذكر الآيات الكريمة الواردة في هذا الشأن ثم اتبعها بالتعليق المستفاد منها ، بالله التوفيق .

الآيات الواردة في شأن أتباع عيسى عليه السلام :

ورد ذكر أتباع عيسى عليه السلام في أربعة مواضع من القرآن وهي كما يلي :

۲- قولہ تعالیٰ : چہرہ کوئی نہ سے نہ لکھ کر کوئی نہ
المائدة: ۱۱۱ .

هذه هي الموضع التي ورد فيها الحديث عن أتباع عيسى عليه السلام ، ومن خلالها تتضح لنا صورة هؤلاء الأتباع ويمكن تفصيلها فيما يلي :

أولاً : أتباع المسيح عليه السلام هم الحواريون :

وقد جاءت تسميتهم بهذا الاسم في جميع هذه الموضع ، فهم ليسوا رسلاً كما يدعى ذلك النصارى ، وبالرجوع إلى كتب اللغة لمعرفة مدلول هذا الاسم نجد ما يلي :
قال الجوهري : « **الحواري** : الناصر ، وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون ، لأنهم كانوا قصارين » ^(١) .

وقال الفيروزآبادي : «الخواريُّ : الناصر أو ناصر الأنبياء ، والقصير ، والحميم »^(١) .

^(١) الصباح : ٦٣٩ / ٢ ، مادة : حور . والقصار الذي يغسل الثياب وينظفها كما في المصدر نفسه : (٧٩٤ / ٢) .

^(١) القاموس المحيط : (٤٨٧) .

وزاد ابن منظور على ذلك : « **الحواريون** : القصارون لتبسيطهم ، لأنَّهم كانوا قصارين ، ثمَّ غلب حتى صار كل ناصر وكل حميم حوارياً ، وتأويل الحواريين في اللغة : الذين أخلصوا ونُقْوا من كل عيب ، وكل مبالغ في نصر آخر حواريٌّ ، وخاص بعضهم به أنصار الأنبياء ، وروى شرُّ آثاره قال : **الحواري الناصح** ، وأصله **الشيء الخالص** » ^(٢) .
وخلاصة ما سبق أنَّ **الحواري** يطلق على معانٍ منها : **الناصر** ، **والقصر والحميم** ، **المخلص** **النبي** من كل عيب ، والمبالغ في نصرة أخيه ، وكذلك **الناصح** ، وتطلق في معناها **الخاص** على **أتباع عيسى عليه السلام** ، وكل هذه المعانٍ تنطبق على **أتباعه عليه السلام** .
وهذه المعانٍ أيضاً تضمن تزكية **أتباعه** ، دون الغلو فيهم الذي يدعوه النصارى ، بل الحق الذي لا ريب فيه أنَّ من يتحدث عنهم النصارى غير **أتباع المسيح الحقيقيين** الذين وصفتهم الآيات السابقة .

ثانياً : **أتباع المسيح عليه السلام لم يثبت لهم عدد معين :**

فكل الآيات التي وردت في حقهم لم يرد فيها تحديد عدد لهم ، والأقرب – والله أعلم – أنَّ كل من آمن بما جاء به عيسى عليه السلام واتبعه على ذلك ، فهو من **الحواريين** ، لأنَّ هذين الوصفين (أي : الإيمان والاتباع) هما اللذان ذُكران في الآية الثانية من سورة آل عمران ، وجاءت وصفاً لحال هؤلاء **الحواريين** ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً : **ذكر الصفات الحميدة لهؤلاء الحواريين :**

وهي مستفادة من معانٍ **كلمة الحواري** ، وكذلك من الآيات الوارددة ومن أهمها :

- ١ - **الإيمان بالله تعالى** .
- ٢ - **أتباع عيسى عليه السلام** .
- ٣ - **نصرهم له** .
- ٤ - **قربهم من المسيح عليه السلام** .
- ٥ - **إخلاصهم لله تعالى ، ونصحهم لنبيه عليه السلام** .
- ٦ - **أنَّهم قدوات صالحة لغيرهم ، ولذا أمر الله تعالى أمر المؤمنين من أمة محمد عليه السلام** **بإقتداء بهم** .

^(٢) لسان العرب : (٦٥٢ / ٢) .

وهذه الصفات للحواريون تختلف كلية عما ذُكر من الصفات التي يذكرها النصارى
لمن يسمونهم بالرسل .

تنيہ:

一一一

قال ابن جرير - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : « عن السدي (هـ هـ هـ هـ) يقول قذف في قلوبهم ، وقال آخرون معنـى ذلك : ألمـتهم ، ثمـ قال بعد ذلك : فتاوـيل الكلام إذاً : وإذاً أقيـت إلى الحوارـين أنـ صدقـوا بي وبرـسولي عيسـى فقالـوا : آمنـا أيـ صدقـنا بما أمرـتنا أنـ نؤـمنـنـ يا ربـنا » (٢)

وعلی هذا المعنی فلا حجۃ في هذه الآیة علی رسولیة هؤلاء المخوارین . والله أعلم .

الفصل الثالث :

^(١) انظر : تفسير القرآن العظيم : (٢٢٤/٢) .

^(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : (١٧٣/٥) .

تقديس البابا

وفيه ثلاثة بحث

❖ المبحث الأول : البابوية تعريفها ونشأتها

❖ المبحث الثاني : صور تقديس البابا

❖ المبحث الثالث : نقد هذه الصور

المبحث الأول

البابوية تعريفها ونشأتها

وفيه مطلبان



-
- **المطلب الأول : معنى البابوية ونشأتها**
 - **المطلب الثاني : أساليب سلطة البابوية**

المطلب الأول : معنى البابوية ونشأتها :

معنى لقب البابا : أبو الآباء ، وأول من أطلق عليه يارا كلاس البطريرك الثالث عشر من بطاركة الاسكندرية الذي اعتلى العرش الإسكندرى بين عامي (٢٣٠ - ٢٤٦ م) ، ونقل أثناسيوس راهب الكنيسة القبطية الإجماع عليه، وأنه ناله لشدة اعتبار النصارى ومحبتهم



له^(١) . ثم انتقل هذا اللقب إلى روما ، من أجل أنه كرسي بطرس ، رأس الحواريين ، فصار بطريرك رومية يقال له "البابا" ، واستمر على ذلك إلى زمننا الذي نحن فيه^(٢) . ويختص بهذا اللقب في الوقت الحاضر رئيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، الذي يتخذ الفاتيكان مقراً له ، وينازعه عليه رئيس كنيسة الأقباط في مصر ، الذي أمر أتباعه بمناداته بلقب بابا الإسكندرية ، ويطلق عليه رسمياً "صاحب الغبطه والقداسة بابا وبطريرك ورئيس اساقفة المدينة العظمى الإسكندرية وكل أرض مصر والمدينة المقدسة أورشليم والتوبه والحبشة والخمس مدن الغربية وسائر أقاليم الكرة الأرضية وكل أفريقيا وبلاد المهاجر"^(٣) .

نشأة السلطة الباباوية :

تدعى الكنيسة الكاثوليكية أنها الحاكمة على جميع المجتمع النصري ، وأنَّ البابا صاحب السلطة على جميع الكنائس الأخرى ، لأنه خليفة بطرس ، ونائب المسيح على الأرض . ويعود تاريخ الكنيسة الرومانية إلى النصف الثاني من القرن الأول من الميلاد ، حيث اعتقد الكاثوليك أنَّ مؤسسها بطرس نفسه ، ولكنَّ نفوذهما ، وظهور شأن البابا لم يكن إلا في القرن الخامس الميلادي ، ويعتقد أنَّ السبب المباشر لذلك إصدار الإمبراطور الروماني قراراً عام ٤٥٤ م ، يجعل بابا روما رئيساً عاماً للكنائس النصرانية^(٤) .

المطلب الثاني : أسباب سلطة البابوية :

هناك أسباب أخرى أدت إلى ظهور السلطة البابوية ، وأهمها ما يلي :

١-السبب الديني :

^(١) انظر : الكنيسة القبطية الأثوذكسية ، ص: ٢٧ ، معجم المصطلحات الكنسية ، أثناسيوس : (١٥١-١٥٢) .

^(٢) انظر : تاريخ الكنيسة ، ليوسابيوس القيصري ، ص: ٨٩ ، وتاريخ الأقباط ، والمسمي بالقول البريزي ، لتقي الدين المقربي ، ص: (٤٣-٤٤) .

^(٣) انظر : معجم المصطلحات الكنسية ، أثناسيوس : (١٥٣/١) .

^(٤) انظر الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص: ٢٠٦ ، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث ، محمد أحمد الحاج ، ص: ١٦٥ .

وهو ادعاء بابا روما بأنه خليفة بطرس ، والوريث الشرعي ، والوحيد ، للسلطان المنوح له من قبل الرب بزعمهم ، وسأتحدث عن هذ السبب بالتفصيل فيما سيأتي .

٢- المكانة الرفيعة التي تحظى بها مدينة روما :

فهذه المدينة تتبوأ منزلة رفيعة ؛ فهي : « أكبر المدن ، وأغناها ، وكانت كرسي الملك ، وأمّ الشعوب ، وهي مدينة الله ، وينبع الشرائع ، فإذا كانت رومية ملكة المدن ، فلماذا لا يكون راعيها ملك الأساقفة ، وكنيستها أمُّ الكنائس ، وسلطة شريعتها المطلقة ، كانت كذلك » ^(١) . ومن أعظم ما تميزت به وجود قبرى أعظم قدّيسين ، وشهيدين – بحسب رأى النصارى – وهما بطرس وبولس .

٣- ضعف السلطان السياسي في القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية :

بدأت آثار هذا الضعف بعد انتقال السلطة السياسية من روما إلى القسطنطينية ، في عهد الإمبراطور قسطنطين ، وبسبب ذلك حل بابا روما محل الإمبراطور ، كما حل الأساقفة محل حكام الأقاليم ، وكذلك حل رجال الأكليروس محل مجلس السناتو برومَا ^(٢) . وبذلك انتقلت الزعامة السياسية في روما إلى يد الكنيسة التي يرأسها البابا نفسه ، كما وقعت بأيديهم السلطة الدينية على ما بینت من قبل .

٤- الحروب التي خاضتها الإمبراطورية :

شنّت الإمبراطورية حروباً ضاربةً مع الدول التي تقيم على حدودها ، ومع قيامها ، لم يجد الشعب بدليلاً يولي قبلته إلا الكنيسة ، استغلت الموقف ، وقامت بدورها ، واستطاعت كسب ولاء شعبها ، الأمر الذي كان يصب في رصيد نفوذها وسلطانها .

٥- البعثات التنصيرية :

^(١) تاريخ الإصلاح الديني في القرن السادس عشر ، ليميريل دوبينيه ، ص: ٤ ، والنص منقول بتصرف يسير .

^(٢) انظر : الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي ، د. محمد آل عمر ، ص: ٧٩ ، بتصرف .



قامت كنيسة روما بإرسال بعثاتها للتبشر بالدين النصراني في جميع أرجاء العالم ، وكانت كلما ضمت إليها منطقة أو دولة ، كسبت ولاء شعوبها ، وكان كل ذلك يحسب في رصيد البابا في المقام الأول ، الأمر الذي توسيع معه دائرة نفوذ تلك الكنيسة .

٦- ضعف سلطة كنائس المشرق :

ويعود ذلك الضعف إلى قوة سلطة الإمبراطورية في تلك المنطقة ، حيث أنَّ قسطنطين حينما نقل عرشه إلى القسطنطينية استطاع أن يتدخل في جميع شؤون الكنيسة ، بل أصبح هو الذي يدير شؤونها ، فكان هو بنفسه الذي يدعو إلى إقامة الجامع المسكونية ، بل إنَّه في مواجهة ما تسميه النصارى "البدعة الآريوسية" ، ادعى أنَّ له أن يحدد الإيمان للنصارى ، وكانت هذه الأحداث مقدمات لظهور "القيصرية البابوية" ، وهي النظام الذي يحل فيه الإمبراطور محل السلطات الكنسية في إدارة شؤون الكنيسة ، حتى على صعيد التعليم ^(١) .

و هذه السلطة كما أضعفها سلطان كنائس المشرق زادت في نفوذ كنيسة روما .

٧- دخول كنائس المشرق تحت لواء الدولة الإسلامية :

بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومصر أصبحت كراسى المشرق ، وهي كراسى أنطاكية ، والقدس ، والإسكندرية تحت ظل الدولة الإسلامية ، الأمر الذي زادها ضعفاً إلى ضعفها ، وخلال بذلك الجو لكنيسة روما .

^(١) انظر : تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة لكلود لوبيليه : (١٥٢/٢) ، والكاتب أستاذ في جامعة ليل الفرنسية .



المبحث الثاني
صور تقدیس البابا
وفیه ستة مطالب

- **المطلب الأول :** دعوه أنَّ الربَّ منح سلطانه لبطرس وأنابه على مملكته
- **المطلب الثاني :** دعوه أنَّ البابا نائبَ الربِّ والوارث لسلطانه ورئيسَ المحبة المنظور
- **المطلب الثالث :** دعوه حصمة البابا
- **المطلب الرابع :** دعوه أنَّ البابا له سلطان لتشريع
- **المطلب الخامس :** دعوه أنَّ البابا له سلطان مغففة الذنوب
- **المطلب السادس :** دعوه أنَّ البابا له حق التحلاة

المطلب الأول : دعوى أنَّ الربَّ منح سلطانه لبطرس وأنابه على مملكته :



هذه العقيدة عند النصارى ليست مظهراً مباشراً من مظاهر تقدس البابا ، لكنّها الأصل الذي قام عليه تقديسه في الحقيقة ؛ ويمكن عرضها كما يلي :

إنَّ الربَّ - المسيح اللَّهُجَّةُ في نظرهم - أقام في غيابه نائباً له على مملكته الأرضية ، هو بطرس ، ومنه السلطان المطلق ، واللازم لرعايا (خراfe) والذي لا يرجع فيه إلى أحد من البشر ، بل كل ما يحكم به على الأرض فإنَّ الرب سوف يصدق عليه في السماء فيربط ما ربطه على الأرض ، ويحل ما أحله ، وقد اختار بطرس أحد عشر رجلاً لمساعدته ، وأعطاهم سلطة مقيدة بشرط اتحادهم معه ، وكوّنهم تحت رئاسته ورعايته ، فكل واحدٍ منهم راعٍ خاصٍ ، وهو الراعي الأعلى ^(١) .

وعند تحليل هذه الدعوى نجد أنها ترتكز على بطرس، وأنَّه المتفرد عن بقية من يسمى بالرسل ، بالنيابة عن المسيح اللَّهُجَّةُ ، والسلطان المنوح منه ، والرياسة المطلقة لتلك الجماعة . وأما استدلالهم عليها ؛ فإنَّهم يحاولون إثبات ذلك بالاستناد إلى أسفارهم ، وأشاروا أدلةم عليهم دليلان ٠

الدليل الأول : جاء في إنجليل متى: « ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأله تلاميذه قائلاً : من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان ٠ فقالوا : قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون : إليَا ، وآخرون : إرميا أو واحد من الأنبياء ٠ قال لهم وأنتم : من تقولون إني أنا فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ابن الله الحي ! ٠ فأجاب يسوع ، وقال له : طوبى لك سمعان بن يونا ، إنَّ دمًا ولحمة لم يعلن لك ، لكن أبي الذي في السموات ٠ ، وأنا أقول لك أيضًا : أنت بطرس ، على هذه الصخرة ابن كنيستي ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ٠ وأعطيك مفاتيح ملوكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات » ^(٢) .

وهذا الدليل يعد الكاثوليك "المرسوم الإلهي" ^(٣) ، لرئاسة بطرس على كنيسته ٠

ومن الدلالات التي أوردوها عند هذا النص ما يلي :

١ - أنَّ المسيح ، قد وجه حديثه إلى بطرس دون غيره من يسمى بالرسل ٠

^(١) انظر : الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض ، للأب خليل أَدَهُ اليسوعي ، ص: ٨٥-٨٦ ، ملخصاً ٠

^(٢) متى : (١٦/١٣-١٤) ١٩٠١

^(٣) هكذا يعبر النصارى ، انظر : الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض ، للأب : خليل أَدَهُ اليسوعي ، ص : ٧٠ ٠

٢- أنَّ بطرس وحده هو الذي اعترف بلاهوت المسيح العَلِيَّةُ .

٣- آنَّه كافأه لوحده على هذا الاعتراف ، بقوله : "وَأَنَا أَقُولُ لَكَ" ، فـكأنَّ هذا التكريم مكافأة على ذلك الاعتراف ، وبناء على ذلك فإنَّ هذه المنحة "الربانية" قد تعينت لبطرس دون سواه .

الدليل الثاني : جاء في إنجيل يوحنا: « فَبَعْدَمَا تَغَدوَا قَالَ يَسُوعُ لِسَمْعَانَ بَطْرُسَ : يَا سَمْعَانَ بْنَ يُونَانَ ، أَتَخْبَنِي أَكْثَرُ مِنْ هُؤُلَاءِ ؟ . قَالَ نَعَمْ يَارَبُّ ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَحْبَبُكَ . قَالَ لَهُ : أَرَعَ خَرَافِي . قَالَ لَهُ أَيْضًا ثَانِيَةً : يَا سَمْعَانَ بْنَ يُونَانَ ، أَتَخْبَنِي ؟ . قَالَ لَهُ : نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَحْبَبُكَ . قَالَ لَهُ : أَرَعَ غَنْمِي . قَالَ لَهُ ثَالِثَةً : يَا سَمْعَانَ بْنَ يُونَانَ أَتَخْبَنِي ؟ . فَحَزَنَ بَطْرُسُ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً أَتَخْبَنِي ؟ . فَقَالَ لَهُ يَا رَبُّ ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ . أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أَحْبَبُكَ ، قَالَ لَهُ يَسُوعُ : أَرَعَ غَنْمِي »^(١) .

ووجه الاستدلال من هذا النص أنَّ المَسِيحَ العَلِيَّةَ (الرب بزعمهم) قد كرر السؤال ثلاثةً ، وخص به بطرس دون غيره ، ثم أمره ثلاثةً أن يقوم برعاية شعبه .

ويرى النصارى أنَّ خلافة بطرس للمسيح العَلِيَّةَ هو أمر قد قررته مجتمعهم ، حيث جاء في الدستور العقائدي للكنيسة الذي أقره الجمع الفاتيكانى الثاني: « هذه الكنيسة التي سلمها مخلصنا بعد قيامته إلى بطرس ليكون راعيها ، وأوكل أمرها إليه ، وإلى سائر الرسل ، كي ينشروها ويصوّرها »^(٢) .

وأمّا تفرده باستلام مفاتيح الملوكوت ؛ فتقرر في المجتمع السابق ، وفيه: « فَالرَّبُّ جَعَلَ مِنْ سَمْعَانَ وَحْدَهُ صَخْرَةً لِكَنِيسَتِهِ ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ سَلَمَ الْمَفَاتِيحُ ، وَوَضَعَهُ رَاعِيًّا لِكُلِّ قَطْيَعَهُ ، وَأَمَّا سُلْطَانُ الْحَلِّ وَالرَّبْطِ الَّذِي أُعْطِيَ لِبَطْرُسَ أَيْضًا لِحَلْقَةِ الرَّسُلِ مُتَحَدِّينَ بِرَأْسِهِمْ »^(٣) . فالرئاسة إذاً هي لبطرس دون غيره ، وكذلك تسليم المفاتيح ، وأمّا الحل والربط فإنه وإن كان للرسل إلا أنَّه مقيد بالاتحاد ببطرس ، فعاد الأمر كلَّه إليه .

ومن خلال العرض السابق لهذه الدعوى نخلص إلى ما يلي :

^(١) يوحنا : (٢١-١٧) .

^(٢) الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكانى الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة : ٨ ، ص: ٥٢ .

^(٣) المصدر نفسه ، والعنوان نفسه ، فقرة : ٢٢ ، ص: ٧٧ .

-
- ١- بطرس وحده هو نائب المسيح ﷺ ، وخلفيته على كنيسته .
٢- بطرس وحده الذي منح سلطان المسيح ﷺ .
٣- بطرس وحده الذي له الرئاسة على جميع من يسمى بالرسل .
- ومحصلة ذلك : بما أنَّ بطرس أسس كنيسة روما ودُفن بها فإنها الوحيدة ذات الصبغة "الشرعية" ، وإن أساقفة روما "الورثة الشرعيون" لهذا السلطان .

المطلب الثاني : دعوى أنَّ البابا نائب الرب والوارث لسلطانه ورئيس الكنيسة :

وهذه الصورة الأولى من صور التقديس للبابا ، وهي الأصل الذي قامت عليه جميع صور التقديس الأخرى ، وبها تسلط البابا على جميع النصارى .

وأما إثباتها ؛ فأنَّها تعود إلى أمر واحد هو زعمهم أنَّهم خلفاء بطرس الذين ورثوا سلطانه الذي منحه الرب ، وبعبارة أخرى : أنَّهم يثبتون ذلك من خلال مقدمتين :

الأولى : أنَّ بطرس نائب المسيح ، ووارث سلطانه ورئيس الكنيسة المنظور .

والثانية : أنَّ هذه الرئاسة باقية إلى مدى الدهر ، ومنتهاي الآجال .

والنتيجة : لابد أن يكون لبطرس خلفاء في رئاسته ، ولن يكونوا إلا الأساقفة الذين هم باباوات روما ^(١) .

وقد تحدثت عن المقدمة الأولى فيما سبق ، وسوف أتحدث هنا عن المقدمة الثانية .

القول ببقاء الرئاسة في الكنيسة إلى مدى الدهر :

من أبرز أدلةهم عليها ما جاء في إنجيل متى : « وها أنا معكم إلى كل الأيام إلى انقضاء الدهر » ^(٢) .

يوضح متى هنري – أحد مفسري الأنجليل – معنى بقاء المسيح مع تلاميذه إلى منتهى الدهر بأنَّه مع خلفاء هؤلاء (الرسل) ، فيقول : « وقبل أن تأتي هذه النهاية سوف تبقى المسيحية منتشرة في كل أرجاء العالم ، ويقيى المسيح ملازماً خدامه . أنا معكم إلى انقضاء

^(١) انظر : الكنيسة أو مملكة المسيح ، لخليل أده اليسوعي ، ص : ١٠٠ .

^(٢) متى : (٢٨/٢٠) .

الدهر ، ليس معكم شخصياً ، فإنّم قد ماتوا بسرعة ، لكن : معكم ومع خلفائكم ، معكم ومع كل خدام الإنجيل في كل عصور الكنيسة المختلفة » ^(١) .

وتأكد قرارات المجمع ذلك ، فقد جاء في قرارات الجمع الفاتيكانى الثاني : « إنَّ يسوع المسيح قد بين الكنيسة المقدسة بإرساله رسالته ، كما أرسله الآب . لقد أراد أن يكون خلفاء هؤلاء الرسل ، أعني الأساقفة ، رعاة في الكنيسة إلى منتهى الدهر » ^(٢) .

وأمّا رئاسة كنيسة روما على جميع الكنائس الأخرى ، فهي مبنية على ثبوت خلافة أساقفة روما لبطرس رئيس الرسل عندهم ، وليس عليها دليل فيما يسمى بالكتاب المقدس ، وإنّما غاية ما عندهم أقوال ينسبونها إلى آباءهم ، أو استدلالات عقلية ، وحاصلها ما يلي :

١ - أنَّ الكنائس الرئيسية - بعد روما - هي أنطاكية ، والقسطنطينية ، والإسكندرية ، وأورشليم ، ولا بد أن تكون الرئاسة لواحدة منها ، وليس هناك كنيسة نسبت إليها الخلافة البطرسية غير كنيسة روما ، فكنيسة القسطنطينية لم تظهر إلا في القرن الرابع ، وبقية الكنائس لم يحدد نطاق ولايتها إلا في المجمع المسكوني الأول . فإذا لم تكن هذه الرسالة في هذه الأربع تعين أن تكون لروما .

٢ - منذ أوائل الكنيسة ادعت كنيسة روما بالرئاسة على الكنيسة جماء ، باعتبار أنها كنيسة بطرس زعيم الرسل ، واعترف لها العالم المسيحي بلا نزاع .

٣ - قول بطرس: « تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ، ومرقس ابنى » ^(٣) .
وبابل هي روما ، وليس بابل القديمة ، لأن بطرس وبولس لم يقصداهما، وإذا ثبت أن بطرس جاء روما وأسس كنيستها ، ومات فيها أضحت من القضايا التي لا يجوز إنكارها .
٤ - ومن الأدلة أنَّ لواحة أسماء الأساقفة الذين تعاقبوا على كرسى روما ، وقد عين الآباء بضبطها كلها تبتديء من بطرس ، مما يدل على أنَّ الذين أتوا بعده هم خلفاؤه ، ولذلك كان يسمى كرسى روما كرسى بطرس ^(٤) .

وهذا الحق الذي يدعىbabayakfaltaه المجمع المسكونية ، ومن قراراتها في ذلك :

^(١) تفسير الكتاب المقدس : (٥٤٩/٢)

^(٢) الوثائق الجماعية للمجمع المسكوني الفاتيكانى الثاني ، عنوان : دستور عقائدى في الكنيسة ، فقرة: ١٨ ، ص: ٦٩ .

^(٣) رسالة بطرس الأولى : (١٣/٥) .

^(٤) انظر : الكنيسة أو مملكة المسيح ، لخليل أداء اليسوعي ، ص : (١٠٠-١٠٥) .

١- جاء في تقرير كونه خليفة بطرس : « هذه الكنيسة المؤسسة والمنظمة كمجتمع في هذا العالم هي الكنيسة الكاثوليكية يسوسها خليفة بطرس ، والأساقفة المتحدون معه بالشركة » ^(١) .

٢- وجاء في تقرير كونه نائب المسيح عليه السلام ، ورئيس الكنيسة جموعاً : « وإن يكمل الجميع ما بدأ به ، يريد أن يعلن أمام الجميع ، وأن يفسر التعليم المختص بالأساقفة خلفاء الرسل الذين يسوسون بيت الله الحي مع خليفة بطرس ، نائب المسيح ، والرأس المنظور للكنيسة كلها » ^(٢) .

ويرى بعض النصارى أن خلافة أساقفة روما لبطرس ثبتت كما يلي :

١- من إقرار المجامع المسكونية ، واعتراف الآباء والمؤرخين ، وطقوس الكنائس الشرقية ، ومؤرخوا الإسلام (هكذا يرون !) .

٢- تنفيذ الأخبار سلطتهم في الكنيسة جموعاً ، دون معارض .

٣- استغاثة البطاركة ، وأساقفة ، وبعض المؤمنين بهم، وهم لم يلتجؤا إلى أحد قط .

٤- رئاستهم للمجامع المسكونية .

٥- لم يجسر أحد أن يتقدم عليهم ، ويسمى نفسه أسقف روما وخليفة بطرس .

٦- جمود الكنائس الباقية ، وتأخرها .

٧- ازدهار الكنيسة الكاثوليكية ^(٣) .

وقد حل للبابا بهذا الحق – حق النيابة عن رب ورئاسة الكنيسة – جميع السلطات على اتباعه .

المطلب الثالث : دعوى عصمة البابا:

يعتقد النصارى – الكاثوليك – بعصمة البابا ، ومعنى ذلك أنّ : « البابا ، يحفظ ، بصفته مسؤولاً عن خدمة المشاركة ، بين جميع الكنائس ، من كل ضلال ، بفضل عون

^(١) الوثائق الجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكي الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة: ٨ ، ص: ٥٢ .

^(٢) المصدر نفسه ، فقرة: ١٨ ، ص: ٦٩ .

^(٣) انظر : هم ونحن ، دراسات مقارنة بين المسيحية وسائر المذاهب والديانات ، ص : (٢٥٦-٢٥٧) -

الروح القدس ، حين يعلن ، بعمل نهائى تعليمًا يختص بالإيمان أو الأخلاق ، ويلزم جميع الكنائس معاً لتبقى شهادتها واحدة»^(١) .

وهذه العقيدة من أخطر العقائد الكاثوليكية ، وأكثرها غلوًا ؛ فهي تتيح للبابا أن يقول ما يشاء ، ويفعل ما يشاء ، بل ويحكم بما يشاء ، ويكون ذلك كله ديناً يجب التزامه ، بكل خضوع ورضا لتعليم الحبر الروماني الأصيل!^(٢) .

ولم تظهر إلا في المجمع الفاتيكانى الأول عام ١٨٦٩ م في عهد بيوس التاسع^(٣) ، وقد أعلن أنَّ البابا بيوس التاسع مع كل من خلفه ومن سيخلفه معصومون من الغلط . وقد أدهش إعلان هذا القرار العالم "المتمدن" ، وأبى كثير من الكهنة المصادقة عليه ، منهم الآب غرانزي الذي أثبت بالشواهد التاريخية "هرطقة"^(٤) بعض الباباوات ، وهذه العقيدة كانت بمثابة فتح باب "الشماتة" من قبل أعداء هذه الطائفة ، ومقدمة لسقوط البابوية الرومانية من عليائها الذي كانت تتمتع به . وقد أعلنت في : ١٨٧٠/٧/١٨ ، كما يلي : «تُعلم وتُعلن ، كعقيدة أوحى بها الله : حين يتكلم الحبر الروماني رسميًا ، أي حين يقوم بوظيفته كراعي جميع المسيحيين وملهمهم ، فيحدد بحكم سلطنته الرسولية ، أنَّ تعليمًا في الإيمان أو الأخلاق يجب على الكنيسة كلها أن تؤمن به ، فإنَّه يتمتع ، بعون الله الموعود به في شخص القديس بطرس ، بتلك العصمة عن الخطأ ، التي شاء الفادي الإلهي أن توفر لكنيسة ، حين تحدد التعليم في الإيمان والأخلاق . وبناءً على ذلك ، فإنَّ هذه التحديدات التي يعلنها الحبر الروماني هي غير قابلة للتعديل في حد ذاتها ، لا بحكم موافقة الكنيسة . إنَّ اعتد أحد بنفسه ، معاذ الله ، ونقض تحديدنا ، فليكن مبلاً»^(٥) .

^(١) انظر : معجم الإيمان المسيحي ، للآب : صبحي حموي اليسوعي ، ص: ٣٢٨ ، مادة : عصمة ، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، سليم بسترس : ٢٥٢/٢ - ٢٥٣ .

^(٢) انظر : الوثائق الجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكانى الثانى ، عنوان: دستور عقائدي في الكنيسة، فقرة: ٢٥، ص: ٨٢.

^(٣) اسمه جيوفاني - ماريا ماستاي - فيري ، وقد تمنع بأطول فترة على كرسى البابوية (من عام ١٨٤٦ - ١٨٧٨ م) ، واتسمت فترة بابويته بأحداث كبيرة ، منها : زوال سلطان الباباوات الزمني ، وانتشار مملكة إيطاليا ، وانتشار الإمبراطورية الألمانية ، إضافة إلى صدور قرار عصمة البابا . انظر : معجم الباباوات ، لخوان داثيو ، ص: ٣١٧ .

^(٤) ضد الرأى المستقيم ، ويراد بها من لا يوافق على صيغة الإيمان . انظر : معجم الإيمان المسيحي ، ص: ٥٢٥ .

^(٥) الإيمان الكاثوليكى ، للآب : جرفيه دوميج يسوعي ، ص: ٢٥٤ ، وانظر دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، للآب جان كمبى ، ص: ٣١٤ ، وقد ذكر صيغة قريبة منها .

استدلال الكاثوليك على هذه العقيدة :

ليس للكاثوليك دليل معتبر يمكن الاستناد إليه في إثبات هذه العقيدة ، بل إنَّ مصطلح "العصمة" لم ترد في أسفار العهد الجديد مطلقاً ؛ ولذلك نجد أنَّ علمائهم يتكلفون في الاستدلال عليها ، ومنهم الأب "خليل أدة اليسوعي" وله في إثباتها عدة مسالك ، هي :

المسلك الأول : عصمة البابا من خلال إثبات عصمة الكنيسة .

المسلك الثاني: شهادة الآباء .

المسلك الثالث : شهادة المجامع .

المسلك الرابع : شهادة التاريخ .

المسلك الأول : إثبات عصمة البابا من خلال إثبات عصمة الكنيسة نفسها :

يقرر الكاتب هذا المسلك كما يلي : أنَّ الكنيسة عبارة عن هيئة حاكمة مكلفة بتعليم الشعب النصراني ، ما أوحاه الرب ، وهذه الهيئة الحاكمة لها صورتان :

الصورة الأولى : مجمع الأساقفة الذي يرأسه الحبر الروماني .

الصورة الثانية : مجمع مسكوني يرأسه البابا أو نائبه .

وفي الحالتين يمكن أن يقال أنَّ الرب قد أعطى هذه الهيئة ميزة خصوصية ، وهي العصمة من الغلط فيما إذا علِّمت أو حددت قضايا الإيمان أو ما هو متعلق بالخلاص ، ثمَّ إذا تقررت عصمة الكنيسة ثبتت عصمة البابا بناءً على ذلك .

وأما إثبات عصمة الكنيسة عندهم فمن خلال الأدلة التالية :

الدليل الأول : ما ورد عند متى : «أبواب الجحيم لن تقوى عليها»^(١) .

وهذا وعد من الرب بأنَّ أبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وهذا الوعد لن يكون باطلًا ، وعليه ، فلا يمكن أن يكون معتقد الكنيسة باطلًا ، وينتتج عن ذلك أنَّ إجماع الشعب على قضية أنَّها من الإيمان دليل على صحتها ، وهذا يعني عصمة البابا لأنَّه إذا كان المتعلمون معصومين فمن باب أولى عصمة المعلمين .

الدليل الثاني : أنَّ الرب قد وعد (الرسل) وخلفاؤهم بأن يعطيهم الروح القدس ، وأن يقيم معهم إلى الأبد ويعلّمهم كل شيء: «وأنا أُسأل الآب فيعطيكم معزًّيا آخر ليقيم

^(١) متى : (١٦/١٨)

معكم الأبد روح الحق هو يعلمكم كل شيء ، ويدرككم كل ما فعلت لكم ^(١) . وإذا كان الروح القدس مع هذه الهيئة فكيف يمكن أن تغلط ؟

الدليل الثالث : أنَّ الرب أعطى المجمع برئاسة بطرس ، والأساقفة برئاسة البابا سلطان الخل والربط ، ووعد بتأييده ، ويشمل الرعاية ، والتعليم ، وإذا كان الرب يؤيد في السماء ما تعلمه الكنيسة ، فلا يمكن أن يكون في تعليمها شيء من الضلال ؛ فهي إذاً معصومة .

الدليل الرابع : قول الرب عندما كلف (الرسل) بالرسالة : « وها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر » ^(٢) . دليل على العصمة ؛ لأنَّه وعد الرسل وخلفاؤهم أن يكونون معهم ، وهم يعلمون ويعمدون ويتعلمون الأمم إلى المنتهى .

الدليل الخامس : تثبت عصمة البابا من عصمة الجامع المقدسة — وهي الصورة الثانية للهيئة الحاكمة — ، وما يدل على عصمتها الأمور التالية :

١- أنَّ أثناسيوس سمي قرارات مجمع نيقية "كلمة الله" ، كما في رسالته إلى أهل أفريقيا : « إنَّ كلمة الله نطق بها الجموع المسكوني النيقاوي ، وهي باقية إلى الأبد » ^(٣) .
٢- كتب "مار لاون الكبير" ^(٤) : في رسالة له ، وهو يحرّم إعادة النظر فيما قررته الجامع المسكוני ، لأنَّ الله هو الذي يثبتها ^(٥) .

المسلك الثاني : شهادة الآباء :

تدل شهادة الآباء على عصمة البابا ، ومن أهم شهاداتهم على ذلك ما يلي :
١- شهادة مار أغناطيوس ^(٦) ، حيث كان يمدح كنيسة روما ، ويدرك سلطتها على الكنيسة الجامعية ، وأنَّها "معلمة باقي الكنائس" ، ويريد أن تبقى الأشياء التي أمرت بها في

^(١) يوحنا : (١٤/٢٦-٢٦) .

^(٢) متح (٢٤/٢٠-٢٠) .

^(٣) مجموعة "مين" للاباء اللاتين ، نقلًا عن الكنيسة أو مملكة الله على الأرض ، خليل أدة اليسوعي ، ص: ١٥٢ .

^(٤) يُعد منقذ الغرب ضد هجمات البربر ، تولى البابوية في الفترة (٤٤٠-٤٦١) ، وأعلن اتحاد اللاهوت بالناسوت في مجمع خلقدونية ، وكان سياسياً محنكاً ، مات عام ٤٦١م . انظر: معجم البابوات ، خوان دائيو ، ص: ٣٠-٣٣ .

^(٥) مجموعة "مين" للاباء اللاتين ، نقلًا عن الكنيسة أو مملكة الله على الأرض ، خليل أدة اليسوعي ، ص: ١٥٢ .

^(٦) يُعد النصارى خليفة بطرس على كرسي أنطاكية ، سوري الأصل ، ولد عام ٣٥ ب م ، وحكم عليه بالإعدام وأُرسل إلى روما حوالي سنة ١٠٧م . انظر : تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ، المطران كيرلس سليم بستوس وزملاءه ، ص: ١٣٨ ، آباء الكنيسة ، أسد رستم ، ص: ٢٣-٢٤ .



تعليمها تامة ، وهذا لا يكون لولا اعتقاده، ومعاصروه أنَّ هذا التعليم لا يشوبه شيء من الضلال .

٢ - شهادة مار إيرناوس ^(١) ، وأنَّه كان يفهم ذوي "الهرطقات" في عصره ، ويحيلهم إلى تعليم كنيسة روما ، التي يجب ضرورة بسبب سلطتها الرئيسية أن تشتراك معها كل كنيسة في أي بلد كانت ، وأنَّه قد حفظ فيها تعليم (الرسل) بلا انقطاع .

المسلك الثالث : شهادة المجامع المسكونية :

فالقرارات الصادرة عن تلك المجامع تبين أنَّ الكنيسة تعتقد بعصمة البابا ، وتعمل بهذا الاعتقاد ، وما يدل على ذلك أنَّ الجموع المسكونية الثالث اكتفى بأن يشهر حكم البابا "شلسستينس" ^(٢) ضد نسطورس ، واكتفى الجموع المسكونية الرابع بأن يشهر حكم البابا مارلاون ضد اوطيخا ^(٣) وديوسقورس ^(٤) ، وقد كان ذلك بأمر هذين الحبرين (الرومانيين) ، وقد منعا الآباء أن يبحثوا في المسائل ، ويكتفوا بالتنفيذ فقط ، فأطاع الآباء عن طيب خاطر ، ولو لم يكونوا يعتبرون ببابوات روما معصومة من الغلط في الإيمان لم يكتفوا بإعلان تحديداتهم ، واعتبارها قاعدة الإيمان .

المسلك الثالث : شهادة التاريخ :

يقرر الكاتب هذا المسلك كما يلي :

١ - اختلف على كرسي مار بطرس في حوالي ١٩٠٠ سنة ، وحتى عهد بيوس الحادي عشر ^(٥) ٢٨٢ بابا ، دبروا الكنيسة الجامعة ، في ظروف متنوعة ، ومع ذلك لا يوجد بينهم

^(١) ايرنابوس ، ولد في أزمير من أعمال آسيا ما بين السنة ١٤٠ والسنة ١٦٠ م ، غادر آسيا واستقر في ليون ، له مصنفات منها "كشف الغنوسيية الباطلة الكاذبة ودحضها" . انظر : آباء الكنيسة ، أسد رستم ، ص: ٩٦ .

^(٢) لم اقف له على ترجمة .

^(٣) عاش في القرن الخامس ، وكان رئيس دير في القسطنطينية ، وخلاصة رأيه أنَّ الكلمة ليس له بعد التجسد سوى طبيعة واحدة ، هي الطبيعة الإلهية ، وقد أعلن مجمع خلقدونية مذهب الطبيعتين ردًا عليه . انظر : تاريخ الفكر المسيحي ، المطران كيرلس سليم بسترس وزملاءه ، ص: ٤٤٦ ، ٧٥٩ .

^(٤) كان أسقفاً على الإسكندرية ، وكان على رأس وفد مجمع أفسس الذي قرر مذهب الطبيعة الواحدة . انظر : المصدر نفسه ، ص: ٧٥٩ .

^(٥) اسمه أكيللي راتي ولد عام ١٨٥٧ م ، وتولى البابوية في الفترة (١٩٢٢-١٩٣٩) ، توفي في الفاتيكان عام ١٩٣٩ . انظر : معجم البابوات ، خوان داثيو ، ص: ٣٤٧-٣٥٠ .



احد علّم تعليماً مغايراً للوحي الإلهي أو الحقائق التي لها علاقة به ، وهذه أujeوبة من أعظم العجائب ، وهي وحدها شاهد كافٍ على المساعدة التي وعد بها رب بطرس وخلفاؤه ٠

٢ - يتضح ذلك إذا قابلت حال كرسي روما بباقي الكنائس الشرقية . فمثلاً كرسي القسطنطينية قد جلس عليه في ٥٠٠ سنة أكثر من عشرين أسقفاً حرموا بسبب هرطقتهم ، وفي مدة ١٩٠٠ سنة لم يخرج قط عن الكنيسة الجامعة أسقف من أساقفة روما مع ما طرأ عليها من الأضطرابات والانقلابات السياسية .

المطلب الرابع : دعوى أنَّ البابا له سلطة التشريع :

أصل هذه الدعوى – عند النصارى – أنَّ الرب قد منح سلطاته للكنيسة قبل أن يصعد إلى السماء ويجلس عن يمين أبيه ^(١) . ويعتمدون فيها على النص المشهور في إنجل متى : « أنت بطرس . . . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً ، وكل ما تحله على الأرض يكون مخلولاً في السماوات . . . » ^(٢) .

ويقرر النصارى أنَّ هذه القدرة "قدرة الخل والربط" ، قد انحدرت بالتوارث من بطرس إلى الباباوات ، فهم الورثة الشرعيون لها ، وهذه القدرة تعني – تماماً – أن لهم حق التشريع ، بالتحليل والتحريم ٠

وبناءً على هذا الحق فقد أصبحت السلطة في إصدار القرارات ، وتحديد المعتقدات والأحكام راجعة إلى البابا ، وأصبح حكمه في ذلك قطعياً ، كما قررته الجامع النصرانية ، ومنها الجمجم الفاتيكان الثاني ، وفيه : « وعليهم (أي الباباوات) واجب أمام الرب في أن يسنوا شرائع لمرؤسيهم ، ويصدروا الأحكام ، وينظموا كل ما يتعلق بالعبادة والرسالة إذ الروح القدس يحفظ على الدوام شكل الحكم الذي وضعه السيد المسيح في الكنيسة » ^(٣) .

ولقد كان لهذه الدعوى آثار بالغة الخطورة ؛ فقد تناول الباباوات ، من خلال تلك السلطة المبتدةعة ما بقي من معلم الدين الصحيح بالتغيير والتبديل ، والتحليل والتحريم ، وفقاً

^(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، أ. د محمود مزروعة ، ص: ٥٥ .

^(٢) محق : (١٦/١٨) .

^(٣) الوثائق الجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكان الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة : ٢٧ ، ص: ٨٧ .

لأهوائهم ، واتباعاً لشهواثمهم ، وتحقيقاً لمصالحهم الدنيوية العاجلة ، وكان من نتائج ذلك إقرار الشرك ، وجعله ديناً ، وابتداع البدع ، وإباحة ما حرمته التوراة ، ومن ذلك :

١- إباحة عبادة الصور والتماثيل :

فقد كانت عبادة الصور والتماثيل مما جاءت التوراة بتحريمه أشد التحرير ، وعدده من بقايا الوثنية ، ولكن الباباوات أباحوها للناس ، وأصبحت معبدات يُسجد لها ، ويطلب منها المعجزات ، وانتشرت الصور والتماثيل في كل مكان .

يتحدث ديورانت عن هذا التغيير قائلاً : « ولقد نهى العهد القديم في صراحة تامة (الآية الخامسة عشرة من الإصلاح الرابع من سفر التثنية) المؤمنين أن يضعوا تمثالاً منحوتاً صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى ، شبه هميماً مما على الأرض وكانت الكنيسة في أول أمرها تكره الصور والتماثيل ، وتعدها من بقايا الوثنية وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثني الذي يهدف إلى تمثيل الآلهة . ولكنَّ انتصار المسيحية في عهد قسطنطين ، وما كان للبيعة والتقاليد ، والتماثيل اليونانية من أثر في القدسية ، والشرق الهنستي ، كل هذا خفف من حدة مقاومة تلك الآثار الوثنية » ^(١) .

٢- إباحة الموسيقى وغناء النساء في الكنيسة :

كان الغناء بالنسبة للنساء محظوظاً في الكنيسة ، بل وفي كل مكان ؛ لما في أصواتهن من إثارة للرجل ، ولكن الباباوات أحلوا ذلك ، وأصبح غنائهن من أجمل الزينات ، وأرقى الوسائل في خدمة الدين النصراني .

يتحدث ديورانت عن هذا التطور قائلاً : « وكان كثير من رجال الدين يعارضون في أن تغني النساء في الكنيسة ، بل كانوا يعارضون في أن يغنين في أي مكان عام ؛ لأنَّ صوت النساء قد يثير رغبة دنسة في الرجل القابل للتهيج على الدوام . لكنَّ المجتمعين في الكنائس كثيراً ما كانوا يعبرون بترايمهم عن أملهم ، وشكراً لهم ، وبمحبتهم ، وأضحت الموسيقى على توالي الأيام أجمل الزينات ، وأرقى الوسائل لخدمة الدين (المسيحي) » ^(٢) .

^(١) قصة الحضارة : (١٤/١٥٧-١٥٨) .

^(٢) المصدر نفسه : (١١/٢٨٧) .

وهكذا نرى من خلال المثالين السابقين كيف أحل رجال الدين هذه المحرمات ، حتى أصبحت جزءاً من الدين ، وإن كان النص لا يصرح بالدور الحقيقي للباباوات ، إلا أنَّ من المقطوع به أن هذه الأمور لم تحل إلا من قبلهم ، لأنَّهم أصحاب السلطة التشريعية ، ويلاحظ مدى تقبل الشعب النصراني لكل ما يقرره رجال دينه دون تحيص ، وهذا يدل على جهلهم وسذاجتهم وتقليلهم لآبائهم على غير هدى .

٣- تحريم قراءة الإنجيل أو تفسيره بغير إذن الكنيسة :

حررت الكنيسة على أتباعها حقهم في قراءة ما يسمى بالكتاب المقدس ، وجعلت قراءته حكراً على رجال الدين أنفسهم . فمع بداية القرن الثالث عشر الميلادي منعت الكنيسة أتباعها من قراءة الإنجيل إلا بتخريص من الكنيسة ، وأوجبت عليهم أن يقبلوا عقائد الكنيسة ، التي هي تعابير عن الحقائق الموحى بها ^(١) .

وقد جاء في تقرير ذلك: « فكل هذا الذي يتعلق بشرح الكتاب يخضع أخيراً لحكم الكنيسة التي كلفت بمهمة حفظ كلمة الله وشرحها بانتداب من الله » ^(٢) .

وتحريم الكنيسة على أتباعها حق قراءة كتابهم المقدس لا يعود إلى ما تعلنه من الأسباب ، ولكنَّه يعود إلى أمر آخر تحرض الكنيسة على إخفائه ، هو أن هذا الكتاب فيه من الحقائق الدينية والعلمية ^(٣) ، وغيرهما ، ما يكشف كذب رجال الدين في كثير مما يدعون ، ويثبت ابتداعهم لكثير من الطقوس والأسرار ، والعقائد التي يدعون الناس إلى إتباعها ، فتحرمهم من اطلاع الشعب عليه يهدف إلى المحافظة على صورتهم "المقدسة" عند أتباعهم ، لضمان بقائهم كوسطاء بينهم وبين رب ، ولذا كانت بداية انتشار الإنجيل في أواخر القرون الوسطى واطلاع الشعوب النصرانية عليه البداية الحقيقة لسقوط السلطة البابوية .

المطلب الخامس : دعوى مغفرة الذنوب :

سأتحدث عن الصورة الغالية التي وصلت إليها قضية الاعتراف ، وهي قدرة الباباوات على مغفرة الذنوب ، التي بلغت حد إصدار ما يسمى بـ "صكوك الغفران" ، التي أصبحت مهزلة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من نوعها .

^(١) انظر : موجز تاريخ الأديان ، فليسيان شالي ، ص: ٥٩ .

^(٢) الوثائق الجماعية للمجمع المسكوني الفاتيكان الثاني ، عنوان : دستور عقائدي ، فقرة : ١٢ ، ص: ١٧٢ .

^(٣) سيأتي تفصيل لذلك عند ذكر طغيان الكنيسة ضد العلم .

أصل هذه الدعوى :

لا يوجد في أسفار النصارى أي نص صريح ينحوّل البابا مثل هذا الحق ، الذي يختص به الله تعالى ، وحاصل محاولات النصارى في إثبات ذلك تعود إلى دليلين :

الدليل الأول : هو الدليل الذي سبقت الإشارة إليه في الصورة السابقة وهو النص الوارد في متى : « فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وما تخله على الأرض يكون مخلولاً في السموات » ^(١) .

والدليل الثاني : ما ورد في إنجيل يوحنا ، « فقال لهم يسوع أيضاً : سلام لكم ! كما أرسلني الآب أرسلكم أنا . ولما قال لهم هذا نفح وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطایاه تغفر له ، ومن أمسكتم خطایاه أمسكت » ^(٢) .

والنصارى يستدلون كما في هذين النصين بما يسمى سلطان الخل والربط ، وهم يستدلون به على قدرة الباباوات على مغفرة الذنوب تماماً كما يستدلون به على سلطتهم في التحليل والتحريم ، ويرون أنَّ الباباوات – لأنَّهم نواب المسيح وخلفاء الرسل – قد توارثوا هذا السلطان إلى منتهى الدهر .

فلسفة صكوك الغفران :

كل مذنب يحتاج إلى التوبة ، للتكفير عن ذنبه ، وهذا الأمر البسيط في فهمه ، قد تعرض للتغيير والتطویر على أيدي الباباوات حتى أصبح مفهوماً معقداً في عرف الكنيسة ، وأصبحت مغفرة الذنب تناول بصالك – ولو من غير توبة من صاحب الذنب – يصدره البابا ، ويختتم عليه بختمه ، ويعطيه للمذنب مقابل دراهم معلومة ، فما أن ترنَّ الدراهم في صندوق باائع الصكوك ، إلا وقد غفر للمذنب ، وربما تعين مقعده من الجنة ، ثم ليفعل بعد ذلك ما يشاء ، فليس عليه مثقال ذرة من الحرج بعدما نال تلك النعمة! . ولقد كانت هذه الصكوك مهزلة مثيرة للسخرية لدى الكثيرين من العقلاة ، ولكنَّ عقول الباباوات لم تعجز عن إيجاد التفسير المنطقي – في نظرها – لهذه الفكرة فقالت للناس : إنَّ للمسيح ، ومرجم العذراء ، والقديسين من الفضائل ما هو أكثر من اللازم لخلاصهم ، ولهם من الأعمال أكثر

^(١) متى : (١٦/١٨) .

^(٢) يوحنا : (٢٠/٢٣-٢١) .

ما يحتاجون ، وبمعنى آخر : فإن البركة التي تجمعت من آلام المسيح ، وكذلك القدّيسين جعلت لهم من الحسنات ما يزيد على حاجتهم . ومن هذه الفضائل ، والأعمال ، والبركات تحصل رصيد عظيم ، وإن البابا هو الذي يملك مفتاح هذا "الكتر" ، ومنه يهب الغفران للمذنبين من الأحياء ، وحتى الأموات الذين هم في المطهر ، فسيتمكن لأقاربهم أن يشتروا صكوك الغفران ليفرجوا عنهم ^(١) .

وكان بروز هذه البدعة في أواخر القرن الحادي عشر ، وتحديداً عام ١٠٩٥ م ، في الجمع الذي عقده البابا أوربان الثاني ^(٢) في مدينة "كليرمونت" في الجلسة السادسة من جلسات الجمع ، التي خصصت للحديث عن الحروب الصليبية ، حيث قام أوربان واعتنى منبراً عالياً وألقى على الجماهير خطبة حماسية طويلة استشار فيها عواطف شعبه ، وأعلن في ختمها تحليلاً ، وغفراناً لجميع الخطايا ، وذلك بدون توبة لكل من يحمل السلاح في تلك الحرب المقدسة ، بل وعد بالحياة الأبدية لكل من يقابل "الموت المجيد" في الأرض "المقدسة" أو في طريقه إليها ، ومن طريف ما قال : إنّه يجب أن يبقى في الكنيسة حاجتها إليه ، ولكن إذا سمحت الظروف فسوف يلحق بهم ، ولكنه سيقى منشغلًا لأجلهم . وقال بعض المؤرخين (لم يحدد الناقل) إنّه لم توجد خطبة في التاريخ عملت مثلما عملت خطبة أوربان الثاني وأنتجت ما أنتجه من الآثار على المدى البعيد ^(٣) .

ثم أصبحت صكوك الغفران تمنح في أعمال أقل من ذلك ، فأصبحت تعطى لمن يتلون أدعية معينة ، أو يؤدون خدمات دينية خاصة ، أو القيام بإنشاء القنطر ، والطرق ، وبناء الكنائس والمستشفيات ، وغيرها من الأعمال . وكان هذا الامتياز محفوظاً للبابا وحده ، وفي استطاعته أن يهبها للأساقفة في أبرشياتهم ، وكانت صلاحية البابا تشمل جميع الرعايا . وفي عام ١٢١٥ م قرر الجمع المسكوني الثاني عشر ، أن الكنيسة تملك حق الغفران ، وأوصى باستخدامه في داخل الكنيسة باعتدال ، وجاء في القرار : «أنهى الجمع تعليمه فيما يتعلق

^(١) انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرولمر ، ص : ٣٠١-٣٠٢ ، وقصة الحضارة ، ويل ديورانت : (١٦/١٧) ، وتاريخ الكنيسة للقس د : جون لوربر : (٤/٣٨) .

^(٢) تولى عرش البابوية بين عامي (١٠٨٨-١٠٩٩) ، وارتبط اسمه بالحملة الصليبية الأولى ، مات بعد أسبوعين من دخول غودفروا القدس متضرراً ، ودفن في روما . انظر : معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص: ٩٨-١٠٠ .

^(٣) انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرولمر ، ص: ٩٥-٢٥٩ .

بالغفران فقال : إنَّ يسوع المسيح لَمْ كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات ، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي ناله من العلا منذ الأيام الأولى ، قد أعلم الجميع المقدس ، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية ، للشعب المسيحي المنشية بسلطان المحامع » ^(١) .

وهذا النص يبين أنَّ الكنيسة وضعت شيئاً من الضوابط لهذه الصكوك ، مثل أن يكون داخل الكنيسة ، وأن يستخدم باعتدال ، ولكنَّ جشع الباباوات في الحصول على المال حملهم على أن تغافلوا حتى عن قرارات الكنيسة نفسها ، ورأوا أن ذلك الاستخدام "المعتدل" ، والمحفوظ داخل الكنيسة يقف عائقاً دون تحقيق مطامعهم الدنيوية ، فآخر جوا تلك الصكوك عن إطار الكنيسة ، وأصبحت أوربا كلها سوقاً رائجة لتلك التجارة التي أمدت خزيتها بأوفر الأموال ، وأصبح استخدام صكوكها في متناول من يملك دفع المال .

وكان صيغة الصك المعتمدة من الكنيسة كما يلي : « ألا فليرحمك رب يسوع المسيح ، ويغفر لك بفضل ما لقي من آلام مقدسة ، وأنا (أي Bauer الصكوك) بتفويض منه ، ومن رسولي المباركين بطرس وبولس ، ومن البابا المقدس منح لي وعهد به إلَيَّ في هذه الأجزاء أن أحلك أولاً من كل لوم ديني مهما كانت الطريقة التي تعرضت لها ، ثمَّ من كل خططيك ، ومن كل تجاوز للحدود ، وكل إفراط في المللadas مهما بلغت من الجسام ، بل حتى من أي إثمٍ تحفظ بتقريره وإدراكه السيدة البابوية ، وبقدر ما يمتد نطاق سلطان الكنيسة المقدسة أعيشك من كل عقاب تستحقه في المطهر بسبب هذه الآثام ، واعيدك إلى القربان المقدس للكنيسة ، وإلى البراءة والطهر الذين حرّقهما في العماد ، ولهذا فإنك عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب ، وتفتح لك أبواب جنة النعيم ، وإذا لم تمت الآن فإنَّ هذا الفضل سوف يظل في أوج قوته عندما تصبح على وشك الموت باسم الأب ، والابن ، والروح القدس » ^(٢) .

وبعد صدور هذا الصك خرجت مراكب الرهبان تحمل الآلف من هذه الصكوك ليس فقط خارج الكنيسة ، وإنما خارج روما كلها ، وتوجهت إلى كل مكان تطأه أقدامهم

^(١) تاريخ الكنيسة ، نقلًا عن محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص: ١٥٧ .

^(٢) قصة الحضارة ، ول ديورانت : ٥/٢٤)

ليعودوا إلى خزينة الكنيسة بأوفر الأموال . وقد كان القرن السادس عشر هو المسرح الذي شهد أحداث تلك المهزلة . ففي بداية هذا القرن ، وفي عام ١٥١٣ م على وجه التحديد ، وجد البابا ليو العاشر^(١) أنَّ أكبر مشكلة تواجهه هي كيفية الحصول على الأموال اللازمة لتمويل بناء وزخرفة كاتدرائية "القديس" بطرس ، وتوفير النفقات الالزمة للباطل البابوي ، حتى استقر رأي الكنيسة على وجوب تخفيض أسعار هذه الصكوك ، وتعيين عدد من الباعة المهرة لنشر هذه التجارة في كل أنحاء أوروبا ، وقام هؤلاء الباعة بجوبون الأقاليم والبلدان مؤكدين للناس أنَّه قد أصبح بإمكانهم الآن غفران خطاياهم ، وخلاص نفوسهم بأسعار مخفضة جداً ، وبدون توبة ، وكان الرهبان والراهبات يستقبلونهم حاملين الطبول والرايات ويسيرون على دقات الطبول وأنغام الموسيقى ، وأصبحت الكنائس صالات للبيع ، حيث تعلق شارات البابا على رأس الصليب الكبير الأحمر ، ويوضع بجانب المذبح في الكنيسة ، ويقوم التاجر العظيم (مندوب البابا) ليعلن قيمة الصك ، ومدى تأثيره وفاعليته في محظوظ الذنوب والآثام .

الدافع الحقيقية لهذا الصك :

كانت أهم الدافع لإصدار تلك الصكوك وبيعها دافعان :

الدافع الأول : الدافع المادي : وهو جمع الأموال لزيادة نفوذ الكنيسة ، وهذا ما تؤكد له شهادات المؤرخين ومنها :

١ - ما ذكره المؤرخ أندرولمر من أنَّ البابا ليو العاشر كان هدفه جمع المال ، وأنَّه استخدم هذه الوسيلة لتحقيق ذلك الهدف^(٢) .

٢ - المؤرخ النصراني القس جون لوريمر اعتبر أنَّ صكوك الغفران أحد المشروعات العديدة المدرة للمال التي اخترعها كنيسة العصر الوسيط^(٣) .

الدافع الثاني : الدافع السياسي : وهذا واضح من استخدام البابا أوربان الثاني لهذه الوسيلة لدفع شعبه إلى الحروب "المقدسة" ، وهي الحروب الصليبية ، التي لم تكن هي أيضاً

^(١) اسمه يوحنا مدبيتشي ، تولى البابوية بين عامي (١٥١٣-١٥٢١) وكان عمره ثمانية وعشرون عاماً ، وفي عهده ارتفع صوت المصلح لوثر في ألمانيا . انظر: معجم البابوات ، خوان داثيو ، ص: ١٩٤-١٩٨ .

^(٢) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص: ٣٠٣ .

^(٣) تاريخ الكنيسة : (٣٨/٢) .

إلا وسيلة لزيادة نفوذ السلطة البابوية على السلطة الزمنية ، بدليل اقتران دعوة البابا أوربان إلى الغفران مع تحريمه على رجال الإكليروس من أن يقسموا بعين الولاء لأي سلطة زمنية ، وكان المقصود من هذا التحريم إثناء كل اعتماد للكنيسة على السلطة الزمنية^(١) .

ويظهر مما سبق أن الدافع الديني لم يكن له أي وجود حقيقي ، وإن كان هو المعلن ؛ فلم يكن الغرض الحقيقي هو تحقيق المغفرة للمذنبين ، بل وربما لم يخطر هذا المعنى على عقول أصحاب تلك التجارة ، وقد كانت هذه المهازلة بوابة الإغراء في الشهوات والسقوط في مستنقع الرذيلة .

المطلب السادس : حق التحلّة :

وهذه الصورة لم أجده من أشار إليها - فيما توفر لدى من المصادر - إلا المؤرخ الأمريكي ويلز ، حيث قال عن هذه العقيدة : « وثمة دعوى أخرى أدعتها الكنيسة كانت هي أيضاً أكثر سرفاً وبعداً عن الحكمة هي قولها بأن لها "حق التحلّة" . ومعنى ذلك أنَّ البابا كان يستطيع في كثير من الأحيان أن يهمل قوانين الكنيسة في حالات فردية خاصة ؛ فهو قد يأذن لأبناء العم ، وأبناء الحال أن يتزاوجوا ؛ وقد يسمح لرجل بأن تكون له زوجتان ، أو يحل أي إنسان من ندره ، ولكن إتيان مثل هذه الأمور ينطوي على اعتراف بأنَّ القوانين التي تتصل بها ليست قائمة على أساس من الضرورة الالزمة والصلاح الفطري ، وأنَّها في الواقع إنما تنطوي على التضييق والمضايقة »^(٢) .

وخلالص هذه الصورة - كما يدل النص المذكور - أن يتحقق للبابا أن يحل بعض الأمور المحرمة بمبرر القوانين الكنيسية لبعض الأفراد ، وهذه الصورة راجعة إلى ما سبقت الإشارة إليه من دعوى سلطة البابا في التشريع من حيث العموم ، وتختلف عنها في خصوصيتها بأفراد معين ، بحيث يحل لهم البابا ما هو محرم على غيرهم في نفس الأمر ، وليس من فرق - فيما يظهر لي - بين من يحل له الحكم ، ومن يحرم عليه إلا مجرد اختيار البابا واستثنائه بناء على هواه ورؤيته الشخصية .

^(١) انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ،أندرو ملر ، ص: ٢٥٩ .

^(٢) معالم تاريخ الإنسانية : (٨٩٦/٣) .

المبحث الثالث

نقد تقديس البابا

وفيه خمسة مطالب

- **المطلب الأول :** نقط طعموج أن بطرس نائب الرب ووارث سلطانه ورئيس المحبسة
- **المطلب الثاني :** نقط طعموج أن البابا الرومانى هو نائب الرب ووارث سلطانه ورئيس المحبسة المنظور
- **المطلب الثالث :** نقط حصمة البابا
- **المطلب الرابع :** نقط طعموج أن البابا له سلطة التشريع
- **المطلب الخامس :** نقط طعموج أن البابا له سلطة مغفرة الذنب



تحليل واستنتاج :

قبل المناقشة التفصيلية لصور التقديس التي سبق ذكرها أسجل الملاحظات التالية :

١ - ذكرت فيما سبق ستة من أهم صور تقدير البابا ، وهي أهم ما وقفت عليه في باب التقديس ، ومن هذه الصور ما يختص به البابا دون غيره من رجال الدين ، وهي رئاسته المطلقة للكنيسة روما ، وعقيدة العصمة ، وعقيدة التحلل ، وحق إصدار صكوك الغفران ، ومنها ما يشتراك معه بقية رجال الدين في معنى الصفة ، لا في درجتها ، وهي سلطان التشريع والتحليل والتحرير ، وسلطان مغفرة الذنوب .

٢ - بين هذه الصور ارتباط كبير ، وهي تشتراك - على الأقل - في أمرتين هامين :
الأول : أنها مشتملة على الشرك بالله تعالى ، ومنازعته فيما هو من خصائصه من الربوبية والألوهية .

والثاني : أنها ترجع إلى إلى أصل واحد ، هو أن الرب أعطى سلطانه للكنيسة ، ولهذين الاعتبارين جعلت مناقشة هذه الصور بعد عرضهما جمياً .

٣ - الصورة الأولى ليست من تقدير البابا نفسه ، ولكنها هي الأصل الذي قامت عليه الصور الأخرى وهي تتضمن عدة أمور سوف أفصلها عند نقد تلك الصورة .
وبناءً على هذا التحليل ؛ فسوف أقوم بمناقشة الصورة الأولى باعتبارها أساس بنيان التقديس ، وإذا سقط الأساس سقط البنيان بكماله ، ثم أتبع ذلك بمناقشة بقية الصور .
المطلب الأول : نقد دعوى أنَّ بطرس نائب الرب ووارث سلطانه ورئيس

الكنيسة :

هذه الدعوى عند تحليلها تتضمن ثلاثة محاور ، وهي :

أ - أنَّ الرب منح سلطانه لبطرس .

ب - جعله نائبه ، وخلفيته على ملكته .

ج - أنَّ بطرس رئيس "جماعة الرسل" ومؤسس كنيسة روما



المحور الأول : دعوى أنَّ الرب أعطى سلطانه لبطرس :

تقوم هذه الدعوى على أساس النص الوارد عند متى ، يوحنا ، وقد أوردت فيما عند تقرير هذه الصورة ، والنص الأول هو الأساس في ذلك ، ويمكن أن أوجه إليه ما يلي :

الوجه الأول : أنَّ هذا السلطان مبني على عقائد باطلة ، مثل ألوهية المسيح ، وبنوته لله ، وأن له ملوك السماء ، والعقیدتين الأوليين سبق أن بینت بطلاقها بالتفصيل ، وأما الثالثة مما يختص به الله تعالى ، وهو راجع إلى ربوبيته — سبحانه — .

الوجه الثاني : أنَّ عيسى عليه السلام نفسه لا يملك هذا السلطان ؛ فهو بشر لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ، بل هو مملوك لله تعالى ، وخاضع لسلطانه الذي يشمل كل شيء ، ومن كان فاقداً لهذا السلطان كان منحه ذلك لغيره من باب أولى .

الوجه الثالث : أنَّ هذا السلطان لا يعني غير إقرار الشرك بالله تعالى ، ومنازعته في ربوبيته وألوهيته وملكه ، فملك السماء ، وحق التحليل والتحريم ، ومغفرة الذنوب مما اختص الله تعالى به ، وإنما جاء عيسى عليه السلام لينقض الشرك لا ليقره ، وهذا الوجه مع الوجهين السابقين من أعظم الأدلة على الكذب في هذا النص .

الوجه الرابع : أنَّ عيسى عليه السلام — بحسب النص — قد منح ذلك السلطان لبطرس في مجمع من التلاميذ ، والمفترض أنَّهم جميعاً قد سمعوا ذلك ، وهذا النص — باعتبار ما قرره من سلطان — من أعظم النصوص على الإطلاق عند النصارى ، بل هو الذي تقوم عليه عقائدهم ، فكيف قبل أنَّ نصاً بهذه المترفة ، وينتشر بمثل هذه الطريقة ، ثم يغفل عن ذكره أصحاب الأنجليل ، وأصحاب رسائل العهد الجديد ، ولا يظفر بروايته عن المسيح عليه السلام إلا شخص واحد هو متى ؟ ، بل يوحنا — وهو معدود عندهم من تلاميذ المسيح عليه السلام — لم يروه . وهذا من أكبر الأدلة على أن هذا النص مفترى على المسيح عليه السلام .

الوجه الخامس : جاء في النص ما ينقض هذا السلطان أشد المناقضة ، وهو وصف المسيح عليه السلام لبطرس ، وبعد العبارة الأولى يقليل بأنَّه شيطان ، ومعترة ، ومنافق لا يهتم بما لله ، وجاء في نصوص أخرى الإخبار بإنكاره للمسيح عليه السلام ، مما يدل على خيانته ، والوصف الواحد من هذه الأوصاف يكفي لانتفاء أهلية بطرس لأنَّ يكون من تلاميذ المسيح



اللَّهُمَّ ، فضلاً عن أن ينال مثل ذلك السلطان "العظيم!" ، وبناءً عليه ، فإنَّ وصف بطرس
بأنَّه خائن المسيح أو عدوه أولى من وصفه بأنَّه الوارث لسلطانه!

الوجه السادس : أنَّ من النصارى من فسر سلطان "الخل والربط" بأنَّه عزل النصري
عن الجماعة ، أو إعادته إليها ، وعليه فلا حجة للنصارى فيه على دعواهم .

الوجه السابع : هذا النص ليس محل اتفاق بين النصارى ، فيبينما يثبته البعض يعارضه
المتقدون للكنيسة ، ويررون أنَّه من وضع أصحاب المصالح في الجيل الثالث أو الرابع ،
 وأنَّهم أقحموا تلك العبارات لتكون أساساً لما يسمى بالتقليد البطريسي ^(١) .

هذه أهم الأوجه التي تتعلق بهذا النص ، وأما النص الآخر الذي ورد عند يوحنا ،
فليس فيه أي دلالة على السلطان الذي يذكره النصارى ، وغاية ما يمكن أن يستدل به —
لو صح — هو فضيلة بطرس ، وقد بينت في الوجه الخامس من صفاته ما ينقض ذلك .
المحور الثاني : أنَّ الرب أقام بطرس نائباً له وخليفة على مملكته :

وهذه الدعوى لا دليل عليها في كتبهم ، ولا أقوال آبائهم ، ومستندها السلطان
الممنوح لبطرس ، ، وقد أبطلت ذلك في المحور الأول .

المحور الثالث : أنَّ بطرس هو رئيس (جماعة الرسل) ، ورئيس الكنيسة المنظور :
وهذه القضية مبنية على أساس أنَّ الرب خص بطرس دون غيره بمنحه سلطانه ،
وتسليمه مفاتيح ملوكوت السماوات ، ورعاية خرافه ، وسألاقتها من حلال أمررين :
الأول : رئاسته على بقية الرسل ، والثاني : رئاسة كنيسة روما ببناءً على ذلك .
أولاً : رئاسته على من يسمى بالرسل ، وهي منقوضة بعدة أوجه منها :

الوجه الأول : ما سبق من البيان عن صفات بطرس ، وأنَّه لا يستحق معها أن يكون
تلמידاً من تلاميذ المسيح **اللَّهُمَّ** فضلاً عن تلك المترلة التي يدعى إليها النصارى .

الوجه الثاني : رئاسة بطرس على بقية من يسمى بالرسل ليست محل اتفاق بين
النصارى أنفسهم ، فإنَّ الأرثوذكس ينazuون فيها ، وفي أصلها ، وهو وجود رئيس
للكنيسة ؛ إذ أنَّهم يرون أنَّ الرئيس الأوحد للكنيسة هو المسيح **اللَّهُمَّ** ^(٢) .

^(١) انظر : أفكار ورجال ، كزبن برنتن ، ص: ١٩٣ .

^(٢) انظر : روما نظرة أخرى ، أوليفيه كليمان ، ص: ١٣ .

الوجه الثالث : استدلال الكاثوليك على اختصاص بطرس بسلطة "الخل والعقد" غير مسلم به ؛ لأنَّه ثبت في نفس الإنجيل ، ما ينفي تلك الخصوصية ، وهو قول المسيح - بحسب ما نسب إليه - : « فكل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء ، وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنَّه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات » ^(١) .

وهذا النص يدل على أنَّ هذا السلطان غير مختص ببطرس ، بل يشمل جميع من يسمى بالرسل ، بل إنَّ دائرة تشمل كل اثنين يتلقان على أمر من الأمور ، وفي كلا الحالتين ينقض اختصاص بطرس بذلك .

ثانياً : رئاسة كنيسة روما على بقية الكنائس :

هذه الدعوى تستند إلى جميع ما سبق ؛ فيما أنَّ بطرس هو وحده الذي منحه رب سلطانه ، وأنابه على مملكته ، واستحق بذلك رئاسة جماعة الرسل ؛ فهو وحده المستحق لرئاسة كنيسة روما ، وقد أبطلت في فيما سبق المحور الأول والثاني ، ثمَّ أبطلت دعوى رئاسته لن يسمى بجماعة الرسل ، وهي أصل دعوى رئاسته للكنيسة روما ، وسوف أناقش دعوى رئاسته للكنيسة روما من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ الكنيسة من حيث الأصل أمر مبدع ، فلا توجد في الأنجليل أدلة تفيد أنَّ المسيح عليه السلام أنشأ كنيسة أو أمر ببنائها ، ولو كان بنائها أمراً مشروعاً لم يكن في وسع المسيح عليه السلام تأثير ذلك مع قيام الداعي ، بل ورد في النصوص أنَّ المسيح عليه السلام كان يصلِّي دون تحديد مكان خاص بالعبادة ، فعلم من ذلك أنهَا من جملة البدع التي ابتدعها رجال الدين .

الوجه الثاني : ينقض ذلك أيضاً شهادة المؤرخ النصراني "برنتن" بأنَّه لم يكن للكنيسة رئيس واحد طيلة القرون الأربع الأولى ^(٢) .

الوجه الثالث : لو صحت رئاسة بطرس للكنيسة روما لكان مخالفًا لأمر المسيح عليه السلام ، من جهتين . الأولى : خروجه إلى خارج المكان الذي دعا فيه ، وهي أرض القدس

^(١) محق : (١٨/١٩) .

^(٢) انظر : أفكار ورجال ، ص: ١٩٣ .

والجليل والناصرة وما جاورها ، مما انتشرت فيه دعوته . والثانية : دعوته غيربني إسرائيل الذين أرسل المسيح عليه السلام إليهم خاصة .

الوجه الرابع : أنَّ بطرس نسبت إليه كنائس أخرى غير كنيسة روما مثل أنطاكية التي أسسها بنفسه – على قول بعض النصارى – ، وكنيسة الإسكندرية التي أرسل إليها مرقس ، وأنابه عليها ، وبذلك تنتقض خصوصية كنيسة روما برئاسته ^(١) .

المطلب الثاني : نقد دعوى أنَّ البابا الروماني هو نائب الرب والوارث لسلطانه ورئيس الكنيسة المنظور :

هذه الدعوى تقوم على أنَّ كل ما منحه الرب بطرس انتقل بالوراثة إلى البابا الروماني ؛ لأنَّه خليفة على كرسيه ، وقد أبطلت كل الأسس التي قامت عليها هذه الدعوى في الصورة الأولى ، والكاثوليك يثبتون سلطة البابا المطلقة على جميع الكنائس بما سبق ذكره وباعتبار بقاء تلك الرئاسة مدى الدهر ، وبأدلة أخرى يرون أنها تؤكِّد حق البابا في هذا السلطان ، ويمكن الرد على ذلك بما يلي :

مناقشة استدلالهم على بقاء الرئاسة في الكنيسة الرومانية مدى الدهر :

الوجه الأول : أنَّ النص الوارد في إنجلترا من الذي يستدل به النصارى على سلطان بطرس ، ويعتبر أعظم النصوص عندهم لم يشر بأيَّة إشارة إلى هذه الوراثة المزعومة .

الوجه الثاني : القول بوراثة هذا السلطان للبابا ، ولجميع من يأتي بعده يبطل خصوصية بطرس وتفرده بسلطان المسيح عليه السلام – بزعمهم – ، فكيف يكون حقاً خاصاً لبطرس ، ثم يكون لجميع من أتى من بعده إلى منتهى الدهر؟ .

الوجه الثالث : استدلالهم بالتاريخ يكذبه التاريخ نفسه ؛ فإنَّ ما حدث في تاريخ الكنيسة من انقسامات كبيرة ، وما نشأ بين طائفتهم من الخلاف الذي لا يزال قائماً إلى اليوم ، لا يمكن أن يحدث والرب معهم . بل إنَّ ذلك دليل على كذبهم . يقول القس السابق عبد الأحد داود « لو سلمنا أنَّ المسيح نصب بطرس وعينه لرئاسة كل الكنائس ، ولكنَّ تلك الرئاسة ليست إلى الأبد ، بل كانت مؤقتة إلى ظهور الملوك ، وأنا أدعى

^(١) انظر : تاريخ أوروبا الوسطى ، د . السيد إلياز العربي ، ص: ١٥٧ .



مثراً أنه من العبث أن تدوم العيساوية الحاضرة موجودة ، فإنَّ جميع فرق مسيحي اليوم خارجون على تعاليم المسيح عليه السلام^(١)

الوجه الرابع : استدلاهم بأنَّ المجامع النصرانية أكدت سلطة البابا لا يصح ؛ فلو كان رب مع البابا وات إلى انقضاء الدهر فما حاجتهم إلى تلك المجامع إلا أن تكون من العبث ، وتضييع الوقت والمال . وأيضاً ، فإنَّ هذه المجامع لم ينته فيها بجمع عن اتفاق كامل بينهم ، بل لا يزال الخلاف من سماتها ، فما يقره بجمع ينقضه المجمع الذي يليه ، وهكذا .

الوجه الخامس : استدلاهم بتنفيذ الأخبار سلطتهم دون معارض مما يدل التاريخ على عدم صحته ؟ فقد وجدت الكنيسة المعارضه من أول مجمع أقامته ، وأي معارضه أعظم من انشقاق طائفي الأرثوذكس والبروتستانت عنهم ، وقيام الحروب الدينية المستمرة بينهم .

الوجه السادس : استغاثة البطاركة الآخرين بهم - لو صح - لم يدل على تقدمهم لأنَّ تقدمهم في قضية معينة لا يدل على تقدمهم المطلق .

الوجه السابع : رئاستهم الدائمة للمجامع غير صحيح ؛ فأول مجمع عقد كان برئاسة بطيريك الإسكندرية ، وبعض المجامع الكبرى لم يحضر فيها إلا مندوب عن البابا ، وبعضها أقيم في غيابهم ، ثم وافقوا على قراراته بعد ذلك . ومن المعلوم أنَّ المجامع الأولى كلها كانت شرقية ، وبدعوة من الامبراطور لا من البابا .

المطلب الثالث : نقد عصمة البابا :

تحدثت فيما سبق عن عقيدة عصمة البابا ، ويمكن أن أوجه إليها الانتقادات التالية :

الوجه الأول : أنَّ قرار العصمة لا دليل عليه من الأنجليل ، أوأقوال آبائهم ، وكيف يكون عليه دليل ، وهو لم يظهر إلا بعد أكثر من ثانية عشر قرناً من تاريخ الكنيسة .

الوجه الثاني : من الناحية التاريخية ؛ فإنَّ مبدأ العصمة لم يقر إلا في القرن التاسع عشر ، وتحديداً عام ١٨٧٠ م ، فكيف يكون البابا معصوماً ولا يعلن ذلك إلا بعد أكثر من ثانية عشر قرناً ! . وأيضاً ؛ فإنَّ مبدأ العصمة لم يعلن - كما قرر بعض مؤرخي النصارى - إلا نتيجة لظروف خاصة تمثل في توتر العلاقات بين الكنيسة والعالم الخارجي ، وكذلك الخلافات الفكرية التي قامت داخل الكنيسة نفسها بين الكاثوليك والليبراليين المتشددين .

^(١) الإنجيل والصلib ، ص: ٢٢٠ .

ففي هذه الضروف عُقد المجمع الفاتيكانى الأول برئاسة البابا بيوس التاسع وأعلنت فيه عصمة البابا كوسيلة لمعالجة تلك الضروف . وبعبارة أخرى ، فإنَّ قرار العصمة كان حلاً في نظر الكنيسة لما عبرت عنه بالتجاوزات من العقلانية والليبرالية والاشراكية ، وضماناً لاستقلال البابا بالسلطة الرمنية في ذلك الوقت ^(١) .

الوجه الثالث : أنَّ تاريخ الكنيسة يشهد بعدم صحة هذا المبدأ ، ومن ذلك ما يلي :

- ١ - الانقسامات الكبرى التي حدثت بين طوائف النصارى وأدت إلى الانفصال التام بينها . فكيف يكون رئيس الكنيسة معصوماً ، ثم تحدث هذه الانقسامات ؟ ! .
- ٢ - الاختلافات بين طوائف النصارى ، وهي المستمرة إلى اليوم ، وكيف يحصل هذا الخلاف والبابا المؤيد بالحق – في نظرهم – بين ظهرياتهم ؟ ! .
- ٣ - وجود ثلاثة بابوات في وقت واحد ، وقد حدث ذلك عندما كان على عرش البابوية ثلاثة أشخاص هم "بونيفاقيوس التاسع" ^(٢) في روما ، و"بندكتس الثالث عشر" في أفيون ^(٣) ، و"الاسكندر الخامس" الذي انتخب رسميًا ، ولم يتمكن من مهمته بسبب تمسك البابويين الآخرين بمناصبهما ^(٤) ، وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يَدْعُ السيدة البابوية ، ولا يمكن أن يكون كل واحد منهم معصوم ، بل لابد من معصوم واحد ، وحينئذ تبطل عصمة الآخرين ، وذلك ينقض مبدأ العصمة من أصله .

الوجه الرابع : هذه العصمة منقوضة بخلاف الطائفتين الآخرين للكااثوليك الأرثوذكس والبروتستان ، وهو خلاف لم ينحصر في إطاره النظري ، بل أصبح افتراقاً وتباهيًّا كاملاً ، بل تجاوز الأمر ذلك الحد حتى قامت بين تلك الطوائف العداوات التي حللت بالعار تاريخ النصرانية ، وأقول إذا كان رئيس الكنيسة محفوظ من الخطأ فكيف تحدث كل تلك الفظائع في ظل رئاسته ؟ ! .

^(١) انظر دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كمي ، ص: ٣١٢ .

^(٢) اسمه بيتر وتوماتشيللي ، اختاره الكرادلة الأربع عشر المجتمعون في روما ، وتولى البابوية بين عامي ١٣٨٩ - ١٤٠٤ . انظر معجم الباوات ، خوان داثيو ، ص: ١٥٩ .

^(٣) اسمه بدور دي لونا ، اختاره الكرادلة الفرنسيون خلفاً لإقليمينضس السابع ، واتخذ قصر أفيون بفرنسا مقراً له . انظر المصدر نفسه ، ص: ١٦٠ .

^(٤) انظر دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كمي ، ص: ٢١١ .

الوجه الخامس : أنَّ قرار العصمة يلزم منه الطعن فيما يسمى بالكتاب المقدس ؛ فإنَّ ما يعلنه البابا "المعصوم" لا يخلو من أمور : إما أن يكون موافقاً لما في كتاب النصارى ، وفي هذه الحالة فإنَّ العصمة - لو صحت - تكون لذلك الكتاب لا للبابا ، ويكون قوله من باب تحصيل الحاصل . وإنَّما أن يكون قوله مخالفًا لذلك الكتاب . فإذا اعتبرنا أنَّ البابا معصوم لزم بطلان ما في الكتاب المقدس وإذا سقط كتابهم سقط قيمة الأساس الذي قام عليه دينهم ، وهذا هو الواقع فيما يتعلق بالكاثوليك ، وقد تنبه إلى هذا المعنى أحد كبار المهتدين من علمائهم ، وهو عبد الأحد داود حيث قال : « فماذا تكون إذاً مكانة الإنجيل عند كاثوليكي يعتقد أنَّ كاهن رومية الأعظم هو خليفة المسيح ومفسر الكتب المقدسة والأخبار أو النبوات الألهية الوحيدة ويتقنع بأنَّ حل المسائل وفصل المشكلات الحادثة يعود إليه وحده »^(١) . وهناك احتمال ثالث وهو أن يكون ما يعلنه البابا أمراً جديداً ليس في الكتاب المقدس ما يدل عليه أو على خلافه ، ويكون عند ذلك من جملة البدع التي ابتدعها ويلزم منه الطعن في الكتاب المقدس عندهم من جهة عدم كماله وشموله لجميع الدين ، فعاد هذا الأمر إلى الأمر الثاني من حيث النتيجة .

الوجه السادس : يلزم من عصمة البابا الطعن فيما بالجامع المقدسة ؛ فإذا كان البابا معصوم ومؤيد بالحق ، فما هي الحاجة إلى تلك الجامع التي لا تقام إلا عند وجود الخلاف ؟ ، وكيف يحدث الخلاف مع وجود الحق في تعليم البابا المعصوم . إنَّ إقامة هذه الجامع وبذل الجهد الكبيرة ، وإنفاق الأموال الضخمة وحتى السنين الطويلة - كما حدث في بعضها - مع وجود الحق في تعليم البابا لا يعدو أن كون عبثاً وسفهاً في العقل .

الوجه السابع : إذا كان البابا معصوم فلماذا أخفى الباباوات السابقون ، الذين يزيد عددهم عن ٢٨٢ باباً هذه العقيدة التي يتوقف عليها إيمان النصارى ، ولم يظهرها إلا من جاء بعد هذه المدة الطويلة ، إنَّ هذا يعني خيانتهم لأتباعهم في أعظم الأمور ، وهو أمر الدين ، وإذا كانت العصمة لم تشمل إلا من جاء بعد إعلانها ثبت أنها من جملة ما ابتدعه النصارى ، وثبت بذلك كذب الباباوات لكل ذي عينين .

^(١) الإنجيل والصلib ، ص: ٤٦

المطلب الرابع : نقد أنَّ البابا له سلطة التحليل والتحريم :

الأصل الذي قامت عليه هذه الدعوى ، هو ما تحدثت عنه من قبل من أنَّ الرب قد منح سلطانه للكنيسة ، وأنَّ القدرة على الحل والربط التي ورثوها عن الرب تشمل حقهم في التحليل والتحريم ، ويكمِّن الرد عليها من وجوه :

الوجه الأول : بطلان الأصل الذي قامت عليه ، وقد بينته بالتفصيل فيما سبق .

الوجه الثاني : لا يوجد نص صريح في الأنجليل كلها يدل على أنَّ للبابا حق التشريع ، وأن بيده التحليل والتحريم ، ولا يمكن أن يوجد ذلك لأنَّه لما احتضن الله تعالى به ،

الوجه الثالث : أنَّ الباباوات بِممارسة هذا الحق خالفوا أحكام التوراة التي بقي بعضها إلى اليوم مخالفة صريحة ، مثل تحريم التمايل والصور وغيرها مما لا تزال أحكامها باقية ، ومع ذلك فقد تحرأ الباباوات وأعلنوا مخالفتهم لتلك الأحكام مما يدل على ابتداعهم ذلك من تلقاء أنفسهم واحتراعهم وفق أهوائهم بغير سلطان من الله ٠

الوجه الخامس : أن تفسيرهم للحل والعقد الذي جعلوه أصلاً لهذه الدعوى ليس متفقاً عليه فيما بينهم ، فمنهم من يرى أن تفسير الحل والعقد لا يعني أكثر من ضم الشخص إلى الكنيسة أو عزله عنها ، وعليه فليس في النص حجة على ما ادعوه .

المطلب الخامس : نقد سلطان مغفرة الذنوب وصكوك الغفران :

وهذه الدعوى منقوضة بالأوجه التالية :

الوجه الأول : أَنَّهُ مبنيٌ على سلطانِ الحلِّ والعقدِ وقد أَبْطَلَهُ فيما سبق بالتفصيلِ .

الوجه الثاني : الاعتقاد بأن البابا له القدرة على مغفرة الذنوب وإصدار الصكوك
بالتسریح من النار ، ودخول الجنة يتضمن الشرک الصریح بالله تعالی ، وهو ما حذر منه
المسيح صلی اللہ علیہ وسَّلَّدَ أعظم تحذیر . وقد دلت الأنجلیل أنَّ الذي يغفر الذنوب هو الله تعالی وحده .

الوجه الثالث : أنَّ عيسى التَّكْلِيلَ وهو أعظم قسيس - كما يزعمون - لم يفعل ذلك ولم يدَعِيه ، ولا يملكه ، وإنما كان يدعوا الخطاة - بحسب تعبيرهم - إلى التوبة إلى الله وحده ، ولم يأتِ إليه أحد من تلاميذه ليغفر له ذنبه .

الوجه الرابع : أنَّ النص الوارد في ذلك على أهميَّة الكبُرى عند النصارى إلَّا أَنَّه لم تورده جميع الأنجِيل ، وأيضاً يمكن أن يحمل قوله "من غفرتُم خططيَاه تغفِر لَه" على معنى مغفرة الخطايا التي بين العباد أنفسهم ، ومغفرة الشخص لأنْحِيه تأتي بمعنى عفوه عن خطأه ، وهو معنى صحيح ، وعلى هذا التفسير لا يكون في النص أدنى حجة على زعم النصارى .

الوجه الخامس : أنَّ قرار مغفرة الذنوب لم يكن صادراً عن كتبهم ، وإنما تقرر ذلك في الجمع الثاني عشر ، وهذا يدل على كذبهم في هذه الدعوى .

الوجه السادس : كان في هذا القرار أعظم دعوة لنشر الرذيلة ؛ فقد أصبح الطريق إليها سهلاً ، بل مشروعاً ، وبالمال وحده يغفر كل ذنب ولو لم يتبع منه صاحبه ، وفي المقابل لم تكن هذه العقيدة غير وسيلة ناجعة لجلب الأموال الطائلة إلى خزينة الكنيسة ، وهي أبعد ما تكون عن قصد التقرب إلى الله تعالى . وهذا ما جلب النقمـة على الكنيسة ورفع المتقدـين لها .

الفصل الثالث

تقديس رجال الدين

وفي هذه المقدمة

❖ المقدمة الأولى : كعوچ وراثته لسلطان الرب

❖ المقدمة الثانية : كعوچ التوسط بين الفالق والملائكة

❖ المقدمة الثالثة : الأسرار الدينية

مدخل : التعريف برجال الدين ونشائهم :

رجال الدين عند النصارى: هم الذين انقطعوا للخدمة في الكنيسة ، ويطلق عليهم "موظفو الكنيسة" ، و "الإكليروس" أو "الإكليريكون" ويقابل ذلك مصطلح "العلمانيين" ، ويراد به من ليس له وظيفة محددة في الكنيسة ، ورجال الدين والعلمانيين – نظرياً – في متزلة واحدة ، وليس بينهما فرق إلا ما ذكرت ^(١) .

وتتألف طبقة رجال الدين من ثلاثة مراتب أساسية ، هي : الأساقفة (وهي أعلى المراتب) ، ثم القساوسة ، ثم الشمامسة ، وهذه الرتب عند جميع الطوائف النصرانية . وكانوا – كما يذكر ديورانت – يتميزون بخلق قمة الرأس ، وليس متزرا طويلا بلون واحد غير الأحمر والأخضر ، تضمه أزرار بطوله كله من الرأس إلى القدمين ^(٢) . وأماماً ظهورهم ؛ فقد ذكرت بعض المصادر أن ذلك يرجع إلى القرن الثاني الميلادي ، وذكرت مصادر أخرى أنهم كانوا يتتقاضون أجراً في القرن الثالث الميلادي ^(٣) .

وهذه الإشارات محمولة على بدايات ظهور هذه الطبقة ، أمّا بروزها وبداية سلطتها الفعلية ، فكان في بداية القرن الرابع الميلادي ، عندما أعلن الإمبراطور الروماني قسطنطين التسامح العام مع الكنيسة ، وتوجه بقبول النصرانية ديانة رسمية للإمبراطورية . يقول المؤرخ هـ . ج . ولز عن النصرانية في ذلك القرن : « بيد أن مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين ، وإن احتفظت بتعاليم يسوع في الأنجليل كنواة لها كانت في صلتها "ديانة كهنوتية" من طراز مأثور للناس ، من قبل آلاف السنين ، وكان المذبح مركز

^(١) انظر : التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، تأليف لجنة تابعة للكرسى الرسولي ، بتقديم البابا يوحنا بولس الثاني ، فقرة : ٩٣٤ ، ص: ٢٩٢ ، المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا : ص: ٣٣٠ - ٣٣١ ، معجم إيمان المسيحي ، اختيار الآباء صحي حموي اليسوعي ، ص: ٥٧ .

^(٢) قصة الحضارة : (١٦/٥١) .

^(٣) انظر المسيحية في عقائدها ، ص: ٣٣٦ ، و تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة بعنوان : كنيسة على صورة الإمبراطورية ، ليبار نوتان : (١٦٠/١) ، و صاحب المقالة مدير أبحاث في المعهد التطبيقي للدراسات العليا بباريس .

طقوسها المنقة ، والعمل الجوهرى في العبادة فيها هو القربان يقربه قسيس متكرس للقدس
• ولهـا هـيـة تـطـوـر بـسـرـعـة مـكـوـنـة مـن الشـمـاسـة ، والقـساـوـسـة ، والأـسـاقـفـة^(١) .
وهـذا النـص يـبـيـن أـنَّ الـدـيـانـة الـنـصـارـانـيـة فيـالـقـرـن الـرـابـع أـصـبـحـت دـيـانـة كـهـنـوتـيـة ، مـا يـعـنـى
ـبـالـضـرـورـة ـ وـجـوـد الطـبـقـة الـكـهـنـوتـيـة وـهـي طـبـقـة رـجـال الـدـين بـشـكـل وـاـضـح ، كـمـا يـشـير
الـنـص إـلـى تـشـابـه الـنـصـارـانـيـة مـع الـدـيـانـات الـوـثـنـيـة السـائـدـة فيـكـثـير مـن الطـقـوـس وـالـعـبـادـات .

^(١) مـعـالم تـارـيخ الإـنـسـانـيـة : (٧٢٠-٧٢١) . وـادـعـاء المؤـلـف بـأـنَّ الـأـنـاجـيل كـانـت تـحـوي تـعـالـيم الـمـسـيـح - اللـهـ - لـا يـسـلـمـ لـهـ ، فـاـنـهـا - وـإـنـ بـقـيـ فـيـها شـيـء مـنـ تـعـالـيمـهـ - تـحـبـطـ بـهـا الشـكـوكـ مـنـ كـلـ جـهـةـ منـ حـيـثـ نـسـبـتـهـا إـلـى أـصـحـاـهـاـ ، ثـمـ جـهـالـتـهـمـ عـلـى فـرـضـ صـحـةـ النـسـبـةـ ، ثـمـ انـقـطـاعـ سـنـدـهـاـ إـلـيـهـمـ ، وـكـلـ ذـلـكـ يـمـنـعـ مـنـ اـطـلاقـ مـثـلـ هـذـاـ الـحـكـمـ ، وـمـنـ جـهـةـ أـخـرـىـ ، فـلـوـكـانـتـ هـذـهـ الـأـنـاجـيلـ تـحـويـ تـعـالـيمـ الصـحـيـحةـ لـمـ يـكـنـ باـسـطـاعـةـ الـكـيـسـةـ تـحاـوـزـ ذـلـكـ الـأـمـرـ وـإـحـالـ

□

المبحث الأول
صور تقدیس رجال الدين
وفيه مطلبان

- **المطلب الأول** : طعوٌن وراثة سلطان الرب
- **المطلب الثاني** : نقط هذه الطعوٌن



المطلب الأول : دعوى وراثة سلطان الرب :

وهذا المبدأ هو حق للبابا في المقام الأول ، ولكننا نجد أنَّ رجال الدين النصراني قد نالوا حظاً منه ، بل نجد أنَّه ينسب للقسيس أو الكاهن ما يكاد يجعله الوريث الوحيد "سلطان الرب" وأمَّا السند الذي يستندون إليه في هذه الدعوى ، فهو نفس الدليل الذي يستدل به الباباوات ، وهو النص الوارد في إنجيل متى ، وهو سلطان المنوح لبطرس وقد سبقت الإشارة إليه قريباً ، ورجال الدين يرون أنَّهم ورثة لهذا السلطان ، ويقولون إنَّ الرب قد أعطى سلطانه للكنيسة ، وليس الكنيسة إلا الباباوات ورجال الدين .

ومن النصارى من يبالغ في تقدیسهم فینسب "سلطان بطرس" إلى الكهنة وحدهم . يقول "خطيب الكنيسة الأعظم" - عند النصارى - يوحنا الذهبي الفم مقرراً منح الرب هذا السلطان للكهنة : « وإنَّي لأرى الابن يسلُّم هذا السلطان بكامله إلى الكهنة . حتى أنَّه يظن أنَّ الله قد أدخلهم السماوات أولاً ودفعهم فوق الطبيعة البشرية ، وخلصهم من عبودية الأهواء ، ليوشحهم أخيراً بهذا السلطان الأسمى » ^(١) .

وهذا النص يقرر أنَّ "سلطان الرب" قد أصبح حقاً موروثاً للكهنة ، وأنَّهم قد تهياوا لذلك السلطان بخلصهم من الأهواء حتى أصبحوا في مترفة كائناً أعلى من مترفة البشر . ثمَّ يمضي خطيب الكنيسة في غلوه فيهم فيجعلهم أعلى من الملائكة ، ورؤساء الملائكة ، وأنَّهم نالوا سلطان الرب - سلطان الحل والعقد - الذي يعني فك الخطايا ، ومغفرتها ، بل إنَّ الرب هو الذي يطيع الكاهن ، ويشتت ما يقضى به في السماء . يقول في ذلك ما نصه : « لقد نال الكهنة سلطاناً لم ينلها الملائكة ، ولا رؤساء الملائكة . فقد أعطوا سلطاناً أن يحلوا ويربطوا ، أي يفكوا الخطايا ، ويفغروها . فأي سلطان بشري مثل هذا؟، وكائني بالرب يطيع خادمه (هكذا يقول !) ، وما يتخده الكاهن على الأرض يثبته الله في السماء » ^(٢) .

هكذا بلغ الغلو في الكهان حتى أصبح الرب هو الذي يطيع الكاهن ، ويمضي أمره الذي قضى به على الأرض . وحتى لو غضب هذا الرب على أحد من عباده فليس

^(١) خطيب الكنيسة الأعظم القدس يوحنا الذهبي الفم ، الآب إلياس كوبير المخلصي ، ص: ١٨٦ .

^(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٨٩ .

للنصراي من سبيل إلا الرجوع إلى الكاهن - لا إلى رب - ، الذي له القدرة على أن يصالح بين العبد المخطيء وبين ربه .

يقول هذا الخطيب في بيان هذا المعنى : « أَمَّا الْكَهْنَةُ فَإِنَّهُمْ يَصَالِحُونَ النَّاسَ لَا مَعَ كَبَارِ هَذَا الْدَّهْرِ ، وَالْمُتَسْلِطِينَ عَلَيْهِ ، بَلْ مَعَ اللَّهِ إِذَا غَضِبَ » ^(١) .

المطلب الثاني : نقد هذه الدعوى :

تقديس النصارى لرجال الدين كما ذكر أعظم الخطباء عندهم مبني على ادعاءهم وراثة سلطان بطرس ، وقد سبق إبطال ذلك بالتفصيل فيما سبق ، ولكن أتبه إلى أنَّ هذا السلطان الذي يزعمون وراثته عن الرب ليس مختصاً بمحفورة الذنوب فقط ، كما في هذا النص ، ولكنه يشمل كل ما يحتاج إليه النصارى ، فلا يخرج عن سلطان الكهنة شيء من حاجاته ، بل من حياته ، وهذا ما سأفصله عند الحديث عن الأسرار "المقدسة" .

^(١) المصدر السابق ، ص: ١٨٦ .

المبحث الثاني

دعوى التوسط بين الله وبين الخلق

وفييه مطلبان

- **المطلب الأول** : تقرير دعوى التوسط بين الله وبين الخلق
- **المطلب الثاني** : نقد هذه الدعوى



المطلب الأول : تقرير دعوى التوسط بين الله وبين الخلق

من أعظم البدع التي ابتدعها رجال الدين ، وتسلطوا بها على رقاب أتباعهم زعمهم أنهم وسطاء بين الله وبين خلقه ، وقد فلسفوا هذا المبدأ بطريقة تبدو – عند أتباعهم – مقبولة ، وتقوم فلسفتهم على ما يلي :

إنَّ الرب متصف بالقصوة (تعالى الله عن قوته) ، ولا يمكن للعبد أن يجرؤ لتجيئ صلاته لذلك العرش الرهيب بعيد ، ولكن عيسى أقرب منه ، ولكنه أيضاً إلىه ، ومن الصعب أن يجرؤ العبد على مواجهته وجهًا لوجه ، لاسيما من أنكر نعمه . فكان من الحكمة أن توجه العبادة إلى أحد "القدّيسين أو القدّيسات" الذين تشهد لهم الكنيسة بمقامهم في الجنة ، وأن يتولى إليه عند المسيح ^(١) .

وبهذه الطريقة دخلت الفكرة في عقول العامة ، وقام سوق الشرك بالله تعالى ، وسدت جميع الطرق إلى الله تعالى إلا طريق الكاهن ، فلا سبيل إلى التقرب إلى الله تعالى ، أو طلب قضاء الحاجات ، أو مغفرة الذنوب إلا من طريقه ، وأصبح هؤلاء الكهنة على الحقيقة شركاء مع الله تعالى .

ولتطبيق هذه الفلسفة ؛ فقد أصبح في الكنيسة الكاثوليكية لكل مملكة ، ولكل فرد وسيط عند المسيح (الشفاعة) ، وأصبح الكثير من الأتباع يتم اختيار "قدّيساتهم" منذ ولادتهم ، وهم يعتقدون فيهم شيئاً من القوة الإلهية ، والمشيئة الربانية ^(٢) .

ولم يكن هذا التوسط من رجال الدين مقصوراً على التوسل في رفع العبادات إلى رب (المسيح في زعمهم) ، ولكنهم أعلنوا توسطهم في أمر لا يقل خطراً عن الأول ، وهو جانب التشريع ، وما يقتضيه من التحليل والتحريم ، وبذلك فتح باب الشرك والابتداع على مصراعيه ، وشرع رجال الدين يبتدعون ما يشأون من الشرائع والعبادات ، والطقوس ، والأعياد ، وغيرها ، ما لا يشك عاقل أنه لم يدر بخلد المسيح ^{الشفاعة} فضلاً عن أن يكون قد دعا إليه . وكان أدهى ما في الأمر أنهم جعلوا كل ذلك ديناً بحسب التزامه وطريقاً – لا طريق غيره – لمن أراد الفوز برضوان الله ، وجنته ! .

^(١) انظر : قصة الحضارة ، ول دبورانت : (٦/٢٢) .

^(٢) انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرولمر ، ص : ٢٩٥ .

وكان من أعظم هذه البدع وأكثرها خطراً وتحقيقاً للعبودية للكاهن بدعة "الأسرار الكنسية" ، التي من خلالها أحكم رجال الدين قبضتهم على أتباعهم منذ الولادة وحتى الممات ، وهذا ما سأتحدث عنه بالتفصيل في الفقرة التالية .

المطلب الثاني : نقد مبدأ توسط رجال الدين :

إنَّ ما قررَه النصارى من هذا المبدأ هو عين الشرك بالله تعالى سواءً كان ذلك في عبادة الكهان والخضوع لهم ، أو في جانب طاعتهم في التحليل والتحريم ، وهذا الشرك هو ما حذر منه جميع الرسل عليهم السلام ، ومنهم عيسى عليه السلام ؟ فقد جاءت دعوته – كغيره من الأنبياء – إلى إخراج الناس من ظلمات الشرك بالله تعالى إلى نور التوحيد .

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَضَمِّنَتْ تَبْرُءَةً إِلَيْنَا حِيلَ الصَّحِيحِ مِنْ دُعَائِي النَّصَارَىٰ أَعْظَمُ تَبْرُءَةً ؛ حِيثُ
بَيْسَتْ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَدْعُوا إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُقْتَضَىٰ

الكتاب الذي جاء به ، والإنجيل قطعاً داخل في ذلك ، وهذه الآية من أعظم الأدلة على
افتراء النصارى وكذبهم على عيسى عليه السلام . والله أعلم .

المبحث الثالث

الأسرار الكنسية

وفيه مطلبان



-
- **المطلب الأول** : تعرف السر الكنسي وأهميته
 - **المطلب الثاني** : عرض الأسرار الكنسية ونقدها

المطلب الأول : تعريف السر الكنسي وأهميته

يؤمن النصارى بما يسمى بالأسرار الكنسية ، وهي سبعة أسرار ، وهذا محل تفاق
بينهم إلا البروتستان ، فلا يثبتون منها إلا اثنين فقط وهي بالمعمودية ، والعشاء الرباني .

تعريف السر الكنسي :



هو : « نعمة غير منظورة تُنال تحت عوارض منظورة على يد كاهن شرعي » ^(١) .

أهمية الأسرار وارتباطها بحياة الصرانى :

الذى يهم في هذا العرض بيان ما تتميز به هذه الأسرار من الارتباط الكامل بحياة الصرانى ؟ فهى تشمل كل شئون حياته ، من المولد إلى الممات ، وتتميز بارتباطها الكامل بالكافن نفسه ؛ فلا يمكن أن تقبل أو تؤدى إلا في حضوره ، وبماركته ، وتحت ظل صلاته ودعائه ، وذلك سر آخر في هذه الأسرار !

يقول الدكتور "هولستن سميث" : « والمدهش أنَّ هذه الأسرار توازي اللحظات وال حاجات العظيمة والهامة في حياة الإنسان . الناس يولدون ، يبلغون سن الرشد ، يتزوجون أو يكرّسون أنفسهم بنحو كامل لهدف حياتي معين ، ويموتون . وفي هذه الأثناء يجب أن يعاد دمجهم في المجتمع كَلَمَا انحرفوا عنه ، وعليهم أن يأكلوا . توفر الأسرار المقدسة النظير الروحي لهذه الأحداث الطبيعية ، فكما تأتي عملية الولادة بالإنسان إلى عالم الطبيعة ، يسحب "سر العمودية" بزرعه أول نعمة إلهية خاصة داخل روح الطفل . عندما يبلغ سن الرشد يتلقى "سر التثبيت" . عادة ينظم الشاب إلى قرينه الإنساني المرأة في "سر الزيفة" ، أو يكرّس حياته لله ضمن الرهبانية المقدسة في "سر الكهنوت" ، وفي نهاية الحياة هناك "سر مسحة المرضى" . هناك طقسان سريان من الضروري القيام بهما بنحو متكرر على الدوام ، أحدهما "سر الاعتراف" ، عندما يقع في الانحراف ، أمّا السر المقدس الثاني فهو "سر القدس" الذي يعتبر الطقس الدينى المركزي » ^(٢) .

وهذا النص الهام يؤكّد ارتباط الصرانى الوثيق بهذه الأسرار ، ومن ثم بالكافن الذى تؤدى بين يديه ، وهذه ولا شك صورة غالبة من صور تقديس الكهنة .
ويعتقد النصارى - الكاثوليك والأرثوذكس - أنَّ هذه الأسرار "إلهية" ، أي أنَّ مؤسسها هو المسيح نفسه - الغطيللا - من أجل أن ينقل للبشر برّكات الخلاص ^(١) ، ومن جهة أخرى ؛ فإنَّ "فاعلية" الروح القدس هي التي تتمها بطريقة سرية داخلية لتحقيق النعمة "الغير منظورة" . وأمّا تسميتها بالأسرار فيرجع - عندهم - إلى أمررين : أنَّ

^(١) أسرار الكنيسة السبعة ، الأرشيدياكون حبيب جرجس ، ص: ٦ .

^(٢) أديان العالم (المسيحية) ، ص: ٤٤٢-٤٤٣ ، بتصرف واختصار .

^(٣) انظر : أسرار الكنيسة السبعة ، الأرشيدياكون حبيب جرجس ، ص: ٨٢ .

مصدرها إلهي – كما أسلفت – . والثاني : أنَّ لها وجهين ، وجه مادي منظور ، وآخر مقدس غير منظور ^(٢) .

عرض الأسرار الكنسية ونقدتها :

ونأتي الآن إلى شرح موجز لهذه الأسرار ، وليس المهم في هذا المقام ذكر التفاصيل الدقيقة لكل سر ولا الفروق بين الطوائف في ذلك ، وإنما بيان دور الكاهن في كل سر ، وسوف أذكر الأسرار السبعة – كما عند الكاثوليك والأرثوذكس :

أولاً : التعميد أو (المعمودية) •

وهو أهم الأسرار عند النصارى ؛ لأنَّه أساس الخلاص ، والحياة النصرانية ، وله أسماء كثيرة منها غسل الميلاد الثاني ، والتجديد بالروح القدس ، والعطية ، والاستنارة ، والنعم ، والختم وغيرها ^(٣) .

والنصراني لا يعد مؤمنا – عندهم – إلا بعد أن يعمد ، والتعميد يؤهل المعمد لنوال نعم الله في الأسرار الأخرى ، وهو باب الدخول إلى ملوك السموات ، ومن أدلة النصارى على فرضية هذا السر :

١ - « من آمن واعتمد يخلص ، ومن لم يؤمن يُدان » ^(٤) .

٢ - « إن لم يولد أحد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل الملائكة » ^(٥) .

٣ - أنَّ المسيح الكلِيل تعمَّد – بزعمهم – على يد يوحنا المعمدان على نهر الأردن .

ومن ثمرات هذا السر عندهم :

١ - الدخول في النصرانية ، ويعبر عنها النصارى بالولادة الجديدة .

^(٢) انظر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، تأليف لجنة تابعة للكرسي الرسولي ، ص: ٣٧٤ ، المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا : ص: ٣٦٠ ، العبادة المسيحية ، ص: ٧٥-٧٤ ، الكنيسة المسيحية في عهد الرسل ، مثلث الرحمات الأنبا يوانس ، ص: ٣١٠ ، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية ، د . ميخائيل مكسي اسكندر : ٨/١ ، المعمودية (الأصول الأولى للمسيحية) ، الأب متى المسكن ، ص: ١٠ .

^(٣) انظر التعليم المسيحي ، ص: ٣٧٦ ، وموسوعة طقوس الكنيسة : (١٦/٢) .

^(٤) مرقس : (١٦/١٦) .

^(٥) يوحنا: (٥/٣) .

٢ - مغفرة الخطايا ، وتشمل الخطيئة الموروثة عن آدم - العلييل - بزعمهم - ، والخطايا المتتجدة التي تكون قبل التعميد ، ومغفرة الخطايا هي النعمة الغير منظورة التي تتحقق بإتمام هذا السر .

ويتم إجراء هذا السر كما يلي :

- أ - التعميد يكون بالتعطيس في الماء - كما يفعل الأرثوذكس - ، أو بالصب على الرأس ، أو بالرش عليه - كما يفعل الكاثوليك .
- ب - الماء الذي يستخدم في التعميد هو ماء مقدس - عندهم - ، بفعل صلوات الكاهن عليه ، وصلاته تسمى "صلادة استدعاء الروح القدس" .
- ج - التعميد بجميع طرقه لا يكون إلا ثلثاً ، من أجل الأقانيم الثلاثة ، ولا يكون إلا من الكاهن .

د - صفة التعميد : أن يقول المعّمّد ، وهو يصب الماء : يا فلان أعمدك باسم الآب ، والابن ، والروح القدس ، هذا في الكنائس الغربية ، وفي الكنائس الشرقية يوجه المعتمد جهة الشرق ، ويتلئ عليه الكاهن عبارة التعميد ، وعند ذكر كل من الأقانيم الثلاثة يغطس في الماء وينشل . وبذلك يتم سر التعميد .

هذا هو التعميد كما يراه النصارى ، ومن أهم الانتقادات الموجهة إليه ما يلي :

١ - المسيح العلييل لم يعمّد أحداً من أتباعه ، ويفكك ذلك ما جاء في قاموس الكتاب المقدس أنَّ «أنَّ المسيح لم يعمد أحداً ، وإنما الذين عمدوا هم تلاميذه وكانت أول معنودية يوم الخمسين» ^(١) .

ويفكك ذلك أيضاً بعض النصارى ، ومن ذلك اعتراف الأب متى المسكين «من واقع تاريخ المسيحية نجد أنَّ المعنودية صارت ممارستها الأولى من اليوم الأول الذي حل فيه الروح القدس يوم الخمسين شاهداً لقيامة المسيح» ^(٢) .

وهذان النصان صريحان أنَّ المسيح العلييل لم يعمد أحداً من أتباعه ، وأنَّه لم يحدث شيء من ذلك طيلة حياته ، وإذا كان التعميد لا يحتاج أكثر من وجود الماء ، ومع ذلك لم

^(١) قاموس الكتاب المقدس ، لنجبة من اللاهوتيين ، مادة : معنودية ، ص: ٦٣٧ .

^(٢) المعنودية (الأصول الأولى للمسيحية) : ٢٨ .

يفعله المسيح ﷺ دل ذلك على عدم مشروعيته ، وأنه من جملة البدع التي ابتدعها النصارى ، ونسبوها إلى المسيح ﷺ ، وهو منها براء .

٢ - إذا كان الإيمان لا يصح عند النصارى إلا بالعميد ؛ فإنَّه لم يؤمِّن بعيسى ﷺ في حياته أحد على الحقيقة ؛ لأنَّ المسيح ﷺ لم يعمد ، ويدخل في ذلك جميع تلاميذه ، ومنهم بعض أصحاب الأنجليل - على رأي النصارى - وإذا تقرر عدم إيمان أيُّ أحد من أتباعه سقطت الديانة التي نقلوها إلى أتباعهم جيلاً بعد جيل .

٣ - أنَّ قضية التعميد مبنية على قضية باطلة ، وهي ما يسمى بالخطيئة الجديَّة التي تفترض تلوث جميع الناس بخطأ أبيهم آدم ﷺ وإذا ثبت بطلان هذا الأساس - كما بينت من قبل - بطل ما نتج عنه ، وهو العماد الذي جُعل - أيضاً - لغفرة تلك الخطيئة .
ومما يؤكِّد بدعة هدا السر أنَّ النصارى أنفسهم لم يتزموا به في أول الأمر ، بل كانوا يكتفون بالختم بعلامة الصليب ، وكانوا يؤجلون العماد إلى الشيخوخة أو إلى الموت لأنَّهم لا يريدون الإلتزام به إلا بعد انطفاء شهوتهم ^(٢) .

٤ - قول النصارى بأنَّ المسيح ﷺ تعمد من أعظم التنقص له ، لأنَّ التعميد عندهم تطهير وتخلص من الخطيئة ، وكيف يُخلص المسيح البشرية (بزعمهم) من الخطيئة ، وهو ملوث بها ؟ ، بل كيف يكون رباً وهو ملوث بالخطيئة ومحاج في العماد ؟ .

٥ - أنَّ إثبات تعميد المسيح ﷺ ينقض عقيدة الفداء . فإذا كان صلب المسيح - بزعمهم من أجل الفداء فلماذا يولد العباد بعد ذلك ملوثين بالخطيئة ومحاجين إلى العماد ؟ ، فإثبات حصول التكفير من الخطيئة بالداء يبطل التعميد ، ويجعله تحصيلاً للحاصل ، كما أنَّ إثبات العماد يلغى أثر الداء ، ولا بد أن يلتزم النصارى بأحد الأمرين .

ثانياً : سر التثبيت :

وهو السر الذي يناله النصراني بعد التعميد ، وسمى بسر التثبيت لأنَّه - باعتقادهم - يعمل على تقوية المعمودية وإكمالها فيثبت النصراني على دينه ، ويسمى هذا السر - أيضاً

^(٢) انظر دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كومي ، ص: ١٠٠ .



— بالميرون ، لأنَّه يُستخدم فيه زيت المiron — المقدس عندهم — ، ويسمى "سر المسحة" لأنَّه يمسح به على الشخص "المثبت" .

وأمَّا فائدته فهي تثبيت النصارى على دينه ، عن طريق إفاضة الروح القدس الخاصة ، وإعلان المسؤولية التي أصبحت على عاتق الشخص المثبت ، والتي توجب عليه العمل على نشر النصرانية ، والدفاع عنها بالقول والعمل . ولذلك فهذا السر له علاقة كبيرة بالعماد ، من حيث أنه تكملة له .

وهذا السر كالعماد لا يقوم به إلا الكاهن ، ومراسمه على النحو التالي :

أ — مادة هذا السر — كما يرى النصارى — مكونة من الطيب الذي كان على جسد المسيح — العليلة بزعمهم — مخلوطاً "بدمائه الإلهية" ، وبزيت الزيتون النقى ، وهذا الخليط قد وزع على الكنائس ، ولا يحل لمسه إلا للأساقفة والكهنة ، وهم صائمون ، ومستعدون لعمل سر المسحة .

ب — يسبق إجراء طقس التثبيت عملية تسمى "تكريس الزيت المقدس" ، وتكون باستدعاء ما يسمى بالروح القدس ، وهو — بحسب الطقس الأنطاكي — كما يلي : « أيها الأب أرسل روحك القدس علينا ، وعلى هذا الزيت الذي بين أيدينا ، وقدسه ليكون لجميع الذين يُمسحون ، ويختمون به ميروناً مقدساً ، ميروناً كهنوتيًّا ، ميروناً ملكيًّا ، مسحة بهجة ، وثوب النور ، رحلة الخلاص ، والعطية الروحية ، وتقديساً للنفوس والأجساد ، والسعادة التي لا تبلى ، والختم الذي لا يحيى ، ودرع الإيمان والخوذة الرهيبة لصد كل غزوat العدو » ^(١) .

ج — بعد تكريس الزيت تبدأ مراسيم المسح على يد الكاهن ، وفي الطقس الروماني يسط الأسفف يديه على مجموع المستعددين للتثبيت ، وهو عالمة موهبة الروح القدس ، ويتعلم إفاضة الروح القدس بهذا الدعاء : « أيها الآب الفائق الصلاح ، أبو ربنا يسوع المسيح ، انظر إلى المعدين الذين نضع أيدينا عليهم ، لقد اعتنقهم من الخطيئة بالمعودية ، ووهبتهم أن يولدوا ثانية من الماء والروح . أفض الآن عليهم روحك القدس ، حسب وعدك ، أعطهم ملء الروح الذي نزل على ابنك يسوع : روح الحكمة والفهم ، روح

^(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، تأليف لجنة تابعة للكرسى الرسولي ، ص: ٣٩٦ .

المشورة والقوة ، روح المعرفة والمحبة النبوية ، املأهم من روح مخافة الله يسوع ربنا^(١) . وفي الطقس اللاتيني ، يمنح سر التثبيت بمسح الجبهة بالزيت "القدس" ووضع اليد مع هذه الكلمات : « فلتختتم بختم الروح القدس ، موهبة الله »^(٢) .

وأمّا في الكنائس الشرقية فيمسح الكاهن المعّمد بعد خروجه من حرب المعمودية مباشرة بالمليرون "القدس" ستة وثلاثين رشماً ، وتكون على مثل الصليب ، وفي كل رشم يقول : « وختم موهبة الروح القدس » ، وتشمل الجبهة والحواس الخمس ، والظهر ، والمفاصل ، ولكل منها صلاة معينة .

وطقس التثبيت كالعماد لا يكون إلا مرة واحدة ، ويتبين منه دور الكاهن المحرّي من بداية هذا الطقس إلى نهايته ، وكما أنّ النصارى لا يدخل في النصرانية إلا عن طريق الكاهن بالتعويذ ، فكذلك لا يمكن أن يثبت عليها إلا من طريق الكاهن بسر التثبيت . وهذا السر ينطبق عليه ما ينطبق على العماد ؛ لأنّه تكملة له كما يذكر النصارى .

ثالثاً : سر "العشاء الرباني" أو (الإفخارستيا) :

يعُرَّفُ النصارى بأنّه : السر الذي به ينال المؤمن المعترف جسد المسيح "القدس" ، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر (عصير الكرمة) ، ويطلق عليه "الإفخارستيا" وهي كلمة يونانية معناها : الشكر ؛ لأنّ المؤمن - بزعمهم - يشكر فيها رب على النعمة ، التي تتجلّى أعظم صورها في حصول الخلاص من الخطيئة عن طريق "الفادي" ، ويقصدون به المسيح - التكليلاً - ، وأنّه - رب في نظرهم - قد شكر عند إنشاء هذا السر .

وهذا السر من أهم الأسرار على الإطلاق عند النصارى ؛ فهو - إضافة إلى سر العماد - محل اتفاق بين جميع الطوائف بما فيهم البروتستان ، وهو الوحيد الذي يتكرر كل أسبوع ، فهو الطقس المركزي في الكنيسة ، ويحتوي على "كتز الكنيسة" ، وهو المسيح التكليلاً ، وكل الأسرار الأخرى مرتبطة به ، وهو ذروة العبادات التي تُرفع إلى المسيح - التكليلاً - ، والوحيد الذي تتحول في العوارض المنظورة (أي الخبز والخمر) ، وبطريقة عجيبة إلى جسد المسيح ودمه فعلاً ، مع حفظهما شكليها وأعراضهما ، وكذلك فإنّ المسيح التكليلاً -

^(١) المصدر السابق والصفحة نفسها .

^(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها .

بزعمهم - يعطي بعض موهبه "الخلاصية" بحسب كل سر من الأسرار الأخرى ، أمّا في هذا السر فإنّه يقدم ذاته غذاءً مقدساً .

ودور الكاهن في هذا السر - كغيره من الأسرار - جوهرى ؛ فلا يعتبر الطقس شرعاً ما لم يقم به الكاهن ، ويؤدي مراسيمه من الصلوات ، والعظات ، واستدعاء الروح القدس لتحقق ثرة هذا السر "الغير منظورة" ، وأعظمها الخلاص من الخطيئة ، وأهم مراحل هذا الطقس ما يلي :

أ - التهيئة : وتكون بالتوبة ، وتلاوة الصلاة التي قبل التناول ، والصوم قبله لعدة ساعات ، والإلقاء عن العلاقات الروجية قبله ، واجتناب الأحاديث الباطلة قبله وبعده ، والتواضع ، وتقديم الشكر قبل بدء التناول .

ب - مادة هذا السر المسماة بالعارض المنظورة هي : خبز الخطة ، وحمر الكرمة ، وهي عين ما تناوله المسيح عليه السلام - بحسب اعتقادهم .

ج - أركان هذا السر ثلاثة هي :

١ - إعلان كلمة الله .

٢ - شكر الآب على أفضاله ، ولاسيما عطية ابن .

٣ - تقديس الخمر والخبز ، والاشتراك في الوليمة .

د - يبدأ طقس هذا السر كما يلي :

١ - الاجتماع : حيث يتواجد الراغبون في أداء السر إلى الكنيسة ، ويعتقد النصارى أنَّ المسيح يكون على رأس الحضور ، ويرأس - بطريقة خفية - كل احتفال إفخارستي ، ثم يتكلم الأسقف ، باعتباره مثل المسيح نفسه ، ويشارك الجميع في الاحتفال بكلمة : آمين .

٢ - يبدأ بعد ذلك ما يسمى بـ "ليتورجيا الكلمة" : ، وتتضمن قراءات من نصوص أنبياء العهد القديم ، ثم مذكرات من يسمى بالرسل ، وهي الرسائل والأنجيل ، ثم العظة التي تحض الشعب على قبول كلمة الله على ما هي عليه حقاً ، وأن يضعوها موضع التنفيذ ، ثم تأتي "الطلبات" - التي يطلبها الكاهن - لأجل جميع الناس .

٣ - يقدم إلى المذبح - وأحياناً يكون في موكب - الخبز والخمر اللذين سيقرها الكاهن باسم المسيح عليه السلام ، فيتحول إلى جسد المسيح ودمه .



٤ - يبدأ الحفل الإفخارستي الخاص بمقيدة يشكر فيها الكاهن الإله الآب على كل صنائعه ، من الخلق ، والفاء والتقديس ، ثم يرفع النصارى إلى الله نشيد حمد متواصل ، وما جاء فيه : « به ، ومعه ، وفيه (أي المسيح) لك أيها الآب القدير في وحدة الروح القدس ، كل تمجيد وإكرام الآن ، وإلى الأبد » .^(١)

٥ - تبدأ بعد صلاة الشكر صلاة الاستدعاء ، وفيها يطلب الكاهن من الآب أن يرسل روحه القدس (أو قوة بركته) على الخبز والخمر ليتحولا بقدرته إلى جسد يسوع المسيح العليل ودمه ، وليصير المشتركون في الإفخارستيا جسداً واحداً وروحاً واحداً ، وفي صلاة الاستدعاء يصلى الكاهن سراً قائلاً : « ليحل روحك القدس علينا ، وعلى هذه القرابين الم موضوعة (أي الخبز والخمر) ، ويظهرها وينقلها .. ، ويرسم القرابة ثلاثة مرات ، وهو يقول : وهذه الخبز يجعله جسداً مقدساً له .. ثم يرسم الكأس ثلاثة ويقول : وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً لعهده الجديد ، ويصبح الشعب في الحالتين قائلين : أؤمن ^(٢) .

٦ - ثم تأتي بعد ذلك صلاة الاستذكار ، حيث تتذكر الكنيسة آلام المسيح العليل - بزرعهم - وقيامته وعودته المجيدة ، وتقرب إلى الآب تقدمة ابنه التي بها يتصالح الشعب مع الله .

٧ - وأخيراً : تأتي المناولة للخبز والخمر بعد أن تحولا - باعتقادهم - إلى جسد المسيح العليل ودمه .

وهذا التحول هو الصورة الكاملة لحضور المسيح العليل في هذا الطقس ، ويُطلق النصارى على هذه العقيدة "عقيدة التحول" ، ويسمونه "التحول الجنوهي" ، حيث يعتقدون أنه بتلاوة صلاة الحمد - التي ذكرتها سابقاً - على الخبز والخمر لتقدسيهما يصير يسوع المسيح بقراءة هذه الكلمات (التي تلتها الكاهن) حاضراً حضوراً حقيقياً واقعياً وجوهرياً تحت الأشكال الإفخارستية . وحضور المسيح العليل هو قلب الإفخارستيا ؛ وبذلك كانت أوليته على جميع الأسرار .
ويمكن أن يوجه إلى هذا السر الانتقادات التالية :

^(١) المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا ، ص : ٣٩٢ .

^(٢) موسوعة طقوس الكنيسة ، د . ميخائيل نكسي إسكندر : (٩٦/٢) .

-
- ١ - النص الوارد عند مตى « هذا هو جسدي ٠٠٠ » لم يورده يوحنا ، وهو من تلاميذ المسيح ﷺ - كما يرى النصارى - ، وهو كذلك من حضر الحادثة ، فلم يذكر عن هذه الحادثة شيئاً ، وهي ذات أهمية عندهم فدل ذلك على أنَّ هذا النص مكذوب على المسيح ﷺ . وما يدل ذلك - على التسليم برأيهم - كون المسيح لم يفعل ذلك إلا في آخر ليلة قبل أن يُسلم . فلو كان هذا السر مشروعاً فلماذا لم يبينه المسيح ﷺ ويأمر به إلا في آخر ليلة من حياته .
- ٢ - هذا السر مبني على عقيدة باطلة ، وهي صلب المسيح ﷺ - بزعمهم - وبيطان أساس هذه القضية تبطل هي كذلك .
- ٣ - يتضمن هذا السر الشرك الصريح ؛ إذ أنَّ فيه السجود لهذه الفطيرة ، وطلب المغفرة منها ^(١) .
- ٤ - ما نسبه النصارى إلى المسيح ﷺ أنَّه قال : (هذا هو دمي) مردود بأنَّ التوراة التي جاء المسيح ﷺ بتصديقها - جاءت تحريم الدم ، فكيف يأمرهم بشرب ما هو محظوظ في كتابهم . وهذه المناقضة الظاهرة تدل على عدم صحة نسبة هذا النص إلى المسيح ﷺ .
- ٥ - هذا السر لم يُقر إلا في الجمع اللاتيرياني عام ١٢١٥م ، وهذا يدل على أنَّه مما ابتدعته الكنيسة مؤخراً ، وأيضاً ، فإنه مناف للعقل أشد المنافاة ؛ لأنَّه لا يعقل أن يكون المسيح حاضراً في هذا السر حضوراً فعلياً ، وهو لا يُرى ولا يُسمع ، وكذلك فإنَّ اعتقاد أنَّ كل جزء من الفطير هو المسيح نفسه كاملاً كما يرون أشد منافاة للعقل ، وإذا كانت عدد موائد القربان تعقد بالآلاف سنوياً فكم مسيحاً يحضر في هذه الموائد في وقت واحد !

رابعاً : سر التوبة (الاعتراف) :

^(١) انظر تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، ص: ١٦٦ .

يعرف النصارى هذا السر بأنّه : رجوع الخطأء إلى الله ، ومصالحته باعترافه بذنبه ، وآثامه وزلاته وشروعه أمام كاهن الله ليحصل منه على "الحل" ، أي : رحمة الله له بالسلطان المنوح له من رب .

ويرون أنَّ قدرة الكهنة على المغفرة والحل من الذنب قد نالوها بالوراثة ؛ فسلطان "الحل والربط" أعطاه الرّب للرسول ، ومن حلالهم للأساقفة والكهنة من بعدهم ، وهو يفسرون سلطان "الحل والربط" بأنَّ الربط هو عزل الشخص عن الكنيسة ، والحل هو : حل الربط ، أي : إعادته إلى الكنيسة ، وذلك بعد التوبة .

وبهذا يتضح لنا كيف تمكن رجال الدين ، وهو الأساقفة والكهنة من تثبيت سلطتهم في مغفرة الذنب من خلال هذا المدخل الذي يبدو شرعاً - في نظرهم - ، وبهذا التوجيه أقنعوا أتباعهم ، وأصبح هذا السر من صلب عبادتهم .

ويقوم هذا السر عند النصارى على ركين . الأول : المعترف . والثاني : الكاهن ، وكل منهما أمور تخصه .

فاماً المعترف فيجب عليه التوبة ، ووقتها على مدار السنة ، ويحبذون أن يكون في زمن الصوم ، وكل جمعة تذكاراً لموت المسيح ﷺ - بزعمهم - ويجب عليه الندامة ، والإقرار بالخطايا ، والتکفير عنها ، كما يحدد الكاهن .

واماً الكاهن الذي هو مثل عن المسيح ﷺ ، فيجب عليه أن يعلن للمعترف بشارة المغفرة ، ويفسرها له ، ويساعده بالنصائح في حياته بعد التوبة ، ويصلّي لأجله ، ويتوب عنه ، وينحه باسم يسوع المسيح ﷺ مغفرة خطایاه ، وحفظ سر المعترف ، ويطلق على ذلك "الختم السري" .

وسر الاعتراف - كبقية الأسرار عمل ليترجي ، وأهم عناصر الاحتفال به بركة الكاهن ، وقراءته لإنارة الضمير ، والتحت على التوبة ، وفرض القصاص على المذنب ، والحل من الخطايا ، ثم ، الحمد والشكر ، وأخيراً صرف التائب مزوداً ببركة الكاهن ، ومحور عمل الكاهن في هذا السر هو الحل ، ومن أخصر صيغه : «أحلك من خطایاك باسم الآب ، والابن ، والروح القدس» ^(١) .

^(١) المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا ، ص : ٤٢٠ .

وَكَمَا أَنَّ لِلْكَاهِنِ الْقُدْرَةَ عَلَى الْحَلِّ فَإِنَّ لَهُ فِرْضُ الْكَفَارَاتِ عَلَى الْمُذْنِبِ مَا يَرَاهُ
مُنَاسِبًاً لِلْمُذْنِبِ ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ شَرَعَ رَجُالُ الدِّينِ مَا يُسَمِّي بِالْتَّأْدِيَاتِ الْكُنْسِيَّةِ ، الَّتِي
تَوَصَّلُوا مِنْ خَلَالِهَا إِلَى الْوَقْفِ أَمَامَ كُلِّ مَنْ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يَخْالِفُهُمْ ، أَوْ حَتَّى لَا
يُسْتَحِيبُ لِأَوْامِرِهِمْ .

هَذَا هُوَ سُرُّ الاعْتِرَافِ ، وَمِنْ أَهْمَّ الانتِقَادَاتِ الْمُوجَهَةِ إِلَيْهِ مَا يَلِيهِ :

١ - هَذَا السُّرُّ يَتَضَمَّنُ الشُّرُكَ بِاللَّهِ تَعَالَى ، حِيثُ يَعْتَقِدُ النَّصَارَى أَنَّ الْكَاهِنَ لَهُ الْقُدْرَةُ
عَلَى مَغْفِرَةِ الْمُذْنِبِ ، وَذَلِكَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

٢ - أَنَّ عِيسَى التَّعَلِيلَ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ إِلَيْهِ لِيَقُرِّرْ لَهُ بِذَنْبِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ
، وَتَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّاجِيلِهِمْ ، وَأَمَّا النَّصُّ الْوَارِدُ (مِنْ غَفْرَتِمْ خَطَايَاهُ تَغْفِرُ لَهُ) فَقَدْ أَجْبَتْ عَنْهُ
فِيمَا سَبَقَ .

٣ - أَنَّ الْكَاهِنَ هُوَ بَشَرٌ لَا يَمْلِكُ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ فَكَيْفَ يَمْلِكُ لِغَيْرِهِ . وَإِذَا كَانَ هُوَ مَنْ يَقْعُدُ
فِي الْذَنْبِ فَمَنْ يَغْفِرُ لَهُ ذَنْبَهُ . وَحَالُ النَّصَارَى مَعَ الْكَاهِنِ كَحَالِ الْأَعْمَى الَّذِي يَقْوِدُهُ
أَعْمَى مُثْلِهِ ، وَهِيَهَاتُ أَنْ يَهْتَدِيَا إِلَى الطَّرِيقِ .

خَامِسًا : سُرُّ الزَّوْجِ :

يَعْرِفُ النَّصَارَى ذَلِكَ السُّرُّ بِأَنَّهُ : سُرُّ "الْمَقْدِسِ" يَرْبِطُ بَيْنَ زَوْجٍ وَزَوْجَةٍ ، وَبِفَعْلِ الرُّوحِ
الْمَقْدِسِ ، وَبِصَلَوَاتِ الْكَاهِنِ يَصِيرُانِ وَاحِدًا ، وَيَحْلَانِ لِبعْضِهِمَا .
وَيَرَوْنَ أَنَّ هَذَا الْمِيثَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ أَسْسِهِ الْمَسِيحُ التَّعَلِيلُ لِبَنْفَسِهِ ؛ وَلَذِكَ يُجَبُ أَنْ يَتَصَفَّ
بِالْوَحْدَةِ ، وَالْدِيَمَوْمَةِ ، وَالْانْفَتَاحِ عَلَى الْخُصُوبَةِ (أَيْ : إِنْجَابُ الْأَوْلَادِ) ، وَهَذِهِ الْثَلَاثُ هِيَ
الْمُقْوَمَاتُ الْأَسَاسِيَّةُ لِسُرِّ الزَّوْجِ .

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ يَحْرِمُ عِنْدَ النَّصَارَى التَّعْدُدُ ؛ لِأَنَّهُ يَنْافِي الْوَحْدَةَ ، كَمَا يَحْرِمُ الطَّلاقَ ؛ لِأَنَّ
الْزَوْجَ رَبَاطٌ روْحِيٌّ ، وَلِأَنَّ رَبَّ الْأَرْضِ قَدْ أَفْرَأَهُ ، فَلَا يَفْرَقُونَ بَيْنَ مَا جَمَعَهُ الرَّبُّ ! ، فَلَا يَنْفَكُ
الْزَوْجُ إِلَّا بِالْمَوْتِ ، أَوْ بِالْبَرْزَنِ ، أَوْ تَرْكِ الدِّينِ . وَلَذِكَ لَا تَعْرِفُ الْكُنْسِيَّةُ بِالْزَوْجِ
الْمَدِينِ (الَّذِي يَحْدُثُ خَارِجَ الْكُنْسِيَّةِ) إِذَا كَانَ عَقْدُ الزَّوْجِ الْأَوَّلِ صَحِيْحًا .

وَأَمَّا الرَّكْنُ الثَّالِثُ ، وَهُوَ الْانْفَتَاحُ عَلَى الْخُصُوبَةِ ، فَذَلِكَ نَابِعٌ مِنْ أَنَّ الْمُهِمَّةَ الْأَسَاسِيَّةَ
مِنْ الزَّوْجِ وَالْأَسْرَةِ هِيَ التَّجْنِيدُ لِخَدْمَةِ الْحَيَاةِ الْكُنْسِيَّةِ .

ولابد لصحة هذا السر من حضور الكاهن ، وشهوده على الرضا المتبادل بين الزوجين ، وتُعد بركة الكاهن ضرورية لصحة السر ، وتشتمل ليتروجيا هذا السر على صلوات البركة من الكاهن ، وصلوة الاستدعاء للروح القدس التي تكون في حفل الزفاف .

ولا يوجد عند النصارى نص واحد يصرّح بأنَّ عيسى الكلِيل قد عرف هذا السر ، والطريقة التي يؤديها فضلاً عن أن يأمر به أو يدعوه إليه .

سادساً : سر الكهنوت :

الكهنوت هو : السر الذي ينال به المدعو لاقبته (أي : لقبوله) ، بواسطة وضع الأيدي ، وصلوة رئيس الكهنة (الأسقف) سلطان تعليم كلام الله ، وتقديس المؤمنين بالأسرار المقدسة ، والخدم الكنسية ، وقيادتهم إلى الخلاص ^(١) .

ويعتبر النصارى أنَّ أعظم الكهنة – بل الكاهن الأعظم هو المسيح الكلِيل ، وما الآخرون سوى خدمته ، وهو الذي أقام الرسل أساقفة ، وقسوساً ، وشمامسة ، وأنهم نالوا موهبة الروح القدس بوضع الأيدي عليهم ، وأنَّ الرسل بدورهم قد أعطوا الأساقفة مسؤولية إقامة القسوس والشمامسة من الجنسين . وبهذا نفهم أنَّ سلطان الكهنوت قد ورثه الكاهنة من الكاهن الأعظم – بزعمهم – وهو المسيح الكلِيل .

درجات الكهنوت :

درجات الكهنوت الأساسية عند النصارى ثلاثة درجات ، وهي كما يلي :

١ - الأسقفية : ، وهي متصلة من الرسل مباشرة وتضطلع بالسلطات الكهنوتية الثلاث بكمالها .

٢ - القسوسية : وينالها الكاهن من الأسقف وهي تضطلع بالسلطات الكهنوتية ما عدا إعطاء سر الكهنوت (الذي يختص به الأساقفة) ، وتكريس سر المiron .

٣ - الشماسية أو (الشموسية) : وينالها الشمامس من الأسقف ، وتتضمن حق المساعدة في إقامة الأسرار .

واختيار رجال الكهنوت يتمُّ في الأصل عن طريق السر الكهنوتي ، ولكنَّ هناك ميزات قد ترشح صاحبها لنيل تلك الدرجة ، ومن أهمها :

^(١) العبادة المسيحية ، للأرشنيريت إلياس ، ص ٩٦ .

- أ - حالة العزوبة ، مع تفضيل البقاء عليها (على اختلاف بين الطوائف) .
- ب - عدم المطالبة بها إلا من رأى أنه أهل لذلك فيتقدم بطلبه ، ويقى للكنيسة حق القرار في ذلك .
- ج - المؤهلات الروحية ، من تركيبة الكنيسة له ، وأن يكون قصده الخدمة لا الغرض المادي (هكذا يقولون !) .

ويتم سر الكهنوت بأن يضع الأسقف يده على رأس المرتسم ، ويتلو صلاة التكريس الخاصة التي يطلب فيها إلى الله أن يفيض الروح القدس عليه ، ويوجد عليه بالموهوب المنوطة بالخدمة التي انتدب لها المرتسم .

ويتمثل دور الروح القدس في هذا السر بجعل المرتسم على شبه المسيح ﷺ - بزعمهم - ، الذي أقيم المرتسم خادماً له .

بقي أن أذكر أنَّ المهام الأساسية لرجال الكهنوت ثلاثة أمور ، وهي : التعليم ، وإقامة الشعائر (المهمة التروجية) ، والرعاية ، أي رعاية الشعب .

وهذا السر كسابقه لم أجده له دليلاً خاصاً يمكن مناقشته ، فاغنى ذلك عن تفصيل مناقشته .

سابعاً : سر مسحة المرضى :

يعرف هذا السر بأنه : السر الذي يعطي بصلوات الكاهن ، وبمسحة الزيت النعمية الإلهية لشفاء الأمراض ، والعجز الجسدي ، والنفسي ، ومغفرة الخطايا ، وتقوية النفس في الإيمان والرجاء .

وهذا المسح وإن كان ظاهره العموم لكل المرضى إلا أنَّ الكنيسة أخذت تقتصره شيئاً فشيئاً - على المشرفين على الموت ، ويراد منه وفاة النصراني على دينه .

ويتضمن الاحتفال به ما يلي :

- ١ - يضع كاهن الكنيسة يده على المريض ، ويصلي عليه صلاة الاستدعاء ، ولا يجوز أن يمنح هذا السر غير الكاهن .
- ٢ - يمنح الكاهن المسحة بالزيت الذي باركه الأسقف فيدهن جبهة المريض ، ويديه ، وعند بعض الطوائف يدهنأعضاء أخرى غير الجبهة واليدين .

-
- ٣ - بذلك يستحق المريض نيل النعمة الغير منظورة .
وأما فوائده ، فمن أهمها مغفرة الخطايا التي ينالها من سر التوبة ، واسترداد العافية .
هذا ما يتعلق بهذه الأسرار ومن ذلك يتبيّن الدور المخوري للكاهن في هذه الأسرار ،
وأنَّ حياة النصارى قد ارتبطت به ارتباطاً كاملاً .
ويمكن نقد هذه الأسرار إجمالاً كما يلي :
١ - أنَّ اختصاص النصارى بهذه الأسرار كلّه راجع إلى السلطان الممنوح من رب -
بزعم النصارى - وقد أبطلت بالتفصيل ذلك الأصل .
٢ - كل هذه الأسرار تتضمّن الشرك بالله تعالى إمّا في ذاتها ، أو من خلال توسط
الكافر فيها ، أو بسبب ارتباطها بالعقائد الشركية الأخرى .
٣ - أكثر هذه الأسرار لم تُعرَف به الكنيسة إلا في وقت متأخر ، وهذا دليل على
بدعيتها .
٤ - أنَّ هذه الأسرار ليست موضع اتفاق بين طوائف النصارى ؛ فالبروتستانت لا
يؤمنون إلا باثنين منها ، وهذا يدل على استنادها على الأنجليل كما يدعون .

٩

الفصل الخامس

صور عامة في تقدیس الأشخاص

وفيه أربعة مباحث

❖ **المبحث الأول : التبرّيّة بآثار ومُخالفات المقدّسين**

❖ **المبحث الثاني : تقدیس التماثيل والصور**

❖ **المبحث الثالث : إقامة الأعياد من يسمى بالمقدّسين**

❖ **المبحث الرابع : الزيارة والحج إلى أماكن المقدّسين**

تمهيد :

لم يقتصر تقدیس الأشخاص عند النصارى على ما سبق ذكره في الفصول السابقة ، بل أصبح يشمل كل من له أدنى شأن – باعتقادهم ، وقد اطلق على هؤلاء الأشخاص لقب "المقدّسين" ، ولفظ القديس وإن كان يتضمن – من حيث العموم – جميع النصارى إلا أنه



يدل على مزيد من الخصوصية ، والتميز لمن يحمل هذا اللقب . ويطلق الكاثوليك على بعض المقدّسين عندهم لقب "الطوباوي" ، ويعرّفونه بأنّه : «المسيحي الذي عاش حياة صالحة ، وظل الناس يذكروه طويلاً بعد وفاته ، وينالون بشفاعته نعماً من السماء» ^(١) .

وهذه النعم التي يشيرون إليها هي من قبيل المعجزات ، ومن ثبتت له معجزتين على الأقل رقّته الكنيسة إلى درجة "المقدّس" ^(٢) .

وقد تنوّعت صور التقدّيس لمؤلاء الأشخاص ، وأهمها – فيما ظهر لي – أربع صور سأتحدث عنها بالتفصيل فيما يلي ، وقبل الحديث عنها أنبئ إلى العلاقة بين هذه الصور ، وهي كما يلي :

١ - بين هذه الصور علاقة كبيرة من جهتين : الأولى تعلق بعضها ببعض من حيث العموم والخصوص ؛ فيمكن أن تدخل صورة أو أكثر تحت معنى صورة أخرى ، ومن حيث تعلقها بالأشخاص ؛ فقد تحدّد صورة أو أكثر تتعلق بشخص واحد ، ومع ذلك فقد أفردت كل صورة على حدة لغرض البحث ، ولتفصيل الحديث عنها .

٢ - يغلب على هذه الصور العموم من جهة الأشخاص التي تتعلق بهم ؛ فهي تعم كل مقدّس عند النصارى ، وقد يكون هو عيسى عليه السلام ، أو من يسمى

عندهم بالرسل ، أو الباباوات ، أو غيرهم من سائر من يسمى بـ رجال الدين .

٣ - هذه الصور تتعلق بتقدّيس الأشخاص بعد مماتهم في الأغلب ، وهم من يطلق عليهم النصارى لقب "الراقدين" ، وتشمل الأحياء في حالات أقل كما هو الحال في البابا .

المبحث الأول

التبرك بآثار ومخلفات المقدّسين

وفيه مطلبان

^(١) قدّيسون وشهداء يسوعيون ، سير مختصرة ، سامي حلاق اليسوعي : (٥/١) .

^(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

-
- **المطلب الأول** : تقرير تبرعه النصارى بمخلفات القديسين
 - **المطلب الثاني** : نقط تبرعه النصارى بمخلفات القديسين

المطلب الأول : تقرير تبرك النصارى بمخلفات القديسين

يعظّم النصارى كل ما يعتقدون أنه من آثار أو مخلفات المقدّسين عندهم ، وهذه المقدّسات إما أن تكون متعلقة بذواهم ، كالشعور والمعظام ، ونحوها ، أو باستعمالاتهم ، كالأدوات التي استخدموها في حياتهم ، كالثوب ، والعصا ، ونحوها ، ويُطلق عليها الذخائر ، أو تتعلق بأماكنهم التي تنقلوا أو ماتوا فيها ، ومن أعظمها القبور .



وقد توسع أمر هذه المخلفات وتطور ، حتى أصبحت الكنائس تبارى في إظهار ما لديها من تلك المخلفات والذخائر أو إبراز الأماكن "المقدسة" عندهم .

وقد تحدث المؤرخ دبورانت عن تقديس هذه الآثار ، وما ذكره ما يلي :

- ١ - أنَّ كنيسة بطرس تباهي بأنَّها تحوي جسدي "القديسَين" بطرس وبولس ، وأصبحت بذلك كعبة للحجاج من النصارى الذين يتواجدون عليها من جميع أنحاء أوروبا .
- ٢ - تزعم كنيسة في سانت أو默^(١) أنَّ فيها قطعاً من الصليب الحقيقي والحربة التي احترقت جسم المسيح القليل بزعمهم ، ومن مهده وقبره ، والمنْ الذي نزل من السماء ، وعصا هارون ، والمذبح الذي تلى عليه بطرس القدس ، وشعر تومس أبكت ^(٢) ، وقلنسوته ، وقميصه المنسوج من الشعر ، والشعر الذي جُزَّ من مقدمة رأسه .
- ٣ - يزعم النصارى أنَّ كنيسة أمين ^(٣) رأس يوحنا المعمدان في كأس فضية .
- ٤ - يحتوي دير(القديس) دمتيس ^(٤) جسم ديونيسيوس الأريوباجي ^(٥) ، وتاجه الشلوكي .
- ٥ - تدعي ثلات كنائس في فرنسا أنَّ فيها جسد مريم المجدلية .
- ٦ - في دير ويستمنستر ^(٦) بعض دم المسيح ، وقطعة من الرخام عليها طابع قدمه .
- ٧ - يعرض أحد أديرة درهام ^(٧) مفصلاً من مفاصل (القديس) لورانس ، والفحمر الذي أحرقه ، والصفحة التي قُدِّمَ عليها رأس يوحنا المعمدان إلى هيرودس ، وقميص العذراء ، وقطعة من الصخر عليها علامات نقط من لبنها .

^(١) سانت أو默 مدينة كانت تابعة لملك فرنسا . انظر قصة الحضارة ن ول دبورانت : (١٩٠/١٥) .

^(٢) ولد في لندن عام ١١١٨ م ، من أبوين رومانيين من أبناء الطبقة الوسطى ، وترقى في المناصب حتى أصبح كبير شامسة كتربرى ومستشاراً للملك ثم عُين كبيراً لأساقفة كتر برى ، وأصبح من ذلك الوقت من أكبر المدافعين عن حقوق الكنيسة وامتيازاتها . انظر قصة الحضارة ، ول دبورانت : (١٩٠/١٥) .

^(٣) تقع في فرنسا ، وبنيت بين عامي ١٢٢٠-١٢٨٨ على الطراز القوطي . انظر : المصدر نفسه : (٣٠٣/١٦) .

^(٤) يوجد هذا الدير في ضاحية باريس ، ويعُد دمتيس عند النصارى الولي الشفيع والنصير لأهل فرنسا . المصدر السابق : (٢٣،٢٩٣/١٦) .

^(٥) رجل من أثينا ، اعتنق تعاليم بولس ، وله مؤلفات من أهمها : "في السلطة الكنهوية السماوية" ، و"في اللاهوت الصوفي" ، وتدل محتوياتها على أنها ألفت بين القرنين الرابع والسادس . المصدر السابق : (٢٤٩/١٢) .

^(٦) يوجد حالياً في لندن بريطانيا .

٨- كذلك فإنَّ الكنائس القسطنطينية قبل عام ١٢٠٤ م كانت غنية بالمخلفات المقدسة ؛ فكان فيها الحربة التي نفذت إلى جسم المسيح ، ولا تزال حمراء من دمه ، والعصا التي ضُرب بها وقطع كثيرة من الصليب الحقيقي مغلفة بالذهب ، وثريد الخبز الذي قدم ليهودا في العشاء ، وشعارات من لحية المسيح ، وذراع يوحنا المعمدان اليمني .^(٣)

وكانَت تعزى إلى هذه المخلفات قوى معجزة ، وتروى مئات الآلاف من القصص عما تحدثه من المعجزات ، وكان الرجال والنساء يبذلون كل ما في وسعهم للحصول على أقل أثر ليتخذوه طلسمًا كخيط من ثوب (قديس) أو قليل من تراب عليه مخلفات ، أو نقطة زيت من مصباح مقدس في ضريح .

ولاشك أنَّ هذه الآثار أصبحت تدر على الكنائس والأديرة أعظم الأموال ، ومن الأمثلة على ذلك : أنَّ نقل عظام تومس أبكت إلى ضريح جديد في كنيسة كتر بري الكبرى عام ١٢٢٠ جمع من الذين شاهدوا هذا العمل ما يقدر بنحو ٣٠٠٠٠٠ دولار أمريكي ، وقد وصل هذا الأمر إلى حد الجنون ، ومن ذلك أنَّه وجد في عدد من الكنائس رؤوساً كاملة ليوحنا المعمدان - كما يدعون - ، وأيضاً فقد أصبحت هذه الأديرة تطفو بما لديها من المخلفات خارج أديرتها ، حتى حرَّم البابا اسكندر^(٤) ذلك عام ١١٧٩ م ، وحرَّم مجمع اللاتيران عرض المخلفات خارج الأضحة .

المطلب الثاني : نقد تبرك النصارى بمخلفات القديسين :

من خلال عرض موقف النصارى من مخلفات من يسمى بالقديسين يتبيَّن لنا ما يلي :

١- أنَّه لا يوجد أي دليل على صحة ما ينسب إلى هذه المخلفات ، من حيث نسبة هذه المخلفات إلى أصحابها ، وما ينسب إليها من قيمة يدَّعونها .

^(٢) يوجد في بريطانيا ، بني على الطراز النور مندي عام ١٠٩٣ م . انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت : (١٨٢/١٦) .

^(٣) انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت : (١٦/٢٤ وما بعدها) .

^(٤) اسمه أورلاندو باندينيلي ، كانت بابويته في الفترة (١١٥٩-١١٨١ م) ، وعهدَه من أكثر عهود البابوية مأساوية واضطراباً سبب وجود منافسين له ، وعقدَ في عهده مجمع لاتيران عام ١١٧٩ م . انظر : معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص: ١١٢ .

٢- يظهر من أقوال النصارى الكذب الصريح فيما يذكرونه عن هذه المخلفات ، وذلك مما يعلم بالحس وبالعقل ، فكيف يبقى دم المسيح ، ولبن مريم ، وثريد الخبر الذي قدم في عشاء رب - بزعمهم - إلى اليوم ؟ ، وكيف يكون رأس يوحنا موجوداً في ثلات كنائس في وقت واحد ؟

٣- أنَّ الهدف الحقيقي من هذه الإدعاءات المزعومة عن هذه المخلفات إنما هو جمع الأموال الوفيرة ، والتسابق في ذلك ، وإذا كان هذا هو الهدف فليس غريباً أن يسلك النصارى كل سبيل يحقق لهم ذلك .

٤- لم يقف الأمر عند أتباع النصارى على مجرد تصديق هذه الدعاوى بل تجاوز ذلك إلى التعلق بها من خلال :

أ- طلب البركة من هذه الآثار باعتبارها آثار "قدسيين" .

ب- اعتقاد أنها تقوم بخوارق ومعجزات .

ج- طلب الشفاء منها .

د- عبادتها لذاتها .

يتحدث يوحنا الدمشقي عن بركة من يسمى بالقدسيين : « لقد وهبنا السيد المسيح رفات القدس ينابيع خلاصية تتبع البركات بطرق شتى »^(١) .

ولتأكد ذلك أضرب المثال بأحد أشهر الآثار وأكثرها قداسة عندهم ، وهو الصليب .

تعظيم النصارى للصلب :

من أعظم المخلفات التي نالت التقديس عند النصارى ، حيث يعتقدون أنَّ المسيح قد نفسه على الصليب فداءً للبشر من خطيئة أبيهم آدم الكتاب ، ومن هنا كان تعظيمهم للصلب ، وتقديسهم له ؛ فقد اخذوه عالمة لدينهم وإيمانهم بال المسيح الكتاب ، وألزموا أنفسهم بحمله ، في كل مكان ، إما بتعليقه في الأعناق ، أو تصليبه على أجسام ، ويزعمون أنَّ المسيح نفسه أمرهم بذلك ، حيث ينسبون إليه في أناجيلهم أنَّه « دعا الجموع مع التلاميذ وقال لهم : من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعني »^(٢) .

^(١) المائة مقالة في الإيجان الأرثوذكسي : ٢٦٤

^(٢) مرقص : (٣٤/٨) .

وهم يعظمونه كتعظيم المسيح ، ويضعونه في قبتهم على منبر عال ، ويجعلون تحته الشياطين الفاخرة ، وفي خدمته جماعة من الكهنة قد كشفوا رؤسهم ، ولبسوا الطيسات يهلكون بأعلى أصواتهم ، ويتقادون إلى خدمته ، ويقبلون الأرض بين يديه ، ويلشمونه ^(٢) . ولذلك يضعونه فوق كنائسهم ، وله في اعتقاد النصارى معانٍ أخرى ؟ فهو عالمة يوم القدر ، والذي يؤمن به لا يهلك أبداً ، بل تكون له الحياة الأبدية ، وهو كاشف الأسرار اللاهوتية ، وإن كان أحد اليسوعيين لا يرسم الصليب على وجهه ، أو لا يقبل الصليب المصنوع من الخشب أو المعدن لا تقبل عبادته ، ويعود مرتدًا ، والبروتستانت لا يبعدون لذاته ، ولكن يعتقدون أنه بوسطه أنكشف التشليث وألوهية المسيح ^(٣) .

ومن صور تقدسيه إقامة الصلوات تعظيمًا له ، وهي صلوات في الصباح وفي المساء ؛ فهناك صلاة ارتفاع الصليب المقدس ، وصلاة الأحد الأول بعد ارتفاع الصليب ، وصلاة الأحد الثاني بعد ارتفاع الصليب ^(٤) .

ومن الأمثلة على هذه الصلوات ما يسمى بصلوة الغفران بحمد الثالوث الأقدس ، حيث يقال في هذه الصلاة : « نسجد لصليب الخلاص اختاره ابن الله فُرُّقْ عَلَيْهِ ۝ ۝ ۝ صَلِيْكَ رَبِّي قَطْعَتَانَ مِنْ خَشْبٍ حَوْلَتَهُ خَشْبَةُ خَلَاصٍ ۝ فَأَصْبَحَ سَمَّةُ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَالْهُوَيَّةُ وَالشَّعَارُ ۝ بَهْ نَتَبَارَكَ وَنَبَارَكَ ۝ نَخْتَمِي وَنَسْتَعِينَ ۝ حِيشَمَا يُرْفَعُ صَلِيبٌ ۝ فَأَنْتَ حَتَّمًا هَنَاكَ ۝ وَنَحْنُ مَعَكَ ۝ وَبَأَيِّ شَكْلٍ نَبْدَأُ وَنَخْتَمُ بِإِشَارَةِ الصَّلِيبِ ۝ وَكُلَّ مَرَةٍ نَحْبُ أَوْ نَتُوبُ أَوْ نَغْفِرُ فِي اسْمِ الصَّلِيبِ صَلِيْكَ رَبِّي دَرَبَنَا إِلَى الْمَلَكُوتِ ۝ أَمَامَكَ رَبِّي لَا نَمْلَكُ سُوَى أَنْ نَصْمِتَ وَنَسْجُدَ ۝ فَصَلِيْكَ قَبْلَةُ عَظَائِمِكَ وَقَمَةُ الدَّهُورِ ۝ يَحْمُولُ الْمَوْتَ حَيَاةً ۝ وَالشَّرُّ قَدَاسَةً ۝ فِي شَرْكَةِ أَبْنَاءِ اللَّهِ وَخَلْقِهِ إِلَى أَبْدِ الْأَبْدِينِ ۝ آمِينٌ » ^(١) .

^(٢) انظر : النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، للمهتمي نصر بن بخي المتطهّب ، ص: ٧٤-٧٥ ، والنص منقول من كتاب جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية ، لاما دوكارا مبيري ، ص: ٤٨١ ، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة .

^(٣) انظر : الإنجيل والصلب ، للمهتمي عبد الأحد داود ، ص: ٢٥ و ٢٨٢-٢٧ .

^(٤) انظر : ليتقديس اسمك ، وهو كتاب صلوات الأزمنة الطقسية ، الأبوان يوحنا ، ويوسف العنداري ، ص: ٦١٩ .

^(١) المصدر السابق ، ص: ٦٢٣ .

وهكذا يظهر لنا أن الصليب عند النصارى ما هو إلا أحد الأوثان التي تعبد من دون الله ، ويسجد لها ويطلب منها جلب النفع ودفع الضرر .

المبحث الثاني

وضع التماثيل والصور وتقديسها



سبق أن تحدثت عن تحريم اتخاذ التماثيل والصور في شريعة التوراة التي يؤمن بها النصارى ، ومع ذلك فقد وقعوا فيما حرم الله عليهم ، وصنعوا التماثيل والصور لمن يقدّسونهم وسموها بالأيقونات ، وجعلوها في الكنائس وفي غيرها من الأماكن ٠

وقد تقرر تقدس الصور في مجمع نيقية الثاني عام ٣٧٨٧ م ، وحضره ٣٧٧ أسقفاً ، وقرروا تقدس صور المسيح الشَّيْطَانُ ، وأمه العذراء عليها السلام ، والقدسين ^(١) .

ويرى النصارى الأقباط أنَّ الأيقونة تقوم بدور في الوعظ ؛ فهي العظات المرسومة والمرئية ، وهي العظة التي يستطيع أن يقرأها الكل دون تمييز بين إنسان وآخر ، ويفهمها الأمي كما يفهمها المعلم ، كما أنها أداة تسند الفكر في إنشغاله بالله ، وتلهب القلب بالحب لحياة الفضيلة ! ^(٢) .

ولما كانت الأيقونة بهذه المترلة ؛ فقد جعلوا لها طقوساً خاصة بها ، ومنها أنه لا بد أن تقدس بواسطة الأسقف ، وتنمسح بالمليون ، فإذا تم ذلك كانت صالحة للتقبيل والتبيخير .
ومما يتعلق بالغلو فيها أنهم يسجدون لها ، ويبررونها بأنَّه سجود تكريم لا عبادة . يقول يوحنا الدمشقي : « نحن لا نعبد الأيقونة المادية بل الله المروم له في الأيقونات » ^(٣) .

ويعلل أيضاً سر تقدس هذه الأيقونات بأنَّ الروح القدس تعمل في أشكال وأيقونات هؤلاء القدّيسين : « امتلأ القدّيسون بالروح القدس أثناء حياتهم وبعد رحيلهم تسكن نعمته في أرواحهم كما في أجسادهم في القبر ، وتعمل في أشكالهم وأيقوناتهم لا سكن الجوهر بل كنعمة وقوة إلهية » ^(٤) .

وما حاول يوحنا الدمشقي نفيه اعترف به غيره من النصارى ؛ فقد ذكر ول ديورانت بأنَّ الصور التي وضعها للقدّيسين قد تلقت من أنواع العبادة التلقائية ما جلل بالعار بعض الفلاسفة ومحطمي الصور المقدسة ، ثم ذكر شكوى كلوديوس أسقف تورين من أنَّ كثيراً

^(١) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ابراهيم خليل احمد ، ص: ٢٥٤ .

^(٢) انظر : كيسني الأرثوذكسي ما أحبلك ، الشمام الإكليريكي الدكتور : سامي حلمي ، ص: ٧٢ .

^(٣) المصدر نفسه ، ص: ٧٣ .

^(٤) المصدر نفسه ، ص: ٧٤ .

من الناس يعبدون صور القدّيسين ، وأنّهم لم يقلعوا عن عبادة الأصنام ، بل كل ما في الأمر أنّهم غيروا أسمائها ^(١) .

وقد ميزت الكنيسة أيقونات المقدّسين عندهم بحالة من النور حول الرأس ، في إشارة إلى عملهم كنور للعالم ، أمّا أيقونة المسيح ، فيرسم داخل الماء صليب .
ومن الطقوس المتعلقة بالأيقونات ، مرور الكاهن أمامها حاملاً الجمرة في صلوات تسمى صلوات عشية وباكراً ، وينحن أمامها ، ويلقي بالسلام على أصحابها القدّيسين ، الشهداء ، الملائكة ، تباعاً ^(٢) .

وما سبق عرضه يتبيّن لنا أنَّ النصارى قد وقعوا في الشرك في هذه الأيقونات ؛ حيث يعتقدون بتأثير الروح القدس فيها ، ويُسجدون لها .

^(١) قصة الحضارة : ٢٤ / ١٦ .

^(٢) انظر : موسوعة طقوس الكنيسة القبطية ، د . ميخائيل مكسي اسكندر ، ص: ٥٤ .

المبحث الثالث

إقامة الأعياد لهم

ما ابتدعه النصارى من الغلو في قدّيساتهم إقامة الأعياد لهم ، والتي عظموا شأنها زاعمين أنَّ المسيح الكليل أول من عظمها وأظهر لها اعتباراً كبيراً عندما قدّسها بحضوره لها ، كما في ذهابه إلى أعياد اليهود التي كانت في أورشليم ، وأيضاً ؛ فإنَّ من يسمى بالرسل قد احتفلوا بها ، وباركوها وأمروا بتقديسها صريحاً قوله قولًا وعملاً^(١) .

والحق أنَّ أول من احتفى على الحقيقة بهذه الأعياد هو بولس ؛ الذي أمر بتعييد عيد الفصح بقوله : « إنَّ فصحتنا أيضاً المسيح ، ذُبح لأجلنا ، إذ التعييد ليس بخمرة عتقة ، ولا بخمرة الشر والخبث ، بل بفطير الإخلاص والحق »^(٢) ، ولما كان في أفسس أسرع إلى أورشليم ليحتفل بما يسمى عيد العنصرة ، ولما كان في آسيا وعد أهل كورنثوس بالذهب إليهم بعد عيد العنصرة^(٣) .

والغرض من هذه الأعياد عندهم إحياء ذكرى القدّيسين الذين يعظمونهم ، وتذكيراً للخلف بهم ، وبما جرى لهم من الحوادث ، وشكراً للله على ما نالوه من الآيات .
وهذه الأعياد تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الأعياد السيدية ، نسبة إلى السيد المسيح - كما يقولون - وهي نوعان - أيضاً - : كبرى : وهي بالترتيب : البشارة ، الميلاد ، الغطاس ، الشعانين^(٤) ، القيامة ، الصعود ، العنصرة ، الصغرى ، وهي : الختان ، ودخول الميكل ، ودخول مصر ، وحضور عرس قانا ، التجلی ، خميس العهد ، أحد توما .

والقسم الثاني : الأعياد غير السيدية ، ويعنون بها أعياد من يسمى بالرسل وتشمل أعياد مريم عليها السلام ، وأعياد القدّيسين ، والشهداء .

^(١) انظر : اللايلي التفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ، القمص يوحنا سلامة ، ص ، ٣٦٩ .

^(٢) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس : (٨-٧/٥) .

^(٣) انظر : اللايلي التفيسة ، ص : ٣٦٩ .

^(٤) مأخوذه من الكلمة الأرامية " هوشعنا " أي خلصنا ، وأحد الشعانيين أو أحد السعف هو عيد دخول المسيح إلى أورشليم - كما يرى النصارى - . انظر : معجم المصطلحات الكنسية ، أثناسيوس : (٢/٢٤٣) .

وقد جعلت الكنيسة في كل يوم عيداً لأحد القدّيسين ، ولم يتوقف الأمر على مجرد التذكّار ، بل تجاوز إلى اعتقاد أنَّ لهؤلاء المحتفل بهم نوع من التأثير ؛ ومن أجل ذلك جعلوا أعيادهم ترتبط بأمور يعيشها أو يحتاجها الناس ، ويدل على ذلك قول ول ديورانت : « فربما للقديس الذي يحتفل به في موسم البذر أثر على البذر ، وكذلك عيد القديس فالنتين ^(١) أثر بقرينة تراوح الطيور ووضع الأزهار على التوافد » ^(٢) .

وعلى هذا المنوال ألفت كتب في أعياد القدّيسين على مدار السنة ، ومن أهمها :

- ١ - كتاب كثر العباد الشمرين في أخبار القدّيسين ، لمكسيموس بطيريك طائفة الروم الملكيين الكاثوليك .
 - ٢ - كتاب السنكسار ، الذي وضعه المطران ميخائيل عساف رئيس أساقفة بترا وفييلدلفيا وسائر شرق الأردن .
- وتتضمن هذه الكتب أخبار القدّيسين ، ويقرأ في كل يوم عن أحدهم .

^(١) هذا العيد هو الذي يسمى عيد الحب ، وللأسف أنَّ بعض المسلمين قلدوا النصارى في الاحتفال به ، وربما أنهم هم لا يشعرون .

^(٢) قصة الحضارة : (٦/٢٣) .



المبحث الرابع

الحج وزيارة أماكنهم

لم يرد في الأنجليل ذكر لفريضة الحج بالمعنى المعروف إلى جهة محددة ، ولم يرد ذلك – فيما أعلم – فيما عرفناه من رسالة المسيح عليه السلام .

وقد جاء تعريفه عند النصارى بأنّه: «رحلة يقصد بها (المؤمنون) مكاناً مقدساً بظهور إلهي ، أو بنشاط معلم ديني من أجل تقديم صلاتهم في إطار ملائم لذلك بصفة خاصة»^(١) .
ومن هذا التعريف يظهر لنا ما يلي :

١ - أنَّ الحج يقوم على الذهاب إلى الأماكن المقدسة عموماً ، ولا يقتصر على الذهاب إلى مكان واحد فقط .

٢ - سبب القدسية في المكان الذي يُحج إليه هو ما يسمونه بالظهور الإلهي ، ويقصدون بذلك الأماكن التي ظهر فيها المسيح عليه السلام باعتباره إله عندهم ، أو ظهور معلم ديني وهذا يشمل الأماكن التي ظهر فيها أحد من يسمى عندهم بالقديسين ، ومن ذلك نخلص بأنَّ أماكن الحج عندهم ليست مكاناً واحداً ، وإنما هي كل مكان اتصف بالقدسية عندهم من قبر أو كنيسة أو مشهد لأحد قدسيهم ، أو غير ذلك .

٣ - لا يتوقف الحج على مجرد الزيارة ، بل يتضمن طقوساً تؤدي بطريقة خاصة .
ولم يُعرف أنَّ النصارى في بداية أمرهم كانوا يذهبون إلى أماكن معينة ، وإنما كان مكانهم المقدس هو المذبح "المقدس" الذي يوجد في كل كنيسة ، ويرمز – بحسب اعتقادهم – إلى المكان الذي صلب فيه المسيح .

ثم بدأ زيارة الأماكن التي يرون أنها مقدسة ، وكان أشهرها عندهم فلسطين وروما ، باعتبار أنَّ الأول المكان الذي درج فيه المسيح عليه السلام ، والثاني المكان الذي يضم قبرى أعظم قدسيين عندهم – بطرس وبولس – ، وكانوا يزورون الأماكن الأخرى كجبل صهيون ، وجبل الزيتون ، وغيرها^(٢) .

^(١) معجم اللاهوت الكاثوليكي ، بمحوعة من اللاهوتيين ، ص: ٢٥٧ .

^(٢) انظر : العبادات في الديانة المسيحية ، عبدالرزاق الموجي ، ص : ٩٤ .

ثم زاد الاهتمام بالزيارات الدينية - عندهم - ، وأصرحة القدسين منذ عهد قسطنطين ٦٣٠ م ، فشرعت للزيارة طقوساً ، وأصبحت تُجمع لها التبرعات من جميع أنحاء أوروبا .

ومن أهم طقوس الزيارة عندهم ما يلي :

١- أن الزائر الذي يزور فلسطين يغسل من نهر الأردن ، وبعد ذلك يأخذ غصناً من النخل ليقدمه عند رجوعه الكاهن كي يضعه في المذبح علامة لتكامل زيارته . ومن هنا سمي زوار فلسطين " نخليين " .

٢- كان الحجاج الذين يؤمون فلسطين يمشون حفاة ، ومنهم من لا يلبس إلا قميصاً واحداً ، وكانوا يحملون في الصلاة صليباً وعكازاً وكيساً من النقود يتناولونها من يد القسيس .

وأما المزارات فقد كثرت بشكل كبير ، حتى أصبح عدد الأماكن المعترف بها أكثر من عشرة آلاف مكان بحسب شهادة المؤرخ ول ديورانت ^(١) .

وكان أعظمها على الاطلاق ، والذي تؤدي كل طرق الحجاج إليه هو روما ، التي كانت مقصدًا لنيل المغفرة من كل الحجاج النصارى في كل أنحاء العالم .

نقد وتحليل :

من خلال ما سبق ذكره يتبيّن لنا ما يلي :

١- أن الهدف الحقيقي من هذه الرحلة لم يكن مجرد الزيارة ، أو التعرف على هذه الأماكن ، بل كان للتبرك بها باعتبارها أماكن القدسين ؛ ولذلك كانت أهم أغراض هذه الزيارة تكفير الذنوب ، أو الوفاء بالنذور ، أو طلب الشفاعة ، أو الشفاء من خلل معجزة لأحد القدسين .

٢- ارتباط هذه الرحلة بما تشتمل عليه من طقوس بالقسيس من بدايتها إلى نهايتها ، فالحج يبدأ بالحصول على بركته ، وأحياناً يكون الأساقفة هم رؤساء هذه الحملات التي تبلغ الآلاف في كثير من الأحيان ^(٢) .

^(١) قصة الحضارة : (٤١/١٦) .

^(٢) المصدر نفسه ، والعبادات في المسيحية ، عبدالرزاق الموجي ، ص: ٩٣ .

الباب الثالث

آثار التقديس

❖ الفصل الأول : آثار التقديس على المجتمعية

❖ الفصل الثاني : الثورة ضد المجتمعية

❖ الفصل الثالث : ظهور الفيبر الراطيني

تمهيد : أسباب تسلط الكنيسة على أتباعها :

كان القرن الميلادي الرابع ، الذي أعلن فيه الإمبراطور قسطنطين اتباعه لرسالة المسيح الكلية البداية الحقيقة لظهور سلطان الكنيسة "الواقعي" ؛ فقد كان بمثابة الأرض الخصبة التي نشأت وترعرعت فيها سلطة الكنيسة - أي سلطة رجال الدين - ، وقد أصدر قسطنطين مرسوماً يقضي بأنَّ الديانة النصرانية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية جماء ، ثمَّ خلع على رجال "الأكليروس" هالات من الجد ، وتبأوا أعلى المناصب في الدولة ، ونالوا أعلى الامتيازات ، وبدأت خزينة الكنيسة تحصد الأموال الوفيرة من الدولة والشعب ، وفي هذا المناخ نشأ لرجال الدين سلطة أحكموا من خلالها قبضتهم على الشعب النصراني بأكمله .

وعند تحليل أسباب هذه السلطة نجد أنها ترتكز على سببين أساسين :

السبب الأول : السلطان الديني :

وهو السلطان الروحي ، وتمثل في زعم النصارى أنَّ "الرب أعطى سلطاته للكنيسة" ، أي كنيسة روما ، وسلطان الكنيسة إنما هو سلطان رجال الدين ، وقد أصبحت لهم ممقتضى هذا السلطان السلطة المطلقة على الأتباع ، وما على الأتباع إلا الإذعان والطاعة لخلفاء الرب ، وإلا فليس لهم في ملوكوت الرب من نصيب ! .

يتحدث المؤرخ جفري برون عن ذلك قائلاً : « وبناءً على ذلك جاءت الكنيسة لتشتت الرسالة التي قام من أجلها عيسى ، ولتنقذ البشر من هول تلك اللعنة (خطيئة آدم) ، وهي تعتمد على ما يشاع من أنَّ المسيح أنسد إلى (الرسول) بطرس حكم مملكته من بعده . وفي نفس الوقت قامت طوائف أخرى باسم الدين المسيحي ابتلعتها الكنيسة الكاثوليكية بسرعة ، وأوقفت نوها مدعية إنما هي المؤسسة الوحيدة التي لها السلطة على الناس ، فقد منحها المسيح ، ورسوله من بعده (بطرس) هذه السلطة التي تركزت في أيدي بطاركة روما الذين يعرفون بالباباوات ، ومن الكفر أن يقوم لها منافس في أي من البقاع الأخرى . بهذه الواسطة التفت الكنيسة حول أبناء النصرانية ، وهي تذكرهم دائماً بجرائمهم الكبرى ، وبأن لا خلاص لهم من ذلك إلا بطاعتتها » ^(١) .

^(١) تاريخ أوربا الحديث ، ص: ٥٣ .

وهذا النص يبين أنَّ المركز الذي ارتكزت عليه الكنيسة في تسلطها هو السلطان الذي زعمت أنها حصلت عليه من رب ، ولكنَّ النص أيضاً يشير إلى أمررين هامين :
الأول : بيان مدى التسلط الذي وصلت إليه الكنيسة الكاثوليكية حتى أصبح من الكفر أن يوجد لها منافس فضلاً عن معارض ، أو حتى مخالف .

الثاني : تضعيفه للأساس الذي قام عليه هذا السلطان ، وهو ما أشار إليه بقوله " وهي تعتمد على ما يُشاع " ، مما يفيد أنَّ هذا السلطان المزعوم لا مستند له ، بل إنَّه اكتسب شرعيته من كونه أمر قد شاع ، وهذا الشيوع إنما تحقق بتدبير رجال الكنيسة لا غير .

السبب الثاني : السلطان الدنيوي :

وهو يتمثل في وصول رجال الدين إلى أعلى المناصب في الدولة ، ونيلهم أعلى الامتيازات ، ومن ثمَّ الإغداد عليهم بالأموال الكثيرة من قبل الدولة ، ومن قبل الشعب .
يتحدث – أيضاً – جفري برون عن ذلك ، فيقول : « وتجدر الإشارة أنَّ رجال الدين حازوا بالإضافة إلى القوة والزعامة الدينية والروحية القوة المادية والوجاهة الدنيوية ، فمن يقرأ كتب المؤرخين في تلك الفترة ، وذكرهم للمساكن والمزارع والثروة على جميع أنواعها يدرك أنَّ الأعمال الدنيوية للكنيسة أو رجالها لم تكن بسيطة أو قليلة » ^(١) .

وهذا النص يبين المركز الذي ارتكزت عليه الكنيسة ، وهو السلطان الدنيوي .

وقد دفع هذا السلطان بالكنيسة الكاثوليكية في اتجاهين رئيسين ، وهما :

الأول : اتجاه نحو الطغيان .

والثاني : اتجاه نحو الفساد .

وهذان الاتجاهان هما أول آثار التقديس الذي حظي به رجال الدين ، وقد نتج عنهما آثار أخرى ، وهي أشبه ما تكون بردة الفعل لهذا السلطان الطاغي والفساد العريض الذي مارسته الكنيسة على مدى قرون طويلة ، وقد تمثلت هذه الآثار الثورة على الكنيسة ورجالها ، واتخذت هذه الثورة عدة صور كان من أهمها :

الصورة الأولى : ثورة من داخل الكنيسة ، وأعني بها حركة الإصلاح التي كانت تهدف في الأصل إلى معالجة الوضع الذي آلت إليه الكنيسة من الطغيان والفساد .

^(١) المصدر السابق ، ص : ٥٤ .

والصورة الثانية : ثورة من خارج الكنيسة ، وهي الثورة الفرنسية .

والصورة الثالثة : ثورة فكرية ، وقد تمثلت في ظهور مذاهب ونظريات شتى لا يجمعها إلا العداء لدين الكنيسة ، ولكنّها خرجت فيما بعد عن هذا الأصل لتصبح ثورة ضد الدين ذاته ، وهي ما يعني به ظهور الفكر المعادي للدين ، والذي اطلق عليه "الفكر اللاديني" .

وعن هذه العناصر ستكون فصول ومباحث هذا الباب بعون الله تعالى .

و قبل نلجم في فصوله يحسن أن أنبئ على عدة أمور :

١ - أن التعبير بلفظ الكنيسة في هذا البحث يقصد به - تماماً - رجال الدين ؛ لأنّهم هم الذين يمثلون الكنيسة في واقع الأمر .

٢ - أن الحديث ينصب في الغالب على الكنيسة الغربية الكاثوليكية ؛ لأنّها هي التي ادعت هذا السلطان ، أمّا الكنيسة الشرقية ، فإنّها لم تحظ بما حظيت به نظيرتها الغربية ، فلم تدع هذا السلطان ، ولم تظهر فيها بعض هذه الآثار ، مثل الثورة الفرنسية ، والفكر اللاديني ، وقد أشرت - فيما سبق - إلى الأسباب التي أدت إلى تفوق الكنيسة الغربية .

٣ - أنّ الحديث عن هذه الآثار ، وربطها بتقديس رجال الدين لا يعني عدم وجود مؤثرات أخرى ، ساهمت في ظهورها ، بل وجدت مؤثرات أخرى كان من أهمها - من خلال الدراسة - أمران :

أوّلها : أثر الإسلام ، واحتياك النصارى المسلمين على الصعيدين السلمي والحربي .

وثانيهما : دور اليهود في استغلال بعض الأحوال التي وصلت إليها الكنيسة لصالحهم ، من خلال تحويل ذلك ليصب في جانب العداء للدين نفسه ، ولكنّ هذين الأمرين ليسا مما عنيت به الدراسة ، ولذلك سأتحدث عنهما بالقدر الذي يخدم الفكرة الأساسية التي أريد بيانها دون تفصيل .

٤ - كان لتقديس رجال الدين آثار على العالم الإسلامي ، ويتبّع ذلك من خلال انتقال كثير من المذاهب والنظريات إليه ، وانتقال بعض صور التقديس إلى بعض الطوائف الإسلامية ، ولكنّ ذلك خارج عن الدراسة ، التي تعنى بالآثار عند النصارى فحسب .

٥ - الهدف الرئيس من الحديث عن هذه الآثار ربطها بتقديس النصارى لرجال الدين ، ولذلك سأركز في عرضها على ما يتحقق المقصود ، وبالله التوفيق .



الفصل الأول

آثار التقديس على الكنيسة

وفيه بـثان

❖ المبحث الأول : طغيان الكنيسة

❖ المبحث الثاني فساد الكنيسة

المبحث الأول
طغيان الكنيسة
وفيه مطلبان

- **المطلب الأول** : أسباب الطغيان
- **المطلب الثاني** : أنواع الطغيان ونقدهما



المطلب الأول : أسباب طغيان الكنيسة :

جعلت الكنيسة لنفسها سلطة عليا على جميع رعاياها أفراداً و حكامًا مستندة إلى سلطتها الدينية والدنيوية .

وإضافة إلى ما هاتين الركيزتين الأساسيتين ، فقد تهيأ لها عوامل أخرى هيأت الجو للقيام بهذا الطغيان ، ومن أهمها ما يلي :

العامل الأول : احتفاظ الكنيسة بنسخ الأنجليل :

في عهد الاضطهاد الذي عاشته النصرانية في عصورها الأولى تحولت الدعوة فيه إلى السرية ، وتخفي بها أصحابها ، وأخفوا معهم النسخ الموجودة من الأنجليل ، وظلوا يتناقلونها فيما بينهم سراً جيلاً بعد جيل خوفاً أن تقع عليهما عيون الرومان أو أيديهم فتتعرض للحرق أو التلف ، ويتعذر أصحابها لأشد أنواع العذاب . وقد أدى ذلك إلى انحصر هذه النسخ في أيدي فئة قليلة من رجال الدين ، واقتصر حق شرحها وتفسيرها عليهم .

ولما أظهرت الدولة الرومانية اعتناقها للنصرانية ظل هذا الحق مصوّراً فيهم وحظي بتأييد الإمبراطورية ، التي تهدف إلى تحقيق الوحدة بجمع رعاياها على عقيدة واحدة .

وهكذا بقيت مصادر الدين النصراني محفوظة في الكنائس ، مما ضمن للكنيسة الأمان في أن يقولوا باسم الدين ما يريدون ، ويفعلوا ما يشاؤن ؛ فما دام أنَّ هذه المصادر غير مكشوفة للناس ، فمن يملك أن يعارض شيئاً مما يقوله رجال الدين ؟ بل من يحل له أن يشك في ورثة سلطان رب على الأرض ؟ ! ^(١)

العامل الثاني : البيئة التي انتشرت فيها النصرانية :

انتشرت النصرانية في الإمبراطورية الرومانية التي تضم الشعب الروماني والمستعمرات التي كانت خاضعة لسلطتها ، وقد تميز الشعب الروماني بإلهه للعبودية والخضوع المستمر للقوى المسيطرة في الكون ، كان الرومان على درجة كبيرة من الضحالة الفكرية ^(٢) .

^(١) انظر : العلمنية ، نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية ، د. سفر الحوالي ، ص: ١٢٥-١٢٦ .

^(٢) المصدر نفسه : ص: ١٢٦-١٢٧ .

ويؤكّد ذلك أنّه لا يوجد لهم إنتاجاً فكريّاً ، أو ثقافيّاً ، كما هو الحال عند اليونان ، ولذا ، فالمصادر الدينية والتاريخية لا تذكر لنا أي مقاومة فكريّة لأقوال رجال الكنيسة وادعاءاتهم من قبل الرومان أو من تحت أيديهم من الأمم الأخرى ٠

وهذا الإلّف للخضوع والعبودية من قبل الرومان ساهم في إطالة أمد الطغيان من قبل رجال الدين لقرون طويلة ، وهي الفترة التي اصطلاح على تسميتها بالقرون الوسطى ٠

وقد مارست الكنيسة بسبب سلطتها - المشروع في نظرها - وبسبب ما تهيأ لها من الأسباب ، وعلى مدى قرون طويلة أبشع ألوان الطغيان مما لا نظير له في التاريخ ؛ فلم تترك جانباً من جوانب الحياة إلا وسيطرت عليه بيد من حديد ، وفرضت على عقول الناس وأموالهم ، وأرواحهم وصاية لا نظير لها ، وأصبح النصراني يدور في فلك قسيسه لا يفلت عنه قيد أئمّة ، ولو أفلت لحلّت اللعنة والطرد من "ملكوت الرب" ٠

وقد كانت الخطة أو "الخطوة" ^(١) الأولى التي استطاعت من خلالها الكنيسة أن تحكم قبضتها على كل أتباعها ، هي إيجاد نظام كهنوتي في غاية الشمولية والدقة ، سماه بعض المؤرخين بالحكومة الكنيسة ، ويشبه هذا النظام الشجرة المقلوبة أو البناء المنكوس ، فيبدأ من الأعلى حيث الكنيسة الأم ، وهي الكنيسة الرومانية ، ثم يتفرع إلى الأسفل حيث الكنائس الكبرى ، ثم الأقل حتى يصل إلى أصغر كنيسة ، وأماماً رجال الدين فيبدأ هذا النظام برأس الهرم البابا (الحبر الأعظم) ، ثم مجمع الكرادلة ، ثم القسّيس ، ثم رعاة الكنائس الصغيرة ^(٢) ٠

وأما الاتصال داخل هذا النظام - أو هذه المؤسسة الكبرى - فيتم في اتجاهين :
الأول : من الأعلى إلى الأسفل ، ويتضمن نقل الأوامر والتوجيهات والقرارات
والأحكام لتنفيذها والعمل بمقتضها ٠

والثاني : من الأسفل إلى الأعلى ، ويتضمن رفع كل يدور من شؤون الرعايا إلى الجهة الأعلى - حتى يصل إلى البابا - للمتابعة أو الحاسبة ، وإصدار ما يناسب من القرارات ٠

^(١) هي خطة باعتبار التدبير البشري ، وخطوة باعتبار التدبير الشيطاني ، ولذلك استخدمت التعبيرين ٠

^(٢) انظر : مذاهب فكريّة معاصرة عرض ونقد ، أ . د محمود محمد مزروعة ، ص : ٥٩ ٠

وأماماً مركز البابوية عرش الخبر الأعظم ، فهو حكومة متكاملة تتمتع بكمال امتيازات الدولة^(١) ، ويفصل المؤرخ جفري برون الحديث عنه قائلاً : « وهكذا إلى أن نصل إلى مركز البابوية الذي يتواجد في عاصمته روما التي كانت تضج بجيش الموظفين الذين كانوا يشتغلون في الفروع المختلفة من إدارة مدينة الله (يقصد الكنيسة) . فمن رجال المحاكم إلى رجال الخزينة إلى رجال الإدارات ، إلى مجلس الكرادلة الذين كان البابا يعينهم بنفسه ، والذين كانوا بدورهم يعينون البابا الجديد بعد أن يغادرهم سلفه إلى العالم الآخر .

نجد جيشاً آخر من الرجال والنساء الذين وهبوا أنفسهم لله ولدينه ، وهؤلاء هم الرهبان والراهبات الذين أقاموا في مختلف أنحاء الغرب طوائف وشعباً انتشر بعضها بسرعة ، ولاقي رواجاً في الأراضي الأوروبية فتراكمت لديه الثورة على عجل بفضل عطايا الأغنياء والحسنين من ذوي الإيمان»^(٢) .

وهذا النص يبين مدى قوة هذا النظام ودقته ، مما كان سبباً في بقاءه مدة طويلة ، ويفسر لنا الفشل الذي مُني به كثير من الأباطرة عندما قاموا بمعاجنته . ونبداً الآن بتفصيل أنواع هذا الطغيان^(٣) ، وبالله التوفيق .

المطلب الثاني : أنواع الطغيان ونقدها :

النوع الأول : الطغيان الروحي :

كان الطغيان الذي مارسته الكنيسة على قلوب أتباعها من أشد أنواع الطغيان على الإطلاق ، لتعلقه بأحصى خصائص الإنسان ، وهو روحه التي بين جنبيه ؛ ولأنَّه حول النصراني إلى عبد كامل العبودية لا إلى إلهه الذي خلقه ، بل إلى مخلوق مثله ، لا يملك لنفسه حولاً ولا طولاً ، ومع ذلك يدين له بكل ألوان العبودية والولاء .

وقد كانت دعوى "أنَّ الرب أعطى سلطاته للكنيسة" الأساس الذي انطلق من حالاته رجال الدين ليسيطوا سلطانهم على أرواح أتباعهم ، فإذا كان الرب قد غادر الدنيا بعد

^(١) وقد أصبحت الفاتيكان دولة بالفعل ، وهي أصغر دولة في العالم ، والغريب أن رئيسها رجل دين ، وليس حاكماً مدنياً ، وهذا لا يوجد له نظير فيما أعلم .

^(٢) تاريخ أوربا الحديث ، ص: ٥٤-٥٥ .

^(٣) استندت مباحث هذا المطلب من كتاب مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص: ٢٥ وما بعدها ، وقد اختصرت بعض كلامه وأضفت إليه إضافات أشرت إلى مصادرها في الحاشية .

قيامته من بين الأممات ، فإنَّ سلطانه بقي كاملاً في أيديهم ، وهم يقومون بوظيفته على الأرض ، وكان من أهم معلم طغيانهم ما يلي :

١- أنَّ رجال الدين هم مصدر الدين ذاته :

الدين بما يشتمل عليه من عقائد وتشريعات وأخلاق وغير ذلك ، إنما يأتي من قبل الله تعالى ، فهو – سبحانه إلى أنبيائه ، والأنبياء يبلغون وحيه إلى الناس ، والناس يتلقون ذلك بالتسليم والقبول ، هكذا يكون الأمر في الدين الصحيح ، ولكنَّ الأمر اختلف تماماً فيما يتعلق بالدين النصراني ، حيث نجد فيه أنَّ هذا الحق "الإلهي" قد انتزع من صاحب الحق – سبحانه وتعالى – وأصبح يهدِّي رجال الدين^(١) أن يبتدعوا من العقائد والشرع ما يشاءون ، ويفعلون ذلك إما على سبيل الإنشاء ، أو على سبيل التغيير بالتحليل والتحريم لما بقي من الدين ، ولم يكن في الأمر أدنى مشقة على خلفاء الرب ؟ فغاية ما الأمر أن يُدرج الأمر المراد اتخاذ القرار بشأنه ليكون عقيدة حازمة ، أو حكماً لازماً ، أو عيداً مقدساً ، للنقاش ، وعادة ما يحدث حوله خلاف ، ولكنَّ كثرة الأصوات كفيلة بجسم الأمر لصالحها ، فيخرج ذلك القرار في الصورة المطلوبة ، وقد يجسم الأمر أحياناً ، ولو خالف رأي الأغلبية – كما في قرار ألوهية المسيح ﷺ – ، وقد لا يحتاج الأمر إلى قرارٍ أصلًا – كما هو الحال في الكثير من بدع بولس – بل يكفي أن يكون القائل به من رجال الدين ! .

ومن الأمثلة الدالة على ما ذكرت ما يلي :

أولاً : بعض البدع التي أنشأها رجال الدين ابتداءً :

١- ألوهية المسيح ﷺ : ابتدعها بولس ، وأقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، ولم يراع فيها أصوات الكثرة الغالبة على الجمع ، التي كانت تعارضها ، ولا توجد في الأنجليل أدلة حقيقة على صحتها ، بل الأدلة ناطقة ببطلانها .

٢- عقيدة بنوة المسيح ﷺ : كانت من بدع بولس ، وأيدتها مجمع نيقية ، ونصوص الأنجليل متضادرة على نقضها .

٣- عقيدة ألوهية ما يسمى بالروح القدس : تقررت بمقتضى مجمع القدسية الأول عام ٣٨١ م ، وليس في الأنجليل أدلة على صحتها .

^(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، أ. د : محمود مزروعة ، ص : ٦٠-٦١ .



٤- ادعاء عالمية الرسالة : ابتدعها يولس وطبقها أتباعه ، والأدلة الصرحية في الأنجلترا

قائمة على خصوصية هذه الرسالة بين إسرائيل .

٥- عقيدة عصمة البابا : أقرت في المجمع الفاتيكان الأول عام ١٨٦٩ م ، أي بعد

أكثر من ثمانية عشر قرناً من عهد المسيح عليه السلام

ثانياً : تغيير بعض الشرائع والأحكام التي جاءت بها التوراة :

١- شريعة الختان جاءت بفرضها التوراة ، والتزم بها اليهود حتى اليوم ، وكذلك هي

شريعة المسلمين ، ولكن بولس نقضها إرضاءً للوثنيين الذين عيّنهم بدعوهِه .

٢- أكل لحم الخنزير وأكل الميتة : كان محرما في التوراة ، وأباحه بولس لأتباعه .

٣- الصور والتماثيل : كانت محظمة في التوراة أشد التحريم ، فأباحها رجال الدين ،

وزعموا أنها عالمة على التقوى ، ورمتاً للوفاء لأصحابها .

٤- شريعة الزواج : التي هي من سن المرسلين ، حرمها رجال الدين على الرهبان

بدعوى الرغبة في العفة والورع ، والانقطاع الكامل من أجل ملوكوت الرب .

٢- فرض سلطان روحي على النصراني مدى الحياة :

لم يكن ما ابتدعه رجال الدين من عقائد وأحكام يشبع نهمهم في الطغيان ، فراحوا

يبحثون عن وسائل أخرى تضمن لهم الولاء الكامل من قبل الأتباع ، حتى دلتهم عقوبهم

على وسيلة جديدة ، ولكنها عظيمة الأثر ، وحيثما تحققت تم للأرباب السلطان الكامل

على رقاب أتباعهم ، وهذه الوسيلة هي ما سموه بالأسرار المقدسة ، فهي أسرار ؛ لأنّه لا

يحيط بكنها إلا رجال الدين ، وهي مقدسة لأنَّ الرب هو الذي فرضها ، وهي أركان

النصرانية ؟ فلا يتم إيمان النصراني إلا بها ، ومن كفر بوحد منها فقد كفر بالنصرانية

واستحق اللعنة الأبدية ، وهذه الأسرار لا تناول ولا تتحقق ما فيها من النعم الغير منظورة إلا

إذا قدّمت بين يدي الكاهن ، ومن حلال صلاته ومباركته .

تعليق على ما سبق :

إن هذه الصورة التي عرضتها تمثل درجة بشعة من الطغيان على الأرواح وتحمل صورة

غالية من الشرك بالله من خلال علاقة النصراني بقسيسه ، وهي أوضح صورة لاتخاذ الأرباب

من دون الله ، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه الكريم بقوله: چُوْ وْ ۋِۇْ ۋِۇْ ۋِۇْ

وقد أصبح رجال الدين أرباباً من دون الله ، وتنجلى حقيقة ذلك من خلال ما يلي :

١- كونهم – وليس الله تعالى – مصدر الدين ، الذين يشرعون ابتداءً ، أو يغيرون بالتحليل والتحريم ما كان مشروعاً .

٢- قدرتهم على مغفرة الذنوب ، وشفاء الأمراض – كما يزعمون – .

٣- كونهم نواباً للرب ، والنائب يتمتع بحقوق من ينوب عنه .

وبهذا يتبيّن لنا ما آل إليه هذا الطغيان من تقدیس النصارى لرجال دینهم ، وأنه قد أوقعهم في حماة الشرك بالله تعالى .

النوع الثاني : الطغيان السياسي :

الطغيان السياسي يقف مع الطغيان الروحي جنباً إلى جنب ، فكلاهما هدف لقوة الكنيسة الطاحنة ، التي لا ترغب أن يخرج عن إرادتها شيء ، ويتأخر قليلاً في بعض الأحيان ليسمح للطغيان الروحي بالتقدم فيكون هذا الأخير أرضًا خصبة للأول لكي ينمو عليها .

ولم يغب هذا المعنى عن رجال الدين ، فكان تحقيقهم للهدف الأول جزءاً من تحقيق الهدف الثاني ؛ لأنَّ ذلك يعني بالضرورة أنَّ الرعایا الذين يقعون تحت سلطة الحاكم – أيَا كان مستوى حكمه – هم الذين قد دانوا لرجال الدين بكامل الولاء ، ولا شك أنَّ العاطفة الدينية – كما قال ديورانت – « كانت أقوى من العاطفة القومية »^(١) ، وعليه فلم يبق أمام الأباطرة – فضلاً عن دوّنهم – إلا الإذعان لسلطة رجال الدين – كما فعل رعایاهم – أو مواجهة ذلك السلطان وهم مجرّدون من الأتباع الذين ينتصرون لهم ، ومن يستطيع مواجهة تلك القوة الضاربة في الأرض ، التي قد ضمنت ولاء أتباعها رغبة أو رهبة؟ ! .

وقد كانت الكنيسة الرومانية تسعى لأن تكون القوة الوحيدة التي تسيطر على العالم النصراني بأكمله روحياً وسياسياً ، وقد تحقق لها ذلك وأصبحت – كما قال المؤرخون – الكنيسة الوحيدة لأوروبا طيلة ألف سنة (من القرن السادس إلى القرن السادس عشر تقريباً) ، وحكمت من المحيط الأطلنطي في الغرب إلى روسيا وبيزنطة في الشرق ، ومن البحر الأبيض

^(١) قصة الحضارة : (٣٩٩/١٤) .

المتوسط في الجنوب إلى الشواطئ الشمالية الألمانية وبولندا في الشمال ، وكانت القوة الوحيدة الموحدة في هذه المنطقة ، وكان أباطرها يُتوجون على أيدي الباباوات ، ويقدمون الولاء لروما في الشؤون الروحية وفي الأمور الدنيوية أيضاً^(١) .

وقد سعت الكنيسة بكل وسيلة توصلها إلى هدفها المنشود ، ومن ذلك استخدام النظام الكهنوتي الشامل لضمان ولاء الشعوب طمعاً في ملوكوت الرب في بعض الأحيان أو خوفاً من غضب خلفاء الرب وتعرضهم للحرمان أو اللعنة الأبدية في أكثر الأحيان . ومن الوسائل الخطيرة التي ابتدعها رجال الدين لتحقيق هدفهم إصدار الباباوات القرارات التي تعلن امتداد سلطة الكنيسة لتشمل كل شيء حتى السلطة الدنيوية، وأنّ تعين الأباطرة أصبح من حقوقهم ، ومن الملاحظ – عند استعراض تاريخهم في ذلك – أنهم كانوا يراعون في هذا الجانب أمرين :

الأول : ربط تلك القرارات بالدين ، وهذا الرابط كفيل بإعطاء الشرعية الالزمة لقبول هذا القرار ، ومن الذي يستطيع أن يقف في وجه الدين ، أو يقف ضد مشيئة الرب !؟ . والثاني : التدرج في ذلك ، حتى يصبح الأمر قانوناً يجب العمل بموجبه ، والصراع بين السلطتين الروحية والزمنية كان مريراً ، وكان سجالاً بين الطرفين – أيضاً – ولكن غالباً ما ينتهي بانتصار الكنيسة ، ومن القرارات التي أصدرها الباباوات في هذا الشأن ما يلي :

١ - أُعلن البابا نقولاس – الذي تولى عرش البابوية في الفترة : (٨٥٨ - ٨٦٧) أنَّ البابا يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع (المسيحيين) حكاماً كانوا أو محكومين في شؤون الدين والأخلاق إن لم تكن في جميع الشؤون ، وقد بني البابا لهذا القرار على قضيتين كانتا مقبولتين عند النصارى في ذلك الوقت ، وهما :

الأولى : أنَّ ابن الله (المسيح) أنشأ الكنيسة عندما جعل بطرس أول رئيس لها . والثانية: أنَّ أساقفة روما ورثوا سلطان بطرس واحداً بعد واحد في تسلسل متصل^(٢) .

٢ - أنَّ البابا ليو التاسع الذي تولى عرش البابوية في الفترة (٤٨٠ - ٥٠١) كان يعتبر الدنيا كلها وطنًا واحداً هو واحداً ، وينظر إلى البابوية لا على أنها منصب محدود

^(١) انظر : تاريخ الكنيسة ، د. القس جون لوربر : (٤/٢٧) .

^(٢) انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (١٤/٣٥٥) .

مكان ، ووظيفة تدر على صاحبها المال ، بل خالها مؤسسة عالمية ، وذات سلطان مطلق ، وسمو غير محدود ، واستقلال تام ، وتفويض إلهي بالرقابة الروحية^(١) . وهذا البابا هو الذي مهد – عملياً – لتوسيع سلطة الباباوات ، فبعد عهده بقليل (حوالي سنتين فقط) أصبح اختيار البابا في يد هيئة الكرادلة دون تدخل من أحد غير رجال الدين .

٣ - البابا جريجوري الذي انتخب عام ١٠٧٣ م ، نادى – كما يقول المؤرخون – بصوت ملؤه الشجاعة الآمرة الناهية أنَّ : « العالم بأسره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها بابا له العصمة وله القدرة ، ولا يحده قانون ، ولا يزعه وازع ، وهو الذي يخلع المسيئين من الملوك ويثل عروشهم ، ويقطعهم من رحمة الكنيسة ، ويحل رعيتهم من طاعتهم ، واعتقاداً منه بأنَّ الوقت حان لبناء قوة حربية تابعة للكنيسة الكاثوليكية ٠٠ وأخيراً أعلن في مجمع ديني عقده في موسم الصيام الكبير سنة ١٠٧٥ م ، أنه ليس من حق الحاكم العلماني – أي السياسي – كائناً من كان أن يقلد أحداً من رجال الكنيسة شارات المنصب الديني ، وأنَّ الإقدام على ذلك هدم للقانون الإلهي لا يطاق ولا يغفر »^(٢) .

٤ - البابا إنوسنت الثالث الذي بلغت البابوية في عهده قمتها أعلن سلسلة من القرارات ، ومنها :

أ - أنَّ البابا هو المخاطب بقول إرميا : « قد وَكْلَتْ هَذَا الْيَوْمُ عَلَى الشَّعُوبِ وَالْمَالِكِ تَقْلِعَ وَهَدَمَ وَهَلَكَ وَتَبَيَّنَ وَتَغَرَّسَ »^(٣) .
ب - أنَّ البابا يقال له في شخص الرسول (يقصد بطرس) : « وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ٠٠ »^(٤) .

ج - أنَّ البابا : « أَدْنَى مِنَ اللَّهِ ، لَكِنْ أَعْلَى مِنَ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَحَاكِمُ الْجَمِيعَ وَلَا يَحَاكِمُهُ أَحَدٌ »^(٥) . ثم ضرب مثلاً لتقرير الأمر ، فقال ما ملخصه : « كَمَا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ

^(١) انظر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، هـ ٠٠٠ فشر : (١٤٤/١) .

^(٢) المصدر نفسه : (١٤٤/١٤٥) .

^(٣) إرميا : (١٠/١) .

^(٤) محق : (١٦/١٩) . وقد تكرر النص معنا كثيراً .

^(٥) انظر : تاريخ الكنيسة ، د. القس جون لوريمير : (٤/٢٨) .

النورين العظيمين الشمس والقمر ، فجعل الشمس حكم النهار ، وجعل القمر حكم الليل ، كذلك جعل مقامين عظيمين : الأعظم : الكنيسة لمسؤولية الحكم على الأرواح ، والأقل : الدولة لمسؤولية الحكم على الأجساد ، وكما أن القمر يستمد نوره من الشمس ، وهو أدنى منها حجماً نوعاً ، فكذلك تستمد القوة الملكية مقامها من السلطة البابوية ^(١) .

وهكذا يتبيّن لنا من هذه النصوص سعي الباباوات إلى توسيع دائرة سلطتهم ، حتى تشمل السلطة الدنيوية ، وحرصهم على صبغ هذه القرارات بالصبغة الشرعية مع اطمئنانهم أنَّ أحداً لن يعتريض عليها ، وهي إلهية المصدر – بزعمهم ! – .

أمّا استدلال البابا إنوسنت بالنص الوارد في سفر إرميا ، فهو أمر في غاية الغرابة ؛ إذ أنَّ هذا النص – على فرض صحته – خاص بإرميا ، كما هو ظاهر من السياق ، حيث جاء في بدايته قول أرميا عن نفسه : « فكانت كلمة رب إلى قائلًا : قبليما صورتك في البطن عرفتك .. » ^(٢) . فكيف انتقلت هذه الخصوصية لأرميا حتى أصبحت حقاً للبابا ؟ !

وبالرغم من أهمية كل هذه التشريعات التي أعلنتها الباباوات إلا أنَّها لم تكن كافية في تحقيق غايتهما ؛ ولذلك فقد سعوا إلى التطبيق العملي لما توجّبه هذه التشريعات ، وبدأوا في التدخل في كل شؤون الأباطرة ، وأصبحوا يعينون – بمقتضى ذلك الشرع – من يرون أنه أهلًا لهذه المسؤولية ، وبالطبع فإنَّ من يملك حق التعيين فقدره على الخلع – إذا اقتضى الأمر – من باب أولى ،

ويوجد في التاريخ البابوي أمثلة كثيرة للممارسات العملية لهذه التشريعات ، نختار منها قصتين شهيرتين ، وهي :

القصة الأولى :

ما حدث بين البابا حريجوري السابع والإمبراطور الألماني هنري الرابع من نزاع حول مسألة التعيينات ، التي يطلق عليها "التقليد العلماني" ، حيث حاول الإمبراطور خلع البابا ، ورد عليه البابا بأنَّه أصدر حكمًا مثلثًا بخلعه ، وحرمه ، وأحلَّ أتباعه والأمراء من ولائهم له ، فعقد الأمراء ممثلاً وقرروا فيه أنَّه إذا لم يحصل الإمبراطور على المغفرة لدى وصول البابا

^(١) انظر : المصدر السابق : (٤/٢٩) .

^(٢) إرميا : (١/٤) .

إلى ألمانيا فسوف يفقد عرشه إلى الأبد ، ووجد الإمبراطور نفسه مغلوباً على أمره ، فلم يسعه أن يتضرر حتى يقدم البابا ، وقرر أن يخرج إليه بمحظاً جبال الألب ، في الوقت الذي كان فيه الشتاء على أشده ، حتى وصل إلى قصره في مرتفعات كانوسا في ستكانيا وبقى حافي القدمين لمدة ثلاثة أيام في فناء القلعة ، وهو يتسلل إلى البابا أن يغفر له ، ويعفو عنه حتى رثا لحاله كل من حوله ، و جاءوا إلى البابا يشفعون بدموعهم وصلواتهم ، حتى رفع عنه الحرمان وأعيد مرة أخرى إلى حظيرة الكنيسة "المقدسة" ^(١) .

القصة الثانية :

ما حدث - أيضاً - في بريطانيا بين البابا تومس أبكت ، والإمبراطور هنري الثاني ، حيث أصدر الأخير دستوراً يلغى فيه كثيراً من امتيازات رجال الدين ، ثمُّ أغتيل أيضاً رئيس الأساقفة ، فروعت النصرانية كلها وثارت ضد الملك وحرمه بالحرمان العام ، فاعتزل الملك في حجرته ثلاثة أيام لا يذوق فيها الطعام ، وأصدر بعدها أمراً بالقبض على القتلة ، وبعث بالرسائل إلى البابا يعلنون براءته من الجريمة وألغى الدستور الذي صدر بحق رجال الدين ، ورد إلى الكنيسة ما لها من حقوق وأملاك ، وقدم بنفسه إلى كنتربري نادماً ، ومشي الثلاثة أميال الأخيرة على الحجارة الصوان حافي القدمين يترف الدم ثمَّ استلقى على الأرض عند قبر الأسقف الميت ، وطلب من الرهبان أن يضربوه حتى يرضي عنه الغاضبون ^(٢) .

ويتبين لنا من العرض السابق طبيعة الأجواء التي كانت سائدة بين الكنيسة والدولة ، وهي أجواء مملوقة بالتوتر والصراع ، وهذا يؤكّد مدى ما وصلت إليه الكنيسة من التسلط ، ويمكن التعقيب على ما سبق بما يلي :

١- لأنَّ الطغيان في الأصل نزعة إنسانية ، كما قال تعالى : چَگَ گَ گَ بَ گَ گَ گَ گَ گَ گَ گَ چَ گَ گَ العَلْقَ : ٦ - ٧ . ولكنَّ الدين الصحيح بما يحمله من نظام تشريعي يتمثل في الأمر والنهي ، وجزائي يتمثل في الثواب والعذاب كفيل بأن يردع صاحبه عن كل قبيح ، ويضبط سلوكه ويوجهه الوجهة السوية ، ولكن لأنَّ الكنيسة لم تحفل بمعرفة الدين الصحيح ، الذي يمنعها من الطغيان ، أطلقت لنفسها العنوان لا يردها عن تحقيق هدفها شيء .

^(١) انظر : معلم تاريخ الإنسانية ، هـ . ج . ولز : (٣/٩١٠) ، و تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، هـ . ج .

ل . فشر : (١٤٦-١٤٧) ، وقصة الحضارة ، لويل ديوانت : (٤٠٠/١٤) .

^(٢) انظر : قصة الحضارة : (١٩١-١٩٢ / ١٥) .

٢ - أنَّ التوراة التي يؤمن بها النصارى كانت تحمل بقية من الأحكام والفضائل كافية في أن تمنعهم عن كل طغيان وتدفعهم إلى كل خير ، ولكنَّ الكنيسة لم تحفل حتى بما كان عندها من بقايا شريعة الله - تعالى - ويفكِّد هذا الأمر ما يلي :

٣ - أنَّ السلطان الدنيوي عندما ينظم إلى السلطان الديني يكون من أعظم أسباب حمل الناس على تنفيذ شرع الله ، وحملهم على الخير ، وردعهم عن الشر ، ولكنَّ الكنيسة بالرغم من أنها جمعت بين السلطتين الدينية والدنوية ، إلا أنها جعلت كل ذلك وسيلة لتحقيق مصالحها الشخصية ، ومطامعها الدنيوية ، ولم ترفع بالدين رأساً .

ال نوع الثالث : الطغيان المالي :

والمال قوام الحياة ، وهو سلطان في حد ذاته ، كما أنه طريق إلى السلطان ؟ ومن أجل ذلك سعت الكنيسة لاتخاذ كافة الوسائل التي تمكنتها من التسلط على هذا العنصر الهام من عناصر السلطان ، ولم يعجز رجال الدين عن إيجاد الوسائل لتحقيق ذلك المهدف ، فشرعت لسن القوانين "الشرعية" الالزمة للحصول على أموال الناس ، وما خرج عن قوانينهم ، تدرعت إليه بكافة الحيل الأخرى ، وما خرج عن قوانينها وحيلها توصلت إليه عن طريق إثارة العاطفة الدينية لدى أتباعها في المساعدة في أعظم أعمال البر والباب الأعظم لدخول الملوك ، وما خرج عن كل ذلك توصلت إليه بالإحراج والضغط على أتباعها .

وقد استطاعت الكنيسة أن تتحقق هدفها ، وتصبح من أغنى المؤسسات في الإمبراطورية على الإطلاق ، ومن أهم وسائل رجال الدين في الحصول على المال ما يلي :

١ - الإقطاع :

في بداية العصر الذي يطلق عليه "العصر الذهبي" الذي شهد تبني الإمبراطورية للديانة النصرانية ، بدأ الإغراق على الكنيسة بالأموال ، وكان من جملة ذلك ، ما يهبه الملوك والأشراف من قطع الأراضي الواسعة ، وكانوا يقدمون ذلك من أجل نيل البركة والفوز برضاء رجال الدين ^(١) . وبفضل هذه العطايا إضافة إلى ما يملكه الأساقفة ورؤساء الأديرة من هذه الإقطاعيات الكبيرة أصبحت الكنيسة من أكبر ملاك الأراضي وأكبر إقطاعيين في أوروبا . يقول ديورانت عن ذلك : « وترامت هذه المدايا حتى أصبحت الكنيسة أكبر

^(١) انظر : تاريخ أوروبا الحديث ، جيفرى برون ، ص : ٦٨ .

ملاك الأراضي ، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا ، فقد كان دير فلدا مثلاً يملك ١٥٠٠٠ قصر صغير من قصور الريف ، وكان دير سانت جول يمتلك ألفين من رقق الأرض ، وكان الكوين^(١) تور سيداً لعشرين ألفاً من أرقاء الأرض .. وهكذا أصبحت الكنيسة جزءاً لا يتجزأ من النظام الإقطاعي ، فألفت نفسها منظمة سياسية واقتصادية ، وحربية ، لا منظمة دينية وكفى ، وكانت أملاكاً لها "الزمنية" أي المادية وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يجعل بالعار كل مسيحي متمسك بدينه وسخرية تلوها ألسنة الخارجين عن الدين ، ومصدراً للجدل العنيف بين الأباطرة والباباوات » .

٢- الأوقاف :

كانت لدى الكنيسة قطعاً شاسعة من الأراضي تمتلكها أو تستولي عليها لإيقافها والإنفاق منها على الأديرة والكنائس وتجهيز الجيوش للحروب الصليبية أو التأديبية للخارجين عن سلطتها وكان تسلط الكنيسة على هذه المساحات الشاسعة من الدوافع الكبيرة لما يسمى بالإصلاح ، ومن نادى به المصلح الشهير حنا ويكلف^(٢) الذي تأمل أنواع الفضائح الكنسية وأصدر سلسلة من المقالات والمواعظ وبين أنَّ الكنيسة المعفاة من ضرائب الدولة تملك ثلث الأراضي في البلاد ودعا إلى إلغاء هذه الأوقاف للتخفيف عن كواهل المدينين ، وتقوية الموارد المالية للدولة^(٣) .

وما سبق يتبيّن مدى تسلط الكنيسة على هذه الأراضي وأثره على الدولة ، وعلى بقية المدينين ، وهذا الواقع الذي ذكرته ما هو إلا جزء من الواقع الذي تعشه أوربا كلها في ظل هذا التسلط الكنسي .

٣- الضرائب :

سُنت الكنيسة من أجل الحصول على المال قانون الضرائب ، وأعلنت أن دفعها ليس إحساناً يمتن به أتباعها بل هو حق واجب لا يسع أحداً رفضه . ومنها ما يسمى بـ "العشور" ، وبمقتضى هذا الحق كانت الكنيسة تحصل على عشر الإنتاج الزراعي ، وعشر ما يحصل عليه

^(١) لقب إقطاعي .

^(٢) سياق الحديث عنه مفصلاً في مبحث الإصلاح الديني .

^(٣) انظر تاريخ أوربا - العصور الوسطى ، هـ . أ . ل . فشر : (٢ / ٣٦٦) .

المهنيون وأصحاب الحرف الأخرى ، وكان الشعب تحت قهر السلطان يقدم هذه الضريبة للكنيسة ، كما كان يدفعها الحكام اتقاء لشرها .

يتحدث المؤرخ الانجليزي ويلز عن هذا النظام قائلاً : « بل إنّها فرضت ضريبة العشر على رعاياها ، وهي لم تدع إلى هذا الأمر بوصفه عملاً من أعمال الإحسان والتقوى ؛ بل طالبت به كحق ، وأخذ رجال الكنيسة من الناحية الأخرى يدعون عند ذلك حق الإعفاء من الضرائب العلماني » ^(١) .

وهذا النص يبين لنا أنّ ما فرضته الكنيسة لم يكن في نظرها إلا حقاً من حقوقها والغريب أنّها في مقابل ادعائهما لهذا الحق تتناصل هي من الحق الذي عليها وهو الضريبة التي تكون للدولة وتدعى حق الإعفاء منها ، وهذا القانون الذي سنّته داخل ضمن مشروع جمع الأموال الذي قضت به البابوية لتحقيق نفوذها المالي ، وقد شاع بين الناس على أثر ذلك أنّ رجال الدين ليسوا بالرجال الطيبين ، وأنّهم يتصدرون الأموال ^(٢) .

ومن هذه الضرائب أيضاً ما يسمى بـ "ضريبة السنة الأولى" ، التي أبتدعها البابا حنا الثاني والعشرون ^(٣) التي تقضي بأن يدفع للبابا قيمة الدخل السنوي الأول لكل وظيفة دينية أو إقطاعية جديدة تابعة للبابا ^(٤) .

ومما هو قريب من معنى الضريبة ما يمسي بالسخرة ، حيث يقوم العمال والأرقاء بالخدمة المجانية في مزارع الكنيسة أو في مشاريعها الأخرى ، يوماً في كل أسبوع .

٤ - ما يدفع على سبيل الكفار أو يؤخذ على سبيل العقوبة :

^(١) معلم تاريخ الإنسانية : (٣/٨٩٦) .

^(٢) المصدر نفسه : (٣/٨٩٥) .

^(٣) اسمه أنج جوزف رونكاللي ، ولد سنة ١٨٨١ م ، تولى البابوية في الفترة (١٩٥٨-١٩٦٣) ، وألف كتابين هما : "الكاردينال قيسار باروني في المئوية الثالثة لموته" ، و"موقع زيارة القديس شارلبور وميوالرسولية برغامو" . انظر : معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص: ٣٥٩-٣٦٠ .

^(٤) تاريخ أوربا - العصور الوسطى ، هـ ٠٠٠٢ ل فشر : (٢/٣٤٠-٣٨٢) ، والبابا المذكور هو فرنسي يرجح أصله إلى قرية كاور سان ، كما في المصدر نفسه .

وهذه البدعة من عجائب رجال الدين وهي أئمّةً لما قرروا أنَّ المذنب لا بد له من التوبة ، وأئمّها لا تكون إلا بين يدي الكاهن ، شرعوا بعد ذلك أعمالاً "تكفيرية" ، وأحياناً ، فإنَّ الأعمال التكفيرية لا تكون كافية فلابد أيضاً من عقوبات دينية "زمنية" ، وفي كلام الحالين ؛ فإنَّ خيراً هذه المكفرات هو دفع المال كما أنَّ أعظم ما تدفع به العقوبة الدينية - أيضاً - هو دفع المال ، بل تعدى الأمر هذا الحد وأصبح بإمكان المذنب - أو غير المذنب - أن يشتري الجنة مقابل مبلغ من المال ، ويفعل بعد ذلك ما يشاء !

ومن أشهر ما يذكر في هذا الباب صكوك الغفران ، التي كانت من أبشع المشاريع التي درت على الكنيسة الأموال الوفيرة ، حتى أنَّ بعض المؤرخين لم يره إلا مشروعاً استثمارياً يدر على خزينة الكنيسة أو فر الأموال^(١) .

و كانت محاكم التفتيش أحد المشاريع الكبرى لتحقيق ذلك ؟ حيث أنَّ قضاة التفتيش المحررين من أي إشراف قضائي كانوا يتناولون الرشاوى والغرامات السنوية من الأثرياء مقابل النجاة من الاتهام ، ويستولون على جميع الأموال والأملاك العائدة للمتهمين بالهرطقة بحسب حكم المحكمة عليهم ، و يتم مصادرتها فوراً ودون الانتظار حتى ثبتت إدانته^(٢) .

٥- ابتداع الطقوس والمناسبات لجمع المال :

لا ترك الكنيسة أي مجال دون استغلاله لجلب المال ، ومن ذلك :

في عام ١٢٩٩ - ١٣٠٠ م أعلن البابا بنيفاس الثامن^(٣) آله سيقام عيد كبير عام ١٣٠٠ ، وعرض أن يغفر جميع ذنوب من يأتون للتعبد في كنيسة القديس بطرس في ذلك العام ، ويقال إنَّ عدد من دخل روما في كل يوم من هذه السنة لم يكن أقل من مائتي ألف ، وأنَّ مليوني زائر مع كل منهم نذر يناسبه وضعوا ما معهم من الكنوز أمام قبر (القديس)

^(١) انظر : تاريخ الكنيسة ، د. القدس جون لوربر : (٤/٣٨) .

^(٢) انظر : الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، هيلين أيلير بي ص : ٩٥ . وسألي تفصيل لذلك في موضعه .

^(٣) يسمى بونيفاقيوس الثامن كانت بابويته في الفترة (١٢٩٤-١٣٠٣ م) ، نشب نزاع بينه وبين ملك فرنسا فيليب الجميل بسبب رغبة الأول بسيطرة الكنيسة عالمياً ، وفي عام ١٣٠٠ نظم أول يوبيل للكنيسة . انظر : معجم البابوات ، خوان داثيو ، ص: ١٤٠ .

بطرس وقد بلغت ، هذه الكثرة حداً شغل قسيسين ظلاً يعملاً بالجاري ليلًاً ونهاراً جمع النقود ^(١) .

واختتم الحديث عن هذه المناسبات بقول أحد المؤرخين الأسبان : « أرى أننا نادراً ما نحصل على شيء من خدام المسيح (رجال الدين) إلا بالمال ، فالعماد بالمال ، والزواج بالمال ، والاعتراف بالمال ، ولا سر المسحة الأخيرة بدون المال ، لا يدرون الأجراس بدون المال ، لا مراسم في الكنيسة للدفن بدون المال ، يبدو أنهم في كل يوم اخترعوا طرقاً جديدة لتنمية دخول الكنيسة ^(٢) .

وهذا النص صورة دقيقة لحقيقة الطغيان المالي الذي تمارسه الكنيسة .

٦ - الهبات والعطايا :

والهبة أو العطية عادة ما تقدم عن طيب خاطر ، ولكن ما يقدم إلى الكنيسة غالباً ما كان يعطى من أصحاب الجاه والمال تحقيقاً لمصلحة لهم ، أو دفعاً لشر الكنيسة ، وإذا كان المتفق يتحقق شيء من المصلحة – وقد لا يتحققها – إلا أن ما تستفيده الكنيسة يُعد أضعاف ما تقدمه له – إن قدمت له شيئاً – .

ونختم الحديث عن الطغيان المالي بالتعليق التالي :

^(١) قصة الحضارة ول دبورانت : (١٦ / ٥) ، معالم تاريخ الانسانية ، هـ . ٠ ج . ويلز : (عام ٣ / ٩١٣) والملئ ، خان معتبر ان فلاشك عندي في صحة الخبر .

(٤) تاريخ الكنيسة للقس جون لوربر : (٤ / ٣٧) ، وقد كنت أرى أنَّ النص مبالغ فيه ولكنني لما زرت بعض الكنائس في مدينة بيروت ووجدت فيها أكثر من مكان خاص لوضع المال ومن ثم نيل البركة ، اعتقدت صحة هذا القول .

٢- إنَّ هذا الطغيان يأباه كُل دين صحيح ، بل إنَّ نصوص الأنجليل تنهى عن اقتناء الثروة والمال ، وتغفر من الحياة الدنيا ، فهي تقول : « مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملکوت الله » ^(١) ، « لا تصنعوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم ، ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصى » ^(٢) .

ولكنَّ رجال الدين لم يرعوا دين الله حق الرعاية ، ولم يستمسكوا بما تدعوا إليه أنجليهم ، وقد غلب عليهم رغبتهم في التسلط على أتباعهم لتحقيق مصالحهم والإغراء في ملذاتهم ، وبيؤكد ذلك أنهم لم يصرفوا هذه الأموال في وجهها الصحيح ، من الإنفاق على المحتاجين والفقراة وغيرهم ، وهو دليل على فسادهم . والله أعلم .

النوع الرابع : الطغيان ضد العلم :

يقصد بهذا الطغيان : طغيان الكنيسة ضد الخارجين عن آرائها "الكنسية" المتعلقة بالكون والإنسان ، من النظريات العلمية في الفلك ، والتاريخ ، والجغرافيا ، وغيرها من العلوم الطبيعية .

وقد كان هذا الطغيان الذي مارسته الكنيسة مستغرباً ؛ لأنَّ العلم بواسطته المختلفة سبب الوصول إلى الحقائق ، وتقديم الأفراد ، ونحوض الأمم ، وهو من أعظم أسباب زيادة الإيمان ؛ لأنَّ حقيقته تصدق الحقائق الكونية والإنسانية ، لأنَّ مصدرهما واحد ، وهو الله سبحانه وتعالى .

ولكن الأمر كان مختلفاً في الديانة النصرانية ، وإذا بحثنا عن أسباب الصراع بين الكنيسة والعلم نجد جملة من الأخطاء ارتكبها الكنيسة أدت إليه ، وهي كما يلي :

١- لأنَّ الدين الذي كانت تحمله الكنيسة لم يكن هو الدين المترتب من السماء ، بل كان في أغلبه خليطاً بشرياً من الوثنية والخرافة ، من تراث الإغريق ، وأقوال آباء الكنيسة ، مع بقايا من الدين الصحيح ، بين ذلك الخلط .

٢- قامت الكنيسة بإعطاء هذا الدين صفة القداسة لأنَّ مصدره الكتاب المقدس ؛ فهو الحق الذي لا يتطرق إليه الشك .

^(١) مرقس : (٢٢ / ١٠)

^(٢) متى : (١١ / ١٠ / ١١)

وكان مما تضمنه كتابهم أموراً تتعلق بالفلك ، والجغرافيا ، والتاريخ ، وغيرها من العلوم ، فألحقت الكنيسة حكمها بحكم ما يرد فيه ، وادعت أنها « وجدت عن طريق الوحي جواباً لكل مسألة من المسائل القديمة المتعلقة بأصل الخلق ، وطبيعتهم ، ومصيرهم ، وقد كتب ليكتينيوس ^(١): « نحن الذين أخذنا عن الكتاب المقدس علم الحقيقة ، نعرف بداية العالم ، ونهايته » ^(٢) .

٣ - وبنـتـ الـكـنـيـسـةـ عـلـىـ ما سـبـقـ أـنـ كـلـ مـنـ يـخـالـفـ شـيـئـاـ مـاـ وـرـدـ فـيـ الـكـتـابـ المـقـدـسـ فـهـوـ مـهـرـطـقـ ، بلـ كـافـرـ يـسـتـحـقـ اللـعـنـةـ ، وـأـنـ يـحـلـ بـهـ مـاـ يـكـونـ عـبـرـةـ لـغـيرـهـ . وـكـانـتـ هـذـهـ أـمـوـرـ هـيـ أـسـسـ الـيـ قـامـ عـلـيـهـاـ الطـعـيـانـ ، وـأـمـاـ بـدـايـتـهـ فـكـماـ يـلـيـ : كـانـتـ النـظـرـيـاتـ الـيـ تـتـعـلـقـ بـالـفـلـكـ وـالـتـارـيخـ ، والـجـغـرـافـيـاـ ، وـغـيرـهـاـ مـنـ الـعـلـومـ الـطـبـيـعـيـةـ ، تمـثـلـ حـقـائـقـ قـطـعـيـةـ عـنـ رـجـالـ الـدـيـنـ ؟ـ لـوـجـودـهـاـ فـيـ الـكـتـابـ المـقـدـسـ ، وـلـكـنـ لـمـ ظـهـرـتـ نـظـرـيـاتـ عـلـمـيـهـ جـدـيـدةـ تـخـالـفـهـاـ أـدـرـكـ رـجـالـ الـدـيـنـ الـخـطـرـ الـذـيـ يـحـيـطـ بـكـيـاـهـمـ وـيـهـدـدـ عـرـشـهـمـ "ـالـقـدـسـ"ـ بـسـبـبـهـاـ ؛ـ لـأـنـ إـبـطـالـ نـظـرـيـةـ وـاحـدـةـ مـاـ وـرـدـ فـيـ كـتـابـهـمـ يـعـنيـ بـالـضـرـورةـ الـطـعـنـ فـيـ مـصـدـاقـيـتـهـ ، وـنـزـعـ الثـقـةـ عـنـ رـجـالـ الـدـيـنـ يـحـمـلـونـهـ ، وـلـأـجـلـ كـلـ هـذـهـ الـمـخـاطـرـ ؟ـ فـقـدـ قـرـرـتـ الـكـنـيـسـةـ أـنـ تـخـوـضـ حـرـبـاـ لـاـ هـوـادـهـ فـيـهـاـ ، وـتـتوـعـدـ بـالـوـيلـ وـالـثـبـورـ وـعـظـائـمـ الـأـمـوـرـ كـلـ مـنـ يـحـاـولـ مـسـاسـ بـحـقـائـقـهـمـ الـعـلـمـيـةـ الـمـقـدـسـةـ ، وـكـانـتـ أـهـمـ خـطـوـاتـ هـذـهـ الـمـعرـكـةـ مـاـ يـلـيـ : ١ - أـنـ فـهـمـ الـكـتـابـ المـقـدـسـ حـقـ يـحـتـصـ بـهـ رـجـالـ الـدـيـنـ ، وـلـاـ يـحـوزـ لـأـحـدـ أـنـ يـفـهـمـهـ إـلـاـ وـفـقـ فـهـمـهـ . ٢ - أـنـ الـحـقـائـقـ الـعـلـمـيـةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـكـوـنـ وـالـإـنـسـانـ لـيـسـتـ إـلـاـ مـاـ وـرـدـ فـيـ (ـالـكـتـابـ المـقـدـسـ)ـ ، وـيـحـبـ فـهـمـهـاـ بـحـسـبـ فـهـمـ رـجـالـ الـدـيـنـ لـهـاـ . ٣ - كـلـ مـنـ يـخـالـفـ ذـلـكـ مـهـرـطـقـ كـافـرـ يـحـبـ أـنـ يـذـوقـ الـعـذـابـ الـأـلـيمـ .

^(١) الذي ذُكر عنه أنه تلقى علومه اللاتينية في إفريقيا ثم انتقل إلى نيقوميدية وانصرف إلى التأليف ، وظل أستاذًا لها حتى اضطهاد سنة ٣٠٣ م ، ألف كتاباً في "خلية الله" و "المباديء الإلهية" و "غضب الله" وغيرها ، ولا يعلم تاريخ وفاته ، انظر : آباء الكنيسة ، أسد رستم ، ص: ١٩٠-١٩١ .

^(٢) قصة الحضارة ، ويل ديورانت : (١٥٨/١٢) .

بداية الطغيان :

بدأ هذا الطغيان متأخراً ، وكانت الكنيسة في بداية أمرها تعلم الناس أنَّ الأرض مركز الكون ، وأنَّها ثابتة ، وأنَّ الشمس وسائر الكواكب يدرن حولها ، وكانت هذه النظرية مبنية – بزعمهم – على ظواهر النصوص الواردة في التوراة ^(١) .

ولم تكن هذه النظرية في الحقيقة إلا من بقايا التراث الإغريقي ، وهي نظرية بطليموس ، ولكنها بسبب اعتناق رجال الدين لها ظلت قرونًا طويلاً تعشعش في عقول الناس على أنها حقيقة مسلمة لا يتطرق إليها شك ، واستمر الأمر على ذلك حتى القرن السادس عشر ، حيث سعى آباء الكنيسة إلى تعزيزها ، فهذا (القديس) كليمانت ^(٢) يقول : إن المذبح الذي يوضع عادة في الهيكل اليهودي إنما هو رمز للأرض وجودها في وسط الكون ^(٣) .

وقد ظل الأمر على ذلك حتى جاء العالم البولندي "نيقولا كوبنيكوس" ، وكان أستاذًا في روما وأكتشف أنَّ الشمس لا تدور من حول الأرض ، وإنما الأرض وبقية السيارات هن اللائي يدرن حول الشمس ، وقد أعلن نظريته المؤيدة لذلك عام ١٥٠٠ م ، وكان على يقين أن نشر فكرته – كما تكونت في عقله – أمر لا يخلو من خطر ماحق ، ولذا ظلت هذه الفكرة ثلاثة سنين حاثة في خلايا عقله ، وعقول أصحابه الذين أفضى إليهم سرًا بما يدور في عقله من الحق الثابت .

ولما أتم كتابه "الأجرام السماوية" عهد به إلى "أوسباندر" في "نورمبرج" ، غير أنَّ الأخير لم يستطع أن ينشر الفكرة الجديدة ، فكتب مقدمة للكتاب اعتذر فيها عن كوبنيكوس ، وقال : إنَّه لم ينشر المذهب على أنه الحقيقة ، بل على أنه مجرد نظرية تخيلية لا غير ، ولم تأت النسخة الأولى من الكتاب لكونيكيوس ، إلا وهو على فراش الموت حيث كان أسرع إليه من وصول محكمة التفتيش ^(٤) .

^(١) انظر : بين الدين والعلم ، أندرو دكسون وايت ، ص: ٣٣ .

^(٢) يسمى أيضًا كليميننس الإسكندرى ، ولد سنة ١٦٠ م ، ودرس الفلسفة والأسفار النصرانية ، وسافر إبان اضطهاد القيسار ساويروس عام ٢٠٢ م إلى أورشليم وأنطاكية ، من أهم كتبه التي بقيت إلى اليوم "دعوة للأمم الوثنية إلى عبادة الإله الحق" و "المرشد" و "المترفقات" . انظر : تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطي ، ص: ٧١-٧٢ .

^(٣) انظر : بين الدين والعلم ، أندرو دكسون وايت ، ص: ٣٤ .

^(٤) انظر : المصدر نفسه : (٤٤-٤٦) .

٢ - ثم جاء بعد ذلك العالم "جيورданوا برونو" ، وأثبتت صحة نظرية كوبرنيكوس ، فقبضت عليه محكمة التفتيش ، ولما أصر على رأيه أصدرت المحكمة حكمها بقتله ، على ألا تراق قطرة من دمه ، وقدم إلى النار حياً ، ثم أُحرق حتى يكون عبرة لمن أراد أن يعتبر ! ^(١) .

٣ - بعد ذلك جاء العالم الإيطالي الشهير "جاليلو" ، وأثبتت - عن طريق التلسكوب - صحة نظرية كوبرنيكوس ، فقام ضده علماء "التعليم السلمي" ^(٢) ، وقالوا : إن مكتشفاته لم تكن إلا خداعاً ، وأن تعاليمه تحريف وكفر بالله ، ثم قام الآباء "ملشوار أنخوفر" وأعلن : أن القول بحركة الأرض أسف ضروب الهرطقة ، وأكبرها إثما ، وأشدتها في الدين قدحاً ، وأقذعها قذفاً ، وأن ثبات الأرض معتقد مقدس ثلاثة ، وأن البرهنة على فناء النفس الإنسانية ، وعدم حلودها ، وإنكار وجود الله ، وامتناع التجسد أشياء يمكن أن تسامح فيها ، قبل أن يتسامح في أن الأرض تتحرك . ولكن جاليلو استمر في الدفاع عن نظريته ، ونشر رسالة بعنوان "المحاورة" فلاقت نجاحاً باهراً في سائر أوربا ، فما كان من البابا "إربان الثامن" ^(٣) إلا أن وضع جاليلو وكتابه بين يدي محكمة التفتيش ، فقامت المحكمة بسجنه وتعديه ، ثم أحبر على أن يعلن جائياً على ركبته الاعتراف الآتي : « أنا جاليلو ، وفي السبعين من عمري . سجين جاث على ركبتي ، وبحضور فخامتك ، وأمامي الكتاب المقدس الذي أمسه الآن بيدي ، أعلن أنني لا أشایع ، بل أعن واحتقر خطأ القول ، وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور » ^(٤) .

الطغيان يشمل كل أنحاء أوربا :

توسعت دائرة طغيان الكنيسة بزيادة أساليب البحث العلمي ، وتطور وسائله ، والتي أصبحت تكتشف يوماً بعد يوم من الحقائق ، ما يُلقي بعين الارتياب إلى كل ما قررته الكنيسة من مسائل علميه سابقة ، ولقد بدأ صوت المشاهدة والتجربة عند العلماء يعلو شيئاً فشيئاً فزادت بذلك ضراوة الحرب التي أعلنتها الكنيسة ، أصبحت أوربا مسرحاً لها .

^(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، أ.د محمد مزروعة ، ص: ٧٤

^(٢) يقصد هم العلماء الذين خضعوا للكنيسة الكاثوليكية ولم ينشروا إلا ما وافق تعليمها - أو تعليماتها - .

^(٣) اسمه مايو بربريني تولى البابوية في الفترة (١٦٢٣-١٦٤٤م) ، وترامت بابويته مع ترسيخ الملكية المطلقة في فرنسا

، له ميل أدبية حيث كتب قصائد أدبية باللاتينية والإيطالية . انظر : معجم البابوات ، خوان دايو ، ص: ٢٥٢ .

^(٤) بين الدين والعلم ، أندرو دكسون ، وايت ، ص: ٧٩ - ٨٠ .

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره د. توفيق الطويل ، ومنه ما يلي :

١- في النصف الثاني من القرن السادس عشر قام (John Baptist) بآبحاث علمية قيمة ووضع كتاباً في علم الظواهر الجوية ، يُعد أول بحث في هذا الموضوع ، وفي مجال الكيمياء اهتدى إلى طريقة تحويل الأكاسيد المعدنية ، فوضع بذلك أساس الكثير من الصناعات التي درت على الإنسانية الخير الوفير ، ولكن ضاقت به السياسة الإكليريكيّة ، وانحلت جمعيته التي أنشأها لخدمة البحث العلمي ، واستدعاءه البابا بولس الثالث^(١) إلى روما ، وحرّم عليه مواصلة أبحاثه .

٢- في فرنسا عرفت باريس عام ١٦٢٤ م طائفة من الشبان العلماء المشغولين بمنهج البحث التجريبي ، ولكن برلاتها قرر مسقاً بمساعي رجال الكهنوت تحريم المباحث الكيميائية الجديدة ، وأنذر من لا يذعن لقراره بعقوبات صارمة .

٣- في إيطاليا نُضِّر رجال الإكليريوس لمقاومة البحث العلمي ، ومطاردة رجاله فأكاديمية البحث الطبيعي التي أنشأها تليزيو في نابولي عام ١٥٦٠ م ، أثارت فزع الإكليريوس ، فسارع إلى القضاء على الجهود العلمية المشتركة ، فلم تظهر الجمعيات العلمية في أوروبا بعد ذلك إلا بعد مضي ما يقرب من مائة عام .

ومن خلال العرض السابق يتبيّن حجم الطغيان الذي مارسته الكنيسة ضد العلماء ، حتى تطور الأمر ، وأصبح الطغيان ضد العلم ذاته ، وإن لم يكن معارضًا لتعاليم الكنيسة . وقد ذكر كتاب النصارى صوراً عديدة من ذلك الطغيان ، ومنها :

ذكرت الكاتبة هيلين إيليربي عن جنائية الكنيسة على العلم ما نصه : « وكان للكنيسة المسيحية تأثير ضاغط مشابه على العلم والتعليم ، فقد أحرقت الكنيسة كميات هائلة من الكتب ، ففي عام ٣٩١ م ، أحرق (المسيحيون) واحدة من أعظم مكتبات العالم في الإسكندرية ، التي قيل إنها احتوت على سبعمائة ألف مدرج مخطوط وأغلقت أكاديميات التعليم القديمة ، وصار التعليم بالنسبة إلى أي واحد خارج الكنيسة ، أمراً متھيًّا ، والثقافة القليلة التي بقيت خلال عصور الظلام ، بقيت حكراً على رجال اللاهوت ، وأدان

^(١) هو إسكندر فارنيزي ، تولى البابوية في الفترة (١٥٣٤-١٥٤٩) ، وبasher عملية الإصلاح الكسيي عندما دعا إلى عقد مجمع في ترنتو . انظر : معجم الباباوات ، خوان دائيو ، ص: ٢١٣-٢١٤

غريغوري الكبير^(١) أيضاً التعليم ، وطالب بعدم تقديمه للجميع باستثناء رجال اللاهوت فقط ، لأنَّ تقديمه إلى الجميع حماقة وشorer ، ومنع العلمانيين حتى من قراءة التوراة ، وتولى أمر إحراق مكتبة ابواللو البلاطيني خشية أن تضلل آدابها غير اللاهوتية المؤمنين وتبعدهم عن التفكير بالسموات »^(٢) .

وذكر د. توفيق الطويل لوناً آخر من ألوان الطغيان فقال : « بعد ظهور الطباعة في القرن الرابع عشر حيث كان ظهور الطباعة سبيلاً في انتشار الآراء ، فنشط رجال الإكليلوس لمراقبة المطبوعات ، وأصدر البابا اسكندر الخامس أمراً بابوياً عام ١٥٠١ ، ينذر فيه بعقاب من يقدم على طبع شيء لم يصرح بطبعه ، وقرر الملك هنري الثامن عقوبة الإعدام جزاء الطبع من غير إذن رسمي ، وأدخلت ألمانيا الرقابة على المطبوعات منذ عام ١٥٢٩ ، وكان لوثر - إضافة إلى بيركان في فرنسا - أول ضحايا تلك الرقابة ، وكانت الكتب لا تطبع في إنجلترا في عهد إليصابات من غير ترخيص ، ولا يرخص بوجود مطبع إلا في لندن وأكسفورد وكمبردج ، وتتولى الإشراف على المطبوعات محكمة النجمة »^(٣) .

وكان الأمر المروع الذي جلل بالعار التاريخ النصراني ما عُرف باسم محاكِم التفتيش ، وسأتحدث عن تاريخها كما يلي :

١ - كانت الكنيسة قبل اتحادها بالدولة الرومانية تعاقب على ما يسمى بالهرطقة وغيرها من الجرائم بالحرمان فقط ، ولكن بعد ذلك بقليل تقررت عقوبة الإعدام ، ويقال إن أول من اعتبر الهرطقة جريمة هو الإمبراطور الروماني ثيودسيوس ، وكان المفتشون في ذلك الوقت من العلمانيين المعينين من قبل أمراء الدولة ، ثم جاء بعده جستينيان^(٤) عام ٥٢٩ وأصدر قانوناً جنائياً ضد الهرطقة ، ولا زالت الإجراءات تزداد شدة مع تعاقب

^(١) هو غريغوريوس الأول الكبير عاش في الفترة (٦٠٤-٥٩٠) ، وقام بإصلاحات في الكنيسة وكتب شروحًا على الكتب المقدسة عند النصارى . المصدر السابق ، ص: ٤٣-٤٥ .

^(٢) الجانب المظلم من التاريخ المسيحي ، ص: ٦٠ .

^(٣) قصة الصراع بين الدين والفلسفة : (١٧٤-١٧٥) ، وتاريخ الرقابة على المطبوعات ، روبرت نيتز ، ص: ٢٣ .

^(٤) إمبراطور بيزنطي ، تولى الحكم في الفترة (٥٢٧-٥٦٥) ، ولد عام ٤٨٢ بالقرب من سردبما - مدينة صوفيا الحالية - ثم جاء به عممه إلى القسطنطينية ثم خلف عمه على عرش الإمبراطورية . انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢٠٧-٢٠٩) .



القرون ، حتى جاء القرن الثالث عشر ، حيث تم إنشاء محكمة التفتيش رسمياً ، وأصبحت محكمة جنائية مهمتها تعقب المراطقة ، ومحاكمتهم^(١) .

٢ - في عام ١٢٢٩ م ، صدر في عهد البابا غريغوري التاسع^(٢) قانوناً يعد القاعدة الأساسية للإجراءات المعتمدة فيمحاكم التفتيش ، وقد جاء فيه ما يلي :

- تعيين كل أبرشية لجنة مكونة من رجل دين ومن علمانيين أو ثلاثة يتمتعون بالسيرة الحسنة ، وتتكلف بالبحث عن المراطقة ، وإبلاغ الأسقف أو سيد المنطقة عنهم .

- يجب على الأسياد البحث عن المراطقة ، والأخذ العقوبات بحق المهملين ، وبحق كل مواطن يساعد هرطوقاً .

- تم التأكيد على أنه يمكن البحث عن المراطقة في كل مكان ، وأنه يتوجب على القضاة المحليين أن ينصاعوا لهذا البحث .

- ولئلا يعقوب البريء عوضاً عن المذنب ، أمر المجتمع بـ لا يحكم على أحد بالهرطقة إلا إذا كان قد حكم عليه أسقف المنطقة ، أو أحد المسؤولين الكنيسين من يتمتعون بهذه السلطة^(٣) .

٣ - في عام ١٢٣١ م ، أقام البابا غريغوري التاسع محاكم التفتيش ، وجعلها بمثابة محاكم عرفية منفصلة ، ومستقلة عن الأساقفة ورجال الكنيسة . حيث بات القضاة التفتيشيون مسؤولين فقط أمام البابا^(٤) .

وهكذا انتشرت هذه المحاكم في الولايات الإيطالية ، ثم فرنسا وأسبانيا وبقية المالك التابعة للبابوية .

^(١) انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرولمر ، ص: ٣٤٩ ، معالم تاريخ الإنسانية ، هـ ٠ ج ٠ ولز : (٩٠٨/٣).

^(٢) توقي البابوية في الفترة (١٢٢٧-١٢٤١ م) ، وجرت بينه وبين الإمبراطور فريدريك حروب انتهت بمعاهدة "سان جرمان" عام ١٢٣٠ م ، ولكن المعاهدة لم تستمر فاندلعت الحرب بينهما مرة أخرى ، وفي عهده جرت معركة ليفينيتو التي طرد فيها المغول من أوروبا ، ووضع غريغوريوس الأسس لجامعة باريس محدداً بدقة علاقتها مع الحكومة .
انظر : معجم البابوات ، خوان داثيو ، ص: ١٢٤-١٢٦ .

^(٣) انظر : محاكم التفتيش ، غي تستاس - جان تستاس ، ص: ١٥،١٦ ، والمؤلفان متخصصان في تاريخ أسبانيا ، وانظر كذلك : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرولمر ، ص: ٣٤٦ .

^(٤) انظر الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، هيلين إيليري ، ص: ٩٤ .

ويكفي بشيء من الاختصار ذكر أهم الأمور المتعلقة بالمحكمة ، مما يتعلق بالقضية أو المتهمين أنفسهم ، وذكر أهم الإجراءات والعقوبات حيال من تسميهم المحكمة بالهرطقة .

أولاً : ما يتعلق بالقضية :

- ١ - يعد رؤساء محاكم التفتيش قضاة ومعدبون في نفس الأمر .
- ٢ - على القاضي أن يتوصل إلى القرار بشأن المتهم مع جمع من الخبراء من اختياره .
- ٣ - تم إهمال الأمر السابق ، ولم يعد هناك ما يضبط سلطة القاضي .
- ٤ - يتم اختيار القاضي بناءً على مدى غيرته ولهفته لتعذيب الهرطقة ، وقمعهم .
- ٥ - يُسمح للقاضي ، ومساعديه ، ورسله ، وجواسيسه بحمل الأسلحة .
- ٦ - منح البابا القاضي الحق في تحليل مساعديه من جريمة أي عنف يقترفوها .
- ٧ - أصبحت المحاكم غير محاسبة حتى أمام المحاكم العرفية الكنسية .
- ٨ - تستولي المحكمة على جميع الأموال العائدة على المتهمين بالهرطقة بمجرد اتهامهم دون انتظار ثبوت التهمة .

٩ - أطفال المتهم إذا لم يتقدموا ، ويصلوا بصورة تلقائية لشجب آبائهم يتركون مفلسين بلا مال .

- ١٠ - طال اهانة المحاكم حتى الأموات (الهرطقة) في قبورهم .
- ١١ - في بعض الحالات أخرج المتهمون بالهرطقة من قبورهم ، وبعضهم أخرج بعد أكثر من سبعين سنة من قبره ، ثم أحرقت عظامهم ، وصودرت جميع أملاك الورثة .

ثانياً : ما يتعلق بالتهم :

- ١ - القاعدة في الاتهام أنَّ "المتهم مدان حتى تثبت براءته" ، وليس العكس .
- ٢ - ليس أمام المتهم إمكانية لإثبات براءته .
- ٣ - المتهم محروم من حق الاستشارة .
- ٤ - مجرد وجود صدقة – ولو مشكوك فيها – مع المدان تُعد جريمة أخرى .
- ٥ - أسماء الشهود على الاتهام تبقى سرية .
- ٦ - كان السبيل الوحيد أمام المتهم هو تقديم التماس إلى البابا في روما .

٧- ليس هناك مجال للدفاع عن المتهم ، وقد أعلن الراهب برنارد ديلبس^(١) أنَّ « لو أنَّ القديس بطرس ، والقديس بولس أكُما بعبادة هرطقيَّة ، وجرى تقديمهما وقمعهما ، وفقاً لحكمة التفتيش وطريقتها ، سوف لن يكون مفتوحاً أمامهما سبيلاً للدفاع »^(٢) .

ثالثاً : أهم إجراءات المحكمة :

١- **زمن المغفرة** : كان المفتشون يدعون الذين يشعرون أنهم ارتكبوا الهرطقة في خطبة رسمية للممثل أمام القضاء ، في مدة تتراوح من نصف شهر إلى شهر ، تسمى زمن المغفرة ، وكان المعترض في هذه الفترة يعفى من العقاب ، أو يعاقب عقوبة خفيفة ، بحسب قناعة القاضي ، وبعد انتهاء الفترة يتم استدعاءه عن طريق الكاهن ، وفي حالة الرفض يحكم عليه غيابياً ، ويعرض لعقوبة "الحرم" المؤقت ، وبعد عام يتول به الحرمان النهائي .

٢- **التحقيق** : يمثل المتهم بعد سجنه أمام المحكمة ، وتوجه إليه التهم ، ويسمح له بالكلام ، ثم يدعوه القاضي للقسم على الأنجليل ، ويجوز للقاضي استخدام كافة الحيل الممكنة لنيل الاعتراف من المتهم ، وكان وجود شاهدين كافياً لإصدار الحكم .

٣- **الإكراه والتعذيب** : إذا أصر المتهم على عدم الاعتراف كان بمقدور القاضي اللجوء إلى جميع وسائل الإكراه من التجويع ، والحرمان من النوم ، والسجن ، وكانت العقوبات تبدأ من الجلد ، ثم التعليق على منصة التعذيب ، والتعذيب بالموي^(٣) ، ثم بالجمر المتاجج ، وهذه العقوبات - جميعها - من أجل انتزاع الاعتراف ، وليس حكماً نهائياً .

٤- **إصدار الحكم والعظة العامة** : لا يتم إصدار الحكم إلا بمساعدة رئيس الأبرشية ، التي يتميِّز إليها القاضي ، ويحدد من خلال جلسة تدعى "العظة العامة" ويعقد لأجل ذلك احتفال يكون في يوم الأحد ، ويحضره القضاة ، والضباط الملكيون ، ورجال الدين ، وسائر الشعب ، وكانت تنصب في الساحة العامة أو أمام الكنيسة منصة كبيرة من أجل أن يتمكن الشعب من رؤية المتهمين ، وفي الصباح يقوم قاضي التفتيش الأول بقراءة خطبة ، ثم يأتي بعد ذلك إعلان الإعفاءات المنوحة ، حيث يقوم الحکومون باستئثار خطاباتهم ، ويصلون

^(١) لم أقف له على ترجمة .

^(٢) الجانب المظلوم ، هيلين إيلري ، ص: ٩٤ .

^(٣) طريقة في التعذيب والقتل ، حيث تربطي بيدي المتهم وراء ظهره ، ثم يرفع إلى أعلى ، ثم يترك ليسقط على الأرض أو في البحر .

وهم جاثون على ركبهم ، ثم ترفع عنهم عقوبة الحرم "المؤقتة" ، وبعدها تتلى العقوبات المتخذة بحق المراطقة بدءاً بالعقوبات الخفيفة ، وانتهاءً بالعقوبات الأشد قسوة .

٥ - الأحكام : كانت أشد العقوبات تدور بين مصادرة الأموال ، والسجن ، وعقوبة الإعدام ، ثم هناك عقوبات أخرى أقل درجة منها ، وهي عقوبة الجلد ، أو الحج ، ولم يظهر إلا متاخرأً ، وهدم المنازل ، ونبش جثث الموتى ^(١) .

تعقيب :

١ - إن مجرد عرض هذه الصور كافٍ في بيان مدى الطغيان الذي قامت به الكنيسة نحو أتباعها مما لم يعرف التاريخ لها مثيلاً . ومع ذلك انتقد النصارى أنفسهم هذا الطغيان ، ومن ذلك :

وصف أندرولمر لهذا الطغيان بقوله : « أسوأ الأعمال ، وأفجر الطغيان ، وأفضع العالم البشرية ، وأقساها مما لم تسود به صفحة من صفحات التاريخ قاطبة » ^(٢) .
ويقول الكاتبان غي تستاس وجان تستاس : « يمكننا اهتماممحاكم التفتيش بالضراوة دون أن نلقى معارضة تذكر » ^(٣) .

أما الكاتبة هيلين إيليري فقد ألفت كتاباً عن الجانب المظلم في التاريخ النصراني ، وعقدت فصولاً عن طغيان الكنيسة ، ثم عقدت فصلاً خاصاً عن جرائم محاكم التفتيش ، وما ذكرته في هذا الكتاب : « لم يكن هناك جهد منظم من قبل أي ديانة للتحكم بالناس ، ولا احتواء روحانياتهم أقوى من محاكم التفتيش (المسيحية) » ^(٤) .

٢ - لقد كان طغيان الكنيسة على درجة كبيرة من البشاعة ، وأبغض ما فيه أمران :
الأمر الأول : أن كل هذا الطغيان كان يمارس باسم الدين ، والدفاع عنه ، وقد مارسه رجال الدين مستغلين ما جعلوه لأنفسهم - من القدس في نفوس أتباعهم - الذين كانوا في المقابل على درجة كبيرة من السذاجة والجهل - في استباحة كل صور الطغيان ، بل إنهم استخرجوا من كتابهم المقدس عندهم ما يرون أنه حجة لهم في كل ما يقومون به

^(١) انظر للمزيد من التفصيل : محاكم التفتيش ، غي تستاس - جان تستاس : (٣٩-٥٣) .

^(٢) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص: ٣٤٧ .

^(٣) محاكم التفتيش ، ص: ٣٩ .

^(٤) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، ص: ٩١ .

من الطغيان ، ومن أعجب الأدلة التي استدلوا بها على ما قاموا به من التعذيب ، ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين ، حيث جاء فيها ما يلي : « إن مست الجبل بحمة ترجم أو ترمى بسهم » ^(١) . وقد فسروا هذا النص كما يلي :

البهائم : هم الناس ، بسبب جهلهم .

الجبل : هو كلمة الله .

والمعنى : إن تجاهل الناس على كلمة الله فلا بد من قتلهم في الحال .

وهكذا لم يعجز النصارى عن تأويل النصوص الواردة في كتبهم لتفق مع ما يستبيحونه من الأفعال ، ويكون عملهم شرعاً ، بل يكونون منفذين لأوامر الله !

والأمر الثاني : هو أنَّ هذا التعذيب لم يوجه لمن يستحق – وإن كنا لا نرى أن أحداً يستحق العذاب بهذه الصورة البشعة - من أهل الفسق والفحور والبغى على الناس ، فيكون عند ذلك رادعاً لهم ، وسبباً في تطهير المجتمع منهم ، ومن أمثالهم ، ولكنَّه قد وجه لصفوة الناس ، وربما أشرافهم ، من يتقدم المجتمع على أيديهم ، وهنا نلمس الفرق الكبير بين هذا الموقف ، وبين موقف الإسلام ، الذي هو على التفاصي من ذلك ؛ فقد أعطى العلم قدره ، حتى جعل للعام المجتهد أجراً ، ولو كان مخططاً ، إذا كان مخلصاً في نيته ، ومتحررياً للصواب ومستخدماً وسائل الاجتهاد الصحيحة .

٣- إنَّ هذا الطغيان يتعارض مع أعظم المباديء التي دعا إليها المسيح عليه السلام نفسه – فيما نسب إليه – حيث كانت تدعوه إلى التسامح مع العدو فضلاً عن الصديق ، فضلاً عن العالم المحسن إلى المجتمع بأسره .

٤- أنَّ هذا الطغيان رغم كل ضراؤته لم يحقق إرادة الكنيسة التسلطية – على المدى البعيد – بل كان في الحقيقة الفتيل الذي أشعل نار المقاومة ضدّها من كل جانب .

النوع الخامس: الطغيان ضد العقل :

يقصد بهذا الطغيان ، ما قامت به الكنيسة ضد كل رأي يخالف رأيها بصرف النظر

عن أي اعتبار لهذه المخالفة .

^(١) الرسالة إلى العبرانيين : (٢٠/١٢) .

وَكَمَا ارْتَكَبَتِ الْكُنِيْسَةُ طُغْيَانًا ضِدَّ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي نَفْسِ الْخَطَأِ فِي طُغْيَانِهَا ضِدَّ كُلِّ رَأْيٍ يُخَالِفُ رَأْيَهَا ، وَكَانَتِ الْأَسْبَابُ الْثَلَاثَةُ الَّتِي نَشَأَ مِنْهَا الطُغْيَانُ ضِدَّ الْعِلْمِ هِيَ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَقَامَتْ عَلَيْهَا طُغْيَانًا ضِدَّ كُلِّ رَأْيٍ يُخَالِفُ رَأْيَهَا ٠

وَقَدْ كَانَ فِي دِينِ الْكُنِيْسَةِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْطَّقْوَسِ مَا يُخَالِفُ بَدَاهَةَ الْعُقُولِ ، وَطَبَاعَ الْأَشْيَاءِ ، وَكَانَ أَمَامُ الْكُنِيْسَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ أَنْ تَعُودَ إِلَى نَفْسِهَا ، وَتَرَاجِعَ أَمْرُ دِينِهَا ، أَوْ تَسْتَجِيبَ لِنَدَاءِ الْعُقْلِ نَفْسَهُ الَّذِي يَعْجَزُ عَنْ فَهْمِ هَذِهِ الْعَقَائِدِ وَالْطَّقْوَسِ فَضْلًا عَنْ قَبْوَهَا وَالْاطْمِئْنَانِ إِلَيْهَا ، وَلَكِنَّهَا أَعْرَضَتْ عَنْ هَذَا الْخِيَارِ ، وَمَضَتْ قَدْمًا فِي طَرِيقِ الطُغْيَانِ ٠

وَقَدْ أَكَدَ الْمُؤْرِخُ "وِيلْزُ" ، إِدْرَاكُ رِجَالِ الدِّينِ مُنَاقِضَةَ الْكَثِيرِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْطَّقْوَسِ النَّصَارَى لِلْعُقْلِ ، الْأَمْرُ الَّذِي جَلَبَ لِأَتَبَاعِهِمُ الْحَيْرَةَ وَالْقُلْقُلَ ، وَمَا قَالَهُ فِي هَذَا الشَّأنَ : « وَنَظَرًا لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ (الْقَسَاوَسَةُ) كَانُوا عَلَى الْأَرْجَحِ يُسْرُونَ الرِّيَاهَ فِي سَلَامَةِ بَنِيَّانِ مِبَادِئِهِمُ الضَّخْمُ الْحَكْمُ ، وَصَحْتَهُ الْمُطْلَقَةُ ، لَمْ يُسْمَحُوا بِأَيِّ مُنَاقِشَةٍ فِيهِ ٠ كَانُوا لَا يَحْتَمِلُونَ أَسْئَلَةً ، وَلَا يُسَامِحُونَ فِي مُخَالَفَةٍ ، لَا لِأَنَّهُمْ عَلَى ثَقَةٍ مِنْ عَقِيْدَهُمْ ، بَلْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا غَيْرَ وَاثِقِيْنَ مِنْهُمْ ٠ وَكَانُوا يَرِيدُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ موافِقَتَهُمْ عَلَى رَأْيِهِمْ لِأَسْبَابٍ تَعْلَقُ بِالسِّيَاسَةِ »^(١) ٠

وَهَذَا النَّصُ يَرْبِطُ بَيْنَ مَا تَمَارِسَهُ الْكُنِيْسَةُ مِنْ طُغْيَانٍ ضِدَّ الْعُقْلِ ، وَبَيْنَ السَّبِيلِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَدْفَعُهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَهُوَ عَدَمُ سَلَامَةِ بَنِيَّاهُمْ ، الَّذِي يَعْنِي عَدَمُ صِحَّةِ الْعَقَائِدِ الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا ذَلِكُ الْبَنِيَّانُ ٠ بَلْ ذَكَرَ هَذَا الْمُؤْرِخُ أَكْثَرًا مِنْ ذَلِكَ ، حِيثُ قَالَ : « وَقَدْ تَجَلَّ فِي الْكُنِيْسَةِ عِنْدَمَا وَافَ الْقَرْنُ الْثَالِثُ عَشَرُ مَا يَسَاوِرُهَا مِنْ قُلْقٍ قَاتِلٍ حَوْلَ الشَّكُوكِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي تَنْخُرُ بَنَاءَ مَدْعِيَّاهَا بِأَكْمَلِهِ ، وَقَدْ تَجْعَلُهُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ ٠ فَلَمْ تَسْتَشِعِرْ أَيِّ اطْمِئْنَانٍ نَفْسِيٍّ ٠ وَكَانَتْ تَتَصَيِّدُ الْهَرَاطِقَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، كَمَا تَبْحَثُ الْعَجَائِرُ الْخَائِفَاتِ – فِيمَا يَقَالُ – عَنِ الْلَّصُوصِ تَحْتَ الْأَسْرَةِ ، وَفِي الدُّوَالِبِ قَبْلَ الْهَجَوْعِ فِي فَرَاشَهَنْ »^(٢) ٠

وَهَذَا النَّصُ يَبْيَنُ لَنَا مَدْىَ الْخَطَرِ الَّذِي كَانَ يَحْدُقُ بِالْكُنِيْسَةِ بِسَبِيلِ شَكُوكِ الْأَتَبَاعِ فِي مَعْقَدَاتِهَا ، حَتَّى أَصْبَحَتْ بِسَبِيلِ ذَلِكَ فِي قُلْقٍ قَاتِلٍ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى خَرَابِ الْبَنِيَّانِ الَّذِي قَامَتْ عَلَيْهِ النَّصَارَى مِنْ أَصْلِهَا ٠ وَيَفْسِرُ السَّرِّ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي قَامَ بِسَبِيلِ ذَلِكَ الطُغْيَانِ ٠

^(١) مَعَالِمُ تَارِيخِ الإِنْسَانِيَّةِ : (٩٠٣-٩٠٢/٣)

^(٢) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ : (٩٠٣/٣) ٠

ثم ذكر مثلاً خاصاً على ذلك ، وهو مناقضة عقيدة ألوهية المسيح للعقل ، فقال : « إنَّ ميراثاً من لاهوت معتقد قائم على الاعتقاد الختمي (Dogma) ، قد أثقل كاهل الكنيسة في مغامراها الطموحة . كان لديها من اللاهوت ما تجاوز الغاية ، ومن الدين ما دون الكفاية » ^(١) .

وهذا تأكيد على أنَّ ألوهية المسيح أمر في غاية التعقيد ؛ لأنَّ العقل لا يقبلها ، وهو ما منع الكنيسة من تحقيق طموحها ، وحصوها على السلطة الكاملة على أتباعها .

صور من طغيان الكنيسة :

لما أيقنت الكنيسة بخواصها القائم على هذه العقائد المناقضة للعقل والمنطق السليم ، ولما كان السؤال حولها قائماً وملحاً ، لم تر الكنيسة أمامها إلا أن تستخدم سلطانها ، وتفرض قوتها ، على الأتباع لتصد تلك الأسئلة الحائرة ، وتسكت الأفواه ، التي تطلب بلسان الحال جواباً تطمئن إليه نفوسهم ، وكانت أهم صور ذلك الطغيان ما يلي :

- ١ - أوجبت الكنيسة على أتباعها أن يدعوا أمر توجيههم إليها وحدها .
- ٢ - منعت حق قراءة الكتاب المقدس عندها ، إلا بترخيص منها .
- ٣ - أوجبت على أتباعها ، أن يقبلوا عقائدها ، بلا نقاش ؛ لأنها أمور موحى بها .
- ٤ - جعلت فهم هذه العقائد مقيداً بفهم الكنيسة ، الذي يملئ رجاحها .
كانت الأمور السابقة تتعلق بالجانب النظري التشعيري ، ولكن الكنيسة لم تكتف بذلك ، بل راحت تسن من العقوبات ضد من تسميهم بالهرطقة ما يكون كفياً بإعادتهم إلى حظيرة الإيمان أو تلحق بهم اللعنة الأبدية ، مع ما تدخره لهم من ألوان العذاب .
وقد كانت هذه العقوبات متفاوتة ليس لها ضابط إلا إيقاع أشد أنواع العذاب على من يخالف رأيها ، ويصبح في عداد المهرطقين ، ولا زالت هذه العقوبات تزداد وتطور ، حتى نشأتمحاكم التفتيش في القرن الثالث عشر .

يقول البابا إنسونت الثالث : « إنَّ أي إنسان سوف يحاول بناء رأي شخصي عن رب يتعارض مع عقيدة الكنيسة يعني حرقه من دون شفقة » ^(٢) .

^(١) المصدر السابق : (٩١٥/٣).

^(٢) الجانب المظلم من التاريخ المسيحي ، هيلين إيليري ، ص: ٩٢ .

وهكذا كانت زراعة الكنيسة بعقول أتباعها ، وهي لم تفرق في طغيانها بين ما ينبغي منع العقل من التفكير فيه ، مما لا سيل للعقل في الوصول إليه أصلاً ، مثل أمور الغيب ونحو ذلك ، وبين ما يكون التفكير فيه سبباً لإيمان أو لزيادته ، كالتفكير في مظاهر قدرته في الكون ، وأحكام الشريعة ، ونحو ذلك ،

وفي الوقت الذي تحظر فيه الكنيسة التفكير في أي شيء ، بحد الدين الصحيح ، يبحث على التفكير ، و يجعله سبب الإيمان ، وطريق التقدم ، والسبيل الأمثل للرقي والحضارة .



المبحث الثاني
فساد الكنيسة
وفيه مطلبان
المطلب الأول : شهادات المؤرخين النصارى على فساد رجال الدين
المطلب الثاني : أساليب فساد رجال الدين



المطلب الأول : شهادات المؤرخين النصارى على فساد الكنيسة

الذين يعلمون الناس أمر دينهم ، ينبغي أن يكونوا أحسن الناس ديناً ، وخلقًا، وأبعدهم عن التعلق بـمطامع الدنيا فضلاً عن شهوتها ورذائلها ، وبالجملة : ينبغي أن يكونو القدوة الصالحة فيما يأمرؤن به ، ويدعون الناس إليه ؛ لأن وجود هذه الصفات أدعى لتصديقهم فيما يقولون ، واتباعهم فيما يأمرؤن ، وعدم الريبة في كونهم يقصدون بدعوتهم أمراً من أمور الدنيا .

وكان رجال الدين النصارى يدعون إلى كثير من الفضائل والأخلاق ويحثون على التمثل بها ، ومن ذلك دعوتهم إلى الزهد في الدنيا ، ونبذ الغنى ، وكانت أقوالهم تحت على الانقطاع للآخرة ، وتدعوا إلى كمال العفة ، والتبتل ، وابتدعوا من أجل ذلك رهبانية ، لم يرعوها حق رعايتها .

ولكنَّ واقع رجال الدين لم يكن موافقاً للحال الذي يدعون إليه ، بل أصبحوا - شيئاً فشيئاً - على التقىض مما يدعون ، وبلغوا من الفساد ما جلل تارixinهم بالعار ، وقد أصبح فسادهم أحاديث تسير بها الركبان ، ومنهلاً تُسود به كتابات أدبائهم ، وتنسج منه أشهر روایاتهم .

وسوف أتحدث في هذا العرض عن واقع هذا الفساد من خلال أقوال مؤرخيهم ، لنخرج بصورة واضحة ، ومحددة عن ذلك .

وقد عقد المؤرخ ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة باباً عن فساد رجال الدين وعنوان : "أخلاق رجال الدين" ، وما قاله في ذلك :

« ولقد كان في وسع الكنيسة أن تحفظ بحقوقها القدسية المستمدّة من الكتب المقدّسة العبرية ، والتقاليد المسيحيّة لو أنَّ رجالها تمسّكوا بأهداف الفضيلة والورع .

وانتشرت في جميع أنحاء إيطاليا المستشفيات ، وملاجيء اليتامي ، والمدارس ، وبيوت الصدقات ، ومكاتب القرض ، وغيرها من المؤسسات الخيرية التي يديرها رجال الدين .



وكان بين هذا التقى والورع كثیر من التراخي في الأخلاق بين رجال الدين نستطيع أن نتبه بهما نضر به من مئات الأمثال . فها هو ذا بترارك^(١) نفسه الذي يقى مخلصاً للدين المسيح ، إلى آخر أيام حياته والذي صور ما في دير الكرثوزيين ، الذي كان يعيش فيه أخوه من نظام وتقى في صورة طيبة مستحبة ، ها هو ذا يندد أكثر من مرة بأخلاق رجال الدين المقيمين في أفينيون . وأن الحياة الخلية التي يحييها رجال الدين الإيطاليون ، والتي نقرأ عنها في روایات بوکاتشيو^(٢) المكتوبة في القرن الرابع عشر إلى روایات فلتتشيو^(٣) في القرن الخامس عشر ، إلى روایات بندتيلو^(٤) في القرن السادس عشر ، إن هذه الحياة الخلية موضوع يتكرر وصفه في الأدب الإيطالي ، فهو كاتشيو يتحدث عما في رجال الدين من دعارة ، وقدارة ، من انغماس في الملذات طبيعية كانت أو غير طبيعية . ، ووصف ماستتشيو^(٥) الرهبان والإخوان بأنهم "خدم الشيطان" ، منغمضون في الفسق واللواط ، والشره ، وبيع الوظائف الدينية ، والخروج على الدين ، ويقر بأنه وجد رجال الجيش أرقى خلقاً من رجال الدين .

ويبدو أن الراهبات ، ملائكة الرحمة في هذه الأيام كان لهن نصيب من هذا المرح ، أو أنهن كن مرحات رشيقات في البندقية بنوع خاص ، حيث كانت أديرة الرجال والنساء متقاربة قرباً يسمح لهن فيها بالاشتراك من حين إلى حين في فراش واحد . وتحتوي

^(١) هو شاعر وأديب إيطالي عاش في القرن الرابع عشر ، وأجمع النقاد أنه أول الكتاب الإنسانيين ، هاجر هو وزوجته وابنته إلى أفينيون ، وفيها شاهد ما عليه رجال الدين من الفساد وبدأ في اتخاذ الكنيسة الكاثوليكية ، ثم انتقل إلى مدينة بولونيا ، ثم عاد بعدها إلى أفينيون وألقى بنفسه في غمار الشعر القديم وأدب الغرام . انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (١٨-٣ / ١٣) .

^(٢) هو أول من نبغ من الكتاب الإيطاليين في النثر القصصي ، ويعده النقاد إلى اليوم سيد القصة القصيرة ، ولد في باريس عام ١٣١٣ م ، ومن هم ثماره الأدبية قصيدة "فيلوستراتو" وقطعة نثرية بعنوان "فيلاوكولو" وأهم انتاجه على الاطلاق كتاب "ديكامرون" ، وهو الذي أضاف إلى عنوان ملحمة دانتي لفظة "إلهية" ليصبح اسمها "الكوميديا الإلهية" ، وهو الاسم الذي يقى إلى اليوم ، توفي عام ١٣٧٥ م . انظر : الخالدون من أعلام الفكر - الجزء الغربي - ، أحمد الشتواني ، ص: ١٠٧-١٠٨ .

^(٣) لم أقف له على ترجمة .

^(٤) لم أقف له على ترجمة .

^(٥) لم أقف له على ترجمة .

سجلات الأديرة على عشرين مجلداً من المحاكمات بسبب الاتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات .

وجوتشيارديني^(١) ، الرجل الرزين المعطل عادة ، يخرج عن طوره ، ويفقد اتزانه ، حيث يصف رومة فيقول : أمّا بلاط رومة فإنَّ المرء لا يستطيع أن يصفه بما يستحق من القسوة ، فهو العار الذي لا ينمحى أبداً الدهر ، وهي مضرب المثل في كل ما هو خسيس مخجل في العالم .

ذلك لأنَّ لدينا من الوثائق ما يثبت بالدليل القاطع فساد أخلاق القسيسين في كل مدينة تقريرياً من مدن شبه الجزيرة الإيطالية . . ولقد كان الكثير من الأديرة في حال يرثى لها . وأغفلت في بعضها الأيمان الثلاث الأساسية بالتزام الفقر ، والعفة ، والطاعة أفالاً يكاد يكون تماماً . . ولم يكن النظام في كثير من أديرة النساء أقل من هذا الفساد »^(٢) .

ويتحدث مؤرخ الكنيسة د. القس جون لوريمر عن الفساد الذي وصل إليه رجال الدين ، فيقول : « لاحظ حيروم^(٣) السهولة التي يتمكن بها الأغنياء من دخول الخدمة فمن كان بالأمس طالباً تحت التمرين هو اليوم أسقف . وآخر ينتقل أثناء الليل من مدرج الملهم إلى الكنيسة . وإنسان قضى الليل في السيرك يقف أمام المذبح في الصباح اليوم التالي ، آخر كان من وقت قريب من أنصار المسارح هو الآن مكرّس العذاري والمهم برعايتهن . ومن أقوى الإدانات على الأحوال في الكنيسة، تلك التي قدمها غريغوريوس النازنزي عندما استقال من منصبه كأسقف القدسية : « لم أكن أدرى أننا يجب أن ننافس القناصل والحكام، والقادة المشهورين ، وأنَّ بطوننا كان يجب أن تستهني طعام الفقراء، وننفق ضروريًا عليهم على التنعم، ونتجشأ فوق المذبح لم أكن أعلم أنه يلزم أن نحتطى الخنجر » .

^(١) هو أديب ومؤرخ إيطالي ، ولد في آخر القرن الخامس عشر ، عُين قائداً عاماً لجميع الجيوش البابوية ، ودرس كتابات الأدباء الإنسانيين ، وألف كتاب "تاريخ إيطاليا" ، وهو من أعظم كتبه ، وله أيضاً "تاريخ فلورنس" ، وهذا الكتاب جعلته من أعظم المؤرخين عند النصارى . انظر: قصة الحضارة ، ول ديوانت : (٤٢-٣٨/٢١) .

^(٢) قصة الحضارة : (٢١/٨٣-٨٦) .

^(٣) أحد أكبر لاهوتبي الكنيسة في القرن الرابع ، عاش في الفترة (٣٤٧-٤٢٠م) ، هاجم رجال الدين ، ورحل من رومة إلى فلسطين من أجل ترجمة التوراة من العبرية إلى اللاتينية ، وهي من أهم أعماله ، وألف عن سيرة من يسمى بالقديسين من النصارى . موسوعة ويكيبيديا الحرة . مادة : حيروم .



الجميلة ، ونسافر في عربات فاخرة ، بالمواكب أمامنا ، والكل يهتف ويفسح لنا الطريق ... وإنني لآسف لهذا الحرمان ، وعلى الأقل لقد انتهت هذه الأمور بالنسبة لي. ساحموني على أخطائي ، واختاروا لكم آخر يرضي الأغلبية»^(١)

ثم يتحدث عن جانب آخر من الفساد ، وهو ما يتعلق بالبابوية ، فيقول: « عموماً سلم المؤرخون والكنيسة الكاثوليكية نفسها ، بأنَّ البابوية خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر والجزء الأول من القرن السادس عشر وصلت إلى أدنى درك خلقياً ودينياً. لكنَّها (أي البابوية) طبقاً لوصف كاتب كاثوليكي معاصر كانت بابوية دنيوية تهتم أساساً بالسياسات الإيطالية، وكانت مركزاً لباطل غني ، عالمي فاسد، وعجز عن تقديم قيادة روحية فعالة إرشادات للكنيسة، وحقاً كان هذا الباطل يغوص منحدراً إلى أدنى درك في القيم الأخلاقية »^(٢) .

من خلال مasic ذكره من كلام المؤرخين السابق نستطيع أن نكون صورة واضحة عن الفساد الذي وصل إليه رجال الدين، ويمكن تفصيل ذلك من خلال النقاط التالية:

- ١ - أنَّ هذا الفساد قد حدث لرجال الكنيسة مع أنَّ كتب النصارى وأقوال آبائهم ، وخاصةً ما يسمى بالكتاب المقدس تدعو إلى كثير من الفضائل، وتحث على كثير من الأخلاق، وهذا يعني أنَّهم قد خالفوا حتى ما يقررون في كتبهم المقدسة عندهم .
- ٢ - أنَّ انتشار كثير من المؤسسات ، التي كانت تحت إدارة الكنيسة يعد مؤشراً واضحاً على الغنى الذي وصلت إليه الكنيسة ووفرة المال الذي دخل خزينتها.
- ٣ - أنَّ هذا الفساد لم يكن سراً في زوايا الكنائس، ولكنَّ أمر قد انتشر ، وعلمه الخاص والعام ، حتى أصبح مادةً ينال منها الأدباء وأصحاب الروايات الشهيرة التي كان يجمع بينها الحديث عن الفسق والخلاعة، والتي كانت أيضاً انعكاساً لما يعيشه رجال الدين في تلك الفترة.
- ٤ - أنَّ الكنيسة ممثلة في رؤسائها كانت تعلم بهذا الفساد ، ومع ذلك فهي تغض الطرف عنه بل إنَّها تدعمه وتبيئ الأسباب له ، بل وتشارك فيه ، وما وجود هذه الآلاف

^(١) تاريخ الكنيسة:(١٣٦/١٣٧).

^(٢) المصدر نفسه : (٤/٣٥).

من سجلات الجرائم مع عدم اتخاذ العقوبات الرادعة لأصحابها ، وجودأديرة الرجال بجوار أديرة النساء إلى الحد الذي يسمح باشتراكهن في فراش إلا خير شاهد على ذلك .

٥- أنَّ هذا الفساد قد أصبح فساداً شاملًا ، فهو يشمل الرجال والنساء ، ويشمل درجات رجال الدين من أدناهم رتبة إلى أعلاهم ، وهو البابا ، ويشمل جميع الأديرة دون استثناء ، ويشمل فساد الأخلاق ، وفساد القيم حتى أصبح نيل أعلى المناصب لا يقف دونه سوى المال ، وأصبح أكثر الناس فسقاً قادرًا على نيله إذا توفر لديه ، وأصبح كثيرون من رجال الدين يعيشون حياة البذخ والثراء بما تدره عليهم الكنيسة من الأموال وصاروا بما يملكون من المال والجاه والقصور ينافسون أكبر الملوك والأثرياء .

المطلب الثاني : أسباب فساد رجال الدين :

تحدثت فيما سبق عن واقع الفساد الذي آل إليه رجال الدين ، وبينت وجه الغرابة في هذا الأمر ، وهو أن من يقوم بأمر الدين ينبغي أن يكون القدوة الصالحة فيما يدعوه إليه ، ومن ثم فإن رجال الدين أولى الناس بالبعد عن الفساد ، بل الواجب أن يكونوا أول الناهين عن ذلك الفساد .

و عند تحليل واقع هذا الفساد نجد أن هناك أسباب أدت إليه ، ومنها :

السبب الأول : فساد دين النصارى :

إنَّ أعظم ما يزجر الإنسان من فعل الشر ، ويکبح جماحه عن الفساد هو الدين الذي يؤمن به بما يتضمنه من قيم رفيعة وأخلاق فاضلة ، فالتفوى - التي جاءت الوصية بها في كل دين - والعفة والطهارة ، كلها تمنع الإنسان من الوقوع في المحرمات - فضلاً عن الإغراق في الشهوات والانغماس في الرذائل ، ولكن لما فسد دين النصارى فسدت أخلاقهم تبعاً لذلك . بل إنه لما أصبح رجال الدين هم الذين يضعون دينهم سهل عليهم أن يضعوا ما يهون عليهم الفساد إن لم ي إليه ، ويدفعهم إلى ارتكابه .

ومن الأمثلة التي تبين الارتباط المباشر بين فساد دينهم ، وفساد أخلاقهم ما يلي :

١- سلطان الرب المنوح للكنيسة :

كان هذا السلطان المنوح للكنيسة - في نظر النصارى - يعني ابتداءً أنَّ هذه الفئة التي احتضنها الرب بهذه المنحة فئة مختارة ، ومتميزة ، فهي ليست كبقية الناس ، وبالتالي فإنه



يحق لها ما لا يحق لغيرها . ومن جهة أخرى ، فإنَّ هذا السلطان يعني – في حسهم – أنَّه يحق لهم أن يفعلوا ما يشاءون ، بل يعني أنَّ ما يفعلونه هو الصواب ، لأنَّه هو الدين ، ومن كل تلك المعاني فإنَّهم قد أصبحوا لا يتورعون عن الورق في الفساد ، ولا يترجحون إذا وقعوا فيه .

وكانوا أيضًا – بمقتضى هذا السلطان – في أمن من العقاب ، فهو لاءُهم خلفاءُ رب ، وإذا كانوا كذلك ، فكيف يُعاقبون ؟ ، ومن الذي يملك معاقبتهم ؟ ، هل يعاقبهم رب وهو الذي أعطاهُم سلطانه ؟ أم يعاقبهم الناس ، وهم الذين قد عقدوا لهم عقد الطاعة العميماء والإذعان المطلق ؟ .

٢- حق الغفران :

وهذا الأمر في غاية الوضوح فإذا كان رجال الدين يملكون مغفرة ذنوب أتباعهم ، فكيف لا يملكون مغفرة ذنبِهم – إن كانوا يشعرون أنَّ لهم ذنب – ، وهم عندما يقترفون الآثام والموبقات ، يكونون بمحابة من يصييه الداء ، ويكون معه الدواء ، فإذا وقع في الذنب أخذ دوائِه الحال ليزول بذلك أثر الداء ، وهذا يعني في النهاية أنَّ أبواب الفساد كلها مشرعة له ليعب منها ما يشاء .

٣- بدعة الرهبانية :

من البدع التي ابتدعها النصارى ، وأضافوها إلى دينهم بدعة الرهبانية . والراهب – عند النصارى – هو من يعيش حياة النسك والتَّوحيد ، بعيدًا عن العالم وضوضاءه ، ويترك أهله ومتلكاته ، ويكتنف عن الزواج في سبيل الملكوت ^(١) .

والرهبانية – عندهم – تقوم على سبعة أمور يجب على كل راهب التزامها ، وهي :

- ١- الطاعة ، ويقصد بها الخضوع للقوانين ، وإرادة الرؤساء من رجال الدين .
- ٢- العفة ، وهي نذر من الراهب من أجل ملوك السماء ، وتتيح له التفرغ في سبيل ملوك الله ، حيث توجه كل قوى الحبة إلى الله ، وإلى القريب .
- ٣- الفقر : ويعني الانتصار على الميل الطبيعي ، إلى تكديس الأموال والاستئثار ، فيكون الراهب مؤمن على هذا المال كوسيلة يستخدمها في سبيل الله .

^(١) انظر : ظاهرة الحياة الرهبانية : الآب جوزف فري – الآب إيميل عقيقي ، ص: ٤٧ .



٤- الصلاة ، تقوم على المشاركة والاحتفال اليومي بالإفخارستيا ، وتلاوة الفرض الالهي ، والتأمل فيما يسمى بالكتاب المقدس .

٥- العمل ، وهو العنصر الفعال للتدرج في السيرة الرهبانية ، وبلغ أعلى درجات الاتحاد بالله .

٦- الرسالة ، فللحياة الرهبانية طابعاً رسولياً ، يجتهد الراهب أن يعيشه في الدير ، ليشهد في الخارج :

٧- الحياة المشتركة ، ويقصد بها الحياة مع بقية الرهبان ، وهي تقوم على المحبة ، وتساعد على التدرج في السيرة الرهبانية ، وإنكار الأنانية ، والحياة مع الرهبان هي المختبر للقيم الرهبانية ^(١) .

الأول: عدم القدرة على الوفاء بما التزموا به من القيم التي نذروا أنفسهم للقيام بها ، وخاصةً القيم الأساسية التي أقسموا الأيمان بالتزامها ، وهي التزام الطاعة ، والعرفة ، والفقر ، وقد ذكرت النص الذي أورده المؤرخ ديورانت الذي يبيّن ذلك.

الثاني: أن هذه الرهبانية قد أزهتم إلى الفساد أزاً ، وأوقعتهم في حماة الرذيلة ، حتى أصبحت أديرة الرهبان مواخر للفسق والفحور ، وما اقتراب أديرة الرجال وأديرة النساء ، والسماح للرهبان وراهبات - أيًا كان سببه - إلا دليلاً على ذلك ، وما كان يتوقع مثل هذه الرهبانية غير هذا المصير ؛ وذلك لأنها منازعة للفطرة الإنسانية في أقوى غرائزها ، والمقصود هنا أن فساد الدين النصراني أدى إلى الفساد الخلقي العريض .

^(١) انظر: المصدر السابق: (٥٢-٥١).

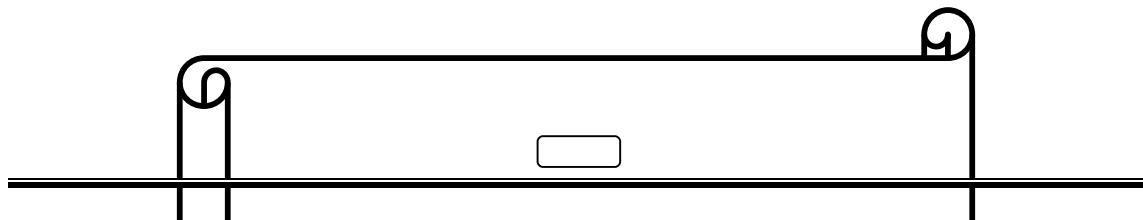
السبب الثاني : السلطان الدنيوي

عندما أصبح رجال الدين يتبوأون أعلى المناصب في الدولة وأصبحت لهم الكلمة العليا ، وأمتلأت خزائن كنائسهم بأوفر الأموال عاشوا حياة البذخ والترف ونافسوا أعظم الأمراء والملوك ، وربما حاوزهم في ذلك .

ومن المعلوم أنَّ المال – إذا لم يصرف في موطنه – كان من أعظم أسباب الفساد ، كما أنَّ المنصب من أعظم أسباب حماية ذلك الفساد ، فإذا انضم إلى ذلك فساد الدين كاد أن يكون وقوعهم في الفساد أمراً محققاً .

خلاصة :

خلاصة هذا البحث أنَّ تقديس رجال الدين بسبب ما ادعوه من المترفة ، وسبب طاعة أتباعهم لهم في ذلك كان من أعظم أسباب وقوعهم في الفساد ، ومن ثم انتشاره في جميع طبقات المجتمع النصرياني .



الفصل الثاني

الثورة على الكنيسة

وفيه بـثان

❖ المبحث الأول: الإصلاح الديني

❖ المبحث الثاني : الثورة الفرنسية

المبحث الأول

الإصلاح الديني



و فيه ثلاثة مطاب

- **المطلب الأول : عوامل قيام الإصلاح الديني**
- **المطلب الثاني : الإصلاح الديني قبل القرن السادس عشر**
- **المطلب الثالث : الإصلاح الديني في القرن السادس عشر**

المطلب الأول : عوامل قيام الإصلاح الديني :



بلغت الكنيسة الكاثوليكية من الطغيان والفساد ما لا بد معه من إحداث إصلاح في جميع جوانبها ، ولكن ثمة عوامل أخرى ساهمت بشكل كبير في الإسراع في ظهور حركة الإصلاح و إعطاءها القوة والصلابة الالازمة لمقاومة الكنيسة الكاثوليكية ، بل والانتصار عليها في أكثر الأماكن التي ظهرت فيها ، حتى تغيرت بذلك خريطة الكنيسة الكاثوليكية في القارة الأوروبية وضاقت دائرة نفوذها في دول عديدة ، وانتصرت عليها البروتستانتية في دول أخرى . والحدث في هذا المجال عن العوامل الخارجية فقط ، أما الأسباب الداخلية ، فسوف أتحدث عنها من خلال الحديث عن أشهر المصلحين ، وأبرز المباديء التي دعوا إليها، وفيما يلي إيجاز لأهم هذه العوامل :

١ - انتشار العلم وتطور وسائله :

يطلق على القرن السادس عشر عصر النهضة ؛ فقد تميز بميزات ساهمت في تقدم عجلة النهضة في أوربا بدرجة كبيرة ، ومن أهمها ما يلي :

(أ) ظهور الكشوفات الجغرافية : ظهرت في هذا العصر الكشوفات التي قام بها العلماء ، ومن أهمها اكتشاف القارة الجديدة القارة الأمريكية ، عام ١٤٩٢ ، وطريق الرجاء الصالح الموصى إلى الهند عام ١٤٩٨ ، وكان لهذه الكشوفات دور في تقدم حركتي الصناعة والتجارة وتبادل الثقافات داخل القارة الأوروبية ، وبين القارة الأمريكية ، والقارة الجديدة .

(ب) اكتشاف الورق والطباعة : كان اكتشاف الطباعة على يد المخترع الألماني حنا جوتبرج عام ١٤٥٤ أثراً بالغاً في تقدم الحركة العلمية والثقافية ، وكان بحق من أعظم انجازات العصر على الإطلاق ، وعدها لوثر أكبر وأخر هبة من الله^(١) وساهمت في ظهور حركة الإصلاح بدرجة كبيرة ، وذلك من خلال أمور من أهمها :

طباعة ما يسمى بالكتاب المقدس ، الذي قام المصلحون بنشره في كافة الأماكن التي ظهروا فيها ، بل في أغلب أرجاء أوربا ، وانتشرت نسخ الأنجليل بأشهر اللغات المحلية في ذلك الوقت . وإذا كانت نسخ الأنجليل قد بقيت حبيسة في الكنائس طيلة القرون الماضية فقد أصبحت بعد عصر الطباعة في متناول كل إنسان ، الأمر الذي أوقف عامة النصارى —

^(١) انظر : تاريخ الرقابة على المطبوعات ، روبرت نيتز ، ص : ٢٢

فضلاً عن المثقفين منهم – على البون الشاسع بين ما تدّعى به أو قوله الكنيسة الكاثوليكية ، وبين ما يشتمل عليه الكتاب المقدس عندهم .

وأيضاً كان في ظهور الترجمة اللاتينية للأنجيل أثر كبير في اكتشاف الأخطاء الكثيرة التي تضمنتها النسخة المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية . وإذا كانت بداية ظهور الطباعة في ألمانيا ، فليس غريباً أن يكون أشهر المصلحين قد ظهر في نفس المكان ، ويكتفي لبيان أهمية انتشار الطباعة أنه في أسبوع واحد تم توزيع أكثر من ٤٠٠٠ نسخة من أحدى الرسائل التي ألتها لوثر .

ومن المميزات المهمة في هذا الصدد ظهور الجامعات وانتشارها في جميع أنحاء أوروبا ، وإن كان ظهور بعض الجامعات المشهورة قبل ذلك ، وظهور الجامعات ساعد في تقدم الحركة الثقافية في ذلك العصر .

٢- ظهور التراثات القومية والوطنية :

كان الملوك الأوروبيون يعيشون في ظل الاستبداد البابوي حياة الذل والخضوع ، ويتطلعون إلى الاستقلال عن سلطة الباباوات من أجل تقوية نفوذهم الداخلي ، وقد وجدوا في حركات الإصلاح خير وسيلة لتحقيق هدفهم المنشود ، ومن أجل ذلك كانوا في طليعة المؤيدين لها . أمّا الشعوب فإنّهم كانوا يعيشون في ظل التسلط البابوي تحت نير الظلم والقهر ، وذاقوا مرارة الفقر ، وهم يرون بأمّ أعينهم الأموال الطائلة تخرج من جيوبهم بالقوة ، وتطوف الأرضي الشاسعة حتى تستقر في الخزينة البابوية ، فوجدوا في حركات الإصلاح إنقاذه لهم من ذلك الجحيم . وما نَمَى الشعور الوطني كذلك كثرة الحروب التي نشأت بين تلك الدول ، بغرض الحصول على المزيد من النفوذ والسلطان ، وهذه الحروب جعلت أبناء الوطن الواحد يلتّفون حول بعضهم لمقاومة العدو الخارجي .

٣- الاحتكاك المسلمين :

احتkaك النصارى المسلمين السلمي والحربي مكن لهم من رؤية واقع المجتمع المسلم الذي يعيش في ظل عبادة الله وحده بحرية بالغة ، وبعيداً عن أي سلطة تفرض عليهم أو وساطة بينهم وبين ربهم ، ورأوا تقدم المسلمين في جميع مجالات الحياة ، وشاهدوا قيامهم بأعظم الحضارات ، كما في الأندلس التي قامت بها أكبر الجامعات ، ونهل منها أبناء

النصارى شتى أنواع المعرف . حصل هذا الاحتكاك في الوقت الذي كانت فيه أوروبا ترثى في ظلمات الجهل طيلة قرونها الوسطى . وقد ولد هذا الاحتكاك رغبة ملحة في التغيير والصلاح .

وقد ظهر هذا الأثر في المباديء التي نادى بها المصلحون من رفض الواسطة بين الخالق والمخلوق ، ورفض صكوك الغفران ، واعتبار أنَّ الذي يغفر الذنوب هو الله وحده ، وتحريم الصور والتماثيل ، وغيرها مما سيرد ذكره في موضعه .

٤ - الانقسامات والتراعات :

عاشت الكنيسة انقسامات كبرى أضعفـت سلطانها وأسقطـت هيـبتـها في عيون أتباعـها ، ومن أهمـ تلك الانقسامات :

١ - الانقسام الذي كان بعد مجمع خلقدونية ، وانعقد عام ٤٥١ م ، وانقسمـتـ فيهـ الكـنيـسـةـ الجـامـعـةـ إـلـىـ الكـاثـولـيـكـةـ وـالـأـرـثـوذـكـسـيـةـ .

٢ - الانقسام الكبير بين الكاثوليك أنفسـهم ، عام ١٠٥٤ إلى الكـنيـسـةـ الغـرـيـبـةـ الـلـاتـينـيـةـ ، وـالـشـرـقـيـةـ الـأـرـثـوذـكـسـيـةـ .

٣ - فترة السبي البابوي ، وهي الفترة التي انتقلـتـ فيهاـ الـبـابـوـيـةـ لأـوـلـ مـرـةـ منـ مـقـرـهـاـ الأـصـلـيـ روـمـاـ إـلـىـ أـفـنـيـونـ فـيـ فـرـنـسـاـ ، وـكـانـ ذـلـكـ فـيـ فـتـرـةـ بـيـنـ عـامـيـ ١٣٠٥ـ وـ ١٣٧٧ـ مـ ، وـفـيـ هـذـهـ فـتـرـةـ كـانـتـ الـبـابـوـيـةـ تـحـتـ سـلـطـةـ الـمـلـكـ الـفـرـنـسـيـ ، وـبـعـدـ أـنـ عـادـتـ إـلـىـ روـمـاـ عـامـ ١٣٧٨ـ تـوـفـيـ الـبـابـاـ غـرـيـغـورـيـ الـحـادـيـ عـشـرـ^(١) فـاخـتـارـ الـكـرـادـلـةـ رـئـيـسـ أـسـاقـفـةـ بـارـيـ الـذـيـ اـخـذـ اـسـمـ أـرـبـاتـ السـادـسـ ، وـلـكـنـ هـذـاـ الـبـابـاـ ضـيقـ عـلـىـ الـكـرـادـلـةـ الـفـرـنـسـيـنـ فـغـادـرـوـاـ روـمـةـ ، وـأـعـلـنـواـ أـنـ اـخـتـيـارـ الـبـابـاـ تـمـ تـحـتـ ضـغـطـ شـعـيـ ، وـثـمـ أـجـرـوـاـ اـنـتـخـابـاـ جـديـداـ وـاـخـتـارـوـاـ روـبـرتـ الجـنـيفـيـ الـذـيـ اـخـذـ اـسـمـ إـكـلـيمـنـسـ السـابـعـ وـاعـتـرـفـ بـهـ مـلـكـ فـرـنـسـاـ ، وـانـشـقـتـ الـكـنيـسـةـ الجـامـعـةـ مـرـةـ أـخـرىـ إـلـىـ حـزـينـ كـبـيرـينـ أـتـبـاعـ بـابـاـ روـمـةـ ، وـأـتـبـاعـ الـبـابـاـ الـفـرـنـسـيـ الـذـيـ اـسـتـقـرـ فـيـ أـفـنـيـونـ وـاـسـتـمـرـ ذـلـكـ اـنـشـقـاقـ أـرـبعـينـ سـنـةـ .

^(١) هو آخر بابا فرنسي ، تولى البابوية في الفترة (١٣٧٠-١٣٧٨) ، وهو رجل مثقف وحكيم ، وكان يحب الفنون والآداب وجمع في مكتبة أفينيون عدداً كبيراً من المخطوطات النادرة ، وهو دبلوماسي رفيع ، كان وسيطاً بين فرنسا وإنجلترا . انظر : معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص: ١٥٦ .



ولما توفي الباباوان وأقيم باباوان بديلان عنهم ، تألم الشعب النصراني من هذه الفوضى ، وعقد الكرادلة من الطرفين مجمع "بيز" عام ٤٠٩ م ، فانتخب بابا جديدا ، وأصبح يقود العالم النصراني ثلاث باباوات في وقت واحد ، ولم ينته ذلك الانشقاق إلا بخلع الباباوات الثلاثة وتعيين بابا بديلاً عنهم ^(١) .

وهذه الأحداث الكبيرة ، لاسيما فترة السي البابوي حررت كبراءة الكنيسة ، وأرغمت أنفها ، وكسرت أعظم مبادئها ، هو العصمة الباباوية ، الذي تحطم تحت وجود ثلاثة باباوات في وقت واحد .

المطلب الثاني : الإصلاح الديني قبل القرن السادس عشر :

يقصد بالإصلاح الديني تلك الحركة التي تهدف إلى إصلاح كل ما يتعلق بالكنيسة الكاثوليكية من الفساد الذي طال جميع مؤسساتها ، وجميع طبقاتها .
ويذكر بعض المؤرخين أنَّ تاريخ الإصلاح من عمر حلتين هامتين :

المرحلة الأولى : كان فيه المنادون بالإصلاح يطالبون بإزالة مفاسد الكنيسة ، وتنظيم شؤونها على أيدي رجالها ، أي : أن تصلح الكنيسة نفسها بنفسها ، فيكون الإصلاح من داخل الكنيسة . ومن كبار المصلحين في هذه المرحلة يوحنا روكلن وإرزم ، وسيأتي الحديث عنهم ، وينطبق ذلك أيضاً على أغلب المصلحين قبل القرن السادس عشر .

المرحلة الثانية : يطالب فيها المصلحون أن تقبل الكنيسة ما يفرض عليها من الوسائل التي يقترحونها ، مادامت قد فشلت عن إصلاح نفسها . ومن أكبر المصلحين في هذه المرحلة لوثر ، وزوونجلي ، وكالفن ^(٢) ، وسوف أفصل الحديث عنهم - فيما يأتي - .

ونظراً لأهمية المرحلة الأولى ، من جهة كونها الأساس الذي اعتمدت عليها الحركة الإصلاحية الكبرى في القرن السادس عشر ؛ فسأتعرض بصورة موجزة لأبرز المصلحين فيها مع الاهتمام - بشكل خاص - بإبراز أهم انتقاداتهم للكنيسة .

^(١) انظر : الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كمبي ، ص: ٢١٠-٢١١ .

^(٢) انظر: التاريخ الأوروبي للحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، د. عبدالحميد البطريقي، د. عبدالعزيز نوار: (٨٩-٩٠)



١- يوحنا ويكلف :

أول المصلحين في بريطانيا، ولد في هسبول من أعمال مقاطعة يوركشير ١٣٢٠ م ، وقيل ١٣٢٤ م ، ودرس في جامعة أكسفورد حتى صار أستاداً لما يُسمى باللاهوت ، ومدرساً للقوانين المدنية والدينية ، ورُسم قسيساً ، وتلقى عدداً من المناصب والرتب من كنائس الأبرشيات ، وكان له نشاط إداري كبير . وكتب في الفلسفة واللاهوت ، وكانت كتاباته تفصل بريطانيا عن الكنيسة الرومانية قبل أن يفصلها هنري الثامن بمائة وخمسة وخمسين عاماً ، وقبل أن تفصلها أفكار المصلحين الكبار في القرن السادس عشر^(١) وقد عاصر هذا المصلح فترة الأسر البابوي ، التي بلغت فيها البابوية أعلى مستوى في الضعف والانحطاط .

ومن المواقف المهمة في حياته أنه لما حدث التراع بين البابا أوربان الخامس والملك الإنجليزي إدوارد الثالث في مسألة الجزية السنوية التي تعهد بها الملك السابق للبابوية اعترافاً بسيادة روما ، وانقطعت لأكثر من ثلاثة وثلاثين سنة ، فلما ابتدأ أوربان يطالب بها وبدفع المتأخرات رفض الملك ذلك ، وأعلن تمسكه بحرية بلاده واستقلالها ، ثم عين ويكلف الذي أصبح أحد كهنته للرد على الحجج البابوية ، وقد نجح في ذلك بشكل كبير . وفي عام ١٣٧٤ أوفرته الحكومة لمقابلة البابا غريغوري الحادي عشر في أفينيون ، لإظهار المساويء التي نتجت عن احتفاظ البابوية بحق التعيين في الوظائف في كنيسة إنجلترا وإزالتها ، وقد أتاح له ذلك أن يرى كل ما يدور في البلاط البابوي من الفساد .

وأما أعظم أعماله ؛ فهو ترجمة ما يُسمى بالكتاب المقدس إلى الإنجليزية ، عام ١٣٨٠ ، التي انتشرت في أنحاء إنجلترا ، وحاول الأساقفة استصدار قرار من البرلمان بالقضاء على هذه الترجمة ، ولكنَّ محاولتهم باءت بالفشل .

وفي عام ١٣٨٤ م أصيب بالشلل ، ومات بعده بثلاثة أيام ، ونجا من المثلول بين يدي البابا ، ولكنَّ مجلس "كنستانس" الذي عقد عام ١٤١٥ م قرر عقوبته ، فأخرجت عظامه وألقيت في بحرى ماء قريب من قبره ، ثم أيد كل ما عثر عليه من كتاباته .

^(١) انظر قصة الحضارة ، ول دبورانت : (٦٥/٢٢-٦٧) ، مختصر تاريخ الكنيسة ، أندر وملر ، ص: ٣٩٤-٣٨٧ ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مجموعة من المؤلفين ، ص ٣٩٨ . واكتفي بهذه الإحالات في الحديث عن ويكلف لعدم التكرار .

أهم مباديء ويكلف :

١ - ليست الأعمال الصالحة هي التي تنجي الإنسان . بل الرحمة والنعمة الإلهية ، وأنَّ الأعمال الصالحة مجرد علامة على النعمة والرحمة ونحن نصدر في أعمالنا حسب مشيئة الله لنا ، ومصيرنا هو خلقنا ، وكان آدم وحواء هما الذين استمتعوا بحرية الإرادة ثم خسرا وأبنائهما تلك الحرية بعد المعصية . وهذا النص يوضح أنَّ ويكلف كان يؤمن بعقيدة الجبر التي تسلب أي إرادة للإنسان .

٢ - العلاقة بين الله والإنسان مباشرة لا تحتاج إلى وسيط ، وبناء عليه يجب رفض كل ما تدعيه الكنيسة أو يدعى أي قس من أن تكون هي أو يكون هو واسطة لابد منها . وعلى هذا المعنى يكون كل مسيحي قسيساً ، وليس في حاجة أن يرسم كذلك . وهذا المبدأ ينسف مبدأ التوسط بين الله وخلقه من أصله ، كما ينسف كل ما ادعاه الكنيسة من الطقوس التي يقوم بها القسيس ، وخاصة سر الكهنوت .

٣ - يتضح من الكتاب المقدس أنَّ المسيح لم يرد أن يكون للحواريين ولمن جاء بهم شيئاً من الأموال . وعليه فكل كنيسة أو قس يمتلك شيئاً فهو يعصي الله ويستحق الإثم ، وإذا كان كذلك فلا يستطيع القس العاصي أن يقدم العشاء الرباني . وأعظم ما تحتاج إليه الكنيسة ورجالها التخلص من الأموال الدنيوية .

وبناءً على مبدأ وجوب مصادرة الأموال والأملاك ، فإنَّه يرى أنَّ ورجال الدين إذا لم يتنازلوا عن هذه الأموال والأملاك ويرضوا بحياة الفقر فلابد من تدخل الدولة لتزع أموالهم ومتلكاتهم وإرغامهم على حياة الفقر ، والملوك هم وحدهم المسؤولون أمام الله عن ذلك ، ويتوصل من ذلك إلى أن الدولة يجب أن تعد نفسها على أنها ذات السلطان الأعلى في جميع الشؤون الزمنية ، وأن تستحوذ على جميع أملاك الكنيسة ، وهي التي ترسم القساوسة .

٤ - رفض صكوك الغفران ، والعقيدة التي قامت عليها ، وهي وجود فضائل للقديسين يستعان بها على إنقاذ الأرواح من المطهر . وقال في ذلك كما يذكر ديورانت : « إن الأخبار يخدعون الناس بصفة الغفران الزائفة أو وثائق المغفرة ، وينهبون بذلك الأموال - لعنة الله عليهم - . وما أشد حماقة من يتبعون هذه الصكوك بهذه الأثمان

الغالية . وإذا كان في مقدور البابا أن يتزع الأرواح من المطهر فلم يترعها على الفور عملاً بروح الإحسان المسيحية » .

٥- هاجم أخلاق رجال الدين وسخر من أعمالهم بل طالب بمحاكمتهم أمام المحاكم المدنية غير الدينية . وقال في ذلك : إنَّ كثيراً من رجال الدين يدنسون أعراض الزوجات والعذارى والأرامل والراهبات بكل ضروب الفسق . . وهاجم الكهنة الذين يتلقون الأغنياء ويدرون الفقراء ، ولا يتزدرون في أن يغفروا ذنوب الآثرياء ، ولكنَّهم يحرمون الفقراء المدعين من حضرة الدين لكونهم لا يؤدون العشور الكنسية .

٦- أمَّا الباباوات فقد صب عليهم جام غضبه ، واستغل في ذلك ما حدث بينهم من الانقسام والاقتتال الذي يجلل بالعار ، وما قاله في ذلك : « يجب أن يدفع الناس إلى ألا يؤمنوا بالبابا إلا بقدر ما يتبع هو تعاليم المسيح ، والبابا إذا جمع لنفسه الأموال الدينية والسلطة السياسية أصبح غير خليق بمنصبه ، وقد وصل به الأمر إلى القول بأنَّ البابا هو عدو المسيح الذي تنبأ به الرسالة الأولى من رسائل (الرسول) يوحنا ، وأنَّه الوحش الوارد ذكره في سفر الرؤيا ، والذي ينبغي بعودته المسيح .

٧- أنكر الاعتراف السري أمام القس ، وطالب بالاعتراف الاختياري العام ، الذي يفضله النصارى ، وما قاله في ذلك : لا حاجة إلى الاعتراف السري أمام القساوسة ، فذلك اعتراف أدخله الشيطان أخيراً في الدين ؛ ذلك أنَّ المسيح لم يكن يعمل به ، كما لم ي العمل به أحد من الحواريين من بعده ، وبه استحال الناس الآن عبيداً لرجال الدين ، وهو يستخدم الآن أسوأ استخدام للأغراض الاقتصادية والسياسية ، وبهذا الاعتراف يستطيع الراهب والراهبة أن يرتكبا الخطيئة معاً . لكن الحق الذي لا ريب فيه أن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب .

٨- التشكيك في صحة العشاء الرباني وإنكار الاستحالة ، فهو يقول : من واجبنا أن نرتاب بوجه عام في صحة العشاء الرباني الذي يقربه القس الآثم والخارج على الدين . . لا يستطيع أحد أن يحيط الخبز المقدس إلى جسم المسيح ودمه . . ، وكان يستشنع من أن بعض من يعرفهم من القساوسة يستطيعون أن يأتوا بهذه المعجزة التي هي من صنع الله وحده ، وهو يعتقد وجود المسيح اللائق مع الخبز والنبيذ ، وأنَّهما لم ينعدمان كما تدعي الكنيسة .



٩ - الكتاب المقدس – كما يرى – لا يأتيه الباطل من بين يديه ، بخلاف تقاليد الكنيسة وعوائدها المعرضة للخطأ ، وكان يقول : « الكتاب وحده الحق » ٠

١٠ - عقيدة التحسد ، وهو يؤمن بها على الوجه الذي تؤمن به الكنيسة ٠

هذه أهم المباديء التي دعى إليها ويكلف ، وهي في الحقيقة تكاد أن تكون رد فعل للمخازي الكبيرة التي ارتكبها الكنيسة البابوية ، بسبب سلطانها المزعوم ، ولذلك فإنَّ هذه الأفكار والمبادئ الإصلاحية تركت على ركيزتين أساسية :

الأولى : نزع سلطة البابا ، ورجال الدين ، لاسيما السلطة الروحية والسياسية والمالية

• والثانية : إعادة هذه السلطة إلى كتابهم المقدس ، كمصدر وحيد لكل هذه السلطات .

٢ - يوحنا هوس :

يعتبر التشيكيون يوحنا هوس رائد قوميتهم ، والمصلح الديني الكبير الذي أراد تطهير الكنيسة من شوائبها . ولد هوس في قرية صغيرة تدعى هاستنتر على الحدود البارافية عام ١٣٦٩ ، وعندما مات أستاذه ويكلف كان عمره خمس عشرة سنة ، ثم أرسله أبواه إلى مدينة براغ لكي يدرس اللاهوت ، ويستعد للخدمة في الكنيسة ، وترقى في مدارج الجامعة حتى صار "أب اعتراف" الملكة صوفيا ، وتعين واعظاً في كنيسة الجامعة التي تسمى "بيت لحم" . وبعد أن اشتراك في نزاع قام في الجامعة حول امتيازات الطلبة جاءت مقاومته للبابا غريغوري الثاني عشر ^(١) ، فأصدر رئيس أساقفة بوهيميا أمراً بتجريم هوس ، ولكنه استمر في إلقاء مواعظه اليومية . ثم قام نزاع آخر مع باعة صكوك الغفران الذين تعرضوا لإهانات واعتداءات فتدخلت السلطة ، واتهمت هوس بأنه الحرك لهذه القضية ، وصدرت الأوامر بطلب مثلوه أمام محكمة الفاتيكان ، فلم يستجب ، فأعلن الفاتيكان بأنه قد أصبح تحت طائلة الحرمان ، ثم أتهم أيضاً بالهرطقة ، وأنَّ تعاليمه مشابهة لتعاليم ويكلف ، وكانت التهم المنسوبة إليه تعود إلى قضيتي :

الأولى : قوله إنَّ تعاليم روما مضلة ، حيث أنكر التعليم البابوي الخاص بالخلاص وبالأعمال والطرق الكثيرة التي فرضتها الكنيسة .

^(١) هو أنجيلاو كورير من البندقية تولى البابوية في الفترة (١٤٠٦-١٤١٥ م) ، وفي فترة بابويته اجتمع للكنيسة ثلاثة

بابوات . انظر معجم البابوات ، خوان دائيو ، ص: ١٦١ .

والثانية : نظام البابوية الإكليريكي ، ومساؤئه الشنيعة ، التي شهّر بها هوس تشهيراً بليغاً . وبعد سلسلة من المحاكمات أمر بإعدامه عام ١٤١٥ م ، فُرُط في عمود ووضعت الأخشاب حول ذلك العمود ، ثم أشعلت النار حتى مات حرقاً ، ثم جمعوا رماده ، وألقوا به في بحيرة مجاورة ^(١) .

أهم المباديء التي دعا إليها هوس :

هوس تلميذ ويكلف ، وقد دعا إلى أفكار أستاذه ، وإن لم يوافقه على كل آراءه ، وكان من أهم الآراء التي نادى بها :

- ١ - رأى أنَّ الكنيسة الحقيقة هي جماعة المختارين وليسَت تلك المنظمة الكنسية .
- ٢ - بحمل أفكاره يدعو إلى إصلاح الكنيسة الخاطئة في نظره .
- ٣ - كان يدعو إلى الرجوع إلى الإنجيل وحده دون غيره كمصدر للديانة النصرانية .
- ٤ - لا واسطة بين الإنسان والرب إلا عن طريق الإيمان .
- ٥ - بقيت أفكاره ذات تأثير بعد موته فقد أعلن التشيكيون الذين ظهرت فيهم دعوته عن رفضهم للخضوع للبابا ، ومن أجله قاوم الشعب والأشراف بالسلاح ملوكهم الإمبراطور "سيجموند" لأنَّهم رأوا فيه جلاً هوس ، وقامت من أجله ثورة الهوسية التي أدت إلى الانشقاق عام ١٥٢٠ م .

ومن خلال ما سبق يتبيَّن لنا اتفاق هوس مع ويكلف في الكثير من الأفكار ولا سيما الأصلين الذين قامت عليهما الدعوة الإصلاحية ، وهما : انتزاع جميع السلطات من يد البابا ، ثم إعادتها إلى ما يسمى بالكتاب المقدس .

والحركة التي قادها هوس أعطت حركة الإصلاح بعدَ زمنياً ومكانياً أكبر ، حيث أصبحت أوروبا أكثر تهيئَة للقبول بحركة إصلاحية كبيرة تتسم بالانفصال التام عن الكنيسة البابوية ، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك على يد المصلحين الكبار ، وقد ظهر بعد المصلحين السابقين مصلحون آخرين ، ولكنَّهم كانوا أقل تأثيراً منهم ، ومن أبرزهم :

^(١) انظر لترجمته وآرائه : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملا ، ص: ٤٠٢ - ٣٠٧ ، الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كمي ، ص: ٢١٥ ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة بعنوان الإنفالات ، ص: ٣٠٠ - ٢٩٩ ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، دكتور عبدالفتاح أبو علية ، ودكتور أحمد اسماعيل ياغي .

٣- حنا روخلن (روكلن) :

ظهر روكلن في ألمانيا وعاش في الفترة بين عامي ١٤٥٥ و ١٥٢٢ م ، وقد استعان باللغة العبرية في تفسير العهد القديم ، وأحدث كتاباته ضجة كبيرة في أنحاء أوروبا بعامه وألمانيا خاصة ، ولاسيما في أواسط المثقفين مما جعل كثير من رجال الدين ينخرطون في حركته ، التي تدعو إلى ضرورة إصلاح الكنيسة مما شاهدا من البدع والخرافات ، واستطاع أن يشكل جبهة جديدة تدعو إلى الإصلاح ومعاداة الكنيسة البابوية ، ولكنها هذه المرة في ألمانيا ، التي أصبحت بعد ذلك أكبر مركز للإصلاح في أوروبا كلها ^(١) .

٤- إرازمس :

ولد إرازمس في روتردام سنة ١٤٦٥ م ، ودرس في جامعة باريس ، ثم رُسم كاهناً عام ١٤٩٢ م ، وزار إنجلترا عدة مرات ، وعيّن في آخرها أستاذًا للغة اليونانية في جامعة كامبردج ، وقد أعد نسخة تحليلية لما يسمى بلكتاب المقدس باللغة اليونانية ، وظهرت في بازل عام ١٥١٦ م ، قبل حركة الإصلاح الكبرى على يد مارتن لوثر بسنة واحدة ، وكانت هذه النسخة مصحوبة بترجمة لاتينية وفيها تصحيح لأنخطاء الترجمة اللاتينية الرسمية لدى الكنيسة الكاثوليكية ، فأحدثت هذه النسخة مع ترجمتها هزة عنيفة في أوروبا كلها، حيث أصبحت تنظر إلى نسخة البابوية بعين الارتياح ، وقد ساهم إرازمس في تخليص الفكر الأوروبي من سيطرة رجال الدين الكاثوليكي ، وتوفي هذا المصلح عام ١٥٣٦ م ، وقد ساهم بشكل كبير في دفع عجلة الإصلاح الديني في أوروبا ^(٢) .

وهذا يتبيّن لنا أن حركة الإصلاح قد تأسست بالفعل في كل من إنجلترا ، وبوهيميا ، وألمانيا ومناطق أوروبا التي تنقل فيها إرازمس فشملت بذلك رقعة كبيرة من القارة الأوروبية ، ممهدة السبيل إلى الحركات الإصلاحية الانفصالية الكبرى التي ظهرت فيما بعد .

^(١) انظر : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. عبد الفتاح أبو علية ، د. إسماعيل ياغي ، ص: ٢٧-٢٨ ، والتاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، د. عبدالحميد البطريق و د. عبدالعزيز نوار ، ص: ٨٩ .

^(٢) انظر مختصر تاريخ الكنيسة ، أندر وملر ، ص : (٤٢٤-٤٢٢) ، وتاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، د. عبد الفتاح أبو علية ، د. إسماعيل ياغي ، ص: (٨٥-٨٦) .

المطلب الثالث : الإصلاح الديني في القرن السادس عشر :

يعتبر القرن السادس عشر قرن الإصلاح الديني ؛ حيث ظهر فيه أكبر المصلحين ، وتم فيه انفصال الكنائس البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية تحتل مساحة غير قليلة من القارة الأوروبية ، وأصبحت الديانة الرسمية لبعض الدول الأوروبية ، وفيما يلي سأتحدث عن أشهر المصلحين في هذا القرن مع التركيز على بيان انتقاداتهم للكنيسة الكاثوليكية .

١ - مارتن لوثر :

ولد المصلح مارتن لوثر في إيسيلين الألمانية ، وفي الثامنة عشرة أرسله أبوه إلى الجامعة في إرفورت التي تعلم بتدريس الفلسفة واللاهوت ، وكان من أساتذتها أو كهام ، الذي كان من آراءه التي يدرسها أنَّ البابا و المجالس الدينية يمكن أن تخطئ . وفي عام ١٥٠٥ حصل على درجة الماجستير في الآداب . وفي نفس السنة انضم إلى دير نساك القديس أغسطين في إرفورت ، وبعد أن قضى سنة في ذلك الدير ورُسم كاهناً ، وقرأ في هذه الفترة للمصلح جون هوس والقسيس جوهان فون شتاوبتر وهو من الرهبان الأوغسطينيين ، الذين دعوه أن يستبدل بالتقشف قراءة الكتاب المقدس ، وتعاليم أوغسطين بكل عناء ، فحصل على نسخة مما يسمى بالكتاب المقدس باللغة اللاتينية ، ويقال إنه في هذه الفترة اهتدى إلى أنَّ الخلاص لا يكون إلا بالإيمان بال المسيح لا بالأعمال التي كانت الكنيسة تأمر بها كحضور القدس وتكرار الصلوات ، وزيارة الأماكن المقدسة عندهم ، وقد اهتدى إلى هذه الحقيقة عندما عثر على النص الذي ورد في رسالة بولس إلى أهل روما : « إن الإنسان يبر بالإيمان بمعزل عن أعمال الشريعة »^(١) . ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى جامعة فيتنبرج وترقى إلى درجة دكتور في اللاهوت ، وكان يقوم بتدريس ما يسمى بالكتاب المقدس . وفي عام ١٥١٠ قام مع راهب آخر بزيارة لروما في مهمة قيل إنَّ سببها نزاع حدث بين رئيس الرهبان العام وبعض الأديرة فاختير لوثر لعرض ذلك على البابا ، وفي هذه الزيارة التي قام بها شاهد بنفسه ما حل بالكنيسة البابوية من فساد رجال الدين ، وحتى أصحاب البلاط البابوي نفسه وتعلقهم بالدنيا مع الانحلال الخلقي ، الذي أصبح شائعاً في "المدينة المقدسة"

^(١) الرسالة إلى أهل روما : (٢٨/٣) .

٠ وعندما عاد إلى فيتنبرج نصب نائباً للأسقف في طائفته ، ٠ وفي الفترة من ١٥١٢ - ١٥١٧ م بدأت آراؤه تحول ببطء عن مذهب الكنيسة الكاثوليكية الرسمية ^(١) .

وكان القضاية الكبرى التي أشعلت نار الثورة الإصلاحية هي ما يتعلق بسكوك الغفران ، وذلك عندما أرسل البابا مندوباً لجمع الضرائب من ألمانيا فقام لوثر ثائراً ضد هذه المهزلة فكتب خمساً وتسعين قضية عارض بها تلك الصكوك ، ثم علقها على باب الكنيسة ، ودعا من شاء إلى مناقشتها ، ولم يطل الأمر حتى جاء خطاب البابا قاضياً بتفنيد آراء لوثر ، واعتبارها بدعاً مضللاً ، وإحراق كتبه وحرق قرائتها ، أمّا لوثر نفسه فقد أعطي ستين يوماً ليتراجع عن أفكاره أو يمثل للمحاكمة أمام البابا الروماني ، ولكنَّه أعلن عصيانه للبابا وأحرق خطابه أمام الملا، ولكنَّ حاكماً مقاطعة سكسونيا قام بحمايته وأرسله إلى قلعة فارتبورج ، وتمكن في هذه الفترة الآمنة من القيام بأهم أعماله ، وهو ترجمة الإنجيل إلى الألمانية وكتابة الكثير من المقالات والنشرات – التي سأتحدث عنها فيما بعد - ٠

وبعد هذه الضجة الكبيرة التي حدثت في المجتمع الألماني بسبب هذه الأحداث بدأت الإصلاحات العملية ، ويقال إنَّ الذي تولى ذلك وبادر لتحقيق برنامج الإصلاح عملياً هو الكاهن أندره كارلشتات الذي عاش في الفترة بين (١٤٨٠ - ١٥٤١) ، وقد كان معلم لوثر وزميله في جامعة فيتنبرج ، وكان اهتمام لوثر في هذا الوقت ينصب على دراسة مسائل اللاهوت وانتقاد الكنيسة البابوية ٠

أهم إصلاحات كارلشتات :

- ١ - أُعلن زواج الكهنة إلزامياً ، وتزوج هو علينا ٠
- ٢ - أخذ يتناول تحت الشكلين معتبراً أن المناولة تحت الشكل الواحد خطيئة ^(٢) .
- ٣ - ألغى القداد الكاثوليكي ، واستبدله بالإنجيلي الذي يتضمن موعدة بسيطة ٠
- ٤ - هجم هو وبمجموعة من أتباعه على الكنائس وقاموا بتدمير التماثيل التي بها ٠
- ٥ - أصدر نظام مدينة فيتنبرج الذي أنشأ الاحتفال بالعشاء السري على الشكل الإنجيلي (التناول على الشكلين) ٠

^(١) انظر : قصة الحضارة ، ول دبورانت : (٢٤ - ١٠ / ١٥) ٠

^(٢) المناولة تحت الشكلين يقصد بها أن يقوم الكاهن بإعطاء أتباعه الخبز مع كأس الخمر ، والمناولة تحت الشكل الواحد يكتفي فيها بإعطاء الخبز فقط ، وهو التقليد الرسمي للكنيسة الكاثوليكية ٠



٦ - حرم التسول والبغاء .

٧ - في عام ١٥٢٧ م تخلى الأساقفة الكاثوليكي عن العمل في الكنائس الإنجيلية ، وفي تلك الأثناء ألف لوثر كتابه التعليم المسيحي الكبير لاستعمال الرعاعة ، والتعليم المسيحي الصغير لاستعمال الأتباع .

و بما سبق استطاع لوثر وبمساعدة كارلشتات أن يؤسس نظاماً كنسياً جديداً ألغى فيه الممارسات الكاثوليكية ، من قداس ، وصلوة المساء ، وزيارة الأماكن المقدسة ، وفي سنة ١٥٣٠ م رفض الأساقفة الكاثوليكي أن يزودوا الجماعات الإنجيلية بكهنة ، فأخذ لوثر يرسم الرعاعة ، بوضع يده عليهم .

وبهذه الإصلاحات استقلت الكنائس الإنجيلية^(١) ، وتوفي رائدتها عام ١٥٤٦ م .

أهم مؤلفات لوثر :

بعد أن أعلن لوثر أنه لا يؤمن بعصمة البابا والجامع عن الخطأ صدر في حقه مرسوم من البابا أطلق عليه مرسوم "البراءة" ، وقد جاء فيه : « اهض يا رب ! انتصر لقضيتك على الشعالي الضاربة التي تسعى لتدمير كرمك ، وعلى الخنزير الذي يريد إتلافها » ، ثم شجت إحدى وأربعين قضية ، مما أدى بها لوثر ، فكان رد لوثر على ذلك بتأليف ثلاثة كتب شكلت البرنامج الإصلاحي الذي قام به ، وهذه الكتب هي :

١ - نداء إلى الأشراف المسيحيين في الأمة الألمانية :

في هذا الكتاب عرض على العلمانيين تولي زمام إصلاح الكنيسة ، بما أنَّ البابا ورجال الدين لم يحققوا . وهذا الكتاب كان بمثابة الوقود الذي أشعل النيرة القومية لدى الألمان التي دفعت الأشراف خاصة إلى تبني الإصلاح .

٢ - جلاء الكنيسة إلى بابل :

وهو مؤلف جدلي ، وفكنته أنَّ الإنجيل الذي يمثل الإيمان المسيحي الأصيل هو سجين روما ، التي يشبهها المؤلف ببابل التي أجلت إليها اليهود ، وهو أسيير الاختلافات الكثيرة كاختلافات الأسرار السبعة والتي لم يثبت منها لوثر إلا العماد وسر العشاء الرباني .

^(١) انظر تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة بعنوان لوثر والإصلاح ، دانيال أولفييه : (٣/٢٤-٢٨) ، المؤلف من معهد الدراسات المسكونية أهالي باريس .

٣- مقالة في الحرية السياسية :

وهو مؤلف روحي يبين كيف أنَّ الإيمان يحرر المسيحي من الشريعة ، ويجعله متأنها لخدمة الآخرين ^(١) .

وقد أحرزت هذه المؤلفات نجاحاً كبيراً وانتشاراً واسعاً حتى قيل أنه قد بيعت ٤٠٠٠ نسخة من كتاب نداء إلى الأشراف في أسبوع واحد .

مبادئ لوثر :

تميز لوثر عن المصلحين السابقين بأنَّ دعوته قد تجاوزت الإطار النظري إلى الجانب الواقعي ، ففي دعوته تتحقق الاستقلال الحقيقى عن الكنائس الكاثوليكية ، ومن أهم المبادئ التي دعا إليها لوثر ما يلى :

١- طريق الخلاص بالإيمان المطلق بال المسيح ، وبتكفiro عن خطايا البشر لا بالأعمال الصالحة التي تفرضها الكنيسة •

وقد اعتبرت هذه العقيدة بمثابة "الاكتشاف" العظيم الذي اهتدى إليه عندما فتح عينه على ما يسمى بالكتاب المقدس .

وهذه العقيدة رد على الطقوس والشعائر التي ابتدعها رجال الكنيسة البابوية ، وقد أراحت أتباع لوثر من عناء تلك الطقوس ، إلا أنها في المقابل فتحت الباب للتنصل من أي تبعية وترك الدين بالكلية ، فهي نقلت اللوثريين من واقع شيء إلى واقع لا يقل عنه سوءاً .

٢- أنَّ السلطة المطلقة ليست إلا للكتاب المقدس :

وهذا المبدأ يهدف إلى انتزاع سلطات البابا وردها إلى ما يسمى بالكتب المقدس ، وقد دفع لوثر عنه باعتباره صحيحاً بحذافيره وحرفياً ، وتطبيق هذا المبدأ عملياً يعني إلغاء العقائد والشعائر والطقوس البابوية ؛ لأنها لم ترد في الكتاب المقدس ، مثل عقيدة المطهر ، وصكوك الغفران ، والأسرار السبعة عدا العمودية والعشاء الرباني ، وإرجاع الناس إلى ما يسمى بالكتب المقدس هو الفكرة الرئيسية التي تبناها لوثر ، وما يدل على تمسكه بهذا الأصل قوله ، كما نقل عنه ديورانت : « فإنَّ ضميري أسير لكلمة الله » ^(٢) .

^(١) انظر المصدر السابق ، ص: ٣٢ ، قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٤٢/٢٤) .

^(٢) قصة الحضارة : (٤٢/٢٤) .



٣- رفض مبدأ التوسط بين الخالق والملحق :

رفض لوثر وجود واسطة بين الخالق والملحق ، وقرر أنَّ كلَّ الذين ينشدون الوصول إلى الله ، ويعملون من أجل الوصول إليه بأي وسيلة غير التوسل بال المسيح فإنَّهم يعيشون في ظلام دامس^(١) .

وهذه الفكرة اللوثرية انتقلت إلى دعوة ثورية تسعى إلى تحرير رجال الدين من كل سلطتهم ، وقد بلغت قمتها عندما أعلن لوثر أنَّ مصطلح الكنيسة لا يعني إلا جماعة المؤمنين وأنَّ كلَّ نصراني يمكن أن يكون قسيساً ، وإذا تقرر ذلك لم يبق لأحد من رجال الدين أي مزية فضلاً عن يكون له شيء من السلطة .

يقول ويل ديورانت : « وأعظم مادة ثورية في لاهوت لوثر هي تحرير القسيس من منصبه ، وإباحته للقساؤسة الحصول على راتب لا بصفتهم موزعين لا غنى عنهم للقربان المقدس ، ولا باعتبارهم وسطاء مختصين بين الله وبين الناس ، ولكن بصفتهم خادمين اختارتهم كلَّ أبرشية للوفاء بحاجتها الروحية ولسوف يبعد هؤلاء القساوسة بزواجهم وتنشطتهم للأسرة هالة القدسية التي جعلت منصب القسوسة قوياً رهيباً . . . ولكن أي إنسان في وسعه عند الحاجة أن يقوم بوظائفهم بل يحل تائباً من ذنبه »^(٢)

وهذا النص في غاية الأهمية لأنَّه ينتزع من رجال الدين كلَّ سلطتهم ، ويجعلهم مثل بقية العلمانيين ، وأنَّ أعمالهم لم تكن بمقتضى سلطتهم أو قداستهم ، بل من باب الخدمة لإخواهم وأنَّ الإنسان ليس في حاجة إليهم لأنَّه يستطيع أن يقوم بذلك بنفسه .

٤- مهاجمة البابا ورجال الدين :

حازت مهاجمة البابا ورجال الدين مساحة كبيرة من انتقادات لوثر ، وهذا أكثر ما جلب عليه غضب رجال الكنيسة الكاثوليكية .

وفي هذا المضمار هاجم أولاً ما يسميه بعض المؤرخين بالجدران الثلاثة التي شيدتها الكنيسة الكاثوليكية حولها نفسها وهي : التمييز بين رجال الإكليلوس والعلمانيين ، وحقق البابا في تفسير الكتاب المقدس على هواه ، وحقه المطلق في دعوة مجلس عام للكنيسة ،

^(١) المصدر السابق : (٤٦٦/٢٤)

^(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

وقال لوثر : إن كل هذه الدعاوي الثلاث يجب أن تقدم ، وما قاله في ذلك كما ينقل عنه ديورانت : « فأولاً » : ليس هناك فرق حقيقي بين رجال الإكليروس والعلمانيين إذ أنَّ كل مسيحي ينصب قسيساً بالعميد ، ومن ثمَّ فإنَّ على الحكام الزمنيين أن يمارسوا سلطتهم دون عائق أو اعتراض بغض النظر عمَّا إذا كانوا يسيئون إلى البابا أو الأسقف أو القس ... وكل ما نص عليه القانون الكنسي مما يناقض ذلك من خالص بنات أفكار الوقاحة الرومانية . وثانياً : بما أنَّ كل مسيحي يعد قساً فإنَّ له الحق في أن يفسر الكتاب المقدس طبقاً لما يراه . وثالثاً : يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الأخير للعقيدة أو أداء الشعائر ، والكتاب المقدس لا يقدم أي بينة على حق البابا المطلق في دعوة مجلس .

ويجب دعوة مجلس في أقرب وقت وعليه أن يفحص المفارقة الفضيعة في أن زعيم العالم المسيحي يعيش في ترف دنيوي يفوق ما يحلم به أي ملك ، ولا بد أن يضع هذا حداً لاستيلاء رجال الدين الإيطاليين على التبرعات الألمانية ، وأن يقلل إلى واحد في المائة من "زمرة الهوام" الذين يشغلون في روما مناصب دينية تدر عليهم دخلاً دون أن يؤدوا عملاً ويعيشون بصفة أساسية على الأموال التي يسلبونها من ألمانيا^(١)

٥ - رفض العقائد والشرائع البابوية

بعد أن قرر لوثر المباديء الأساسية لحركته ، وبعد مهاجمة البابا في الجدران الثلاثة التي شيدتها كنيسته ، شرع في نقد العقائد التي ابتدعتها عقول رجال الكنيسة البابوية على التفصيل ، ومن أهم ما هاجمه لوثر ما يلي :

- ١ - عقيدة المطهر .
- ٢ - صكوك الغفران .
- ٣ - عبادة مريم والقديسين .
- ٤ - الأسرار المقدسة عدا المعمودية والعشاء الرباني .
- ٥ - الاستحالة .

^(١) المصدر السابق : (٢٤/٢٨) .

٢- زونجلي :

ولد زونجلي أو (زونكلي) عام ١٤٨٤ م ، في قرية فيلد هاووس التي تقع جنوب شرق مدينة زيوريخ في مقاطعة سانت جولد الحالية ، ودرس في كل من بازل ، وبرن ، وفيماً ، وعندما بلغ الثامنة عشرة درس في جامعة بال التي كانت في ذلك العصر مركز الفكر والثقافة وتعلم فيها على يد توماس فيتناخ الذي اشتهر بمحاجمة الكنيسة وانتقاد صكوك الغفران وعزوبة رجال الدين ، ثم رسم كاهناً في أبرشية جلاروس وواصل دراسته في وتعلم اللغة اليونانية ^(١) . وفي عام ١٤٦١ م انتقل إلى أبرشية أنيزدلن بمقاطعة شفيتس ، ومن ذلك الوقت صبغت موالعنه بالصبغة البروتستانتية حيث نادى عام ١٤٦٧ م باعتناق دين يعتمد على الكتاب المقدس فحسب .

أعماله الإصلاحية :

منذ أن أعلن زونجلي دعوته الإصلاحية قام بأعمال كثيرة . وكان من أهمها ما يلي :

- ١- مهاجمة بيع صكوك الغفران .
- ٢- تحريض الرهبان على أن يرفعوا من المزار الذي أقيم للعذراء النقش الذي فيه وعد للحجاج والزائرين بالغفران الكامل مع العفو من العقاب .
- ٣- في عام ١٥١٨ م عُين قسيساً في الكنيسة الكبرى في زيوريخ ، ، ومنذ ذلك الوقت كان يقوم بمواعظه الحماسية ، واستجاب له الكثير وأيده رؤساؤه من رجال الدين .
- ٤- ألف كتاباً بعنوان "بداية ونهاية" وتبأ فيه بشورة عالمية ضد الكنيسة الكاثوليكية .
- ٥- التمس هو وعشرة من القساوسة من الأسقف أن يضعوا حداً لفجور رجال الدين ، وأن يسمحوا بزواج رجال الكهنوت .
- ٦- عندما عُقد مجلس زيوريخ الكبير عرض زونجلي آراؤه في هذا المجلس ومع أنَّ الأسقف العام لأبرشية كونستانس رفضها إلا أنه اعتبر هذا الرفض لا قيمة له لأنَّ الكتاب المقدس أصبح في متناول الجميع ، وهم يستطيعوا أن يحكموا على مدى صحة هذه الآراء ،

^(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرولر ، ص : ٥٠٧ ، قصة الحضارة ، ويل ديورانت : (١١٢-١١٤) ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مقال لـ فـ . بوليه : (٣/٧٣) . وصاحب المقال أستاذ فخرى للمركز الوطني بفرنسا .

فوافق المجلس على آرائه وأمر رجال الكهنوت أن تكون جميع مواعذتهم بحسب الكتاب المقدس ، ومن هذا الوقت تولت الدولة أمر الكنيسة ٠

٧- بعد أن ضمنت الدولة رواتب القساوسة قبل معظمهم الأمر الذي أوجبه المجلس وتزوج الكثير منهم ، وتمدوا باللغة الدارجة ، وأغفلوا القدس ، وتخلوا عن تقديس الصور ، وبدأ عصبة من المتحمسين بإتلاف الصور والتماثيل في كنائس زيوريخ ٠ ومن هذا الوقت رفعت آلات اللهو وخرج الرهبان والراهبات من أدبارهم لعقد زواجهم ، وألغيت أعياد القديسين ، واحتفت طقوس الحج والقداسات التي كانت تقام للموتى ٠

٨- أصبحت الكنيسة والدولة منظمة واحدة ، وأصبح الإنجيل المصدر الأول للحكم . وقد قام زونجلي بترجمة واحد وعشرين سفرًا من العهد القديم إضافة إلى شرح القضايا السبع والستين ورسالتي الدين الصحيح والدين الخاطيء^(١)

أهم آراء زونجلي وأقواله :

تشكل آراء زونجلي المباديء التي قامت عليها حركة الإصلاح في سويسرا ، وهي لا تختلف كثيراً عن آراء المصلحين من قبله ومن أهمها ما يلي :

١- الإنجيل دستور الإيمان الوحيد، والزعم بتوقفه على موافقة الكنيسة زعم خاطيء ٠

٢- إلغاء سلطة الكنيسة الروحية المتمثلة في البابا على أساس أنَّ المسيح رأس الكنيسة الوحيد ، والكاهن الأعظم الخالد ، والذين يزعمون أنهُم كهنة عظام يعارضون في الحقيقة شرف المسيح وجلاله ٠

٣- أنَّ المسيح قام بالتضحيَّة الكافية والدائمة للتکفير عن خطايا كل (المؤمنين) ، وعلىه ؟ فإنَّ القدس ليس تضحيَّة وإنما تذكرة للتضحيَّة الوحيدة على الصليب ٠

٤- النصارى غير مكلفين بأي أعمال لم يأمر بها المسيح ٠

٥- وسائل التکفير والغفرانات التي تفرض على الناس من اختراع التقاليد البشرية ، ولاقيمة لها في الحصول على الخلاص ، والله وحده هو الذي يغفر الخطايا ٠

^(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة ، أندر وملر ، ص: (٥٢١-٥٢٨) ، قصة الحضارة ، ول دبورانت : (٢٤/١١٦)

١٢١) ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة للمؤلف ج . ف . يوليه : (٣/٧٣) ٠



-
- ٦- بناء على اعتماده على الكتاب المقدس كمصدر وحيد فقد أنكر زونجلي كثيراً من الفرائض التي فرضها رجال الدين على أتباعهم ، ومن أهمها :
- أ - عقيدة المطهر .
 - ب - تحريم زواج الكهنة .
 - ج - تقديس الصور والتماثيل .
 - د - الأسرار السبعة ، عدا التعميد والعشاء الرباني ^(١) .

هذه أهم ما يتعلق بآراء المصلح زونجلي ونلاحظ فيه التشابه الكبير مع آراء لوثر ، ونتقل إلى مصلح آخر .

٣- كالفن :

ولد في بلدة نويون من مقاطعة بيكاردي الفرنسية عام ١٥٠٩ ، وفي سن الرابعة عشرة أُرسل إلى كلية دي لا مارش في جامعة باريس ، ودرس اللغة اللاتينية حتى برع فيها ، ثم انتقل إلى كلية دي مونتج الخاصة بتعليم الكهنة ، وأصبح قسيساً لكنيسة لاجزين التي تقع في ضاحية المدينة . وفي عام ١٥٢٨م وجده أبوه إلى دراسة القانون في أدريليانز وفي بورج ، وبعد ذلك عاد إلى باريس وشرع في دراسة اللغة اليونانية والعبرية والسريانية لكي يستطيع أن يفهم العهد الجديد بطريقة أدق .

وفي عام ١٥٣٣م وفي يوم العيد الذي يسمى عيد القديسين أهُم بآنه الذي وضع الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه رئيس جامعة السربون الشهيرة ، والذي اتسم بالطبع الإصلاحي فهرب إلى إنجلترا ، واستقبله القس لويس دي تيليه في بيته حيث حيث مكتبه الغنية بالكتب مدة من الزمن ، وبسبب خوفه على حياته انتقل إلى مدينة بازل التي كانت ملجاً الفرنسيين في ذلك الوقت ، وفيها صرف جل وقته لتحرير أهم كتبه وهو كتاب "الأسس المسيحية" أو "المباديء المسيحية" الذي صدر عام ١٥٣٦ باللغة اللاتينية ، وسبقه مقال بعنوان "رسالة إلى الملك" ، ويعتبر كتاب المباديء المسيحية أول كتاب في حركة الإصلاح في فرنسا ، وبعد ذلك انتقل إلى جنيف وعُين بها راعياً وأستاداً ، فقام بوضع خطة للتعليم والسلوك ، وألف في ذلك كتاباً بعنوان التعليم المستخدم في كنيسة

^(١) انظر المصادر السابقة .



حنيف، ثم ألزم سكان حنيف بقبول تعاليمه ، وبدأ يحرض الشعب إلى أن يبنزوا البابوية ، ويقسموا على انتهاج الخطة المرسومة التي وضعها لهم في التعليم والسلوك ، فنشأت الأضطرابات والانقسامات ، التي تحولت إلى معارضة أضظر كالفن على إثرها إلى الانتقال إلى ستراسبورغ ، وفيها عين أستاداً للاهوت وراعياً للفرنسيين اللاجئين ، وأعدَّ طبعة ثانية ، وطبعة فرنسية لكتاب أسس المسيحية ، ووضع شرح للرسالة إلى أهل رومية ، ومقالة وجيبة فيما يسمى بالعشاء المقدس ، وجواباً إلى الكاردينال سادواليه الذي دعا سكان حنيف للعودة للكنيسة الكاثوليكية ^(١) .

ويقال إنَّ سكان حنيف ألحوا عليه في العودة إليها مرة أخرى عام ١٥٤١ ، وبقي بها وأصبحت حنيف مركزاً للإصلاح ، حيث تشكل مجلس الأعيان ، وتولى كالفن رئاسته ، وانتشرت عن طريقه مبادئ الإصلاح فيسائر أرجاء سويسرا ، ومن ثم بقية المالك الأوروبية ^(٢) .

آراء كالفن وأفكاره :

من أهم آراء كالفن ما يلي :

١ - الكتاب المقدس هو المرجع الأخير لا في الدين والأخلاق فحسب بل في التاريخ والسياسة وفي كل شيء ^٠

٢ - أنَّ ابن الله الذي ضحى بنفسه في سبيل البشرية هو الذي يستطيع أن يحقق الخلاص للبشر ، ولكنَّ رحمة الله احتارت بعض البشر للضفر بالنجاة ، وهم الذين وهم الله إيماناً راسخاً بتکفير المسيح عن ذنوبهم ، وقد فسرها بقوله : إنَّ الله قرر بمشيئة حرمة قبل وقت طويل من من يكتب له النجاة ومن يعذب في نار جهنم . وخطورة هذه العقيدة تكمن أنها تلغي أي أثر للأعمال أو دور فيما يسمى عندهم بعملية التبرير من الخطيئة ^(٣) .

٣ - أنكر الأسرار المقدسة عدا التعميد والعشاء الرباني ، وهي في نظره تثبت لوعد الله وسند للإيمان في ساعة الأضطراب ، وأماماً رأيه في حضور المسيح في ما يسمى بالعشاء

^(١) انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرولمر ، ص: ٦٢٣ .

^(٢) قصة الحضارة : (٢٤/٢١٢) .

^(٣) تاريخ الكنيسة المفصل ، مجموعة من المؤلفين : (٣/٨٠) .

المقدس فإنه يرى أنه حاضر حقاً ، ولكن بواسطة الروح القدس ؛ لأنَّه من المستحيل أن يكون جسد المسيح في آن واحد في السماء وفي عدة أماكن أرضية ٠

٥ - الدولة والكنيسة مقدستان وقد خلقهما الله ليعملان في انسجام كامل كالروح والجسد ، وعلى الكنيسة أن تضع القواعد التي تنظم كل التفاصيل الخاصة بالعقيدة والعبادة والأخلاق ، وعلى الدولة أن تدعم هذه القواعد ٠

٦ - أنكر جميع ادعاءات البابا بسيادة الكنيسة على الدولة ، وفي نفس الوقت طالب بها لنفسه ٠

خلاصة :

يتضح مما سبق اشتراك جميع المصلحين في أصول حركتهم الإصلاحية ، وهي :

- ١ - سيادة الكتاب المقدس ٠
- ٢ - الخلاص لا يكون بالأعمال ، وإنما بالإيمان باليسوع (الفادي) في نظرهم ٠
- ٣ - إنكار سلطات البابا ، وجميع ما فرضه على الأتباع مما لم يرد في كتابهم المقدس ٠
- ٤ - إنكار الأسرار المقدسة ، عدا المعمودية والعشاء الرباني ٠

نقد حركة الإصلاح الديني :

نشأت حركة الإصلاح الديني في الأصل لمقاومة حالة الفساد والطغيان الذي وصلت إليه الكنيسة الكاثوليكية ، وكان الأصل الذي قامت عليه هذه الحركة هو الرجوع إلى ما يسمى بالكتاب المقدس . ويمكن أن أوجه النقد لهذه الحركة من خلال نظرتين :

الأولى : مدى نجاحها في القضاء على طغيان الكنيسة وفسادها ٠

الثانية : مدى نجاحها في تحقيق الأصل الذي قامت عليه ، وهو الدعوة إلى الرجوع إلى ما يسمى بالكتاب المقدس ، وفيما يلي تفصيل لذلك ٠

النقطة الأولى : من أهم الملاحظات على الحركة الإصلاحية في هذا المجال ما يلي :

١ - أكبر نجاحات هذه الحركة التخلص التام من سلطة الكنيسة الكاثوليكية عندما أعلنت استقلالها التام عنها ، وأصبحت إحدى الطوائف الكبرى من الطوائف النصرانية ٠



٢ - بدأت حركة الإصلاح من داخل الكنيسة الكاثوليكية ، وانتهت بانفصالها عنها ، وهذا يعني أنها لم تفلح في إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من داخلها ، ولم تقض على بدعها ، وإنما كانت إصلاحاتها داخل إطارها بعد أن استقلت عن الكنيسة الكاثوليكية .

٣ - من النجاحات التي حققتها الحركة داخل إطارها القضاء على المفاسد التي كانت لدى الكنيسة البابوية ، ومن أهمها ما يلي :

أ - عدم الاعتراف بالبابا وسلطته ، ولذلك لا يوجد بابا في نظام هذه الحركة .

ب - إنكار صكوك الغفران ، والقول بأنَّ الله وحده يغفر الذنوب .

ج - إنكار التوسط بين الخالق والمخلوق ، وإسقاط جميع سلطات رجال الدين .

د - القضاء على الصور والتماضيل من الكنائس وخارجها .

هـ - إنكار عقيدة المطهر .

و - إنكار الأسرار السبعة ، عدا العماد والعشاء الرباني .

ومقابل تطرف الكاثوليك في البدع ، تطرف البروتستانت ، ومن ذلك ما يلي :

أ - أئمَّة سلبو الأعمال من أيِّ أثر في خلاصهم من الخطية بزعمهم ،

ب - عندما انتزعوا سلطة الكنيسة البابوية السياسية جعلوها للدولة أو لأنفسهم ، وكلا الأمرين بهذا الإطلاق خطأ .

النقطة الثانية : أعلنت الحركة أنَّ الكتاب المقدس المصدر الأساس لها ، ولكن رجوعهم إليه لم يكن كاملاً ، فقد عادوا إليه في أمور ، وتركوا أعظم منها ، ومن أعظم القضايا التي لم يرجعوا إليها ، وأدلتها أكبر من الأدلة على نقيضها الذي رجعوا إليه :

أ - التوحيد الذي يتضمن إنكار الألوهية المسيح ، وبنوته ، وكونه ثالث ثلاثة ، والدلائل على إثباته في كتابهم أعظم وأبين من الدلائل على ما نسبوه إليه من الألوهية أو البنوة أو التثليث .

ب - نفي ما يسمى بعقيدة الخطيئة الجدية .

ج - إنكار صليب المسيح (الشَّكِيرَةُ) .

د - خصوصية رسالة المسيح (الشَّكِيرَةُ) .



هذه بعض الأمثلة الدالة على أنَّ الحركة وإن حرفت إصلاحاً في بعض الجوانب إلا أنها تركت أصولاً عظيمة مما كان عليه المسيح عليهما السلام على مع وجود ما يدل عليه في كتابهم المقدس ، وكانت نتيجة تفريطهم في هذا الأمر أنَّ بعض المصلحين الآخرين انتقدوا عليهم - أيضاً - وبنفس أصلهم أنَّهم لم يكونوا حاسمين في رجوعهم ، ولم يطهروا الإنجيل بما فيه الكفاية . ومن أعظم هؤلاء المصلحين رجل يدعى سير فيتوس ، وهو الذي انتقد على كالفن كثير من الأمور التي دعا إليها ، وكان ينكر التشليث ، وألف في ذلك كتاباً مشهوراً سماه "خرافة التشليث" ، ولكن كان مصيره وكتابه الحرق أمام الملأ .

يقول د. عبد الرحمن الشيخ في مقدمة ترجمته العربية لكتاب عصر نابليون: «لقد كان سيرفيتوس يعتقد أنَّ لوثر وكالفن وزوينجلي لم يكونوا حاسمين بما فيه الكفاية فيما يتعلق بعقيدة التشليث ، كما أنَّهم لم يطهروا الإنجيل من هذه الفكرة الخاطئة»^(١) .

وبهذا يتبيَّن لنا أنَّ البروتستانت وإن كانوا خيراً من الكاثوليك في بعض الأمور إلا أنَّ جملة ما اختلفت به عنهم لا يتجاوز أموراً شكلية ، مع اتفاق الطائفتين في جميع الأصول ، والله أعلم .

^(١) عصر نابليون : (١٣/١) .

المبحث الثاني
الثورة الفرنسية
وفيه أربعة مطالب

- **المطلب الأول** : واقع المجتمع الفرنسي قبل قيام الثورة
- **المطلب الثاني** : أسباب قيام الثورة
- **المطلب الثالث** : مراحل قيام الثورة
- **المطلب الرابع** : تلليله ونقط



لم تكن الثورة الفرنسية أهم الأحداث في تاريخ فرنسا فحسب ، بل كانت أهم الأحداث في تاريخ القارة الأوربية والعالم المتmodern في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، ونقطة تحول أساسية في تطور النظم السياسية والاجتماعية في أوربا ^(١) .

ولم يكن الوضع الذي تعيشه فرنسا قبل قيام الثورة مختلفاً كثيراً عن الوضع العام الذي تعيشه أوربا بأسرها ؛ فالمملوك يمارسون الحكم المطلق على شعوبهم ، والطبقات الممتازة تهيمن على خيرات البلاد ، والكنيسة - باسم الدين تتمتع بامتيازات لا حد لها ، مع الإعفاءات من الضرائب تجاه الدولة ، والحربيات العامة لا وجود لها إلا في ضمائر الأحرار ومخيلاتهم ، والشعوب لا سيطرة ، ولا سلطان لها على مقدارها ومصائرها ^(٢) . ولذلك ؛ فإنَّ هذه الثورة جاءت ل تعالج بعض العلل التي كانت موجودة في تلك الفترة ، وتقدم لها الحلول .

ولئن كانت نشأة هذه الثورة تعود إلى عوامل عددة ، ومتعددة ، إلا أنَّ دور الكنيسة يظل أهمها ؛ فكانت الكنيسة أعظم أهداف الثورة ، وأشدتها تضرراً منها ، وهذه الحيثيات يجعل إلقاء الضوء عليها ، ومعرفة علاقتها بالكنيسة ، من حيث الأسباب ، والأحداث ، والنتائج أمراً في غاية الأهمية ، وهذا ما سأحاول إبرازه من خلال هذا البحث .

ولئن كان العنصر التاريخي هو العنصر البارز في الحديث عنها، إلا أنني سأجعل الاهتمام الأكبر بإبراز دور الكنيسة فيها ؛ لأنَّه المقصود الأساس من البحث .

المطلب الأول : واقع المجتمع الفرنسي قبل الثورة :

قبل أن أتحدث عن هذه الثورة ، لابد من الحديث عن واقع المجتمع الذي ظهرت فيه ؛ لأن ذلك سيتيح استنباط أهم الأسباب التي أدت إلى قيامها، وسوف يكون حديثنا عن هذا الواقع من خلال العناصر التالية :

أولاً : النظام الملكي :

كان نظام الحكم في فرنسا قبل قيام الثورة يقوم على النظام الملكي الذي يعتمد على نظرية الحق الإلهي ويعني أنَّ الملك الفرنسي مثل الله في الأرض ، ويتمتع بسلطنة مطلقة ، حرية

^(١) انظر : أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، د. عبدالعزيز نوار ، د. عبدالمجيد نعنوي ص: ١٩ .

^(٢) انظر المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

من كل قيد أو رقابة ، ويستمد سلطانه من الله ، وليس ملزماً بأن يقدم حساباً عن تصرفاته إلا للخالق . ومن هنا كان يعتبر نفسه المصدر الأساسي لكل القوانين والتشريعات ويرفض أن تشاركه أي هيئة شعبية حقه في التشريع أو التنفيذ . فهو المرجع الأول والأخير في الدولة ، وكلمته يجب أن تكون نافذة . والاستبداد من حقوقه المعترف بها في التقاليد السياسية الفرنسية ، والحرفيات الشخصية والدينية والسياسية لم يكن معترفاً بها في هذه التقاليد ^(١) .

ولقد اتخذت المؤسسات الملكية شكلها الأخير في عهد لويس الرابع عشر ، وزيره ريشليو . وبقيت على ذلك إلى عهد الثورة ، وتم قلب نظامها على يد الثورة إلى النظام الجمهوري – كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وتصور هذه النظرية يكفي في التنبؤ بما يمكن أن ينجم من تطبيقها في أي مجتمع ؛ لأنها تعني – من الناحية العملية – الظلم والاستبداد المطلق من قبل فرد واحد بمقدرات الأمة كلها ، وسحق كل القيم التي يمكن أن تقوم عليها العلاقات بين البشر .

وإذا كان الملك المرجع الأول والأخير في التشريع والقضاء بين الناس ، فإنه لن يشرع إلا ما يحقق مصلحته ، ويناسب هواه ، ويكون في أمن من أي مؤاخذة من الشعب .

وكل نظام قوامه الظلم المطلق للبشر ، ووسيلته البغي والعداون ، وغايته سحق الكرامة الإنسانية للتفرد بكل شيء لابد أن ينهار ولو طال الأمد ، وهذه سنة الله في خلقه . والعجيب أنَّ الحكام أنفسهم كان يدركون هذه الحقيقة ، ويتوقعون سقوط عروشهم ، ولكنهم لم يقوموا إزاء ذلك بأكثر من محاولة تأجيل ذلك السقوط حتى لا يصيب عروشهم ، وأما بعد عهدهم فليكن الطوفان ! .

تحكي المؤلفة ألين هوait ذات الكتاب الشهير "الصراع العظيم" عن شيء من آثار هذا النظام الملكي ، حيث تقول ما نصه : « وكان البلاط الملكي مستسلماً للترف والخلاعة . ولم يكن الشعب يثق كثيراً بالحكام ، ولا كان الحكام يثقون كل الثقة بالشعب . ولما كان أشراف تلك الأمة فاسدين وقساة ، والطبقة الدنيا فيها فقراء وجهلة ، وكانت الدولة مرتبكة في شؤونها المالية ، والشعب ساخطاً وناقماً ، فلم تكن ثمة حاجة إلى عين نبي لترى ،

(١) انظر تاريخ الثورة الفرنسية ، أليير سوبول ، ص: ١٤ ، التاريخ المعاصر – أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، عبدالعزيز سليمان نوار – عبدالمجيد نعنع ، ص: ٢٠ .

من بعيد ، الثورة القادمة الوشيكة الوقوع . وكان الملك (لويس الخامس عشر) معتقداً أن يقول لمستشاريه الذين كانوا ينذرون بوقوع الكارثة : اجعلوا كل شيء يسير على سجيته طالما أنا حي ، وبعد موتي ليكن ما يكون . وعبراً ألحوا عليه في إجراء إصلاح واجب الوقع . لقد رأى الشرور متفشية ، ولكن كانت تعوزه الشجاعة والقوة لصدتها . وكان كلام الملك الكسول الأناني أصدق تصوير للهلاك الذي كان موشكًا أن يجل بفرنسا عندما قال : ومن بعدي الطوفان » ^(١) .

وما تنبأ به الملك حدث من خلال الثورة ، التي قادها في الأصل الفئة المغلوبة على أمرها التي لا تملك أي شيء إلا مرارة الظلم وأسى القهر الذي كان فتيلًا أشعل نار الثورة .
ثانياً : نظام الطبقات :

تضاعف عدد سكان فرنسا في القرن الثامن عشر - قرن الثورة - ليصبح خمسة وعشرين مليوناً ^(٢) ، وكان هذا المجتمع يعيش على أساس نظام الطبقات ، الذي يعود إلى القرون الوسطى ، ويقوم على أساس التفريق بين الذين يصلون ، والذين يحاربون ، والذين يعيشون لإعاشهما الآخرين ؛ فالفرق الأول رجال الأكليروس ، والثاني البلاء ، والثالث طبقة العامة أو الطبقة الثالثة ، وهي طبقة الفلاحين ^(٣) . وتفصيل الحديث عنها كما يلي :

طبقة رجال الدين :

كانت الكنيسة الكاثوليكية قوة أساسية ذات وجود قوي في كل أرجاء الحكومة ، وكانت تعلن أنها الهيئة الأولى في المملكة ، وبهذا الاعتبار كانت تتمتع بامتيازات كبيرة ، سياسية ، قضائية ، وضرائية ، وكانت قوتها الاقتصادية تعتمد على نظام العشور ، والملكية العقارية ^(٤) .

وكانت الكنيسة الكاثوليكية تشكل نسبة كبيرة في المجتمع الفرنسي ، حيث يذكر المؤرخ ديوران عن هذه النسبة ما نصه : « ويقدر رجال الدين الكاثوليك في فرنسا بنحو ١٩٤٠٠٠ في عام ١٧٦٢م ، وهذا الرقم من قبل التخمين ، ولكن نفترض انخفاض هذا

^(١) الصراع العظيم . إله هذا الدهر وهزيمته الآتية ، ص: ٣١٤ .

^(٢) انظر تاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص: ١٥ ، تاريخ أوروبا الحديث ، جفري برون ، ص: ٣٦ .

^(٣) انظر تاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص: ١٨ .

^(٤) انظر قصة الحضارة ، ويل ديوران : (٣٦/١٠) . وتاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص: ٢٤ .

العدد بنسبة ٣٠% في القرن الثامن عشر وحسب لاكروا أنَّ فرنسا كان فيها عام ١٧٦٣ ، ١٨ رئيس أساقفة ، و ١٠٩ أساقفة ، و ٤٠٠٠ قسيس ، و ٥٠٠٠ مساعد قسيس ، و ٢٧٠٠٠ رئيس دير ، و ١٢٠٠٠ كاهن ، و ١٢٠٠٠ كاتب (من رجال الدين) ، ١٠٠٠٠ راهب وراهبة »^(١)

وهذه النسبة الكبيرة تعد مؤشراً على قوة الكنيسة ، وانتشارها في المجتمع الفرنسي . ونظراً لما تمتت به من الامتيازات السياسية ، والاجتماعية ، والقضائية ؛ فقد أصبحت — بعد الملك وجيشه — أقوى وأغنى سلطة في فرنسا . وكانت ملكيتها تشمل المساحات الشاسعة من الأراضي ، والكثير من العقارات التي تغطي المدن والقرى على حد سواء . وأمّا مدخولات الأساقفة ، فقد تحدث عنها المؤرخون ، ومن ذلك ما ذكره ويل ديورانت عن أحد رجال الدين بقوله: « ومن ذلك أنَّ الأمير الكاردينال إدوارد دي روغان كان في القدس يرتدي ثوباً كهنوتيًا له حواشٌ من المحرمات المعقدة ، قدرت قيمته بمائة ألف جنيه ، وكانت أدوات مطبخه من الفضة الخالصة »^(٢) .

وأنبه هنا إلى أمرين هامين مما يتعلق بالكنيسة وهما :

الأمر الأول : أنَّ هذه المترلة التي وصل إليها رجال الدين لم تكن هي حال جميعهم ، ولا حال الأغلبية منهم ، ولكنه حال الأقلية ، وما يدل على ذلك ، قول ديورانت: « احتفظت الكنيسة بكهنة أبرشياتها فقراء معوزين على حين عاش الأساقفة متوفين منعمين . وإنما كان الناس يخشون رجال الدين الذين يضعون التيجان على رؤوسهم (الأساقفة مثلاً) ، فإنهم أحبو الراعي المحلي الذي شاركهم فقرهم وعوزهم وأحياناً كدحهم وكدهم في فلح الأرض . إنهم تذمروا من جمع العشور ، ولكنهم كانوا على يقين من أنَّ رؤساء الراعي هم الذين أرغموه على جمعها ، وأنَّ ثلثي هذه العشور قد ذهب إلى الأسقف ، أو إلى أحد ذوي المناصب العالية الغائبين عنها »^(٣) .

^(١) قصة الحضارة : (١٠/٣٦) .

^(٢) المصدر نفسه : (١٠/٣٦) .

^(٣) قصة الحضارة : (١٤/٣٦) .

ويؤكّد البيرسوبول ذلك أيضًا بقوله : « ولم يكن الأكليروس في الواقع يشكل مجموعاً متجانساً اجتماعياً ، ولو أنّه يؤلف منظمة ويتتمتع بوحدة روحية ، ففي صفوّه كما في مجتمع النظام القديم يتعارض النبلاء والشعب ، عليه الأكليروس ، وعامة الأكليروس . فعلى الأكليروس من أساقفة ، ورؤساء أديار ، ورؤساء كهنة تزايد أحدهم حسراً من طبقة النبلاء . فهي تنوي الدفاع عن امتيازاتها التي كانت محرومة منها على العموم عامة الأكليروس ، وقد كان جميع الأساقفة ، والبالغ عددهم ١٣٩ أسقفاً من النبلاء عام ١٧٨٩ . . . فكذلك الخوارنة ونوابهم يؤلفون أحياناً رعاعاً كنسياً حقيقياً خارجاً من الشعب وعائشاً معه يقاسمها روحه ، وتطلعاته » ^(١) .

والنص الذي ذكره ديورانت يوضح أنَّ كهنة الأبرشيات يعيشون الفقر والعوز في الوقت الذي يعيش فيه أساقفتهم في الترف والنعيم ، وبين أنَّ الطبقية داخل صفوف رجال الدين أنفسهم كان أمراً مقصوداً . وأما النص الثاني ، فهو أكثر تفصيلاً ، حيث يوضح أنَّ رجال الدين ينقسمون اجتماعياً إلى فئتين : العلية ، وال العامة ، فالفئة الأولى أصبحوا يختارون على وجه حصري من النبلاء ، وهو لا هم أصحاب الامتيازات السياسية ، والقضائية وغيرها ، وأما الفئة الثانية ، وهم الفقراء فإنهما — وإن ضمن رجال الدين — في الحقيقة يرجعون من الناحية الاجتماعية إلى الدرجة الثالثة ، وهي درجة عامة الشعب .

الأمر الثاني : أنَّ هذا الوضع الذي وصلت إليه الكنيسة من قبل الدولة لم تصل إليه دون مقابل ، ولكنَّها قامت في سبيل الوصول إليه بدور كبير تجاه الشعب ، وهذا الدور يتمثل في ممارسة سلطتها الروحي ، الذي يصل إلى درجة الإرهاب — كما يعبر بعض المؤرخين — ، وفي الجملة ، فقد قامت الكنيسة بإضفاء الصبغة الشرعية اللازمة لتبسيير كل ما تقوم به الحكومة نحو الشعب ، بل تدعى الأمر أكثر من ذلك ، حينما ادعت الكنيسة أنَّ ما عليه الشعب إنما هو أمر "حتمي" وأنَّه مقتضى الخطيئة الأولى ، وعليه فلا بد أن يرضي الشعب بما هو عليه ، وإلا فهو كمن يريد مقاومة الله ، واستطاعت الكنيسة بالفعل أن تخدر شعبها زمناً طويلاً بمثل هذه التقريرات ذات الصبغة "الشرعية" ، وأصبح الشعب يقاسي الأمرين ؛ فهو يتجرع ألم الواقع المفروض عليه من قبل الحكومة ، الذي لم يكن أشد

^(١) تاريخ الثورة الفرنسية ، ص: ٢٧ .

وطأة منه إلا ادعاء الكنيسة بأنَّ هذا الواقع ليس إلا مقتضى خطيئة البشر ، وأنَّه إرادة الله التي ليس للبشر خيار أمامها إلا التسليم والإذعان ٠

ولقد كان الأمر "الحتمي" على الحقيقة هو أن يأتي اليوم الذي تتحطم فيه كل "حتميات الكنيسة" بعد أن تتحطم رؤوس الظالمين وقلاعهم على يد هذه الثورة ، وما يؤكِّد دور الكنيسة الذي تحدثت عنه ما يلي :

١ - يعبر ول ديورانت عن دور الكنيسة ، ومدى استفادة الحكومة من هذا الدور قائلاً : « إنَّ الإرهاب الروحي الذي ييشِّه رجال الدين في النفوس ، وتعززه قوى التقاليد ، والعادات ، والاحتفالات الدينية ، والملابس الكهنوتية والهبية ، نقول إنَّ هذا الإرهاب قام مقام ألفٍ من القوانين ، ومائة ألفٍ من رجال الشرطة في المحافظة على النظام الاجتماعي ، والإبقاء على طاعة الجماهير ، وامتثالها للحكومة والملك ٠ وهل في مقدور أيَّة حكومة أن تسيطر على ما فطر عليه الناس من نزعـة التمرد على القانون أو عدم الخضوع له؟ »^(١) .

وهذا النص صريح في بيان الدور الروحي الكبير الذي بذلتـه الكنيسة لتخضع الشعب لأجل الملك وحكومته ، وتجني مصلحتها بعد ذلك ، ولكنَّ الأمر الذي لم يوضحـه هو أنَّ التمرد على القانون وعدم الخضوع له من الشعب لم يكن بسبب الترعة الفطرية عند الناس ، ولكنه كان بسبب الظلم والاستبداد الذي يجردـ الشعب من كافة حقوقـه الطبيعية ، ويـسحق كرامـته الإنسانية ٠ فالترعة الفطرية التي قـامت عندـ الشعب هي الترـعة نحو مقاومة الـظلم ٠

٢ - يعبر - أيضـاً - المؤرـخ الأمريكي كـرين برـتنـن عن العلاقة القـائمة على المصالـح المـتبادلـة بينـ الكـنيـسة وـالـدولـة قائلاً : « يقولـ تـومـاس جـفـرسـون : إنـ القـسيـسـ فيـ كلـ بلدـ وـكـلـ عـصـرـ منـ أـعـدـاءـ الحرـيةـ ٠ وـهـوـ دائمـاًـ حـلـيفـ الـحاـكـمـ الـمـسـبـدـ ،ـ يـعـيـنـهـ عـلـىـ سـيـئـاتـهـ فيـ نـظـيرـ حـمـاـيـتـهـ ٠ـ لـسـيـئـاتـهـ هـوـ الآـخـرـ »^(٢) .

٣ - ويـتحدثـ المؤـرـخـ برنـارـ بلـونـجـرونـ عنـ أـخـطـرـ الوـسـائـلـ الـتـيـ تـسـتـخـدمـهاـ الـكـنـيـسـةـ فيـ إـخـضـاعـ الشـعـبـ لـلـحـكـومـةـ -ـ وـلـهـ قـبـلـ ذـلـكـ -ـ ،ـ حـيـثـ يـقـولـ :ـ «ـ وـبـأـيـ شـيءـ كـانـ إـعلـانـ حقوقـ الإـنـسـانـ غـيرـ مـقـبـولـ فيـ نـظـرـ الـمـعـتـقـدـ الـكـاثـولـيـكـيـ فيـ ذـلـكـ الزـمـنـ؟ـ ٠ـ كـانـ غـيرـ مـقـبـولـ

^(١) قصةـ الحـضـارةـ :ـ (٣٦/١٣)ـ .

^(٢) أفـكارـ وـرـجـالـ ،ـ صـ:ـ ٥٠٢ـ .

لأنَّه كان لا يزال متمسِّكاً بفكرة مجتمع مذلٌّ ، مجتمع متأثر بالخطيئة الأصلية ، حيث يبدو الإنسان واقفاً أمام القدير ، لا كالعبد أمام سيده ، بل كالمسيطر عليه أمام المسيطر . لم يكن الإنسان حرًا إذ أنَّه تحت سيطرة الخطيئة الأصلية ، وهو "مفتدى" من قبل الله . فكان المسيحيون المتزمتون يجibون أصحاب الثورة الذين يعلّون هذه الحرية : ماذا تصنون بالنعمات الإلهية ؟ وبعبارة أخرى كان إعلان حقوق الإنسان يظهر بمظاهر تمرد على حقوق الله . هكذا فُسِّرَت الثورة الفرنسية في القرن التاسع عشر^(١) من قبل السلطة الكنيسة الكاثوليكية على عهد لاؤن الثالث عشر .

بما أنَّ الناس لا يستطيعون أن يكونوا أحراراً فلا يستطيعون أيضاً أن يكونوا متساوين ؛ فمن نتائج الخطيئة أيضاً عدم تساوي الأوضاع . كان الدين المسيحي في ذلك الزمان يستند إلى (القديس) بولس ، الذي يعلّم أنَّ على الإنسان أن يبقى في الحالة التي هو فيها . فمن غير العقول أن يصير الفقير غنياً . إنَّه يستطيع أن يحصل على مساعدة ، ولكنه ليس من واجبه أن يخرج من وضعه . ولذلك عُلم بوسبيه أنَّ على الناس أن يحترموا نظام العناية الإلهية ، ولماذا يولد بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء ؟ هذا سر الله ، وهو الذي ينصف الجميع في الآخرة ، لكنَّ العدالة التي لا يبحث عنها في هذه الأرض . فالمساواة أيضاً كانوا يشعرون بأنَّها تمرد على العناية الإلهية »^(٢) .

وهذا النص يبين لنا كيف استطاعت الكنيسة بهذه الحيلة ، القائمة على تبرير كل المظالم والاستبداد ، وقمع كل الحريات والحقوق التي يطالب بها الشعب من خلال شريعتها "الكنيسية" ، وكيف أنها سخرت عقيدة الخطيئة الأصلية – التي ابتدعتها – في تقرير أنَّ الظلم والاستبداد الواقع على الشعب إنما هو النتيجة الطبيعية لهذه الخطيئة .

ووهذا يتبيّن كيف تمكّن رجال دين الكنيسة بالاتفاق "المصلحي" مع الحكومة من سحق حقوق الطبقة العامة التي تمثل الأكثريّة الساحقة من المجتمع الفرنسي ، والكنيسة عندما قررت تلك العقيدة الباطلة ابتداءً ، ثم سخّرّتها لصالحها انسلخت تماماً من تطبيقها على نفسها ، وكأنَّ تلك الخطيئة إنما قررت من أجل سحق ذلك الشعب وإلزامه بالرضا بالواقع

^(١) هكذا ما ذكره المؤلف ، والصحيح أنها كانت في القرن الثامن عشر ، عام ١٧٨٩ ، كما ذكر المؤرخون .

^(٢) تاريخ الكنيسة المفصل ، مجموعة من المؤلفين : (٤/٤٦) .

الذي هو عليه ؛ لأنّه مقتضى الخطيئة الأصلية ، وأمّا الكنيسة نفسها ، فقد ترثت من أن يلحقها شيء من أدران تلك الخطيئة ؛ ولذلك لم ترض بواقعها ، بل عاشت في الأرض لتمارس أبغض ألوان الطغيان ، وتنهب الأموال بكل سبيل ، فكانت بحق أول من يعلن التمرد على الله ، ويعرض على أسراره ، ويجهل نظام العناية الإلهية ٠

طبقة الأشراف :

أطلق السادة الإقطاعيون الذين استمدوا ألقابهم من الأرض التي امتلكوها ، وهي تعتبر ربع أرض فرنسا تقريباً على أنفسهم لقب نبلاء السيف ، وكانت مهمتهم الرئيسية هي الدفاع عن سيادتهم ، وعن أقاليمهم ، وعن وطنهم ومليكتهم ^(١) .

ويقدر المؤرخون عددهم بحوالي ٣٥٠٠٠٠ ، أي : ١,٥ % من سكان البلاد ^(٢) .
وكانوا - كما يذكر ديورانت - طبقات متعددة أعلىها ذرية الملك وأولاد إخوته وأخواته ، ثم أشراف فرنسا ، وهم الأمراء من أبناء الملوك السابقين ، ثم سبعة أساقفة وخمسين دوقاً ، ويأتي بعد ذلك الأدواق الأقل شأناً ، وهكذا .. وكان الحصول على لقب "نبل" يمنح بطرق ، منها الخدمات التي تقدم للدولة في الحرب ، أو الإدارة ، أو التمويل ، أو منح الملك إياها مقابل ستة آلاف جنيه ، أو شغل المناصب الحكومية الكبيرة في الدولة مثل المستشار أو كبير القضاة ، أو شراء ضيافة أحد النبلاء ، وبهذه الطريقة تمكّن عدد كبير من المواطنين من الحصول على براءة النبلاء ٠

وكان النبلاء الذين يملكون مساحات شاسعة من الأراضي هم الحكام لأقاليم المملكة الفرنسية التي تبلغ أثنتين وثلاثين إقليماً ، فكان لكل إقليم نبيل يحكمه . ولكن الملكية الفرنسية ذات الحكم المركزي استطاعت أن تتغلب على هؤلاء النبلاء وتسحب سلطاتهم لتضمها إلى حكمها المركزي المطلق ، مع المحافظة لهم النبلاء على شكلهم الاجتماعي الرفيع ، وامتيازاتهم في الدولة ، التي من أهمها احتكار الرتب العليا في الجيش والكنيسة والقضاء والدبلوماسية ، والإعفاءات من الضرائب والالتزامات المالية ، التي ينالونها مجرد كونهم من النبلاء . وأكثر ما تميزوا به امتلاك المساحات الشاسعة من الأراضي في الأرياف التي تُعد

^(١) انظر قصة الحضارة ، ويل ديورانت (١/٣٦) .

^(٢) انظر : تاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص: ٢٠ .

المصدر الأوفر حظاً في جلب الأموال ، ومع ذلك فقد كان لهم على العاملين في أراضيهم حقوق كثيرة ، منها حق فرض ضرائب معينة عليهم ، وإجبار الفلاح على طحن غلاته في مطحنته ، وأن يعصر زيته وخرمته في معصرته ، وحقوق الصيد في مزارع الفلاحين ، ولقد كان هؤلاء النبلاء يتوارثون هذه الامتيازات وتلك الحقوق جيلاً بعد جيل ٠

وإضافة إلى ما سبق فقد كانت هناك الأرزاق والهبات والإعانات الخاصة التي يرصدها الملك إبقاء لهم على مظهرهم ، وقد كانت مثل هذه الطبقية المقيمة جديرة بأن توغر صدور الطبقة الكادحة على من يسرق أموالها وكدحها دون حسيب أو رقيب ليعيشوا بها في الترف والنعيم ، بينما لا يبقى لهؤلاء – إن بقي شيء – إلا الفتات ٠

وإذا كان قانون العمل يقول : الأجر مقابل العمل ، فإنَّ هذا القانون أصبح مقلوباً في عرف الطبقة المتميزة ؟ فأصبح صاحب البطالة المطلقة له كل شيء و الذي يكدر أغلب ساعات يومه ليس له شيء إلا الضرائب التي يدفعها فوق قيامه بالعمل ٠ و هذا الظلم والاستبداد كان وقوداً يؤوج في قلوب تلك الطبقة كل معانٍ السخط والرغبة في الانتقام ٠

الطبقة الثالثة (العامة) :

توصف هذه الطبقة بالثالثة إشارة إلى مترلة هذه الدرجة إذا إنْتها في أدن المنازل ، وتسمى بال العامة ؟ لأنها تشمل الغالبية الساحقة من المجتمع ، حيث يقدر المؤرخون عددها بأنه يتجاوز أربعة وعشرين مليوناً من السكان في نهاية عهد النظام القديم ^(١) .

وغالبيتها من الفلاحين الcrofters الذين يستغلون بفلاحة الأرض ، أو خدام المنازل ، الذين يقطعون في الدرجة السفلية من السلم الاجتماعي ٠ ولا تخفي بأي امتيازات ، وهي الطبقة الوحيدة التي تفرض عليها الضرائب إماً بطريق مباشر أو عن طريق أسيادهم الإقطاعيين الذين يخدونها بالقوة في أغلب الأحيان ٠

ومع ذلك فإنه يفرض على هؤلاء الفلاحين أن يعملوا لأسيادهم لعدة أيام في السنة تكون كافية لحرث أراضيهم وبذرها وحصاد مخصوصها وتخزينه ٠ وإضافة إلى ذلك فـإنهم

^(١) انظر تاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص: ٢٨ ٠

يدفعون رسوماً لكل ما يقومون به في ممتلكات أسيادهم من الرعي وصيد الأسماك وغيرها من الأعمال^(١) .

وقد أصبح الفلاح بسبب تلك الأوضاع التي يعيشها في موقف لا يحسد عليه من الفقر والعوز ، وقد أحسن المؤرخ ديورانت في وصف حاله ، حيث قال : « في عام ١٤٧٠ حسب المركيز^(٢) رينيه لويس دي أرجنسون أنَّ عدد الفرنسيين الذين ماتوا بسبب الفقر في العامين الأخيرين أكبر من عدد الذين قتلوا في حروب لويس الرابع عشر كلها ٠

وقال بستانارد : كانت ملابس الفقراء من الفلاحين – وكانوا كلهم تقريباً فقراء – تدعوا إلى الإشفاق والرثاء ، حيث لم يكن لدى الفرد منهم إلا ثوب واحد للصيف والشتاء معاً . أما الحذاء الوحيد (المرقع الواهي المثبت بالمسامير) الذي اقتناه عند زواجه ، فكان لزاماً أن يقتنيه بقية أيام حياته . وقد قرر فولتير أن مليوني فلاح فرنسي كانوا يستخدمون نعالاً خشبية في الشتاء ، وكانوا يسيرون حفاة الأقدام في الصيف لأن الضرائب الباهضة المفروضة على الجلود جعلت الأحذية ضرباً من الترف^(٣) .

هذا هو الوضع الذي يعيشه الفلاح في ظل الكماشة المثلثة ، المكونة من الدولة ، والكنيسة ، ورجال الإقطاع ، التي راحت تنهشه من كل جهة دون رحمة أو إنسانية ، وليس من سنة الله – تعالى – أن يبقى هذا الوضع ، وما هي إلا الفرصة تحين فيكون الطوفان ٠

الطبقة الرابعة : البورجوازية :

تفردت من بين أبناء الطبقة العامة فئة قليلة امتازت بوضع مالي ممتاز ، وقد تشكلت من هذه الفئة – تدريجياً – الطبقة الوسطى في المجتمع الفرنسي ، التي أطلق عليها البورجوازية ، وهي تضم أصحاب المال ، والتجار ، أصحاب الصناعات ، والأطباء ، والمهندسين ، ورجال الأعمال ، والقانون ، والأساتذة والمثقفين ، وغيرهم . ولم يكن لها وجود قبل القرن الثامن عشر ، وكانت بداية وجودها عندما ابتدأت أقلية من الأقنان تتحرر تدريجياً من نفوذ السادة وتمتلك أرضاً تستغلها لصالحها ، أو تمارس عملاً تجاريأً أو صناعياً .

(١) انظر قصة الحضارة : ويل ديورانت : (١٩/٣٦) .

(٢) يطلق هذا اللقب على أفراد الدرجة الثالثة من طبقة النبلاء .

(٣) انظر قصة الحضارة : ول ديورانت : (٢/٣٦) .

ومن العوامل التي ساعدت على ظهورها، ثم سيطرتها على التجارة والصناعة ترفع الطبقة الاستوغرافية عن ممارسة مثل هذه الأعمال ، واكتشاف القارة الأمريكية ، وما تدفق على أثر ذلك من أموال وذهب إلى أوربا ، واتساع آفاق التجارة داخل أوربا وخارجها ، وقد ظهر بين أبناء هذه الطبقة وأحفادهم المثقفون وال المتعلمون الذين برعوا في كثير من فنون الطب ، والهندسة وغيرها من العلوم السائدة في ذلك العصر ، ولم يمض وقت كبير حتى أصبحت هذه الطبقة تراحم أبناء الأشراف على المناصب الكبرى في الدولة ، خاصة المناصب التي تحتاج إلى العلم والاختصاص ، والذي لا يتوفّر عند الكثيرين من أبناء البلاء^(١) .

وبسبب سيطرة هذه الطبقة على حركة التجارة والصناعة بصفة خاصة أصبحت فيما بعد القوة الأولى في البلاد بسبب مدخولاتها الهائلة من الأموال ، وما يوضح ذلك ؛ أنَّ تجارة فرنسا الخارجية قد ارتفعت من ٢١٥ مليوناً من الجنيهات عام ١٧١٥م إلى ٦٠٠ مليون في ١٧٥٠م ، وقدر فولتير عدد السفن التجارية التي استخدمتها فرنسا زاد من ٣٠٠ سفينة في عام ١٧١٥م إلى ٨٠٠ سفينة عام ١٧٣٨م^(٢) .

وقد ضمت هذه الطبقة بين صفوفها الكثير من المفكرين ، والملقين بسبب كونهم من أبناءها ، أو بسبب أنها قد فتحت أبوابها لاستقطاب أرباب الفكر والثقافة .

وقد أظهرت موقفاً عدائياً لرجال الدين والبلاء بسبب انفرادهم بتلك المترفة الاجتماعية ، واحتقارهم للمناصب العليا في الدولة ، ولكن الإقطاعيين قد وضعوا أمامهم العرقل الكبيرة من المكوس والضرائب العالية خاصة في مجال النقل والتجارة ، ولذلك الأسباب فقد أخازت هذه الطبقة للثورة ، وقيل أنها هي التي أمدتها بالمال .

المطلب الثاني : أسباب قيام الثورة :

السبب السياسي :

ويتمثل ذلك في فساد النظام السياسي في ذاته ؛ لأنَّه يقوم على نظرية الحق الإلهي ، والتي تعني الاستبداد المطلق ، وسلب كافة الحقوق والحريات من الشعب من خلال سن القوانين الجائرة ، من الضرائب التي تفرض على عامة الشعب دون غيرهم .

^(١) انظر: أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، د. عبدالعزيز سليمان نوار ، د. عبدالمجيد نعيمي .

^(٢) انظر: قصة الحضارة : (٣٦/٢٩) .

ويذكر المؤرخ جفري برون بعض آثار هذا النظام قائلاً : « ونظام الضرائب الذي كان يراعي أمراء الإقطاع ، ونبلاء العهد القديم أوجد بين العوام شعوراً بالجور وقلقًا وحب انتقام ، وأصبح البلاط بتبذيره وإسرافه هدفاً دائمًا للنقد .. أمام هذا الوضع لم يكن بدأ من نفرة الرأي العام وقيامه بحملة عنيفة على الحكومة » ^(١) .

وهذه الملكية لم تكتم بربط الشعب بها عن طريق الهيئات والمنظمات ، وإنما اعتمدت على نظرية الحق الإلهي ، والمكانة العالية للأسرة المالكة ، إضافة إلى الطبقة الممتازة من رجال الدين والنبلاء ؛ ولذلك لما اهترت تلك المكانة للأسرة المالكة ، فقدت الكثير من احترامها لدى الكثير من المثقفين وأهل المدن واهترت أيضاً مكانة الطبقة الممتازة بظهور الصناعة والتجارة ، وظهور البورجوازية أصبح سقوط تلك الملكية أمراً محتماً .

السبب الاجتماعي :

حيث أن المجتمع الفرنسي كان يقوم على أساس النظام الظبي الذي يصنف الفرد على أساس الطبقة التي يتميّز إليها ، ونتج عن تطبيقه وجود فئة قليلة من الناس ذات بطاله مطلقة ، ولكنها تتمتع بكل شيء ، بينما الطبقة الساحقة من المجتمع ، التي تكدهم أغلب ساعات يومها ، لا تملك شيئاً ، بل تدفع ما يشتعل كاهلها من الضرائب أو تموت دون ذلك بسبب الجوع والعوز .

وبالجملة : فقد أخل هذا النظام الظبي بأصلين عظيمين لا يستقيم حال المجتمع ولا يتحاب أفراده بهؤلئه . الأول : أن الناس سواسية ليس بينهم تفاضل في ذوات أنفسهم . والثاني : مبدأ الجزاء مقابل العمل . ولما طبق المسلمون هذين الأصلين احتفت تلك الصور من الظلم والاستبداد ، وظهر أعظم المجتمعات إنتاجاً وحضارة .

السبب الفكري :

عادة ما تُسبّق الثورات الاجتماعية أو السياسية بالأفكار التي تغذيها وتهئها لها . ولقد ظهرت في مطلع القرن الثامن عشر كثير من الأفكار التقدمية ، التي يجمعها نقد الأوضاع التي يعيشها المجتمع ، والرغبة في إصلاحها ، والحديث عن شأن الفرد ، ودفع فرنسا إلى أفكار عالمية من أجل خير البشرية .

^(١) تاريخ أوربا الحديث ، ص : ٣٥٨

وقد ظهر في هذا القرن أكثر المفكرين وال فلاسفة ، من أمثال فولتير ^(١) ، ومونتسيكو ^(٢) ، وروسو ^(٣) ، وكانت مؤلفاتهم تهيء العقول الفرنسية لإعادة النظر في حياتهم العامة ، وعلاقة الفرنسي بحكومته ، ومكانة فرنسا الدولية ، وقد احتلت قضایا الامتیازات الاجتماعية ، وقوانين الضرائب ، والأزمات الاقتصادية التي تعيشها البلاد سلّم الأفكار التنموية التي يطرحها المفكرون ، وكانت هذه الأفكار تلهب حماسة الشعب ، وتغذي عقله بأنَّ الثورة على تلك الأوضاع بات أمراً حتمياً ، وما بقي إلا انتظار الفرصة المناسبة .

السبب الاقتصادي :

لقد أصبحت الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالبلاد أمراً ينذر بالخطر على مستوى الدولة والأفراد . أمّا الدولة فقد أعلنت بأنَّ خزانتها باتت خالية بسبب الحروب الخارجية وخاصة حرب الاستقلال الأمريكية . وأمّا الطبقة العامة التي تمثل غالبية الشعب فقد بلغ بها الفقر حدّاً لا يمكنها معه التحمل بسبب القيود الضريبية المفروضة عليها ، وقد حاول ثلاثة من كبار اقتصادي الدولة إخراجها من هذه الأزمة ، ولكنَّ جميع محاولاتهم قد باعثت بالفشل لا شيء إلا لأنَّ مقتراحهم كانت تدعوا إلى الحد من امتیازات طبقة رجال الدين والنبلاء مع فرض الضرائب العادلة وإطلاق الحرية التجارية داخل فرنسا ، وعندها كشف أحد هؤلاء الاقتصاديين – وهو ترجو – أنَّ إنقاذ فرنسا من الإفلاس وإصلاح أمورها إنما يجب

^(١) سيأي الحديث عنه

^(٢) مفكر فرنسي من طبقة نبلاء السلاح ونبلاء الرداء عاش في الفترة بين عامي (١٦٨٩-١٧٥٥) ، وأبوه كبير القضاة وأمه صاحبة قصر "لابريد" الذي ولد فيه ، وقد نال مركزاً رفيعاً وهو رئيس المحكمة العليا في مقاطعة بوردو ، وفي عام ١٧٢١ نشر كتاب الرسائل الفارسية ، وهو من أكثر الأعمال المعارضة للمؤسسة الحاكمة ، ثم نشر كتاب "روح القوانين" عام ١٧٤٨ ، ويعود من أهم المؤلفات السياسية في القرن الثامن عشر . انظر : عصر التنوير ، ليود سبنسر وأندرزنجي كروز ، ص: ٣٦ ، مع حاشية المترجم .

^(٣) اسمه جان جاك روسو فيلسوف فرنسي شهير ، عاش في الفترة بين (١٧١٢-١٧٧٨) ، ولد في جنيف وكان ناقداً عميقاً للمجتمع السياسي الذي يهدف إلى تقوية الطبقية ، ألف كتاب "عقد الاجتماعي" بهدف الإصلاح للمجتمع السياسي ، وهو جزء من كتاب أكبر اسمه المؤسسات السياسية ولكنه لم يتم . انظر : روسو ، ديف روبتسون وأوسكار زاري ، ص: ١٤ ، ٨٧ ، ١٦٥ ، مع حاشية المترجم .

أن يتم من خلال قوة أخرى غير الحكومة ، وغير الملكية الضعيفة التي يسيطر عليها كبار رجال الدين والنبلاء ، ولم تكن تلك القوة غير قوة الثورة نفسها ^(١) .

المطلب الثالث : مراحل قيام الثورة :

الثورة الفرنسية – كغيرها من الثورات – التي حدثت فيسائر أوروبا ظهرت نتيجة عوامل متعددة ، وقد أشرت إلى أهمها فيما سبق – ، وأيضاً فإنما لم تحدث دفعة واحدة ، وإنما سارت في خطوات متتابعة تقود نتائج كل خطوة إلى الخطوة التي تليها وهكذا . ولذلك سأتحدث عنها من خلال ذكر الخطوط العامة لهذه الثورة . وبالله التوفيق .

١- الأزمة المالية :

كان العجز المالي الذي أعلنته الدولة بثابة بداية انفجار الثورة ، وقد حاول الملك لويس السادس عشر أن ينقذ خزينة الدولة من خلال تعين أكبر اقتصادي البلاد لتولي الشؤون المالية للبلاد وكان تعينهم على النحو التالي :

عين الملك الاقتصادي الكبير ترجو أو (تركو) ، فقام من فوره واتخذ خطوات إصلاحية كان من أبرزها المطالبة بتحفيض وطأة الضرائب ، وحذف بعض مصروفات البلاط الملكي ، وانتهى الأمر بإبعاده من منصبه عام ١٧٧٦ .

ثم جاء بعده نكر ، وكانت فترة وزارته تمهدًا للثورة من جهتين . الأولى : الأموال الكبيرة التي صرفت لتمويل حرب الاستقلال الأمريكية ، التي أضررت بخزينة الدولة إضراراً بالغاً ودفعت بطريق مباشر باتجاه الثورة . والثانية : قيامه باطلاع الأمة على الأموال العامة ، وطريقة صرفها ، حيث قدم للملك تقريراً عن الحالة الاقتصادية عام ١٧٨١ ، فقرأه الناس وعرفوا ما يدفعون للحكومة من ضرائب ، وما يصرفه الملك على نفسه وحاشيته من الأموال . ولما حاول إدخال بعض الإصلاحات تم عزله عن الوزارة في نفس العام .

ثم حل بعده كالون الذي افتتح إصلاحاته بالدعوة إلى عقد مجلس يضم الأشراف ، والأساقفة ، وكبار موظفي الدولة ، وأطلق على هذا المجلس "مجلس الأعيان" ، وقد حاول كالون حمل المجلس على الموافقة على عدد من الإصلاحات ، ولكن أصحاب الامتيازات لم يرغبو في التنازل عن شيء من امتيازاتهم ، وانتهى الأمر بطرد الملك للوزير ، ومطالبته

^(١) انظر: تاريخ أوربا الحديث ، جفري برون ، ص: ٢٥٠ .

بفرض ضرائب جديدة ، ولكنَّ البرلمانات رفضت الدعوة ، وطالبت بعقد مجلس أوسع لمعالجة تلك الأزمة .

٢ - الدعوة إلى عقد مجلس الطبقات :

بعد فشل مجلس الأعيان جاءت الدعوة للمطالبة بمعالجة الأمر من خلال مجلس أوسع تشارك فيه جميع الطبقات ، وهو ما سمي بمجلس الطبقات ، وهو تقليد قديم ولكنَّه لم يكن فاعلاً ، فأعيد مرة أخرى بناءاً على هذه الدعوة ، وكان يضم عدداً متساوياً من ممثلي الطبقات الثلاث : الأشراف ورجال الدين وال العامة ، وكانت كل طبقة تجتمع على حدة وتصدر قرارها ويكون لها صوت واحد يمثل رأيها ، ولكنَّ هذه الطريقة لم تكن عادلة ولم تعد مقبولة ؛ لأنَّها تحسم التصويت لصالح الطبقتين المتحالفتين على الدوام طبقة رجال الدين والأشراف ضد الطبقة الثالثة ، وهي طبقة العامة وخاصة عندما يتعلق الأمر بامتيازاتهم ، وبسبب احتجاج الطبقة الثالثة على تلك الطريقة وافق الملك على زيادة عدد هذه الطبقة إلىضعف لتصبح بذلك متساوية مع الطبقتين الحليفتين ، ولكنَّه رفض أن يكون الاجتماع في قاعة واحدة ، وأن يكون التصويت سوياً ، فرفضت الطبقة العامة ذلك وأصررت أن يكون التصويت فردياً وليس على أساس الطبقات ؛ لأنَّه سيرجح كفتها بسبب تعاطف بعض أفراد طبقي رجال الدين والأشراف معها دون العكس ، وعند ذلك وجَّهت الدعوة إلى الأشراف ورجال الدين ليطلبوا منهم الالتحاق بعمملي الشعب والبحث معهم في صالح الأمة فاستجاب لهم بعض الأفراد ، ولكن الغالية عارضت الدعوة وانفصلت عن تلك الطبقة .

ولم يكن مجلس الطبقات يهدف إلى مجرد حل الأزمة المالية ، وإنما المطالبة ببرنامج عمل متعدد الجوانب لإصلاح الأمة كلها ، وقد ساعد على ذلك التوجه تلك العرائض التي قدمها الشعب للمجلس ، وكانت تتضمن المطالب الرئيسية للفرنسيين ، ومن أهمها :

أ - صيانة الحرريات العامة ، ومنع التعدي عليها إلا بوجب القانون .

ب - إلغاء الامتيازات ، ومساواة الجميع أمام القانون .

ج - عدم فرض الضرائب إلا بموافقة الشعب مثلاً في مندوبيه في المجلس .

د - توزيع الأعباء الضريبية على الجميع بالتساوي ^(١) .

^(١) انظر: أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبدالعزيز سليمان نوار، د. عبدالجبار نعيمي ص: ٣٠ .

٣- تشكيل الجمعية الأهلية (الوطنية)

بعد ما وصلت الأمور إلى الحد الذي ذكرت قررت الطبقة العامة ومن أنظم إليها مواصلة اجتماعاتها ورأى الله يمكن إهمال نواب الطبقات الممتازة لكون الطبقة العامة تشكل الأغلبية الساحقة من الشعب ، وأنّها تكون ما نسبته ٩٦٪ منهم ، ثم قررت أن تطلق على نفسها الجمعية الأهلية أو الوطنية ، وهكذا تحول مجلس الطبقات إلى أول جمعية نيابية حديثة ظهرت في القارة الأوروبية .

وبعد أن أعلنت الجمعية عن نفسها ، راحت تباشر مهامها ، وكان في طليعتها وضع دستور للبلاد يرتقي بفرنسا إلى أعلى مستويات الفكر العالمي ، وبعدما شرعت في وضع الدستور حدثت بعض الأحداث والتطورات ، وكان من أهمها :

أ - حققت الجمعية بعض المكاسب ، منها انضمام بعض ممثلي طبقة رجال الدين والأشراف ، والشعب الباريسي بفعل الخطب الرنانة التي كان يلقاها خطباء الثورة ، وأصبحت الجمعية بذلك خطرًا يهدد الملكية وحلفاءها . وإزاء ذلك قام الملك باستدعاء فرق من الجيش إلى فرساي على سبيل الاحتراز ، وقام بالتخاذل تدابير أمنية مشددة ، وفي المقابل نظمت الثورة مظاهرات صاحبة عمّت أرجاء العاصمة وتمكن المتظاهرون من السيطرة على بلدية باريس ، وأصبحت مقراً لمقاومة السلطة ، وفي هذه الأثناء انضم جزء من الجيش الفرنسي إلى الثورة وأطلق عليه الحرس الوطني ، وتتمكن هذه القوة من مهاجمة مقر السلاح والمسمى " الأنفاليد" ، ونهبوا ما فيه .

ب - توجهت تلك القوة بعد ذلك إلى " الباستيل" ، وهو رمز طغيان الملكية وظلمها وحطموا أسواره ، وذبحوا حاميته ، وأطلقوا سراح من فيه وكان هذا أول عمل عسكري تقوم به الثورة ، وأطلق الفرنسيون على هذا اليوم " يوم الحرية" ، ولا يزالون يحتفلون به إلى اليوم ، حيث كان إشعاراً ببداية التحرر ، وقامت ثورة أخرى من الفلاحين حيث هاجموا الأديرة وقصور الأشراف ، واحرقوا بعضها ، وصبووا جام غضبهم على ما يتعلق بالضرائب والامتيازات القديمة ، فهاجموا مكاتب الضرائب ، وأحرقوا السجلات الرسمية ولاحقوا الجباة الماليين ، وأنفقو كل ما يثبت امتيازاتهم الكنسية وحقوق الإكليلوس .

- ج -** أمام هذه الأحداث المتلاحقة عقدت الجمعية جلسة للبحث في الوسائل الكفيلة بوقف تيار الاضطراب الجارف ونتج عن هذه الجلسة سلسلة من القرارات الهامة ، وهي :
- ١ - إلغاء جميع حقوق الأشراف الإقطاعية ، وما يتبعها من حقوق قضائية .
 - ٢ - إلغاء أعمال السخرة والضرائب المفروضة على المطاحن والأفران .
 - ٣ - إلغاء امتيازات جميع الأقاليم والمقاطعات .
 - ٤ - إلغاء ضريبة العشر التي تدفع للكنيسة .
 - ٥ - إعلان المساواة التامة بين جميع المواطنين في الحصول على الوظائف العامة .
 - ٦ - إصلاح القضاء بحيث يتساوى الجميع أمامه في الحقوق والواجبات ^(١) .
- وهكذا أصبحت فرنسا تخضع لقانون واحد ، ثم قامت الجمعية بإلغاء التقسيمات الإدارية القديمة ، وبذلك تمت إزالة آخر آثار الإقطاع عن خارطة فرنسا .
- د -** بعد هذه الأحداث أعلنت الجمعية ما يسمى بـ **بمسوّدة حقوق الإنسان** ، وعندما نُشرت أحدثت هزة عنيفة في البلاد ، واعتبرها المؤرخون أهم وثائق التاريخ المعاصر ، حيث اقتبسها دساتير الكثير من الدول بعد ذلك ، وكان من أبرز بنود هذه الوثيقة :
- الناس يولدون ويقيرون متساوين في الحقوق ، والقانون يعبر عن الرغبة العامة ، فكل فرد من الرعية له حق الاشتراك في وضعه بالذات أو بواسطة ممثلين ينتخبهم ويجب أن يكون هذا القانون واحداً للجميع .
 - لا يجوز اتهام شخص أو إلقاء القبض عليه أو سجنه إلا وفق القانون ، وفي القضايا التي ينص عليها فقط .
 - لا يجوز سلب راحة أي فرد بسبب آراءه بما فيها المعتقدات الدينية على شرط ألا يؤدي الناظهار بهذه الآراء إلى اختلال الأمن العام .
 - لكل فرد أن يتكلم أو يكتب ويطبع ما يشاء على أن يكون مسؤولاً عن سوء استعمال هذه الحرية كما يحددها القانون .
 - الضرائب تدفع وفق رغبات الشعب ، وتصرف حسب آراءه كذلك .

^(١) انظر تاريخ أوروبا الحديث ، جفري برون ، ص: ٣٦٦ ، أوروبا من الحملة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ،

د. عبدالعزيز نوار ، ود. عبدالمجيد نعنوي ، ص: ٢٥ .

هـ - بعد صدور هذه الوثيقة قامت ثورة أخرى كانت بسبب نقص الخبز ، حيث تجمعت عدة آلاف من النساء يصيّبن عدد من الرجال المسلمين ، وسرن إلى قصر الملك في فرساي ، وتمكن بعض الأوبرا من دخول القصر ، وتمديد الملكة ، وأعلن الثوار ^{أنه} يجب على الملك أن ينتقل إلى باريس ، وأودعوه سجينًا في قصر التويرلي .

و - في أكثر الخطوات جراء أرادت الجمعية إصلاح وضع الكنيسة ، وما فيها من الاستبداد والمظالم ، وأصدرت سلسلة من القرارات أحدثت ضجة هائلة في المجتمع الفرنسي ، وكان من أهمها :

- جميع أملاك الكنيسة تصبح تحت تصرف الأمة ، على أن تدفع لها ما يلزم لإقامة المراسم الدينية ، وإعانة القائمين بأمرها ، ومساعدة الفقراء ، وبذلك انتزعت من الأساقفة والقساوسة والرهبان جميع أموالهم من شتى الموارد ، وأصبحوا يعتمدون على رواتب الحكومة .

- جعلت انتخاب الأساقفة والقساوسة بيد الشعب ، وأثارت بذلك سخط البابا ، وأبدى بعض رجال الدين نفرًا ، ولكن الجمعية أجبرتهم على أن يقسموا بين الطاعة والإخلاص ، فأتى منهم ستون ألفًا ، وامتنع آخرون وفضلوا الهجرة من فرنسا .

إعلان الجمعية التشريعية :

بعد هذه الحوادث ، وبعد إعلان الدستور عام ١٧٩١م حلت الجمعية نفسها ، وأوصت بتكوين جمعية تشريعية ، وبعد ذلك أعلنت الجمهورية الفرنسية في ١٧٩٢/٩/١٢ ، وبعد أربعة أشهر فقط تمُّ إعدام الملك لويس السادس عشر باعتباره خائناً للأمة ، وبذلت فرنسا عهداً جديداً من تاريخه .

المطلب الرابع : تحليل ونقد :

من خلال هذا العرض لأهم أحداث الثورة نعقب ببعض الأمور :

الأمر الأول : أنَّ أهداف هذه الثورة وإن كانت متعددة إلا أنَّ أهمَّها هدفان رئيسيان ، سعى الثورة لأجلها بكل بقوة . **الأول :** القضاء على الإقطاع لما تجّع عنه من مظالم والاستبداد ضد الطبقة العامة في المجتمع . وقد استطاعت الثورة أن تتحقق هذا الهدف ، حيث قضت على الإقطاع قضاء تاماً . **والثاني :** القضاء على طغيان الكنيسة ، وإزالة الامتيازات الكثيرة التي تميزت بها على بقية الطبقات ، وقد حققت الثورة - أيضاً - هذا

المُهْدَفُ ، وَلِكُنَّهَا فِي سعيِهَا إِلَى تحقِيقِهِ ارتكَبَتْ طغيانًا فِي المُقَابِلِ لَمْ يقتصرْ عَلَى إِصْلَاحِ مُفَاسِدِ الْكَنِيسَةِ ، وَإِنَّمَا بَحْوَازَ ذَلِكَ لِيُصْبِحَ طغيانًا عَلَى الدِّينِ نَفْسَهُ ، فَأَصْبَحَ الدِّينُ – وَلَيْسَ دِينَ الْكَنِيسَةِ – هَدْفًا فِي ذَاتِهِ ، وَمِنْ هَنَا ظَهَرَ العَدَاءُ لِلدِّينِ نَفْسَهُ – كَمَا سِيَّأَتِيَ – .

الْأَمْرُ الثَّانِي : كَانَ هَذِهِ الشُّورَةُ نَتَائِجُ كَبِيرَةٍ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى حَدُودِ فَرَنْسَا ، وَإِنَّمَا تَعْدُتْ لِتَشْمِلِ الْقَارَةِ الأُورَبِيَّةِ بِأَسْرِهَا فَقَدْ كَانَ بُخْرَاجُ هَذِهِ التَّجْرِيبَةِ – عَلَى الْأَقْلَى فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا – لَا سِيمَّا فِي جَانِبِ الْحَدِّ مِنْ مَظَالِمِ الإِقْطَاعِ وَالْكَنِيسَةِ دَافِعًا كَبِيرًا لِدِيِ الشَّعُوبِ الأُورَبِيَّةِ الَّتِي أَكْتَوَتْ بِنِيرِ الظُّلْمِ وَالْطُّغْيَانِ ، وَقَدْ أَيْقَنَتْ أَنَّ التَّغْيِيرَ بَاتْ أَمْرًا مُمْكِنًا ، بَلْ أَصْبَحَ أَمْرًا مُحْتَمِلًا . وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ مِنْ أَهْمَمِ وَأَخْطَرِ آثَارِ هَذِهِ الشُّورَةِ – مَا يَتَعَلَّقُ بِبِحْثَنَا – أَمْوَارًا مُهِمَّةً ، وَهِيَ :

الْأَوَّل : قِيامُ جَمْهُورِيَّةٍ لَا دِينِيَّةٍ ، لَا تَحْفَلُ بِأَمْرِ الدِّينِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ مَصْدِرًا لِتَشْرِيعِهَا .

الثَّانِي : ظَهُورُ الْمَذَاهِبِ الْفَكْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، الَّتِي لَا يَجْمِعُهَا إِلَّا العَدَاءُ لِلدِّينِ ، وَهَذِهِ الْمَذَاهِبُ مِنْهَا مَا نَشَأَ عَلَى العَدَاءِ لِلدِّينِ ، وَمِنْهَا مَا أَنْكَرَ الدِّينَ مِنْ أَصْلِهِ . وَمِنْ هَنَا نَشَأَ الْفَكْرُ الْلَّادِينِيُّ الَّذِي سَأَتَحْدِثُ عَنْهُ فِي الْفَصْلِ التَّالِيِّ .

الثَّالِث : قِيامُ النَّظَرِيَّاتِ الْمُعَادِيَّةِ لِلدِّينِ كَذَلِكَ .



الفصل الثالث

ظهور الفكر اللاديني

وفيه ملخصان

❖ المبحث الأول : دين الحنيفة قبل ظهور الفكر اللاديني

❖ المبحث الثاني : الفكر اللاديني في العلمانية فهو دين

مدخل :

عاشت أوربا في ظل دينها الكنسي الذي أعلنت اعتناقه ما يقارب العشرة قرون في ظلام دامس وجهل مطبق ، حتى أطلق المؤرخون على هذه الفترة "القرون الوسطى" أو "القرون المظلمة" ، وشمل ذلك جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والفكرية وحتى الروحية ، وكان الدين الذي اعتنقته فاسداً من أول لحظة قبلته فيها ، وجعلته دين الإمبراطورية الرسمى ، وزاد رجال الكنيسة ذلك الدين فساداً ، حتى لم يعد صالحًا لإقامة الحياة الصالحة الكريمة ، فضلاً نهضة تعلي من شأن أوربا ، ونهيئها لزمام الريادة بين الأمم .

ويبدو أنَّ أوربا قد أدركت هذه الحقيقة تمام الإدراك ، فقادت بوادر نهضتها على أساس نبذ الدين الكنسي ، واعتباره المعوق الأول أمام نهضتها . وكانت محققة كل الحق عندما نبذت دين الكنيسة ، ولكنَّها ارتكبت أعظم أخطائها عندما تصورت أنَّ سبب هذه النكبة التي حلَّت بها طيلة هذه القرون هو الدين نفسه – وليس دين الكنيسة الذي ابتدعه رجال الدين ، وقادها هذا التصور الفاسد إلى ارتكاب خطأين كبيرين ، وهما :

الأول : أنها لم تبحث عن الدين الصحيح ، المتمثل فيما جاء به المسيح عليه السلام ، وتنقية ما أضافه إليه رجال الدين على مدار تلك القرون الطويلة .

والثاني : أنهُم لم يلتفتوا إلى الدين الصحيح في ذلك الوقت ، وهو دين الإسلام ، الذي كان مطبيقاً ، وعلى أكمل الوجه ، وفي بلاد ليست بعيدة عنهم ، وكانوا يرون ثماراته اليانعة من الحرية الكاملة فيما بين الخالق والمخلوق ، والعدل بين الناس ، وإقامة أعظم الحضارات على الإطلاق ، ولكنَّ أوربا بسبب كبرياتها أو حقدتها أعرضت عنه، فنبذت دين الكنيسة ، ولكنَّها شرعت تبحث عن كل بديل إلا الدين الصحيح ، ول يكن العقل أو الطبيعة ، أو المادة ، أو حتى الإنسان نفسه ، وكان من أعظم نتائج ذلك ، ظهور ما يسمى بالفكرة اللادينية ، الذي أخذ يحل – شيئاً فشيئاً – محل الدين حتى انتصر عليه بصورة نهائية عندما أصبح الدين محسوباً بين جدران الكنيسة ، وفي وقت محدد ، وفي سلوك فردي للراغب فيه ، ومن أعظم مجالات هذا الفكر ما يطلق عليه العلمانية ، وهي التسمية الغير دقيقة ، وعنها سيكون الحديث في هذا الفصل بعون الله تعالى ، بعد أن أقدم لذلك بمبحث عن الدين الذي كانت عليه الكنيسة قبل ظهورها .



المبحث الأول

دين الكنيسة قبل ظهور الفكر اللاديني :

الدين الكنسي الذي اعتنقته أوربا :

سوف أعرض باختصار تاريخ الدين الكنسي من أول لحظة تلقته فيه أوربا ، وحتى ظهور الفكر اللاديني ، من خلال العناصر الأساسية التالية :

١- أوربا لم تعرف الدين الصحيح المترتب على عيسى - عليه السلام - :

لم تعتنق أوربا الدين المترتب من عند الله تعالى على نبيه عيسى عليه السلام ، ولم تعرفه يوماً من الأيام ، وهذه الحقيقة سبقت الإشارة إليها في هذا البحث ، حيث بينت أنَّ الدين الذي اعتنقته الإمبراطورية الرومانية هو الدين الذي ابتدعه بولس ، ثم نشره باسم المسيح عليه السلام ، لكي يحظى بالقبول بين أتباعه ، وهذا الدين المبدع هو الذي أقرته مجتمع النصارى – بعد ذلك – وصدق عليه الإمبراطور قسطنطين ليكون الديانة الرسمية للإمبراطورية كلها ، ويعرف بعض المؤرخين من النصارى بهذه الحقيقة ، ومن ذلك :

يقول المؤرخ الإنجليزي ويلز : « وظهر للوقت معلم آخر عظيم يده كثير من الثقات العصريين المؤسس الحقيقي (للمسيحية) ، وهو شاعر الطرسوسي أو بولس بيد أنه كان متبحراً في لاهوتية الإسكندرية الهيلينية وهو متأثر بطراائق التعبير الفلسفية للمدارس الهلنستية ، وبأساليب الرواقيين .. ومن الراجح جداً أنه تأثر بالميثائية ^(١) ، ويتبين لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنباً إلى جنب من أنَّ ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تظهر قط بارزة قوية فيما نُقل عن يسوع من أقوال وتعاليم ، ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يُقدم قرباناً للله كفارة عن الخطيئة . فما يبشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية ، أمّا ما عمله بولس فهو الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح ، وسفك الدماء لاسترضاء الإله » ^(٢) .

ويقول المؤرخ الأمريكي برنتن : « إنَّ المسيحية الظافرة في مجمع نيقية – وهي العقيدة الرسمية في أعظم إمبراطورية في العالم – مخالفة كل المخالفات ل المسيحية المسيحيين في الجليل ،

^(١) عبادة انتشرت في فارس ، ويقال أن مثراس إله الشمس وهو الذي يقود الحرب العالمية ضد قوى الشر ، وكان يختلف به في الأيام الأخيرة من السنة على أنه إله الشمس الذي لا يغلب . انظر : قصة الحضارة: (١٤٩-١٤٨/١١) .

^(٢) معلم تاريخ الإنسانية : (٣/٥٧٠) .

ولو أنَّ المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعاً لا يأنَّ مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل أنَّ مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتاً »^(١) .

ومن خلال النصين السابقين نخرج بما يلي :

أ – أنَّ النصرانية التي جاء بها بولس واعتنقتها أوربا ليست هي الديانة الصحيحة المترلة على عيسى التكليلاً قطعاً .

ب – أنَّ هذه الديانة "البولسية" خليط من الوثنيات القديمة المنتشرة في ذلك الوقت ، ولا سيما الميراثية التي كانت موجودة في فارس ، والهلنستية التي كانت لدى الإغريق ، والتثليث المنتشر في الديانات المصرية القديمة .

ج – أنَّ هذه الديانة بما اشتغلت عليه من تلك العقائد والفلسفات كانت مخالفة – تماماً – لديانة المسيح التكليلاً .

د – أنَّ ما جاء به عيسى التكليلاً هو ميلاد جديد للروح الإنسانية ، معنى أَنَّه جاء لخلاص البشر من سائر ألوان العبادة لغير الله – تعالى – ، وإعادتهم إلى عبادة الله وحده ، وبذلك العبادة ترقي الروح إلى أعلى درجات كمالها فتحقيق لها بذلك ما عبر عنه المؤرخ السابق بميلاد الجديد ، وهو عكس ما دعا إليه بولس تماماً .

وخلاله القول أنَّ أوربا لم تعرف الدين الصحيح منذ اعتناقه للنصرانية .

٢ – أوربا اعتمدت النصرانية عقيدة منفصلة عن الشريعة :

من المعلوم تاريخياً أنَّ الدولة الرومانية منذ أن ادعت تنصرها لم تزد على أن ردت بعض العقائد الفاسدة التي ابتدعها بولس ، وأقرتها هي بعد أن رأت أنها لا تختلف كثيراً مما هي عليه أصلاً من الوثنيات ، فلم تعرف الشريعة طريقها إلى الحياة الرومانية ، بل ظل القانون الروماني هو الذي يحكم شؤون الدولة . بل إنَّنا لا نجد أي إشارة إلى حرص النصارى على تطبيق الشريعة التي تضمنتها التوراة ، التي يؤمنون بها ، إلا ما يُذكر من تطبيق بعض الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية . ولو كان للنصارى شيء من العذر في فترات الضعف والاضطهاد التي عاشتها في قرونها الأولى ، فإنَّ ذلك العذر لم يعد سائغاً ومقبولاً

^(١) أفكار ورجال ، ص: ٢٠٧ .

عندما استعملت الكنيسة ، وأصبحت ذات السيادة العليا والمطلقة ، وأصبحت لها الكلمة المسموعة في أرجاء الإمبراطورية كلها ، بل الذي حدث أنَّ الكنيسة استغلت كل ذلك السلطان لا لإقرار شريعة الله - تعالى - وتمكينها في الأرض ، وإنما لتحقيق مطامعها الدنيوية ومصالحها الخاصة لا غير .

ومن المؤسف أنَّنا نجد في تعاليم النصارى أنفسهم - وهم يزعمون انتساقهم لل المسيح الكليل - ما يدعو إلى إقصاء الشريعة عن الدولة ، أو ما يعبر عنه اليوم بفصل الدين عن الدولة ، وذلك ما نسبوه إلى المسيح الكليل ، آنه قال عندما سأله اليهود عن دفع الجزية لقيصر : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ^(١) . وهذا القول - من وجهة النظر الإسلامية - علمانية ، بل هو الأساس الذي تقوم عليه ، ولا يمكن أن يصدر هذا المعنى "الشركي" من جاء ليخرج الناس من ظلمات الشرك .

والمقصود أنَّ الشريعة المترلة من الله الكليل لم تعرف طريقها إلى الحياة الرومانية .

٣- العقيدة التي اعتنقها النصارى لم تكن هي العقيدة الصحيحة :

كما أنَّ الشريعة لم تعرف طريقها إلى الحياة الرومانية ، كذلك فإنَّ العقيدةنصرانية ، التي أقرها مجمع نيقية ، وقبلتها الدولة لم تكن هي العقيدة الصحيحة التي تكسب النفس الطمأنينة والاستقرار ، وتحرك الوجودان للمسارعة إلى الخيرات ، والكف عن المحرمات ، وبالتالي يتحرك المجتمع إلى الرقي . بل كانت على العكس من ذلك تزيد العقل حيرة ، وتؤوي للوجودان بالبعد عن الدنيا تقرباً إلى الله - تعالى - ، وبيان ذلك :

أنَّ عقيدة تقوم على أنَّ الرب الذي ينبغي أن توجه له العبادة ليس إلهاً واحداً ، بل هو ثلاثة آلهة ، حقيقة ، أو ثلاثة أقانيم ، ومع ذلك فإنَّ هذه الثلاثة كلها إله واحد ، وأنَّ عيسى - الكليل - هو في ذات الأمر إله ، وابن إله ، وثالث ثلاثة ، ومع عظم منزلته رضي بأن يقدم نفسه "ذبيحة" على الصليب ، افتداءً لجميع البشر الملوثين بخطيئة أبيهم آدم الكليل ، ولا يزال البشر إلى اليوم يولدون ملوثين بها ، وليس لهم سبيل إلى الخلاص منها إلا عن طريق ما شرعه رجال الدين من طقوس وأسرار لا يعلم بها إلا هم ولا تقبل إلا من خالهم !

^(١) متى : (٢٢/٢٢) ، مرقص : (١٢/١٧) .

إنَّ مثل هذه العقيدة لا يمكن أن تحرر صاحبها من ربة الشرك ، وعبادة الأواثان وتنقله إلى أمن التوحيد والإيمان ، بل غاية ما فيها أن تنقله من عبادة آلهة كثيرة إلى عبادة آلة مثلاً ، ويقى في ظلمات بعضها فوق بعض .

٤- إضافات رجال الدين :

هذه العقيدة التي ابتدعها بولس وقررها المجامع النصرانية وأخذت صفتها الرسمية في القرن الرابع الميلادي بالرغم من أنها تخالف الدين الحق الذي جاء به المسيح ﷺ إلا أنها أيضاً لم تبق على صفتها الرسمية التي أعلنتها المجامع ، وأيدتها الدولة بسلطانها ، بل لم تزل في تطور بالإضافة والتبديل من قبل خلفاء الرب وممثليه على الأرض والأمناء على الدين ، بل ولم يزل هذا التغير والتبديل مستمراً إلى اليوم ، في مجال العقائد والشرائع على السواء .

وكان أهم هذه الإضافات ظهور الأسرار "المقدسة" ، التي احتفظ رجال الدين بالعلم بكنها، ومن ثم فلا يمكن أن تقبل ولا تؤدي إلا من خالهم ، ولا يمكن أن تتحقق بركتها إلا بصلواتهم ودعائهم . ثم ظهرت شعائر أخرى من صلوات ، وصيام ، وأعياد ، وحتى حج وزيارة للأماكن المقدسة - عندهم - ، وكذلك ظهر تعظيم الصور والتمايل ، وقد شمل مسلسل التغيير حتى العقائد ، فظهرت عقيدة المطهر ، وصكوك الغفران ، وكان آخرها - وقد لا يكون الأخير - عقيدة عصمة البابا التي أقرت بعد ما يقارب الثمانية عشر قرناً من عهد المسيح ﷺ، وهكذا يستمر التغيير في تلك الديانة .

و كانت النتيجة النهائية لهذا العبث بالدين - حتى في صورته المبدعة - أن تسلط رجال الدين على أتباعهم أعظم التسلط ، وأصبحوا أرباباً من دون الله .

٥- نظرة الدين النصراني السلبية إلى الحياة :

نظرة النصرانية إلى الحياة في غاية السلبية ، ويتبيّن ذلك من خلال الأمور التالية :

أ - الإنسان يولد ملوث بخطيئته ، ولذلك ينحصر دوره في الحياة في محاولة الخلاص منها ، ولم يكن ذلك الخلاص ليتحقق بالتوبيه والرجوع إلى الله ، وإنما بسلسلة من الطقوس والمكريات ، يرجع تحديدها إلى رجال الدين وحدهم .

ب - الحياة الدنيا قصيرة ، وعوده المسيح - ﷺ - الثانية وشيكه الوقوع ، وإذا كان الأمر كذلك فما للعمل قيمة ، وإنما الواجب الانتظار للدخول في "ملكة الرب" .



ج - الحياة الدنيا - كذلك - مليئة بالشرور والآثام ، وإن العمل فيها - فضلاً عن التعلق بها - كما أَنَّه دنس ورجس من عمل الشيطان ، فإِنَّه كذلك يصرف عن الدخول في مملكة الرب الخالدة !

د - الدنيا عدوة الآخرة ، ولا لقاء بينهما . هذه الثنائية "الختمية" التي ابتدعتها الكنيسة ، وبنت عليها أَنَّ من أراد الآخرة ، ودخول الملائكة ، فما عليه إلا أن يجعل الدنيا خلف ظهره ، ويولي وجهه إلى الآخرة من خلال رهبانية ينقطع فيها عن الدنيا بأسرها ، ويعيش بقية حياته في دير أو في حتى في البراري والقفار حتى يتحقق له رضوان الله .
ه - إنَّ عدم رضا الإنسان بما هو عليه من فقر ، أو جوع ، أو حتى ظلم وسلط ومحاولته لتغيير ذلك الواقع ، من خلال سعيه لطلب الرزق ، أو تحسين معاشه هو خطيئة لا تغفر ، وتمرد على الإرادة الإلهية ، يوجب غضب الرب وسخطه . ولا شك - بطبيعة الحال - أنَّ رجال الدين خارجون عن هذا القانون .

هذا هو حال الدين في الصورة التي وضعتها الكنيسة ، وهو كما يظهر لم يكن صالحًا لإقامة حياة كريمة لا على مستوى السلوك الفردي ، ولا على مستوى الحياة الاجتماعية ، ومن باب أولى أن هذا الدين - بهذه الصورة - لن يكون حافزاً لإقامة نهضة شاملة تسعى أوربا لتحقيقها ، بل هو من أكبر المعوقات في طريق تلك النهضة .



المبحث الثاني

ظهور الفكر اللايدني (العلمانية نموذجاً)

و فيه مدخل و ثلاثة مطالب

- **المطلب الأول :** تعريف العلمانية وأصلها
- **المطلب الثاني :** ظهور العلمانية
- **المطلب الثالث :** مجالات العلمانية وأثارها



مدخل : المراد بالفَكِيرُ الْلَادِينِي :

المقصود بالفَكِيرُ الْلَادِينِي كل فَكِيرٍ يقوم على استبعاد الدين من حسابه ، وليس شرطاً أن يقوم على محاربة الدين ، وهذا الفَكِيرُ لم يتبلور في صورته الواضحة إلا مع بداية عصر النهضة ، ولم يأخذ صورته النهائية ، إلا بعد قيام أول دولة لادينية ، وهي دولة فرنسا بعد الثورة الفرنسية – التي سبق الحديث عنها – .

ولكنَ ظهور أصوله أقدم بكثير من هذه الفترة ، فقد ظهرت تسلط الكنيسة باسم الدين على كافة جوانب الحياة الأوروبية السياسية والاقتصادية والعلمية ، وغيرها ، وأيضاً ؛ فإنَّه لم يأخذ صورته العلنية في أول الأمر بسبب قوة سيطرة الكنيسة وهيمنتها ، ولكنَّه بدأ في الظهور إثر الضربات التي تلقتها الكنيسة الضربة تلو الأخرى من الداخل والخارج ، مما أضعفها ، ورفع أصوات المعارضين ، وظهر صوت "الفَكِيرُ الْحَرِي" المنتقد للكنيسة عليناً .

المطلب الأول : تعريف العلمانية :

تعريفها في المعاجم العربية :

مصطلح العلمانية مستحدث في اللغة العربية ، ولا نجد له ذكرًا في معاجمها إلا المتأخرة منها ، وبالنظر إلى تلك المعاجم يمكننا أن نقف على ثلاثة تعريفات لها ، كما يلي :

- ١ - في معجم المعلم البستاني – من نصارى لبنان –: العلماني الذي ليس ياكابر كي .
- ٢ - في المعجم العربي الحديث تأليف د. خليل الجسر : علماني : ما ليس كنسيًا ولا دينياً .

٣ - في المعجم الوسيط بجمع اللغة في القاهرة : العلماني نسبة إلى العلم ، وهو خلاف الدين أو الكنهوي ^(١) .

وتشترك جميع التعريفات السابقة في أنَّ معنى العلماني هو خلاف الدين ، ويقدر الباحثون أنَّ هذه الكلمة لم ترد في المعجم العربية إلا في وقت متأخر ، حيث ابتدأ ذكرها في المعجم النصري أولًا في لبنان حوالي سنة ١٧٨٠ م ، ثم جاء ذكرها في المعجم الوسيط ، الذي طبع أول نسخة منه عام ١٧٩٠ م .

^(١) انظر التعريفات السابقة : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار الدكتور : علي جريشة ، ص: ٧٣ .



وأماماً أصل هذه الكلمة فقد اجتهد بعض الباحثين المسلمين في بيان ذلك ، وحاصل ما وقفت عليه من آرائهم في أصلها رأيان :

الأول : أن العلِّمانية (بفتح العين لا بكسرها) منسوبة إلى العلم ، وهو العالم (بفتح اللام) ، أو الدنيا التي هي في مقابل الآخرة .

وهذا الرأي ذكره الدكتور عبدالحليم محمود (شيخ الأزهر الأسبق) ^(١) .

والثاني : أن العلِّمانية (بكسر العين) مشتقة من العلم ؛ لأنَّ الأصل اللاتيني لكلمة (Secularius) معناه : عالم متبحر ^(٢) .

والذي يظهر أن كلا الرأيين يتضمنان شيئاً من التكلف ، ولا يسلمان من الاعتراض . فاما القول بأنَّ أصلها من العالم ، فإنَّه بعيد ؛ لأنَّ النسبة إليه (عالمي) ، وليس علماني ، ومن جهة أخرى ؟ فإنَّه ليس ثمة ميزة تخص هذا الفكر دون غيره ليكون عالمياً . وكذلك فإنَّ النسبة إلى العلم - أيضاً - غير دقيق ، فإنَّ الصواب أن تكون النسبة على هذا المعنى (علِّمي) وليس علماني ، ولو قلنا أنَّ النسبة هنا غير قياسية ، فيبقى أن نقول أنَّ هذا الفكر لم يكن منتسباً إلى العلم بطريق الاختصاص لا إثباتاً ولا سلباً ؛ لأنَّ طغيان الكنيسة - الذي كان من أسباب نشأة هذا الفكر - وإن كان يشمل الطغيان ضد العلم ، إلا أنه لم يكن مختصاً بذلك ، بل كان طغياناً عاماً شمل جميع جوانب الحياة الأوروبية .

ويعنينا عن ذلك أن نقول : إنَّ هذه الكلمة ليست عربية حتى تتكلف ذلك التكلف في البحث عن أصلها ، وإنما هي ترجمة بعض العرب عن اللغات الأوروبية ، والذي ينبغي علينا أن نبحث عن أصلها ، ثمَّ معرفة معناها من خلال تلك اللغات التي جاءت بها ابتداءً ، ثمَّ الوصول إلى المعنى الدقيق المراد منها ، وهو ما سألينه فيما يلي .

أصل هذه الكلمة في اللغات الأوروبية :

الأصل الذي ترجمت منه لفظة العلِّمانية جاء في أهم اللغات الأوروبية كما يلي :

١ - في اللغة الإنجليزية من كلمة : (Secularism) .

٢ - في اللغة الفرنسية من كلمة : (Secularite) ^(١)

^(١) المصدر السابق ، ص: ٧٦

^(٢) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

^(٣)

ثم جاءت الترجمة العربية عن هذين الأصلين إلى العلمانية وهي – بحسب معناها العربي مأخوذة من العلم ، وتتضمن المدح ، ولكن هذه الترجمة – فضلاً عن كونها مضللة – غير دقيقة ، بل غير صحيحة ، فهي ترجمة خاطئة عن الأصلين ، ومم يدل على ذلك دليلاً :

الدليل الأول : أنَّ الأصل الذي اعتمدت عليه الترجمة في اللغة الإنجليزية والفرنسية كذلك لا يدل على معنى العلم ، ولا صلة له به ؛ لأنَّ كلمة العلم معناها في اللغة الإنجليزية وأيضاً في الفرنسية (Science) ، والمذهب العلمي يطلق عليه (Scientism) ، والنسبة إلى العلم هي (Scientific) في الإنجليزية ، و(Scientifique) في الفرنسية ، ومعنى العالم (Scietist)^(١).

الدليل الثاني : أنَّ معنى هذه الكلمة كما ورد في المعاجم ، ودوائر المعارف الأوروبية لا يدل على معنى العلم ، ولا صلة له به ، وبيان ذلك ، كما يلي :

أولاً : ما ورد في بعض المعاجم الأوروبية :

١ - جاء في معجم أكسفورد بيان معنى كلمة Secular :

- دنيوي أو مادي ، ليس دينياً ، ولا روحياً ، مثل : التربية اللادينية ، الفن والموسيقة اللادينية ، السلطة اللادينية ، الحكومة المناقضة للكنيسة .

- الرأي الذي يقول إنَّه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية .

٢ - يقول قاموس "العلم الجديد" لوبستر عن المادة نفسها :

- الروح الدنيوية ، أو الاتجاهات الدنيوية ، ونحو ذلك ، وعلى الخصوص : نظام من المباديء والتطبيقات (Practices) يرفض أي شكل من أشكال العبادة .

- الاعتقاد بأنَّ الدين ، والشؤون الكنسية لا دخل لها في شؤون الدولة ، وخاصة التربية العامة^(٢) .

٣ - وجاء في قاموس المورد المنير مادة : Secular

^(١) المصدر السابق : وقاموس المورد ، منير العلكي ، مادة : Science .

^(٢) انظر : العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، د ٠ سفر الحوالي ، ص: ٢٢ .

- دنيوي ، غير ديني ، مدنى ، غير إكليريكى ، غير منتب إلى رهبانية ،
Secularity : الدنبوية ، عدم المبالغة بالدين أو بالاعتبارات الدينية و
: شيء دنيوي ، الصفة الدنبوية أو المدنية ^(١) .
ثانياً : ماورد في دوائر المعارف :

جاء معنى **Secular** في دوائر المعارف أكثر إيضاحاً ، وهو كما يلى :
في دائرة المعارف البريطانية ، جاء تعريف المادة السابقة بأنها : « حركة اجتماعية
تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالأخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها . ذلك أنه
كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله
واللهم الآخر . ومن أجل هذه الرغبة طفت الـ **Secularism**) تعرض نفسها من
خلال تنمية الترعة الإنسانية ، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد
بالانجازات الثقافية البشرية ، وبإمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه الحياة القريبة . وظل
الاتجاه إلى (**Secularism**) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها
حركة مضادة للدين ، ومضادة للمسيحية » ^(٢) .

وجاء في دائرة المعارف الأمريكية : « العلمانية نظام أخلاقي مستقل مؤسس على
مبادئ من الخلق الطبيعي ، مستقل عن المظاهر الدينية أو " الفوق طبيعي " » ^(٣) .
ومن خلال تعريف هذه الكلمة في مصادرها الأصلية يتتأكد لنا :

١ - أنَّ الترجمة العربية لكلمة (**Secularism**) بأنها العلمانية ترجمة خاطئة
ومضللة ، وأنَّ أصلها الأوربي لا صلة له بالعلم . ويُمكننا أن نلتسم عذرًا لمن ترجموها - لمن
نعتقد فيهم حسن النية - بأنَّ الحامل لهم على ذلك هو الربط بين هذا المعنى وبين الطغيان
الذي مارسته الكنيسة ضد العلم ، ولكن هذا الربط وإن تضمن معنى صحيحاً إلا أن
الاستدلال به على تلك الترجمة استدلال في غير موضعه .

^(١) منير العلبيكي ، المادة المذكورة .

^(٢) نقلًا عن كتاب مذاهب فكرية معاصر، محمد قطب ، ص: ٤٤٥ .

^(٣) نقلًا عن : العلمانيون والقرآن الكريم ، د. احمد إدريس الطعان ، ص: ١٢٤ .

٢- أنَّ الترجمة الصحيحة لها لا تخرج عن معنى الدنيوية أو اللادينية ، والترجمة الثانية هي الأدق ، بل هي المطابقة لمعنى الكلمة ؛ لأنَّ الفكر العلماني إنما قام على أساس نبذ الدين ، لا نبذ الدنيا فحسب .

٣- يمكننا تعريف العلمانية بعد هذا التقرير بأنها : إقامة الحياة على غير الدين ^(١) . وهذا التعريف أشمل وأدق من القول بأنها : فصل الدين عن الدولة ، كما هو ظاهر من العرض السابق .

المطلب الثاني : ظهور العلمانية :

من الصعب علينا تحديد ظهور العلمانية بسنة معينة ؛ لأنَّ ظهورها كان نتيجة عوامل كثيرة ، ومتداخلة . ولكنَّ المرجح أنه كان متزامناً مع عصر النهضة الأوروبي ، التي جعلت نبذ الدين أساساً لقيامها ، ولكنَّ الفكر العلماني استقر على صورته النهائية عندما تأسست أول دولة علمانية ، وهو دولة فرنسا عام ١٧٩٢ م .

وأمامَ من حيث التفصيل ؛ فإنَّ مصطلح العلمانية (Secularism) قد ظهر لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين عاماً أي عام ١٦٤٨ م ، عند توقيع صلح "وستفاليا" وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة ، وهو التاريخ الذي يعتمد الكثير من المؤرخين لبداية ظهور العلمانية في الغرب ^(٢) .

ويعتبر هوليوك أول من وضع المصطلح بمعناه المعاصر ، وبأبعاده المختلفة ، وكان أول استخدام لهذه الكلمة عام ١٨٤٦ م ، في مجلة ذي ويزيونور ، التي تعني : "المجادل العقلاني" ، وكان سبب ذلك هو شعور هوليوك وبعض زملائه بأنَّ النصرانية لم تعد مقبولة لدى أكثر فئات المجتمع ، وأنَّ الحاجة ماسة إلى استبدالها ببدأ حديث فكان هو العلمانية ^(٣) .

وقد أسس هوليوك عام ١٨٥٥ م جمعية لندن العلمانية ، ثمَّ تحولت إلى تيار واسع النطاق ، وقد بدأ انتشارها بين عامي ١٨٥٣ - ١٨٥٤ م ، ثمَّ انتشرت الجمعيات العلمانية في جميع أنحاء بريطانيا ، ومن أبرزها "جمعية لستر" و "بولتون" ، ثمَّ خلف هوليوك تشارلس

^(١) انظر : العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، د . سفر الحوالي ، ص: ٢٤ .

^(٢) انظر : العلمانيون والقرآن الكريم ، د . أحمد إدريس الطعان ، ص: ١٢٧ .

^(٣) المصدر نفسه ، ص: ١٢٨ .

برادلaf على رئاسة جمعية لندن عام ١٨٥٨ م ، واشترك في تحرير مجلة "المصلح القومي" التي
حلت محل ويزونور ، وأسس الجمعية العلمانية القومية عام ١٨٦٦ م^(١) .

وبعد ذلك اندررت مجلة القومي لتحل محلها "المفكر الحر" ذات الترعة الإلحادية ، والتي
لم تكف عن الاستهزاء بالأنجيل ، والسخرية من الذات الإلهية ، حتى إنها طالبت بمحاكمة
أصحاب الأنجليل لأنهم "يجدفون على الله"!^(٢) .

عوامل نشأة العلمانية :

نشأ الفكر العلماني في أوربا في عصر النهضة نتيجة عوامل معينة دفعت بظهوره ،
ومن ثم أدت هذه العوامل إلى سرعة انتشاره ، حتى شمل كافة أرجاء أوربا قاطبة ، وسوف
أ تعرض في هذه الفقرة لأهم تلك العوامل على سبيل الاختصار في النقاط التالية :

العامل الأول : طغيان الكنيسة :

تحدثت في البحث السابق عن حال الدين الذي كانت عليه الكنيسة ، وأنه - بما
اشتمل عليه من الفساد - كان مهيئاً للقيام بظهور الفكر العلماني - إلا أنَّ أمراً آخر كان
قد دفع عجلة اتجاه الفكر إلى العلمانية ، وهو الطغيان الكبير الذي مارسته الكنيسة في جميع
مجالات الحياة الأوربية ، وكان أشد ما فرضته على العلماء والمفكرين من القيود القاسية ،
التي تبدأ بتحريم التفكير ، والبحث العلمي إلا من خلال الكنيسة ، وأن يجري تحت سمعها
وبصرها ، وانتهاءً بمحاكم التفتيش التي كانت بالمرصاد لكل من تسول له نفسه الخروج عن
تعاليم الكنيسة ، ولما كان مجال الفكر والبحث العلمي هما أعظم المجالات التي تقوم عليها أي
نهضة ، فلم تجد أوربا خياراً أمام رغبتها الجامحة في سلوك طريق النهضة ، إلا بحل تلك
القيود التي فرضت عليها من الكنيسة ، وعاشت بسببها قرونًا طويلة في ظلمات الجهل
والتخلف فنبذت ذلك الدين الكنيسي ، ولكنها لم تلتفت - استكماراً وعلواً - إلى الدين
الصحيح الذيجاورته في الأندلس ، ونهل أبنائها منه العلوم المختلفة على أيدي المسلمين ،
وشهدوا فيها ، وفي غيرها من الممالك الإسلامية قيام أعظم الحضارات في ذلك الوقت .
نبذت أوربا دينها الكنيسي واستبدل رواد النهضة به ديناً جديداً ، وإن اختلفوا في تحديده ،

^(١) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

^(٢) المصدر السابق ، ص: ١٢٩ .

بين من جعله هو العقل ، ومن جعله في الطبيعة ، أو في العلم ، ولكنَّ الجميع اتفقوا على إبعاد الدين عن كل ذلك ، فكان الفكر اللاديني هو البديل عند جميع أولئك الرواد .

العامل الثاني : فساد رجال الدين :

كان دين الكنيسة فاسدا ، وأضافت إليه الكنيسة طغيانها على الحياة الأوروبية ، وكانت الطامة الأخرى ، هي فساد رجال الدين أنفسهم ، فساداً تخلل كل مؤسسات الكنيسة ، وقد سبق تفصيل ذلك من قبل ، ولكن أقول هنا : إنَّ فساد رجال الدين وانحرافهم نزع البقية الباقية من أثر الدين في نفوس أتباعه ، فلم يعد ذلك الدين مما يؤسِّف على تركه ، وأصبحت مفارقته ليست أمراً هيناً فحسب ، بل شرطاً لابد منه في طريق النهضة المنشود لدى أولئك الرواد .

العامل الثالث : ظهور الفكر النقدي للكنيسة :

عندما بلغت الكنيسة غاية التسلط والطغيان ، وقمة الفساد والانحطاط ، علت أصوات المتقددين لها ، وشرعت تلك الأصوات تُدين سلطان الكنيسة الجائر تارة ، وتنتقد الفساد والانحلال الذي حل برجال الدين تارة أخرى ، وتوجه سهام انتقادها نحو تنافضات الدين الذي تحمله الكنيسة تارات كثيرة .

وكانَت تلك الأصوات الناقدة تنقسم إلى قسمين :

الأول : أصوات ناقدة من داخل الكنيسة نفسها :

ويمثل هذا الاتجاه أغلب أصوات المصلحين من أمثال ويكلف ، وهوس ، ولوثر وزونجلري ، وكالفن ، وغيرهم . وهذه الأصوات وإن كانت تناادي بالإصلاح في الأصل ، إلا أنها ساهمت في كراهية الناس للدين ، بما أظهرته من العقائد والطقوس الباطلة التي ابتدعها رجال الكنيسة الكاثوليكية ، غير أنَّ هذه الأصوات لم تسلم هي من ذات الأخطاء التي كانت ترمي بها الكنيسة الكاثوليكية ، فها هي تدعى السلطان ذاته لنفسها ، وتديق أعدائها ، بل حتى مخالفيها أشد ألوان العذاب ، وما حروب الكاثوليك والبروتستانت التي استمرت سنوات طويلة إلا خير شاهد على ما ذكرنا .



والثاني : الأصوات الناقدة من خارج الكنيسة :

وهي أصوات الفلاسفة والمفكرين الأحرار ، الذين أخذوا ينددون بكل قبائح الكنيسة وأخذت تلك الأصوات – شيئاً فشيئاً – تجاهر بانتقادها للكنيسة ، وتعرض مشكلاتها ، وتعرض رؤاها في الإصلاح من خلال المطالبة في صراحة تامة بفصل الدين – ذات الدين وليس دين الكنيسة – عن الحياة ، وأن ذلك هو السبيل – والسبيل الوحيد للنهضة التي تروم أوربا لتحقيقها ، ومن الأمثلة على تلك الأصوات :

١ - الكتاب الموسوعيون الذين كتبوا دائرة المعارف ، بزعامة "ديدرول" ^(١) ، و كانوا يناصبون الأديان عداوة عمياء ^(٢) .

٢ - الفيلسوف اليهودي الملحد "بنيتو دي إسبينوزا" ^(٣) :

عاش في الفترة بين ١٦٣٢ - ١٦٧٧ م ، وتميز بنظرته النقدية تجاه الدين ، وقام بإجراء محاولة للعثور على فلسفة يمكن أن تحل محل العقيدة الدينية ، واستطاع أن ينشر كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة" دون الإفصاح عن اسمه ، وأصبحت هذه الرسالة معلماً هاماً من معالم نقد ما يسمى بالكتاب المقدس ، وكان يتبنى إخضاع الكنيسة لسلطة الدولة ، وأنه يجب أن يكون للدولة السلطة العليا في الشؤون الكنسية .

وما جاء في رسالته : « ومن الخطورة على الدين وعلى الدولة على السواء إعطاء من يقومون بشؤون الدين الحق في إصدار القرارات أياً كانت أو التدخل في شؤون الدولة ،

^(١) اسمه دينيس دي درو مفكر فرنسي عاش في الفترة (١٧١٣ - ١٧٨٤) ، وظهر في عهده أعظم انتاج فكري وهو موسوعة دائرة المعارف ، وهي عبارة عن جمع للمعارف المنتشرة لكافة العلوم والفنون والحرف ، وظهر المجلد الأول منها عام ١٧٥١ ، واحتوى على ٢٧٠٠٠ مادة ، و ٢٥٠٠ صورة محفورة . انظر : عصر التنوير ، ليود سبنسر وأندرزيجي كروز ، ص: ٧٠ .

^(٢) انظر العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، د ٠ سفر الحوالي : ١٦٩ .

^(٣) فيلسوف مادي عقلي وهو برطغالي من أصل يهودي ، ولد في أمستردام عام ١٦٣٢ ، نشر في حياته كتابين الأول مباديء الفلسفة الديكارتية والثاني رسالة في اللاهوت ولم يذكر عليه اسمه ، ونشرت بقية مؤلفاته بعد وفاته ، ومنها الأخلاق ، البحث السياسي ، إصلاح العقل ، الرسائل ، رسالة في النحو العربي ، انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبدالوهاب المسيري : (١٣٦١ - ١٤٤٣) ، موسوعة الفلسفة ، د ٠ عبد الرحمن بدوي : (١ / ١٣٦) ، إسبينوزا والإسبينوزية ، بيار فرنسوامورد ، ص: ١٥ - ١٨ .



وعلى العكس يكون الاستقرار أعظم إذا اقتصرت الإجابة على الأسئلة المقدمة عليهم ، والتزموا في أثناء ذلك بالتراث القديم الأكثر يقينًا والأوسع قبولًا بين الناس »^(١) وصورة العلمانية في هذا النص ظاهرة في منع رجال الدين من إصدار القرارات ، ومنع التدخل في شؤون الدولة ، وحصر مهمتهم في الإجابة على الأسئلة المقدمة إليهم .

٣- الفيلسوف الفرنسي ديكارت^(٢):

نادى بأن للعقل ميدانه ، وللدين ميدانه ، وميدان العلم هو الطبيعة ، وميدان الدين هو العالم الآخر^(٣) . وبذلك افترض الصراع بين الدين والعلم أو الدين والعقل ، ثم رأى أن الحل يكمن في إزاحة الدين ، واستبداله بالعقل أو العلم ، وفي كلتا الحالتين فقد تم إقصاء الدين عن الحياة .

٤- الفيلسوف الفرنسي فولتيير^(٤):

مات قبل الثورة الفرنسية بقليل ، وهو الذي أشعل فتيلها ، واطلق على النصرانية لقب " الكائن الوضيع " ، وله كتاب في الهجوم على الكنيسة بعنوان " مقبرة التعصب " ، وصف فيه عقيدة النصارى بأنها متناقضة ، سفاكة للدماء ، يتتصر لها الجلادون ، وتحيط بها عصبة الأشرار ، ولا يذعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوة أو ثراء^(٥) .

وهكذا يتبيّن لنا أن هؤلاء النقاد وغيرهم قد وجدوا من تسلط الكنيسة من جهة ، ومن فساد رجاتها ، وتناقض عقائدها وشرائعها مادة مناسبة لإظهار انتقاداتهم ، ومسوغاً – منطقياً – لطلابتهم بعزل ذلك الدين عن الدولة ، ثم عن الحياة بعد ذلك .

^(١) انظر : إسبينوزا والإسبينوزية ، بيار – فرنسو مورو ، ص: ٨١-٧٣ ، والعلمانية ، د. سفر الحوالى ، ص: ١٧١ .

^(٢) يعد رائد الفلسفة في العصر الحديث ، ومبتكر المندسة التحليلية ، ولد في عام ١٥٩٥ في مدينة لاھيغ فرنسا ، من أهم كتبه : " بحث في العالم " ولم ينشر إلا بعد وفاته ، و " تأملات في الفلسفة " . انظر : موسوعة الفلسفة ، د. عبدالرحمن بدوي: (٤٨٨-٤٩٨/١) .

^(٣) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار علي جريشة ، ص: ٦١ .

^(٤) فيلسوف وشاعر فرنسي شهير عاش في الفترة (١٦٩٤-١٧٧٨) ، ولد في باريس ، وكان معارضًا لتعصب الكنيسة الكاثوليكية ، سجن في الباستيل بعد أن هجا الوصي على العرش الفرنسي ، وفي سجنه أعاد كتابة مسرحية (أوديب) ، ونظم قصيدة عن الملك هنري الرابع . انظر : موسوعة الفلسفة ، د. عبدالرحمن بدوي : (٢٠١/٢) .

^(٥) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار علي جريشة ، ص: ٦١ .

العامل الرابع : الثورات المسلحة :

عاشت الشعوب الأوربية – ولاسيما الطبقات الكادحة – من الذل والقهر والظلم في ظل الكنيسة حداً لا تطيقه ، وكان رد الفعل لذلك أن ظهرت ثورات متعددة في أنحاء أوربا ، وهي وإن اختلفت في مقاصدها الخاصة ، إلا أن الدافع المشترك لها هو محاولة التخلص من سلطان الكنيسة الجائر ، ولذلك قام "الثوار" لمقاومة ذلك الطغيان ، وهم لا يملكون من مصادر القوة شيئاً إلا قوة الحق الذي يؤمنون به ، حتى قدموا من أجل ذلك أنفسهم التي أكتوت بنير الظلم والقهر ، وراح ضحية تلك الثورات الآلاف من البشر ، ومن أهم تلك الثورات :

- ١ - ثورة الفرسان في ألمانيا : كانت في بداية القرن السادس عشر ، حيث هاجم الفرسان الكنائس والأديرة ، ودمروا التماثيل ، وطردوا الرهبان من الأديرة .
 - ٢ - ثورة الفلاحين في ألمانيا : وفيها طالب الفلاحون بتحفيض ضريبة العشور التي تؤدى للكنيسة ، ومنحهم الحق في اختيار رجال الدين ، وأدت هذه الثورة إلى قتل عشرات الآلوف من الفلاحين لإخراج تلك الثورة .
 - ٣ - ثورة الأرضي المنخفضة : وفيها تم في أسبوع واحد تحطيم ٤٠٠ كنيسة ، وكثير من الأديرة ، وأحمدت الثورة بعد إعدام ١٨٦٠٠ مواطن ، وفار ثلثة أضعاف ذلك العدد خارج البلاد^(١) .
 - ٤ - الثورة الفرنسية : وهي أهمها وأشهرها ، وهي التي رفعت شعار "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس" ، وكان من أهم نتائجها إقامة الدولة الفرنسية "اللامانية" ، وإنما سلطة رجال الدين ، وحصرها داخل الكنيسة ، وتم بذلك العلمانية الكاملة^(٢) .
- المطلب الثالث : مجالات العلمانية :**

هدف العلمانية إقصاء الدين عن جميع جوانب الحياة ، وهذا المهد قد تحقق في أرض الواقع عندما قامت أول دولة لادينية ، وهي دولة فرنسا ، وما أن أعلنت تلك الدولة عن

^(١) انظر: المصدر السابق : ص ٦٢ .

^(٢) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، د ٤٣٠ محمود مزروعة ، ص:



دستورها العلماني حتى تلقتها سائر الشعوب الأوروبية ، التي تتلهف للحظة التي تخلص فيها من سلط الكنسية الذي امتد طيلة القرون الوسطى ، وبذلك تتحقق انتشار العلمانية .
ومن الصعب عملياً الحديث عن جميع الجوانب التي تشملها العلمانية ، ولذلك ؟
فسوف أتحدث عن أهم مجالاتها ، التي كان لها تأثير كبير على الحياة الأوروبية ، ومنها :

المجال السياسي :

اعتنقت الدولة الرومانية الديانة النصرانية عقيدة بلا شريعة ، حيث ظل القانون الروماني هو الذي يحكم سائر نواحي الحياة في تلك الدولة – إلا ما كان من تطبيق بعض أحكام الشريعة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية – ، وعزل الشريعة عن مجالات الحياة المختلفة يعد من وجهة النظر الإسلامية علمانية كاملة ، وإن لم تكن هي الصورة التي استقرت عليها العلمانية في أوروبا بعد ذلك ، ومع وجود هذه العلمانية إلا أنه كان للشريعة بقية من الأثر في واقع الحياة حتى مجالها السياسي ، ويتمثل ذلك في السلوك الشخصي للحكام ، الذي يتضمن الالتزام بكثير من الأخلاقيات ؛ لأن ذلك مقتضى تدينهم بالنصرانية . ومن جهة أخرى فإنَّ البابا ورجال الدين – وإن لم يحرموا على تطبيق الشريعة حتى في المرحلة التي أمسكوا فيها بزمام السلطة الزمنية على الأباطرة والحكام ، وأعلنوا أن البابا له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع (المسيحيين) حكامًا كانوا أو محكومين ، وأنَّ من سلطتهم أن يخلعوا الملوك متى ما رأوا أنَّهم غير صالحين لتولي تلك المهمة . أقول : مع كل تلك السلطة التي نالوها فإنَّهم لم يسرُّوها ليحكموا أوروبا بمقتضى شريعة التوراة والإنجيل ، ولكنَّهم استغلوا ذلك السلطان لإخضاع الأباطرة لأهوائهم ومصالحهم الخاصة ، وكان هؤلاء الحكام بمقتضى تدينهم – ولو في الظاهر – يخضعون لأوامر رجال الدين ، ويعذبون أنفسهم جنوداً لهم ، ويلتزمون بالأخلاق الدينية التي تدعو إليها الكنسية ، لينالوا رضا هؤلاء الباباوات ، أو ليسلموا من الأذى من قبلهم .

هذه هي الصورة التي كانت عليها السياسة في القرون الوسطى ، وهي ما اطلق عليه بالحكم الديني "الثيوقراطي" ، وإن كان في الحقيقة بعيداً كل البعد عن الحكم بما أنزل الله .

غير أنَّ هؤلاء الأباطرة وبسبب تزايد تسلط الكنيسة بدأوا ينفرون من ذلك السلطان القاهر ، الذي تتدخل بموجهه الكنيسة في كافة شؤون الدولة وبدأوا – شيئاً فشيئاً – يتمردون عليه ، بشتى السبل ، وقد ساهم في تحقيق ذلك التمرد أمران : الأول : المناخ العام في أوروبا ؛ حيث كان يعم الوسط الأوروبي – حكامًا ومحكومين – موجة عارمة من الغضب والاستياء من سلطان الكنيسة ، مع تلهف لتحقيق أي انتصار يكسر كبرياءها ، ويجرح كرامتها ، ويعيد للشعوب المقهورة حقوقها المسلوبة ، بل كرامتها المفقودة .

والثاني : ظهور النظريات الفكرية اللادينية ؛ وهذه النظريات يجمعها العداء للدين ، وإبعاده عن الحيز السياسي ، حتى لا يصبح له أيُّ أثر فيه ، وكان من أشهر تلك النظريات ثلاث نظريات هي :

١ - نظرية الحق الإلهي :

وخلال هذه النظريات أنَّ الملوك يرجعون إلى سلالة عريقة خاصة أسمى من العنصر البشري ، ومنهم من يعتقد أنَّهم من عنصر إلهي – كما هو الحال عند الرومان – ، وبناء على ذلك فإنَّ للملك السلطة المطلقة على شعبه ، وليس لأحد عليه أدنى اعتراض . وهذه النظريات وإن كانت قديمة من حيث أصلها إلا أنَّ ثورة الكنيسة على الملك كانت كفيلة ببعثها من جديد ، وقد ساهمت بشكل كبير في ترسيخ مبدأ "فصل الدين عن الدولة" الذي هو أساس العلمانية ، وعندما نبذ الحكام سلطة الكنيسة نبذوا معه الدين نفسه – دون تفريق بينه وبين دين الكنيسة – فأصبح الحاكم الأوروبي يحكم بما يوافق هواه لا بما يوجبه دينه .

٢ - نظرية ميكافيلي^(١) :

كانت نظرية ميكافيلي أشد النظريات خطورة ، وأكثرها جرأة على الدين ، وإعلاناً لاستبعاده عن السياسة ، وهذه النظرية تقوم – كما في كتابه "الأمير" – على ثلاثة أسس :

^(١) اسمه نيكولا ميكافيلي ، ولد عام ١٤٦٩ في فلورنسا بإيطاليا ، وألقى القبض عليه عام ١٥١٢ م على يد عائلة ميديسي الحاكمة ، ثم أُقصي عن الحياة العامة ، وكان من أهم أعماله كتاب "الأمير" الذي فرغ منه عام ١٥١٣ ، وشجب من البابوية ، وتدور فكرته حول أنَّ الأمراء يجب أن يحتفظوا بالسلطة المطلقة على مقاطعاهم مستخدمين كل وسيلة تحقق لهم ذلك . انظر مقدمة كتابه "الأمير" ، ص: ٥ .

أ - الإنسان شرير بطبيعة ، ورغبة الخير عنده مصطنعة لتحقيق غرض نفعي بحث .

ب - الفصل التام بين الدين والسياسة ، وبين الدين والأخلاق .

ج - إقراراً مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" ، وهو لب هذه النظرية ^(١) .

وقد تمكنـت هذه النـظرية من زـحرـحة الدين كـلـية عنـ المـحالـ السـيـاسـيـ منـ جـهـتـينـ :

الأولـيـ : أنـ السـيـاسـةـ لاـ عـلـاقـةـ لهاـ بـالـدـينـ أـصـلـاـ .ـ والـثـانـيـ : أنـ لـلـسـيـاسـيـ أـنـ يـسـلـكـ فيـ سـبـيلـ الـوـصـولـ إـلـىـ غـايـتـهـ -ـ غـايـتـهـ هوـ وـلـيـسـتـ مـصـلـحـةـ الشـعـبـ أوـ حـتـىـ الدـوـلـةـ -ـ كـلـ وـسـيـلـةـ تـؤـدـيـ إـلـىـ ذـلـكـ دـوـنـ حـرـجـ .ـ وـمـنـ هـنـاـ لـمـ يـعـدـ فـيـ اـسـتـخـدـامـ الغـشـ ،ـ وـالـخـدـاعـ ،ـ وـالـكـذـبـ ،ـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـأـمـورـ الـحـرـمـةـ أـدـنـيـ حـرـجـ مـاـ دـامـ أـنـهـاـ تـحـقـقـ لـلـسـيـاسـيـ غـايـتـهـ ،ـ الـيـ هـيـ فـيـ الـحـقـيقـةـ إـلـىـ مـصـلـحـتـهـ الشـخـصـيـةـ لـاـ غـيـرـ .ـ

وبـتـلـكـ النـظرـيـةـ وـصـلـتـ السـيـاسـةـ إـلـىـ فـصـلـ الـكـاملـ لـلـدـينـ عـنـ مجـاهـمـاـ ،ـ وـتـحـقـقـتـ

الـعـلـمـانـيـةـ السـيـاسـيـةـ بـصـورـتـهاـ الـكـامـلـةـ .ـ

نتائج العـلـمـانـيـةـ السـيـاسـيـةـ عـلـىـ أـورـباـ :

لمـ تـقـتـصـرـ آثارـ الـعـلـمـانـيـةـ السـيـاسـيـةـ عـلـىـ أـورـباـ فـحـسـبـ ،ـ بلـ كـانـ أـثـرـهـاـ عـلـىـ الـعـالـمـ كـلـهـ

فـقـدـ تـمـ بـسـبـبـهـاـ اـرـتكـابـ أـبـشـعـ الـجـرـائـمـ الـيـ عـرـفـهـاـ التـارـيـخـ بـحـقـ الـبـشـرـيـةـ ،ـ وـمـنـ أـشـهـرـ الـأـمـثلـةـ

التـارـيـخـيـةـ عـلـىـ ذـلـكـ ماـ يـلـيـ :

١ - منـ أـشـهـرـ الـقـادـةـ السـيـاسـيـيـنـ الـذـينـ عـرـفـهـمـ التـارـيـخـ الـمـعاـصـرـ قـائـدانـ :

الأولـيـ : بنـيـتوـ مـوسـوليـنيـ ^(٢)ـ الـذـيـ أـسـسـ النـظـامـ الـفـاشـيـ فـيـ إـيـطـالـياـ عـامـ ١٩٢٠ـ ،ـ الـذـيـ

تـقـومـ نـظـريـتـهـ عـلـىـ تـفـوقـ الـدـوـلـةـ ،ـ وـضـرـورـةـ إـجـبارـ الـفـرـدـ عـلـىـ الـخـضـوعـ لـمـشـيـتـهـ طـوـعاـأـوـ كـرـهـاـ ،ـ

وـأـمـاـ وـسـائـلـهـ ؛ـ فـهـيـ قـمـعـ الـحـرـيـاتـ ،ـ وـحقـ الـدـوـلـةـ فـيـ التـدـخـلـ فـيـ الـحـيـاةـ الـأـسـرـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ

وـالـدـينـيـةـ ^(٣)ـ .ـ

^(١)ـ الـأـمـيرـ ،ـ نـيـقولـاـ مـكـيـافـيلـيـ ،ـ هـذـهـ الـأـسـسـ مـنـقـولـةـ مـنـ مـوـاضـعـ مـتـفـرـقةـ .ـ انـظـرـ:ـ صـ ٦١ـ ،ـ ٦٢ـ ،ـ ٨٤ـ ،ـ ٨٦ـ ،ـ ٨٧ـ .ـ

^(٢)ـ ولـدـ فـيـ ٢٩ـ يـولـيوـ عـامـ ١٨٨٣ـ ،ـ فـيـ بـلـدـةـ دـوـفـياـ ،ـ تـولـىـ قـيـادـةـ الـحـزـبـ الـفـاشـيـ فـيـ إـيـطـالـياـ ،ـ وـقادـ بـلـادـهـ فـيـ حـرـبـهاـ عـلـىـ

ليـبـيـاـ عـامـ ١٩١١ـ ،ـ وـالـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـثـانـيـةـ ،ـ وـأـعـدـ رـمـيـاـ بـالـرـصـاصـ مـعـ عـشـيقـتـهـ كـلـارـاـ فـيـ ٢٨ـ اـبـرـيلـ عـامـ ١٩٤٥ـ .ـ

انـظـرـ :ـ مـوسـوليـنيـ أـسـطـورـةـ لـاـ تـرـيدـ أـنـ تـمـوتـ ،ـ اـحمدـ نـاصـيفـ ،ـ صـ ٥ـ ،ـ ٢١ـ -ـ ١٩ـ .ـ

^(٣)ـ انـظـرـ :ـ مـوـسـوعـةـ الـحـرـوبـ وـالـأـزـمـاتـ الـإـقـلـيمـيـةـ فـيـ الـقـرـنـ الـعـشـرـيـنـ ،ـ مـوـسـىـ مـخـوـلـ ،ـ صـ ٩٤ـ -ـ ٩٥ـ .ـ

والثاني : أدولف هتلر ^(١) الذي أسس الحزب الوطني الاشتراكي ، ورفع شعار "ألمانيا فوق الجميع" ، والغاية التي كان يسعى القائدان لتحقيقها هي التجمع القومي والوطني ، وقد استباحا باسم حركة التطهير ، ووحدة الصف ، والقضاء على الثورة قتل الآلاف ، بل مئات الألوف من البشر لتحقيق تلك الغاية "المزعومة !"

٢- الحرب العالمية الأولى والثانية :

وقد شهدت تلك الحربين أقمع أنواع الظلم والعدوان من استخدام الغازات السامة ، والقنابل المحرقة ، والتدمير الجماعي ، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء دون تفريق ، وثُرُوج ذلك العدوان بقنبلتي هيروشيمما ونجازاكى ، التي لا تزال آثارهما باقية إلى اليوم . وكان من نتائج الحرب العالمية الأولى قتل حوالي عشرة ملايين نسمة ، وموت خمسة ملايين نسمة بسبب سوء التغذية والمجاعة والأوبئة التي واكبت الحرب ، وخلفت الحرب عشرين مليون نسمة من المصابين ، والمعاقين ، والمفقودين ، والأرامل ، واليتامى ^(٢) .

وما يفعله كبار الساسة اليوم من العدوان الظالم على أغلب البلاد الإسلامية ؛ كما في حرب العراق ، ومساندة إسرائيل ضد الشعب المسلم في فلسطين ، والتدخل في شؤون الدول ، وفي سياستها الداخلية هو من هذا الباب ، وأماماً نتائجه فمما لا يخفى على عاقل . وخلاصة ذلك : أنَّ هذه الجرائم والعدوان الآثم لم يعد في حس هؤلاء الساسة إثماً أو عدواً ، بل هو أمر مشروع ما دام أنَّه يحقق الغاية ، بل هو نوع من السياسة أو هو السياسة نفسها . وكان ذلك تطبيقاً للمكيافيلية ، التي أبعد معها الدين عن المسرح السياسي .

العلمانية في الاقتصاد :

كان النظام الاقتصادي السائد في أوروبا في القرون الوسطى الإقطاعي ، القائم على الظلم المطلق ، والمنظم بكل صوره ، حيث ينقسم المجتمع إلى فتدين : الأولى : هي فئة

^(١) ولد عام ١٨٨٩ م بقرية "برونو" النمساوية ، وقاد انقلاباً عسكرياً فاشلاً للإطاحة بالجمهورية الألمانية عام ١٩٢٣ م ، وحكم عليه بالسجن لـ٥ سنوات ، وفي سجنه ألف كتاب المشهور "كافاهي" الذي يعد دستور النازية ، مات منتحرًا بمسدس أطلقه على نفسه ، وانتحرت معه عشيقته "إيفا براون" بتناول السم ، وكان ذلك عام ١٩٤٥ م بعد محاصرته من الجيش الروسي . انظر : كتاب كفاهي (قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته) ، فريد الفالوجي .

^(٢) انظر للمزيد من نتائج هذه الحرب : الحرب العالمية الأولى (قصة الأطماع وسياسة الصراع) ، محمد بركات ،

السادة الإقطاعيين الذين يملكون الأرض والأموال الوفيرة ، و لهم الحكم المطلق ، إذ يشرعون ما يشاءون من الأحكام ، ويتدعون ما يرون من القوانين ، مما يوافق أهوائهم ويتحقق مصالحهم الخاصة ، ويملاً خزائن أموالهم ، ولذلك فإنَّ لهم كافة الحقوق وليس عليهم شيء من الواجبات . والفئة الثانية : هم العبيد ، عبيد السيد ، وعبد الأرض ، وهذه الفئة تخضع للأولى ، وتلتزم بقوانينها ، دون أن يكون لهم شيء من الحقوق إلا أجرًا لا يبلغ حد الفتات ، ولا يكفي لإقامة أدنى مستوى من الحياة الكريمة .

وفي هذه الحالة التي تعيشها الطبقة الكادحة ، جاءت الكنيسة ، ولكنها ارتكبت في حق تلك الطبقة المظلومة خطأين كبيرين :

الأول : من الناحية النظرية ، وقفت الكنيسة لا لتنكر الظلم والطغيان ، ولكن لتجعله القدر "الإلهي" الذي لا يجوز الاعتراض عليه ، بل يجب الرضا به ، واعتباره السبيل الوحيد إلى الخلاص ، ونيل رضوان الله وجنته .

والثاني: من الناحية العملية ، فقد انحازت الكنيسة إلى جانب رجال الإقطاع وساندتهم في ظلمهم ، بل سعت لتكون أحد الإقطاعيين ، وبالفعل أصبحت من كبار الإقطاعيين ، وكان هذا الموقف المخزي من الكنيسة مما زاد مشاعر الحقد وأجح موجات الغضب ضد الإقطاعيين الذين أصبحت الكنيسة في طليعتهم ، ولم يكن لها في موقفها ضد الفلاحين أي عذر ، وكانت النتيجة أن تحولت مشاعر الغضب والكراهية إلى الدين نفسه - الذي هو براء من كل مظالم الكنيسة ، ومن هنا أصبح الجو مناسباً لظهور العلمانية الاقتصادية ، حيث كان لابد إزاء ذلك الوضع من البحث عن بديل ، وقد كان البديل أشد سوءاً ، وهو ما يتمثل في ظهور الرأسمالية ، ثم الشيوعية .

وكان من أهم المباديء التي أخذ بهما كلا الاتجاهين ، ودفعت بهما - على السواء - نحو اللادينية مبدأ ميكافيلي ، الذي لم يعد مخصوصاً في نطاقه السياسي الذي ظهر فيه ، بل أصبح عاماً في كل وسيلة وفي كل غاية .



يقول دوبرت داونر في كتاب "كتب غيرت وجه العالم": «النظرية الأساسية في كتاب "ثروة الأمم"^(١) نظرية ذات نزعة ميكافيلية، وهي أنَّ العامل الأول في نشاط الإنسان هو المصلحة الشخصية، وإن العمل على جمع الثروة ما هو إلا ظاهر من مظاهرها . وبذلك قرر أنَّ الأنانية والمصلحة الشخصية تكمن وراء كل نشاط للجنس البشري . وصارح الناس باعتقاده أنَّها ليست صفات ممقوته يجب الابتعاد عنها ، وإنما هي على العكس عوامل تحمل الخير إلى المجتمع برمته . وإذا أريد توفير الرفاهية للأمة ، فلا بد من ترك كل فرد يستغل أقصى إمكانياته لتحسين مركزه بشكل ثابت منظم دون تقيد بأي قيود^(٢) . وبهذه النظرية ذات التزعة الميكافيلية استطاع فيلسوف الرأسمالية أن يحرر المذهب الاقتصادي من كل قيد ، بما فيه القيد الديني ، الذي قامت النظرية في الأصل لإبعاده . وكانت المحصلة النهائية لتلك النظرية ، الإبعاد الكامل للقيم ، والأخلاق التي تضبط سلوك الفرد والمجتمع ، وهو ما يعني بعبارة أدق إبعاد الدين – منبع القيم والأخلاق – عن المجال الاقتصادي ، وهذه هي العلمانية الاقتصادية في صورتها الكاملة . وأما الآثار الواقعية لتلك النظرية فهي – على سبيل الإجمال – تندرج تحت إباحة كل الوسائل – بما فيها الوسائل المحرمة – من أجل تحقيق الحصول على المال . وعلى التفصيل كانت أهم تلك الآثار ما يلي :

١- إباحة الربا المحرم في التوراة بكل صوره ، وهو الأمر الذي طالما تصدت له الكنيسة في قرونها السابقة .

٢- أكل أموال العمال ، وعدم إيفائهم حقوقهم .

٣- دفع الناس باتجاه شراء ما يدر على التجار الأموال الكثيرة ، لا شراء ما يحتاجون إليه ، وتقوم به حياتهم ، مثل شراء الخمور والمخدرات ، ونحوها ، وهو ما كان يعبر عنه في ذلك الوقت بـ "بحرية التجارة" .

٤- إباحة الاحتكار بجميع صوره .

^(١) الكتاب من تأليف : آدم سميث ، الذي يعد أبو الرأسمالية وإمامها الفكري ، عاش بين عامي (١٧٢٣ - ١٧٩٠) وقد أحدث كتابه ضجة كبيرة في أوروبا .

^(٢) نقلًا عن : مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص: ٤٧٣ - ٤٧٤

٥ - وكانت المحصلة لذلك هي الفوارق في الدخل بين أصحاب رؤوس الأموال وبين العمال إلى درجة التضخم ، مما يعني بالتأكيد إعادة الطبقية بصورة مختلفة عنها في عهد الإقطاع ، وبشكل أكثر حدة .

وأمام الفساد الخلقي الذي يتبع غالباً من الشراء الفاحش كما هو الحال في طبقة الرأسمالية الجديدة ، أو يكون بسبب الفقر وال الحاجة ، كما هو الحال لدى الطبقة الكادحة فأمر معلوم في كل مجتمع . ناهيك عمّا يصاحب مثل هذه الأوضاع النابذة للدين ، والمفرطة في الاتجاه المادي من أمراض العصر المعروفة من القلق ، والاضطراب الذي يؤدي – عندهم – إلى الانتحار أو الجنون أو على الأقل الإغرار في شرب الخمور والمخدرات ، وكذلك حدوث الجريمة ، والتفكك ، والانحلال الكامل .

كل هذا حدث في ظل المكيافيلية الرأسمالية ، أماماً صورة الأمر في ظل الشيوعية ، فإنه – عند التحقيق – كان أشد سوءاً مما في الرأسمالية . فإن الشيوعية وإن قامت بترع الملكية الفردية للقضاء على الطبقة المستثمرة ذات رؤوس الأموال الكبيرة – كما تزعم ذلك – ولكنها أحلت محلها طبقة جديدة لا تختلف عن الأولى إلا في كونها على شكل "حزب" بدلاً من الصورة السابقة ، صورة "الأفراد" ، ولكن بالإضافة الخطيرة هي أن تلك الطبقة مع كونها المالكة التي تملك كل أموال الشعب ومقدراته كانت هي الطبقة الحاكمة والمسلطة على الشعب بصورة لم يشهدها التاريخ من قبل . وقد أتيح لها لتحقيق ذلك التسلط أن تحكم بالحديد والنار ، وأصبحت الطبقة "البيروقراطية" الشيوعية تستخدم جهاز الدولة ستاراً لتحقيق أهدافها الخاصة وبأعنى أساليب الظلم والقهر ، حتى أصبح الطغيان والإرهاب الشيوعي هو الضمان لامتيازات الطبقة الحاكمة الجديدة .

لقد عاش الإنسان في ظل تلك الحكومة المستبدة متزوج الكراهة ، وقد نزع منه حقه في التملك قبل ذلك ، وأصبحت حياته مرهونة بلقمة العيش أو قطعة الخبز التي تذيقه إياها الحكومة بعد أن تذيقه قبلها الذل وتسقيه الهوان .

العلمانية في العلم :

اتخذت الكنيسة من العلم موقفاً معادياً مشهوراً من أول لحظة ، وقد اتخذ هذا العداء صورة الصراع الدائم ، الذي بدأ ولم ينته بعد إلى اليوم ، وقد فصلت الحديث عن ذلك .



ولكن لتسليط الموضع أقول : إنَّ الكنيسة قد حصرت العلم كله في دائرة ضيقة جداً ، بحيث لا يخرج عن أمرین :

الأول : ما صدر عن الكنيسة ابتداءً . والثاني : ما وافق آراء الكنيسة ، ولم يخالفها – ولو أدنى مخالفة – ، فآل العلم الصحيح والمقبول إلى الكنيسة ابتداءً وانتهاءً ، وما عدا ذلك فهو المهرطقة والكفر التي يستحق صاحبها – إذا لم يتبع – أشد أنواع العذاب .

ومعوجب هذه " النظرية الكنسية " بدأ صراع الكنيسة مع العلماء ، ذلك الصراع المرير الذي لا يزال وصمة عار وخزي في جبينها إلى اليوم ، وكان هذا الصراع هو البذرة الأساسية لظهور الفكر اللاديني . ولئن كان خطأ الكنيسة فادحاً في ابتداء ذلك الصراع ، فإنَّ خطأ العلماء كان – باعتبار نتائجه – أشد فداحة من خطأ الكنيسة نفسها ؛ فقد انتهى ذلك الفكر – فيما يخص العلم – إلى إبعاد الدين من المسابات العلمية تماماً ، بل قاد ذلك إلى الإلحاد الصريح ، وقد رأى العلماء أن دين الكنيسة هو العقبة الوحيدة أمام مشروع النهضة الذي ترناها إليها ، وكان الخيار الوحيد – من وجهة نظرهم – إبعاد الدين نهائياً عن المجال العلمي ، وكانت تلك اللحظة بداية الاتجاه نحو العلمانية في مجال العلم .

وقد كثرت أصوات العلماء والمنتقدين للKennise ، وكثرت إزاء ذلك اكتشافهم ، وإنجازهم العلمية التي تكشف زيف الكنيسة ، وخطأ تعاليهما يوماً بعد يوم .

وكانت تلك الاكتشافات والمنجزات التي أحرزها العلماء تدفع بالنصر بتجاههم ، فقد أثبت العلماء للناس كافة بطلان تعاليم الكنيسة في كثير من الأمور وكان من أهمها :

- ١ - القول بأنَّ الأرض مسطحة ، وأنَّها مركز الكون .
- ٢ - القول بأنَّ " الكتاب المقدس " موحى به من الله .
- ٣ - عقيدة التثليل .

٤ - عقيدة استحالة الخنزير والخمر إلى جسد المسيح - الغثيان - ودمه .

وكان إعلان تلك النتائج مذهلاً للشعب وللKennise على السواء ، ولكنَّه كان يرفع أسم العلماء ، ويدفع بالنصر الجلل نحوهم ، وقد ساهمت موجة الغضب العارمة في أوروبا من جراء طغيان الكنيسة في جميع الحالات في إحرار هذا النصر .

وهنا أصبح الجو مهيئاً للعلماء ، فأعلنوا نظريتهم " اللادينية " ، وقالوا :

العلم وحده هو الحق ، وهو مصدر النور ، ومنبع الرفاهية ، أمّا الدين فجمود ورجعية ، بل خرافات وأساطير

وقالوا : إذا عُرِضَت مسألة ، فليخرس الدين وينطق العلم .

وقالوا : الدين شيء والعلم شيء ، ولا علاقة بينهما إلا التضاد ، وإذا كان لابد أن يخضع أحدهما للأخر فليخضع الدين ، ولتنطق كل حقائقه داخل المعامل والمختبرات ، وإلا فلتسقط إلى الأبد .

وقالوا : إذا حاز لرجل أن يعتقد شيئاً من الدين – لدافع شخصي – فإن عليه حين يدخل المعلم أن يترك بالباب معتقداته الدينية ، ويستعيدها عند خروجه^(١) .

وبهذا تتحقق لهؤلاء العلماء فصل الدين عن الدولة ، وقامت العلمانية في العلم .

أسباب علمانية العلم :

كانت هناك أسباب ساهمت في ظهور العلمانية في العلم ، ومن أهمها ثلاثة أسباب :

١ - موقف الكنيسة من العلم ، وهو أهمها ، وقد سبق تفصيله .

٢ - موقف ما يسمى بالكتاب المقدس من العلم .

وقد كان هذا الموقف قائماً على افتراض وجود صراع بين الخالق والملحوظ على أساس العلم ، فالإله يسعى إلى تجاهيل الملحوظ إلى الأبد ، حتى لا ينافس الرب على مقام الألوهية ، والإنسان – في المقابل – يحاول أن "يستغفل" الإله – تعالى الله عن ذلك – ويتحين الفرص ليحصل على المعرفة التي تمكنه من التحرر والانعتاق من سلطة الرب .

وخير ما يؤكّد ذلك "الصراع المزعوم" ما نسب إلى آدم كما ورد في التوراة ، ونص ما ورد في التوراة : «وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ، ليعملها ويحفظها .

وأوصى الرب الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا ، وأمّا شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت .. وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلـا من كل شجر الجنة ؟ . فقالت المرأة للحية : من ثر شجر الجنة نأكل ، وأمّا ثر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلـا منه ولا تمسـاه لثلا تموتا . فقالت الحية للمرأة : لن تموتا ،

^(١) انظر : العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة المعاصرة ، د . سفر الحوالي

بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكم وتكونان عارفان الخير والشر . فرأيت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بحجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر . فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل . فانفتحت أعينها وعلما أنهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسها مازر . . وقال رب الإله : هودا آدم قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيى إلى الأبد . فأخرج ربه رب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها »^(١) .

وهذه القصة - بحسب رواية التوراة - تبين نوعاً من الصراع بين الله - تعالى عن ذلك - وبين آدم من أجل المعرفة ، ففي حين أنَّ رب يحاول حجب آدم من الوصول إلى المعرفة من خلال نهيه لأدم وحواء عن الأكل من الشجرة ، نجد أنَّ حواء استطاعت بمساعدة الحياة أن تصل إلى هذه المعرفة ، ولسنا هنا بصدد مناقشة تلك القصة ، وبيان ما فيها من التناقضات الظاهرية ، وإنما الغرض إثبات الصراع "المفتعل" بين الخالق والمخلوق من أجل الحصول على المعرفة كما يصور ذلك كتاب النصارى " المقدس عندهم" .

٣- التراث الإغريقي :

تقوم صورة العلاقة بين الإله والإنسان في التراث الإغريقي القديم - الذي أعادت الكنيسة بعثه من جديد في عصر النهضة - على أساس الصراع بين الإله والإنسان بسبب المعرفة ، ويمثل هذا الصراع أسطورة بروميثيوس الإغريقية المشهورة ، حيث تزعم تلك الأسطورة أنَّ : « زيوس إله الآلهة خلق الإنسان من قبضة من طين الأرض ثم سواه على النار المقدسة (التي ترمز إلى المعرفة) ، ثم وضعه في الأرض محاطاً بالظلم (الذي يرمز إلى الجهل) فأشفق عليه كائن أسطوري يسمى بروميثيوس ، فسرق له النار المقدسة لكي ينير له ما حوله ، فغضب زيوس على الإنسان ، وعلى بروميثيوس كليهما . فأماماً بروميثيوس فقد وكل به نسراً يأكل كبده بالنهار ، ثم تنبت له كبد جديدة بالليل يأكلها النسر بالنهار في عذاب أبدى . وأماماً الإنسان فقد أرسل له زيوس "باندورا" (التي ترمز إلى حواء) ، لكي تؤنس وتحشته (في ظاهر الأمر) وأرسل معها هدية عبارة عن علبة مقلفة ، فلما فتحها إذا هي

^(١) التكوين : (٢-١٥ ، ٣-١٧ ، ٢٢-٧) .

ملوءة بالشرور التي قفزت من العلبة وتناثرت على الأرض لتكون عدواً دائماً وحزناً للإنسان ! » ^(١) .

مظاهر العلمانية في العلم :

وبعد أنَّ بينت الأسس التي قام عليها الفكر اللاديني في مجال العلم ، انتقل إلى بيان أهم مظاهر تلك العلمانية ، وألخصها في النقاط التالية :

٢- الاعتقاد بوجود الله - تعالى - وَإِنَّهُ الْخَالقُ ، يخرج صاحبه من دائرة العلماء الذين يعتقد بهم ، ولو كانت آراء ذلك العالم صحيحة بمقاييس العلم .

٣- إنكار "الغاية" - أي إثبات غaiات للأشياء - في البحوث العلمية ، واعتبار القول بها منافي للروح العلمية ، والغرض من هذا المبدأ الرد على الذين يثبتون أنَّ ما في الكون من دقة وحكمة وإتقان لابد وأن يدل على أنَّ له غاية ، وينتهون في ذلك إلى إثبات وجود الله - تعالى - . فهذا المبدأ يفضي إلى إنكار وجود الله - تعالى - .

٤- الاعتقاد بالثنائية الحتمية بين "الدين والعلم" ، وأنَّ من أراد العلم فلا بد أن يترك الدين ، والعكس صحيح ، وهذه الثنائية الغرض منها الإبعاد الكامل للدين عن مجالات العلم . وهذه الثنائية باطلة من أصلها ؛ لأنَّه لا تعارض بين العلم والدين بل كليهما - في الدين الصحيح - يتحققان هدفاً واحداً للإنسان هو كمال العبودية لله تعالى ، والعلم أعظم الطرق إلى الإيمان ، وأكثرها تحقيقاً لخشية الله تعالى ، ولذلك فالعلم في ميزان الإسلام عبادة ، بل إله من أعظم العبادات التي يحث عليها الدين ، وقد يهون الأمر إذا علمنا أنَّ سبب هذا الانفصام "المفتعل" هو رد الفعل تجاه طغيان الكنيسة ليس إلا .

^(١) نقلًا عن : مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص: ٤٥٩ - ٤٦٠ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . أحمده وأشكره على توفيقه لي على إتمام هذا البحث ، وقد توصلت من خلاله إلى نتائج عده ، منها :

- ١- أنَّ الديانة النصرانية التي عليها الناس إلى اليوم ، هي من وضع رجال الدين النصارى ، وليس دين الله تعالى المترد على عيسى عليه السلام .
- ٢- أنَّ من أكبر أسباب انتشار النصرانية في قرونها الأولى حماية الدولة الرومانية لها بعد أن أعلنت اعتناقها لها .
- ٣- أنَّ هذه الديانة لا تزال في تطور إلى اليوم ، على أيدي الباباوات ورجال الدين .
- ٤- أنَّ المحاجع النصرانية التي أُقرت فيها أهم العقائد النصرانية لم تكن في الحقيقة إلا ألعوبة من ألعوبة من يسمى بـ رجال الدين لإضفاء الشرعية على تلك العقائد .
- ٥- الأصل الذي قام عليه سوق التقديس عند النصارى هو اعتقادهم بأنَّ "الرب أعطى سلطانه لبطرس" ، وأنَّ رجالهم قد ورثوا هذا الحق .
- ٦- من أعظم جنایات الكنيسة قبولها بالدخول تحت سلطة الدولة الرومانية ، وأنَّ ذلك وإن حق لهم في الظاهر بعض المكاسب - لم يكن سوى اقراراً بالوثنية .
- ٧- من أعظم ما تميز به النصارى هو تعصيهم ضد مخالفاتهم من الطوائف الأخرى التي تشتراك معهم في أصل دينهم ، وقد أدى ذلك إلى حروب طاحنة استمرت قرون من الزمان . وهذا الحكم يشمل جميع الطوائف الكبرى المعاصرة .
- ٨- من وسائل النصارى في تضليل أتباعهم تأويل النصوص على ما يوافق أهوائهم .
- ٩- ومن وسائلهم في التغطية على باطلهم فرض مبدأ التسليم بالعقيدة دون نقاش .
- ١٠- ومن وسائلهم ما يسمى بـ "الأسرار المقدسة" التي لا يعلمها إلا رجال دينهم .
- ١١- من أعظم أسباب قيام الحركات المناهضة للكنيسة الكاثوليكية الداخلية والخارجية الاحتكاك بالإسلام سلمياً وحربياً ، وذلك مما لا يحرض النصارى على إظهاره إلا القلة من المنصفين منهم .

١٢ - كان لتقديس الأشخاص عند النصارى آثار هامة داخل الكنيسة وخارجها ، ومن أهمها : طغيان الكنيسة ، وفساد رجالها ، وظهور الثورة الفرنسية ، وظهور حركة الإصلاح الديني ، وظهور الفكر المعادي للدين .

١٣ - البروتستانت وإن خرجت في الأصل على الكاثوليك إلا أنها لم تختلف عنها في العقائد الأساسية التي اشتمل عليها ما يسمى بقانون الإيمان ، وهي في الجملة أحسن حالاً من الكاثوليك ، وأكثر الطوائف تأثراً بدين الإسلام .

١٤ - كان من بين الحركات الإصلاحية حركات ذات اتجاه توحيدى ، يتمثل في إنكار التثليث ، ولكن هذا قوبل بحرب شديدة حتى من البروتستانت ذات الاتجاه الإصلاحى ، كما أن هناك حرص شديد على إخفاء أي رمز أو أثر لذلك التوجه .

١٥ - من أعظم من وقفت عليه من يمثل هذا الاتجاه التوحيدى رجل ظهر في القرن السادس عشر يسمى "سيرفيتوس" ، كانت نهايته الإحراء بالنار حياً .

١٦ - ظهر لي من خلال البحث والسؤال في الوقت الحاضر وجود نصارى أسلموا في الماضي والحاضر ، ولكنهم يخفون ذلك بسبب اضطهاد الكنيسة .

١٧ - ظهر لي أن في بعض الدراسات المعاصرة في النصرانية قصورمنهجي يتمثل في عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية للنصارى المتوفرة .

أهم التوصيات :

١ - توفير المصادر الأصلية والمراجع المهمة للمواضيع التي تتعلق بالأديان عموماً على مستوى مكتبات الجامعات السعودية ، تسهيلاً للباحثين على أداء رسالتهم العلمية ، وإعانة لهم على اختيار المواضيع ذات الأهمية ، وقد تبين لي أن أغلب المصادر التي تتعلق بالبحث من الكتب فضلاً عن المجلات والدوريات لا تتوفر بهذه مكتبات الجامعات المتخصصة فضلاً عن المكتبات التجارية .

٢ - توجيه الباحثين للقيام بالدراسات المتخصصة التي تعنى بإبراز دور الإسلام في ظهور حركات الإصلاح لدى النصارى بياناً للحقائق التاريخية ، واعترافاً بفضل الإسلام على غيره من الأديان .



-
- ٣ - إقامة مراكز دعوية متخصصة تعمل في اتجاهين ، كشف الباطل الذي عليه النصارى ، وإظهاراً للحق الذي يوجد شيء منه في كتبهم ، ويصدقه ما جاء به الإسلام ، وفي الأمرين هداية لمن شاء الله منهم ، وقد وجدت في بعض الدول العربية مثل هذه المراكز ، ورأيت بعض نتائجها العظيمة المتمثلة في معرفة النصارى بالحق ودخولهم في دين الله تعالى .
- ٤ - توجيه الباحثين إلى الدراسات العلمية المتخصصة لكتاب النصارى المسما بالكتاب المقدس ، وكشف ما فيه من الاختلاف والتناقض ؛ لأنَّ الرد عليهم من خالله أبلغ في الاحتجاج عليهم .
- ٥ - إيجاد مراكز متخصصة لترجمة الكتب التي تتعلق بالأديان تتبعها الجامعات ، أو تشرف عليها من الناحية العلمية ، أو تتعاون مع الجهات المختصة لأنَّ وجود الترجمة الدقيقة والأمينة تقوم مقام المتب الأصلية ، مما يمكن من الاستفادة منها بشكل مناسب .
هذه أهم التوصيات . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



فهرس المراجع

١. الآباء السواح . القمُص سمعان السرياني ، ط : ٢ ، عام ١٩٩٠ م ، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بيبي سويف والبهنسا .
٢. آباء الكنيسة . أسد رستم ، ط : ٢ ، عام ١٩٩١ م ، منشورات المكتبة البوليسية : بيروت .
٣. اتبعوا القدسية . جبوري بريديجز ، تر : نعيم عشم ، لط: ١٩٩٠ ، جنة خلاص النفوس للنشر : شبرا .
٤. اتبعوا القدسية . مارك تابرنو ، تر : كمال تقاوي ، مكتبة الأخوة : شبرا ، بدون
٥. الإتجاهات الفكرية المعاصرة . المستشار علي جريشة ، ط:٤ ، عام ٢٠٠٤ م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع : المنصورة .
٦. أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي . د.أحمد عجيبة ، ط:١ ، عام ٢٠٠٤ ، دار الأفق العربية — القاهرة .
٧. الأحجية الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة . شهاب الدين أبو العباس احمد بن ادريس المشهور بالقرافي ، تحقيق : مجدي محمد الشهاوي ، ط:١ ، عام ٢٠٠٥ ، عالم الكتب : بيروت .
٨. اختلافات في ترجم الكتاب المقدس وتطورات في المسيحية ، اللواء احمد عبدالوهاب ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ ، مكتبة وهبة — القاهرة .
٩. الأديان السماوية . ناصر حسين بانافع ، ط:١ ، عام ٢٠٠٤ ، توزيع مؤسسة الجريسي : الرياض .
١٠. أديان العالم . د . هوستان سميث ، تر : سعد رستم ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٤ ، دار الجسور الثقافية : حلب .
١١. أديان العرب قبل الإسلام وجهها الحضاري والاجتماعي . الأب : جرجس داود ، ط : ٣ ، عام ٢٠٠٥ ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : بيروت .
١٢. أديان الهند الكبرى . احمد شلي ، ط:٥ ، عام ١٩٩١ م ، مكتبة النهضة المصرية .
١٣. الآراء والمعتقدات . غوستاف لوبيون ، تر : عادل زعيترا ، ط : ٢٠٠٨ ، دار بيليون : باريس .
١٤. أرني أين قال المسيح أنا هو الله فاعبدوني . يوسف رياض ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٦ ، دار الأخوة للنشر : شبرا — .

١٥. الآريوسية والرد عليها . الأنبا غريغوريوس ، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس . بدون .
١٦. الأسبوع العظيم في آلام المسيح وموته . رومانو كوارديني ، تر : الأب : جرجس المارديني : ط : ٤ ، عام ٢٠٠٧ ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٧. إسبينوزا والإسبينوزية . بيار — فرنسوا مورو ، تر : جورج كثورة ، ط : ١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ٢٠٠٨ : رياض الصلح — بيروت .
١٨. الأستاذ الجليل بين مرسلى وادي النيل . تاريخ المرحوم د. القس يوحنا هوج أحد . تأليف : كريمته السيدة رينا هوج ، تر : الشيخ متري صليب الدويiri ، ط : ١ ، عام ١٩١٧م ، نشر بمشاركة اتحاد مدارس الأحد مع إدارة المطبعة الإنجليزية الأمريكية .
١٩. استحالة تحريف الكتاب المقدس . القمص مرقص عزيز خليل ، ط : ٦ ، عام ٢٠٠٣م ، الناشر : كنيسة القديسة مريم العذراء والشهيدة ديانة : المعلقة — مصر القديمة .
٢٠. إسرائيل حرفت الأنجليل واحتصرت أسطورة السامية . اللواء أحمد عبدالوهاب ، ط : ٢ ، عام ١٩٩٧م ، مكتبة وهبة — القاهرة .
٢١. أسرار أبدية وراء القبر . القيم أنطونи ، تر : أبيفانيوس زائد ، ط : ٢ ، عام ١٩٩٧م ، منشورات مكتبة السائح : طرابلس .
٢٢. أسرار الآلهة والديانات . أ. س ميغوليفسكي ، تر : د. حسان ميخائيل إسحاق ، ط : ٢ ، عام ٢٠٠٦م ، دار علاء الدين .
٢٣. أسرار الحرب العالمية الثانية . فريد الفالوجي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٧ ، دار الكتاب العربي : دمشق — القاهرة .
٢٤. أسرار الغاتيكان . قضية ليدل . ليوبولد ، تر : تحسين حجازي ، ط : ١ ، عام ١٩٨٩م ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت .
٢٥. أسرار الكنيسة السبعة . الأرشيدياكون حبيب جرجس ، ط : ٦ ، مكتبة الخبة . بدون .
٢٦. الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام . مشير باسيل عون ، ط : ٢٠٠٣ ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٧. أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح . مجموعة من الأساتذة اللاهوتيين البريطانيين ، إشراف البروفسور جون هك ، تر : نبيل صبحي ، ط : ١ ، عام ١٩٨٧م ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع — الكويت .

٢٨. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . د. علي وافي ، ط: ١٩٩١ م ، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة .
٢٩. الأسفار المقدسة قبل الإسلام . دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية وال المسيحية . د. صابر طعيمة ، ط: ١ ، عام ١٩٨٥ م ، عالم الكتب : بيروت .
٣٠. أسقف روما . ج . م . ر . تيار ، تر : الأب جورج خوام البولسي ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٣ ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .
٣١. الإسلام كبديل . د . مراد هوفمان (مهتمي إلى الإسلام) ، ط: ٤ ، عام ٢٠٠٢ ، مكتبة العبيكان – الرياض .
٣٢. الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف . اللواء المهندس احمد عبدالوهاب ، ط: ٢ ، عام ١٩٩٨ م ، الناشر : مكتبة وهبة – القاهرة .
٣٣. الإسلام والنصرانية . دراسة مقارنة . د. محمد الحولي ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٠ م ، دار الفلاح للنشر والتوزيع : صويلح –الأردن .
٣٤. أصول النصرانية في الميزان . د . محمد المسيري ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٢ ، مكتبة الصفا .
٣٥. اطلالة الألف الثالث – رسالة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني إلى الأساقفة والإكليرicos وسائل المؤمنين لتهيئة يوبيل السنة الألفين ، عام ٢٠٠٠ م ، منشورات الأسقفية لوسائل الإعلام : جبل الدibe – لبنان .
٣٦. إعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام . القرطي ، تقديم وتحقيق وتعليق: د. احمد حجازي السقا ، بدون ، دار التراث العربي .
٣٧. الأعمال والرسائل المنحولة . تر : إسكندر شديد ، تقديم ومراجعة : أ . جوزيف قري – أ . إلياس خليفة ، دير سيدة النصر ، نسبية – غوستافا ١٩٩٩ .
٣٨. إغاثة اللهمان في مصايد الشيطان . ابن القيم ، تصحيح وتحقيق وتعليق : محمد عفيفي ، ط: ٢ ، عام ١٩٨٩ م ، المكتب الإسلامي : بيروت – لبنان ، مكتبة الخان : الرياض .
٣٩. أفكار ورجال . كرين برنتن ، تر : محمود محمود ، بدون ، مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة .
٤٠. الأقباط . النساء والصراع من القرن الأول إلى القرن العشرين . ملاك لوقا ، ط: ٣ ، عام ٢٠٠١ م، الناشر : مكتبة إنجليوس – شيرا .
٤١. الأقباط والرقم الصعب . د. عمرو عبدالسميع ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٤ م ، الدار المصرية اللبنانية .

٤٢. أقدم النصوص المسيحية . إقليمندس الروماني . راعي هرماس ، تر : جورج نصور ، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط ، الكسليلك ١٩٧٥ .
٤٣. أقدم النصوص المسيحية . الديداكة – التقليد الرسولي – . نافورادي وماري خولاجي سيرابيون عهد الرب ، تر : الأب : جورج نصور ويوحنا ثابت ، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط ، الكسليلك ١٩٧٥ .
٤٤. أقدم النصوص المسيحية . القديس يوستينوس – الدفاع عن المسيحيين – الحوار مع تريفون ، تر : الأب : جورج نصور ، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط ، مركز النشر والتوزيع ٢٠٠٧ ، جامعة الروح القدس – الكسليلك – جونية – لبنان .
٤٥. أقدم النصوص المسيحية . القوانين الرسولية . تر : جورج نصور ، مركز النشر والتوزيع ، الكسليلك ٢٠٠٦ ، جونية – لبنان .
٤٦. أقدم النصوص المسيحية . كيرلس الأورشليمي – العطاءات – ، تر : جورج نصور ، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط ، الكسليلك ١٩٨٢ .
٤٧. أقدم النصوص المسيحية . مار أفرام السرياني – منظومة الفردوس – ، تر : الأب : روائيل مطر اللبناني ، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط ، الكسليلك ١٩٨٠ .
٤٨. أقدم النصوص المسيحية . ويلي دوردورن – السبت والأحد في تقليد الكنيسة – ، نصوص من القرن الأول حتى القرن السابع ، تر : مارسيل هدايا – من راهبات القلبين الأقدسين ، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط ، الكسليلك ١٩٨٢ .
٤٩. أقدم كتاب في العالم ريك فيدا . دراسة وترجمة حلقة السوما وتعليقات د . لويس صليبا ، ط : ٢ ، عام ٢٠٠٧ م ، دار ومكتبة بيليون : بيروت .
٥٠. الإلحاد في الغرب . د . رمسيس عوض ، ط : ١ ، عام ١٩٩٧ م ، مينا للنشر : القاهرة ، مؤسسة الانشار العربي : بيروت .
٥١. الإلحاد وأسبابه . الصفحة السوداء للكنيسة ، أ.د. زينب بنت عبدالعزيز ، ط:١ ، عام ٢٠٠٤ م ، دار الكتاب العربي : دمشق ، القاهرة .
٥٢. إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية . فرانتس النهاريم ، تر : إيرينا داود ، مراجعة وتقديم : فراس السواح ، ط : ١ ، الناشر : دار المنارة : دمشق .
٥٣. إلهنا يتألم . الأب : فرنسوا فاريون اليسوعي ، تر : الأب : كميل حشيمة اليسوعي ، ط : ٢ ، عام ٢٠٠٣ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
- ٥٤.ألوهية السيد المسيح والرد على الآريوية . الشمامس الإكليريكي مكرم عزيز فهمي ، تقديم نيافة الأنبا متاؤس – أسقف ورئيس دير السريان – ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٢ م .

٥٥. الإمبراطورية الرومانية . باتريك لورو ، تر : د . جورج كتورة ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٣ م ، دار الكتاب الجديد المتحدة:بيروت ، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية : طرابلس .
٥٦. الأمير . نيقولا مكيافيلي ، دراسة وتعريف : كرم الديكوري ، ط:١ ، عام ٢٠٠٧ م ، منشورات نون : شبرا – القاهرة .
٥٧. إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم . د. حسن عز الدين الجمل ، ط:١ ، عام ١٩٨٤ م ، دار الكتاب العربي : بيروت .
٥٨. الأنجليل المنحولة ، تر : إسكندر شديد ، تقديم ومراجعة : أ . جوزيف قزي – أ . إلياس خليفة ، دير سيدة النصر ، نسبية – غوستا ١٩٩٩ .
٥٩. الإنتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية . سليمان بن عبدالقوي الطوفي الصرصري الحنفي ، دراسة وتحقيق: د. سالم محمد القرني ، ط:١ ، مكتبة العبيكان : الرياض .
٦٠. الإنجيل . للقديس يوحنا مع تفسيره ، ترجمة لجنة برئاسة نيافة الأنبا غريغوريوس ، الناشر : دار المعارف – القاهرة .
٦١. إنجيل برنابا . تر : د . خليل سعادة ، عرَّف به احمد حجازي السقا ، تقديم : محمد رشيد رضا ، بدون تاريخ ، بدون ، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع : القاهرة .
٦٢. إنجيل برنابا بين المؤيددين والمعارضين د. فريز صموئيل ، ط:٢، عام ٢٠٠٤ ، مطبعة أوتو بربنت .
٦٣. إنجيل برنابا مزيف . عوض سعوان ، مراجعة : د . القس منيس عبدا النور ، ط : ١ عام ٢٠٠١ م ، دار النشر الأسقفية .
٦٤. الإنجيل للقديس لوقا . تر : لجنة اعتمدها البابا كيرلس السادس وترأسها نيافة الأنبا غريغوري ، بدون .
٦٥. إنجيل يهوذا الإسخريوطى والبحث عن خائن المسيح . حسن حمدى ، ط:١ ، عام ٢٠٠٧ م ، دار الكتاب العربي : دمشق ، القاهرة .
٦٦. انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح . احمد زكي ، ط:١ ، ١٩٩٥ م ، توزيع : دار الحداة للطباعة والنشر والتوزيع ، مكتبة الشعيري : الرياض .
٦٧. أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك . د. قاسم عبده قاسم ، ط : ٢٠٠٣ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية .
٦٨. أوربا التنوير . بيار – إيف بوروبيير ، تر : د . محمد علي مقلد ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٨ م ، دار الكتاب الجديد – المتحدة .



٦٩. أوربا المسيحية (المرحلة الصليبية) . يان دوبراتشينسكي ، تر : د . كبرو لحدو ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ م ، دار الحصاد للطباعة والنشر : دمشق .
٧٠. أوربا المسيحية (تمزق الكنيسة) . يان دوبراتشينسكي ، تر : د . كبرو لحدو ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ م ، دار الحصاد : دمشق .
٧١. أوربا المسيحية (زمن المسيحيين الفاترين) . يان دوبراتشينسكي ، تر : د . كبرو لحدو ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ م ، دار الحصاد للطباعة والنشر : دمشق .
٧٢. الإيمان الكاثوليكي . نصوص صادرة عن السلطة الكنسية ، تقليل : حرفيه دوميغ اليسوعي ، تر : الأب : صبحي حموي اليسوعي ، ط : ١ ، عام ١٩٩٩ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٧٣. إيمان الكنيسة الأولى . صادرة عن إرسالية كنيسة الله بمصر ، مطبعة رعمسيس بالفجالة بمصر ، بدون .
٧٤. البابا يوحنا بولس الثاني في لبنان . مقتطفات إعلامية جمعها ونسقها الأب يوحنا العناري م . ل ، جونية ١٩٩٧ .
٧٥. بابوات يهود من غيتو روما . واكيم برنز ، تر : أ . د . سهيل زكار ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ م ، دار قتبة للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق .
٧٦. بالسيف والصلب . ميخائيل زابوروف ، تر : د . هاشم حمادي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٦ م ، الناشر : دار الرأي ، توزيع : دار الحصاد - دمشق ، دار السوسن - دمشق .
٧٧. بالماء والروح . دراسة لتروجية عن المعمودية . الأب : الكسندر شيميم ، تر : أسكندر أبو شعر ، ط : ١ ، عام ١٩٨٨ م ، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت .
٧٨. البحث الصرير في أيّاً هو الدين الصحيح . زيادة بن يحيى الراسي ، دراسة وتحقيق : د . سعود بن عبدالعزيز الخلف ، ط : ١ ، ٢٠٠٣ م ، الجامعة الإسلامية - عمادة البحث العلمي
٧٩. البحث عن يسوع . قراءة جديدة في الأنجليل . كمال الصليبي ، ط : ١ ، عام ١٩٩٩ م ، دار الشروق للنشر والتوزيع : عمان .
٨٠. برهان جديد يتطلب قراراً . إجابات لأسئلة تتحدى المسيحيين في القرن الحادي والعشرين . جوش ماكدويل ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥ ، دار الثقافة - القاهرة .
٨١. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان . أبو الفضل السكاكبي ، تحقيق وتعليق : احمد فريد ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٤ م ، منشورات محمد علي بيضون .
٨٢. بستان القديسين . القديسان بلاديوس وجيروم ، ترجمة وتعليق : دياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر ، طبع بشركة هارموني للطباعة ، بدون .



٨٣. بولس الرسول . جوزيف هولزنر ، تر : البطريرك إلياس الرابع ، ط : ٢ ، عام ١٩٨٦ م ، منشورات : معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي : البلمند – لبنان .
٨٤. بولس رسول يسوع وقلبه ولسانه . أديب مصلح ، منشورات اليوبيل المسوى الأول لتأسيس الجمعية البولسية ، عم ٢٠٠٠ م ، منشورات المكتبة البولسية .
٨٥. البيان في مقارنة الأديان . د . اسعد السحرماني ، ط : ١ ، عام ٢٠٠١ م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت .
٨٦. بين الإسلام والمسيحية . أبو عبيدة الخزرجي ، حققه وقدم له : د. محمد شامة ، ط:٤ ، عام ٢٠٠٧ ، مكتبة وهبة .
٨٧. بين الدين والعلم . أندروكسون وايت ، تر : إسماعيل مظهر ، طبعة عام ١٩٣٠ ، دار العصور للطبع ونشر : شارع الخليج المصري بالظاهر عصر .
٨٨. تأثر المسيحية بالأديان الوضعية . د.أحمد عجيبة،ط:١، عام ٢٠٠٦ م ، دار الآفاق العربية – القاهرة .
٨٩. تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر . العالمة ميرل دوبينيه ، ط : ٣ ، عام ٢٠٠١ م ، ترجم عن الإنجليزية ، ملخص بقلم الشيخ ابراهيم الحوراني ، منشورات مكتبة المشعل في بيروت ، إشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط .
٩٠. تاريخ الأمة القبطية . لجنة التاريخ القبطي ، وزارة المعارف العمومية ط : ١٩٣٢ م .
٩١. تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر . الأرشمندرية جراسيموس مسرا اللاذقي ، بدون .
٩٢. التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . د . عبد الحميد البطريق – د . عبدالعزيز نوار ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر : بيروت ، ط:٦:٢٠٠٦ .
٩٣. تاريخ الثورة الفرنسية . ألبير سوبول ، تر : جورج كوسyi ، ط : ٤ ، منشورات بحر المتوسط : بيروت – باريس ، منشورات عويدات : بيروت – باريس ، ط:١٩٩١ م .
٩٤. تاريخ الرقابة على المطبوعات . روبرت نيتز ، تر : د . فؤاد شاهين ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٨ م ، دار الكتاب الجديد المتحدة : رياض الصلح – بيروت – لبنان .
٩٥. التاريخ الروماني من أقدم العصور حتى بداية العصر الإمبراطوري . د.مدوح درويش مصطفى ، مكتبة الرشد : الرياض ، ط:٤:٢٠٠٤ م .
٩٦. تاريخ العصر الوسيط في أوروبا . د . نور الدين حاطوم ، دار الفكر : دمشق ، ط:٤:٢٠٠٤ م .

٩٧. تاريخ الفكر المسيحي . د . القس حنا جرجس الخضري ، دار الثقافة : القاهرة ، ط: ١٩٩١ م .
٩٨. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة . المطران كيرلس سليم بسترس وزملائه ، ط : ١ ، عام ٢٠٠١ ، منشورات المكتبة البوليسية : بيروت .
٩٩. تاريخ الفلسفة العربية . د . جميل صليبا ، ط : ٣ ، عام ١٩٩٥ م الشركة العالمية للكتاب : ش ٠ م ٠ ل ٠ : بيروت .
١٠٠. تاريخ القرن السابع عشر في أوروبا . د . نور الدين حاطوم، ط: ١ ، عام ٢٠٠٢ م ، دار الفكر: دمشق .
١٠١. تاريخ الكنيسة . جون لورمير ، ط : ١ ، عام ١٩٩٠ م ، دار الثقافة : القاهرة .
١٠٢. تاريخ الكنيسة . يوسابيوس القيصري ، تر : القمص مرقص داود ، ط : ٣ ، عام ١٩٩٨ م ، مكتبة الحبة : القاهرة .
١٠٣. تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا وأمريكا الجنوبية . إصدار بطريركية موسكو ١٩٥٩ ، دار ومكتبة بيليون - جبيل بيروس - لبنان ، مكتبة السائح : طرابلس - لبنان .
١٠٤. تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر . أديب نجيب سلامة ، دار الثقافة : القاهرة ، بدون .
١٠٥. تاريخ الكنيسة الشرقية . المطران ميشيل يستيم - الأرشمندرية إغناطيوس ديك ، ط : ٤ ، عام ١٩٩٩ م ، منشورات المكتبة البوليسية : بيروت .
١٠٦. تاريخ الكنيسة المفصل . مجموعة من المؤلفين ، ترجمة عن الفرنسية ، الألب صبحي حموي اليسوعي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٢ ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٠٧. تاريخ المسيحية الشرقية . عزيز سوريان عطية ، تر : إسحاق عبيد ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ م ، ترجمة ونشر : المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة .
١٠٨. تاريخ المسيحية وآثارها في أسوان والنوبة . نبيه كامل داود - عاطف نجيب ، مراجعة : د . جودت جبرة . ط : ١ ، عام ٢٠٠٣ ، مؤسسة القديس مرقص لدراسات التاريخ القبطي .
١٠٩. تاريخ المسيحية وآثارها في الخمس مدن الغربية . ارشيدياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر ، مراجعة : د . جودت جبرة ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥ م ، مطبعة دار العالم العربي للطباعة ، مؤسسة القديس مرقص لدراسات التاريخ القبطي .
١١٠. التاريخ المعاصر (أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية) . د . عبدالعزيز سليمان نوار - د . عبدالجيد نعنى ، دار النهضة العربية : بيروت .

١١١. تاريخ اليونان من فيليبيوس المقدوني إلى الفتح الروماني . د . أسد رستم ، ط : ٢
١٩٩١م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .

١١٢. تاريخ أوربا (العصور الوسطى) . د . السيد الباز العربي ، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر : بيروت ، ط: ٢٠٠٣ م .

١١٣. تاريخ أوربا (العصور الوسطى) . هـ ١٠٠ لـ ، فشر ، تر : محمد مصطفى زيادة
ـ السيد الباز العربي ، ط : ٣ ، دار المعارف - مصر ، بدون .

١١٤. تاريخ أوربا (العصر الحديث) . هـ ١٠٠ لـ ، فشر ، تر : احمد نجيب هاشم -
وديع الضبع ، ط : ٩ ، بدون ، دار المعارف : القاهرة .

١١٥. تاريخ أوربا الحديث . جفري برون ، تر : علي المرزوقي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٦ م ،
الأهلية للنشر والتوزيع : عمان

١١٦. تاريخ أوربا الحديث والمعاصر . د . عبدالفتاح أبو عليه - د . إسماعيل احمد ياغي ،
ط : عام ٢٠٠٤ ، دار المريخ : الرياض .

١١٧. تاريخ أوربا المسيحية (الألفية الأولى) . يان دوبرا تشينسكي ، تر : كبرو لحدو ، ط
٢ ، دار الحصاد للطباعة والنشر : دمشق - سوريا ، ٢٠٠٢ .

١١٨. تاريخ أوربا المعاصر . د . اسماويل احمد ياغي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٣ م ، مكتبة
الرشد للنشر والتوزيع : الرياض .

١١٩. تاريخ أوربا في العصور الوسطى . د . سعيد عاشور ، دار النهضة العربية : بيروت ،
ط: ٢٠٠١ م .

١٢٠. تاريخ عصر النهضة الأوروبية . د . نور الدين حاطوم ، دار الفكر : دمشق ،
ط: ١٩٩٩ م .

١٢١. تبشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم . د . نصر الله
أبو طالب ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة .

١٢٢. تثبيت دلائل البوة . القاضي عبدالجبار الهمذاني ، حققه وقدم له : د. عبدالكريم
عثمان ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت ، بدون .

١٢٣. التشليث بين الوثنية وال المسيحية . د. محمود علي حمایة، ط: ٣ ، عام ٢٠٠٥ ، مكتبة
النافذة .

١٢٤. تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجها . أ . بسمة جستنية ، ط : ١
٢٠٠٠ م ، دار القلم : دمشق ، الدار الشامية - بيروت ، توزيع : دار البشير : حدة .

١٢٥. التحرير والتناقض في الأنجليل الأربع . د. سارة العبادي ، ط:١، عام ٢٠٠٤ ، دار طيبة الخضراء : مكة المكرمة .
١٢٦. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . أبو محمد عبدالله الترجمان الميورقي (مهندي إلى الإسلام) ، دراسة وتحقيق وتعليق : عمر توفيق الداعوق ، ط:١، عام ١٩٨٨ م ، دار البشائر : بيروت .
١٢٧. تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة . ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ، تقدم : د . محمود علي مكي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط:٢٠٠٣ م .
١٢٨. تحجيل من حرف التوراة والإنجيل . تقى الدين الجعفرى ، دراسة وتقدير خالد محمد عبده ، ط:١ ، عام ٢٠٠٦ م ، مكتبة النافذة .
١٢٩. الترتيب الإلهي لاجتماعات المؤمنين معًا للعبادة والخدمة ، برسوس انسى ، ط:١ ، الناشر : بيت عنيا — مركز المطبوعات المسيحية ، ط ١٩٩٦ .
١٣٠. ترتيب قسمة الكهنوت من الأوصالتس إلى القمص وتكريس جميع أولي المذبح . أثناسيوس ، ط ك ٢ ، عام ١٩٩٩ م ، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بيروت سويف .
١٣١. ترجمات الكتاب المقدس في الشرق . بحوث بيلية مهداة إلى لوسيان عقاد . ط: ١ ، عام ١٢٠٠ م ، الناشر : الأب أيوب شهوان ، توزيع : المكتبة البوليسية : جونية — لبنان .
١٣٢. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية . نشر النص اللاتيني : دار الفاتيكان ، تر : المتروبوليت وآخرين ، منشورات الرسل : جونية — لبنان ، توزيع : المكتبة البوليسية : بيروت ، ط: ١٩٩٩ م .
١٣٣. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس . لجنة التحرير والنشر : د . برسوس بارتون وزملاؤه ، لجنة المراجعة اللاهوتية : د . كينيث كاتنر وزملاؤه ، لجنة الترجمة والتحرير : وليم وهبة وزملاؤه ، تعریف وجمع تصویری ومونتاج وأعمال فنية : شركة ماستر ميديا : المعادى — القاهرة ، ط ١٩٩٩ م .
١٣٤. تفسير العهد الجديد (متى — مرقص) . وليم باركلي ، تر : د . القس فايز فارس — د . القس فهيم عزيز ، ط: ١ ، دار الثقافة — القاهرة ، ط: ٢٠٠٢ م
١٣٥. تفسير القدس الإلهي . الأب المتوحذ غريغوريوس ، تر : الشمامس سلوان موسى ، ط: ١ ، عام ١٩٩٩ م ، منشورات دير سيدة البلمند البطريركي .
١٣٦. تفسير القرآن العظيم . ابن كثير ، تحقيق : سامي محمد سلامه ، ط:١ ، عام ١٤٢٢ هـ ، دار طيبة للنشر والتوزيع : الرياض .
١٣٧. تفسير المنار . الإمام محمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط: ١٩٩٠ م .

١٣٨. تفسير إنجليل متّى ، متّى هنري ، تر: القمص مرقص داود ، مكتبة الحبة – الفجالة ، بدون .
١٣٩. تفسير رسالي بولس الرسول الأولى والثانية إلى提莫ثاوس ، متّى هنري ، تر: القس مرقس داود ، مكتبة الحبة القبطية الأرثوذكسيّة : القاهرة ، بدون .
١٤٠. تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسيّة . القمص مرقص داود ، ط: ٥ ، مكتبة الحبة ، بدون .
١٤١. تفسير كلمات الكتاب المقدس – معجم الألفاظ العسرة – . سعيد مرقص ابراهيم ، مراجعة : القس منيس عبدالنور ، ط: ٧ ، عام ٢٠٥ م ، مطبعة مكتب النصر للطباعة .
١٤٢. التقديس وما هو ؟ . تشارلس ما كنوتتش ، تر: ناشد ساويرس ، ط: ٢ ، عام ١٩٩٢ م ، الناشر : بيت عينيا : مركز المطبوعات المسيحية – القاهرة .
١٤٣. التكريس . د. زكريا إستاورو ، ط: ٣ ، عام ٢٠٠٥ م ، مكتبة الأئحة : شبرا .
١٤٤. تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان . علي بن محمد بن عبدالله الفخرري ، تحقيق وتقديم : د.رشيد البinder ، ط: ١ ، عام ١٩٩٤ م ، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع : لندن
١٤٥. تمهيد لدراسة الأنجليل الأربع وإنجيل برنبابا . د.السيد محمد عقيل المهدلي ، ط: ١ ، عام ١٤١٤ هـ ، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع : القاهرة .
١٤٦. تنقح الأبحاث للملل الثلاث . سعد بن منصور بن كمونة اليهودي ، الناشر : أحمد سيد احمد ، توزيع : دار الأنصار ، بدون .
١٤٧. التوبة . القدس يوحنا ذهبي الفم ، تر: نشأت مرجان ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٧ م ، دار النشر الأسقفية شبرا .
١٤٨. التوحيد في الأنجليل الأربع وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا . سعد رستم ، ط: ٢ ، عام ٢٠٠٧ ، صفحات للدراسات والنشر : دمشق .
١٤٩. التوحيد والتلبيث في حوار المسيحية والإسلام . محمد الحمد ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٣ ، دار الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق .
١٥٠. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . موريس بوكي (مهتمي إلى الإسلام) ، تر: حسن خالد ، ط: ٣ ، عام ١٩٩٠ م ، المكتب الإسلامي : بيروت – لبنان ، دمشق .
١٥١. ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي . يوسف رياض ، ط: ٢٠٠٥ م .
١٥٢. الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . وجهة نظر المؤرخ العثماني احمد جودت باشا المسمى بتاريخ جودة هل كانت حملة أم غزو ثقافي . وجدا سندسي ، تر: محدث عايد فهمي ، ط: ١ ، مكتبة مدبولي : القاهرة ، ط: ٢٠٠١ م .

١٥٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ابن حرير الطبرى ، تقدیم : خلیل المیس ، دار الفکر للطباعة والنشر والتوزیع : بیروت ، ط: ١٤١٥ هـ .
١٥٤. الجامع لأحكام القرآن . القرطی ، تحقیق: د. عبد الله بن عبدالمحسن التركی، ط: ١، عام ١٤٢٧ هـ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزیع: بیروت .
١٥٥. الجانب المظلم في التاريخ المسيحي . هیلین إیلیری ، تر: أ. د. سهیل زگار ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٥ ، دار قتبیة للطباعة والنشر والتوزیع - دمشق .
١٥٦. الجفوة المفتعلة بين العلم والدين . محمد علی يوسف ، منشورات دار ومکتبة الحياة : بیروت ، بدون .
١٥٧. جمان من فضة . قاموس أعلام الكتاب المقدس . مکرم مشرقي ، ط: ٢٠٠٣ ، مکتبة الأخوة : شبرا .
١٥٨. جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصرى المابطين والموحدین . د. محمد ابراهیم ابا الخیل ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٠ م ، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزیع ، القصیم .
١٥٩. جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية . مامادو کارامبیری ، رسالة دکتوراة غير مطبوعة .
١٦٠. الجواب الصحيح لمن بدل دین المسيح . ابن تیمیة ، تحقیق وتعليق: د. علی بن حسن بن ناصر وزمیلیه ، ط: ١٤١٤ هـ ، دار العاصمة : الرياض .
١٦١. الحرب العالمية الأولى . عرض مصور أعده وحققه على أوثق المصادر عمر الدیراوی ، ط: ٢٠ ، دار العلم للملائین : بیروت - لبنان .
١٦٢. الحرب العالمية الأولى . محمد برکات، ط: ١ ، دار الكتاب العربي: دمشق-القاهرة ، ط: ٢٠٠٦ م .
١٦٣. الحرب العالمية الثانية . عرض مصور أعده وحققه على أوثق المصادر رمضان لاوند ، ط: ٢٢ ، عام ٢٠٠٧ ، دار العلم للملائین : بیروت .
١٦٤. الحرب المقدسة . کارین آرمسترونق ، تر: سامی الکعکی ، دار الكتاب العربي : بیروت ، بدون .
١٦٥. حرب في الكنائس . د. أسد رستم ، ط: ٣ ، منشورات المکتبة البولسیة: بیروت ، ١٩٩١ م .
١٦٦. حقائق وأسسیات الإیمان المسيحي . ر. ک. سبرول ، تر: نکلس نسیم سلامة ، حقوق النشر للنسخة العربية مکتبة المنار : سانت فاتیما : مصر الجدیدة ، ط: ١٩٦١ م .



١٦٧. حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت . د . روبرت كيل تسلر ، تر : علاء أبو بكر ، ط : ١ ، ٢٠٠٦ م ، مكتبة وهبة - القاهرة .
١٦٨. حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة . علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة ، بدون .
١٦٩. حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين . إسماعيل الأنصاري ، ط: ١ ، ٤٢٠٠٤ م ، مكتبة دار الأرقام .
١٧٠. حواشى ابن المحرومة على كتاب تنقية الأبحاث للمملل الثلاث ، لابن كمونة ، حققه وقدم له المطران حبيب باشا ، مركز التراث العربي المسيحي ، توزيع : المكتبة البوليسية : جونية - لبنان ط: ١٩٨٤ م .
١٧١. حياة القدس . تشارلس فني ، تر : د . نبيه فريز ، ط : ٣ ، ١٩٩٢ م ، لجنة خلاص النفوس للنشر : شبرا .
١٧٢. حياة المسيح عيسى بن مريم القليل من منظور إسلامي . دراسة مقارنة ، ط: ١ ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ط١٤٢٥ هـ .
١٧٣. حياة بولس . د . ف . ب . ماير ، تر : مرقص داود ، مكتبة الحبة - القاهرة ، ط: ٢٠٠٥ م .
١٧٤. حياة قسطنطين العظيم . يوسابيوس القيصري ، تر : مرقص داود ، ملتزمطبع والنشر : مكتبة الحبة القبطية الأرثوذكسية - القاهرة ، ط: ١٩٧٥ م .
١٧٥. حياة وفكر كنيسة الآباء . القس أنطونيوس فهمي حورج ، الناشر : دار الكتاب المسيحي - شبرا - القاهرة ، مطبعة مطابع كونكورد ، " ٢٠٠٦ " .
١٧٦. الخالدون . ألف شخصية عالمية ، مجدي سيد عبدالعزيز ، ط: ١ ، ٢٠٠٨ م ، دار العالم العربي - القاهرة .
١٧٧. الخالدون من أعلام الفكر . احمد الشناوي ، ط: ١ ، ٢٠٠٨ م ، دار الكتاب العربي : دمشق - القاهرة .
١٧٨. خدمة الخطبة والإكليل بين الماضي والحاضر . دراسة ليتروجية وفق مخطوطات الشكل الليتورجي البيزنطي . الأسقف د . يوحنا يازجي ، ط : ١ ، ٢٠٠٣ م ، منشورات معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي - جامعة البلمند - طرابلس - لبنان .
١٧٩. الخطية الأولى بين اليهودية وال المسيحية والإسلام . دراسة مقارنة . د . أميمة بنت احمد شاهين الجلاهنة ، دار زهراء الشرق - القاهرة ، بدون .
١٨٠. الخطية والموت . إينو كيندي ، تر : المطران ايغانيوس زائد ، بدون .

١٨١. خطيب الكنيسة الأعظم القدس يوحنا الذهبي الفم . الأب : إلياس كويتر المخلصي ، ط : ٢ ، ٢٠٠٢ م ، منشورات المكتبة البوليسية : جونية - لبنان .
١٨٢. الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه . د. أحمد عجيبة ، ط: ١ ، ٢٠٠٦ م ، دار الآفاق العربية - القاهرة .
١٨٣. خلاصة اللاهوت العقائدي . مكاريوس ، ط : ٢٠٠٠ ، مكتبة السائح : طرابلس .
١٨٤. خلاصة اللاهوت المريعي . الأب أوغسطين دوبرة لاتور ، تر : الأب يوسف قوشاجي ، ط : ٣ ، ٢٠٠٢ ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٨٥. خلافاتنا مع البروتستانت . نيافة الأنبا تكلا - أسقف دمنا وتوابعها - . ط : ١ ، ٢٠٠٠ م ، يطلب من مطرانية دمنا للأقباط الأرثوذكس وسائر المكتبات المسيحية .
١٨٦. دراسات في الأديان . اليهودية والنصرانية . د. سعود الخلف ، ط: ٤ ، ٢٠٠٤ م ، مكتبة أضواء السلف : الرياض .
١٨٧. دراسات في الأديان الوثنية القديمة . د . احمد علي عجيبة ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الآفاق العربية - القاهرة .
١٨٨. دراسات في الملل والنحل . أصول المسيحية الهلينية . د. محمد عبدالله الشرقاوي ، ط: ١ ، ١٩٩٣ م ، دار الفكر العربي .
١٨٩. دراسات في النصرانية . أ . د . محمود مزروعة ، دار الطباعة المحمدية - القاهرة ، بدون .
١٩٠. دراسات في اليهودية وال المسيحية وأديان الهند . د. محمد الأعظمي ، ط: ٢ ، مكتبة الرشد : الرياض .
١٩١. دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية . د . محمد علي البار ، ط : ١ ، ٢٠٠٦ م ، دار القلم : دمشق ، الدار الشامية : بيروت ، توزيع : دار البشير : حدة .
١٩٢. دراسة في الأسكاتولوجيا . الموت والقيامة السماء والمطهر و Gehennam . الأب : أوغسطين دوبرة لاتور ، تر : صبحي حموي اليسوعي ، ط : ٢ ، ١٩٩٩ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٩٣. دعوة التقرير بين الأديان . دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية . د. احمد عبد الرحمن القاضي ، ط: ١ ، ١٤٢٢ هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع : الدمام .
١٩٤. دعيتم للقداسة . روث باكسون ، تر : د . نبيه فريز ، ط : ٢ ، ١٩٨٢ م ، لجنة خلاص النفوس للنشر : شبرا .

١٩٥. دليل إلى قراءة آباء الكنيسة . أدليبرت . ج . همان ، تر : الأب : صبحي حموي اليسوعي ، ط : ١ ، ٢٠٠٢م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٩٦. دليل إلى قراءة الكتاب المقدس . الأب : اسطفان شربنتيه ، تر : الأب : صبحي حموي اليسوعي ، ط : ٤ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٩٧. دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة . الأب : جان كمي ، ط : ٢ ، ٢٠٠٢ ، دار المشرق : رياض الصلح - بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٩٨. دليل في ترتيب الخدم والصلوات . الأسقف د . يوحنا يازجي ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م ، منشورات معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي - جامعة البلمند - طرابلس - لبنان .
١٩٩. دليل في خدمة الكهنة وحياتهم . وثيقة صادرة عن مجمع الإكليلوس حاضرة الفاتيكان ١٩٩٤ ، منشورات اللجنة الأسفافية لوسائل الإعلام - جبل الدibe - لبنان ، ط: ١٩٨٤م .
٢٠٠. الدم المقدس الكأس المقدسة . ميشيل بيجنت وآخرين ، ترجمة وتعليق : محمد الواكد ، ط : ١ ، ٢٠٠٦م ، الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق .
٢٠١. الدواء المنسي . سر التوبة والاعتراف . الأرمندرية سيرافيم أليكسسييف ، تر : سيرافيم كركور ، ط : ٢٠٠٤ ،
٢٠٢. دواعي الإيمان في عصرنا . الأب : جيوفاني مارتيني ، تر : جورج مصرى ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت ، ط: ١٩٩٧م .
٢٠٣. الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى . د . محمد العربي ، ط : ١ ، ١٩٩٥م ، دار الفكر اللبناني : بيروت .
٢٠٤. الديانات الوضعية المنقرضة . د . محمد العربي ، ط: ١ ، دار الفكر اللبناني : بيروت .
٢٠٥. الدين المصري . خرزل الماجدي ، ط: ١ ، ١٩٩٩م ، دار الشروق للنشر والتوزيع : عمان .
٢٠٦. الدين عند الإغريق والروماني والمسيحيين . أبكار السقاف ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ ، مؤسسة الانتشار العربي : بيروت .
٢٠٧. ديناميكية الرأسمالية . فرنان بروديل ، تر : د . شفيق محسن ، ط : ١ ، ٢٠٠٨ ، دار الكتاب الجديد : رياض الصلح - بيروت .
٢٠٨. الرؤى المنحولة . تر : إسكندر شديد ، تقديم ومراجعة : أ . جوزيف قري - أ . إلياس خليفة ، دير سيدة النصر ، نسبية - غوستا ١٩٩٩ .
٢٠٩. الرؤية الأرثوذك司ية لوالدة الإله . مجموعة من المؤلفين ، منشورات النور ١٩٩٧ .

٢١٠. رؤية في أصول المسيحية . احمد شيخ البساطنة ، ط: ١ ، ٢٠٠٦ ، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق .
٢١١. الراعي والكنيسة . من هو الراعي في الكنيسة الإنجيلية . د . القس فايز فارس ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ ، دار الثقافة - القاهرة .
٢١٢. رجاء جديد للبنان . وجهه بعد السينودس قداسة البابا يوحنا بولس الثاني إلى البطاركة والأساقفة والإكليلوس والرهبان والراهبات وجميع المؤمنين في لبنان . منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام : جبل الدibe - لبنان ، ط: ٢٠٠٠ م .
٢١٣. الرد الجميل لإلهية عيسى عليه السلام بصربيح الإنجيل . الغزالي ، تقديم وتحقيق وتعليق : د. محمد الشرقاوي ، ط: ٣ ، ١٤٠٣ هـ ، دار الجليل : بيروت .
٢١٤. رد القرآن والكتاب المقدس على أكاذيب القمّص زكريا بطرس . إيهاب حسن عبده ، ط: ١ ، ٢٠٠٥ ، توزيع : مكتبة النافذة .
٢١٥. الرد على أصناف النصارى . علي بن ربي الطبرى (مهتمي إلى الإسلام) ، تحقيق وتقديم : خالد محمد عبده ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ ، الناشر : مكتبة النافذة .
٢١٦. الرد على النصارى . جزء ضمن رسائل الإمام القاسم بن ابراهيم بن إسماعيل الرسي (ت ٢٤٦ هـ) ، تحقيق ودراسة إمام حنفي عبدالله ، ط: ١ ، ٢٠٠٠ م ، دار الآفاق العربية - القاهرة .
٢١٧. رسالة عبدالله بن إسماعيل الماشي إلى عبدالمسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بهـا إلى الإسلام ورسالة الكندي إلى الماشي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية (في أيام أمير المؤمنين الخليفة العباسى المؤمن سنة ٢٤٧ هـ) . التكوين للنشر والتوزيع : دمشق ، بدون .
٢١٨. الرموز المسيحية . الخوري ناصر الجميل ، تقديم : سعادة المطران أنطوان - حميد موراني ، ط: ١ ، بيروت - ٢٠٠٧ .
٢١٩. الرهبانية المسيحية و موقف الإسلام منها . د . احمد علي عجيبة ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الآفاق العربية - القاهرة .
٢٢٠. الروح القدس أقنوم إلهي . هـت . ل . هايكون ، تر : ثروت فؤاد ، ط: ١٩٨٨ ، الناشر : بيت عنينا - مركز المطبوعات المسيحية : رمسيس - القاهرة .
٢٢١. الروح القدس في التراث الأرثوذكسي . بول إفدو كيموف ، تر : المطران إلياس نجمة ، تقديم : جورج خضر ، ط: ١ ، ١٩٨٩ م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ، المنشورات الأرثوذكسيـة : طرابلس .

٢٢٢. روسو ، ديف روبنسون وأوسكار زارييت ، تر : إمام عبدالفتاح إمام ، ط: ١، ٢٠٠٥م ، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة .
٢٢٣. الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب . د . أسد رستم ، ط : ٢ ، ١٩٩٨م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .
٢٢٤. روما . نظرة أخرى للأرثوذكسيّة والباباوية . أوليغينيي كليمان ، تر : كاترين سرور ، تعاونية النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع ، ط: ٤ ٢٠٠٤ .
٢٢٥. رينيه ديكارت عالم وفلسفه العصور الحديثة . حمد الراشد ، ط: ١ ، ٢٠٠٨ ، دار المفرادات للنشر والتوزيع : الرياض .
٢٢٦. الرنديق الأعظم . قصة وسيرة . جوزيف جاي ديس ، تر / احمد نجيب الهاشم ، بدون .
٢٢٧. سبع مناظر للصلب . القمص سيداروس عبد المسيح ، ط : ٣ ٢٠٠٣ ، الناشر بأمريكا : كنيسة السيدة العذراء : كولومبس - أوهايو ، الناشر بمصر : كنيسة مار جرجس - شبرا .
٢٢٨. ستيفن هوكنج . ج . ب . ماك إيفوي ، تر : مدوح عبد المنعم محمد ، مراجعة : إمام عبدالفتاح إمام ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة .
٢٢٩. سر الإفخارستيا . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي ، ط : ١ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٠. سر التجسد . براءة الإنذكي في ترتيبات اليوبيل الكبير لعام ٢٠٠٠ ، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام : جبل الدibe - لبنان .
٢٣١. سر التوبة والمصالحة . الأب صبحي حموي اليسوعي ، ط : ٢ ، ٢٠٠٢م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٢. سر الزواج . الخوراسقف ليون عبدالصمد ، ط : ٣ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٣. سر الكنيسة (الرسالة الرعوية الرابعة التي يوجهها بطاركة الشرق الكاثوليكي إلى مؤمنيهم في شتى أماكن تواجدهم ، مجلس بطاركة الشرق الكاثوليكي - بكريي ، ط: ١ ٢٠٠١م) .
٢٣٤. سر الله . الثالوث - الأحد . الأب : فاضل سيداروس ، ط : ٣ ، ٢٠٠٠م ، دار المشرق: بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٥. سر العمودية . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي ، ط : ١ ، ٢٠٠٠م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .

٢٣٦. سر المiron أو التشبيت . الأب : فاضل سيداروس ، ط : ١ ، ١٩٩١ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٧. سر مريم بين الإنجيل والقرآن . حسني يوسف الأطير ، ط : ٢ ، ٢٠٠٣ م ، مكتبة النافذة : الجيزة - القاهرة .
٢٣٨. سر مسحة المرضى . الأب فاضل سيداروس ، ط : ٣ ، ٢٠٠١ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٩. سطور مستقيمة بأحرف متعرجة . عن المسيحيين الشرقيين والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين . طارق متري ، منشورات جامعة البلمند ، دار النهار ٢٠٠٧ .
٢٤٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط:٤ ، ١٩٩١ م ، المكتب الإسلامي : بيروت .
٢٤١. سلسلة تاريخ البطاركة . الشمامس كامل صالح نخلة الإسكندرى ، تنقح ومراجعة : الأنبا متاؤس ، ط: ٢ ، ٢٠٠١ م ، حقوق الطبع لدير السيدة العذراء السريان .
٢٤٢. السلم إلى الله . يوحنا السلمي ، تر : رهبة دير مار جرجس الحرف ، منشورات النور ، بدون .
٢٤٣. السنكسار - المشتمل على سير القديسين الذين تكرّمهم كنيسة الروم الملkitين الكاثوليك على مدار السنة - . وضعه : المطران ميخائيل عساف ، ط : ٥ ، ٢٠٠٣ م ، منشورات : المكتبة البولسية : جونية - لبنان .
٢٤٤. سوستة سليمان في أصول العقائد والأديان . نوفل بن نعمة الله بن حرّجس نوفل الطرابلسي ، ط : ٢ ، ١٩٨٧ م ، منشورت دار لحد خاطر : بيروت .
٢٤٥. شرح صحيح مسلم . الإمام النووي ، راجعه : الشيخ خليل هراس ، ط: ١ ، ١٩٩٥ م ، دار القلم : بيروت .
٢٤٦. شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية . بجموعة من المؤلفين ، تقديم الكاردينال البطريرك مار إغناطيوس موسى الأول ، تنسيق : الأب : أنطوان راجح ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٢٠٠٥ م .
٢٤٧. شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية وأهم مبادئنا في الأحوال الشخصية . البابا شنودة الثالث ، ط : ١٠ ، ١٩٩٩ م ، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) - العباسية - القاهرة .
٢٤٨. الشعائر بين الدين والسياسة في الإسلام والمسيحية . روبيـر بـندـكـيـ، ط : ١ ، ٢٠٠٥ م ، دار مصر المحروسة : القاهرة .

٢٤٩. صار إنساناً . بعض تعاليم القديس بولس . ميشال العويط ، مطبع الكرم الحديثة
١٩٩٨ عيد مارون .
٢٥٠. صحف المسيح (كشف السر الأعظم في التاريخ) . ميشيل بيجهن وزملاؤه ، تر :
محمد الواكد ، ط : ١ ، ٢٠٠٨ م ، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الصناعية : دمشق .
٢٥١. صحيح الجامع الصغير وزيادته . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طبعه ، زهير الشاوش ، ط : ٣ ، ١٩٩٥ م ، المكتب الإسلامي : بيروت .
٢٥٢. صحيح سنن ابن ماجة . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط : ١ ، ٢٠٠١ م ،
مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .
٢٥٣. صحيح سنن أبي داود . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طباعته
والتعليق عليه : زهير الشاوش ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط: ٢٠٠٦ م .
٢٥٤. صحيح سنن النساء . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طباعته
والتعليق عليه : زهير الشاوش ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ٢٠٠٥ م .
٢٥٥. الصراع العظيم (إله هذا الدهر وهزيمته الآتية) . ألن هوait ، تر : إسحاق فرج الله ، تنقیح : أنطوان عبید ، ط : ٣ ، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر : بيروت .
٢٥٦. الصلاة بالكلمة المقدسة لحياة روحية أعمق . بینی موسترت ، تر : رانيا نبيه ، تحریر :
فرید فؤاد عبدالملاک ، ط : ١ ، الناشر بالعربیة : مكتبة المنار سانت فاتیما - مصر الجديدة ،
بدون .
٢٥٧. صلب المسيح ومسؤولية اليهود . قراءة جديدة في الأنجليل ، نصري سلھب ، ط : ١
٢٠٠٢ م ، الناشر : بیسان للنشر والتوزيع والإعلان : بيروت .
٢٥٨. صلة الإسلام بإصلاح المسيحية . بحث ألقيت خلاصته في مؤتمر تاريخ الأديان الدولي
السادس المنعقد بمدينة بروكسل في ١٦-٢٠ سبتمبر ١٩٣٥ م . أمین الخولي ، سنا الفاروق
للنشر - السعودية .
٢٥٩. الصليب في الإسلام . حبيب زيّات ، تقديم : د . وسام كبكب ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥ م
، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .
٢٦٠. الصليب وكلمات المصلوب . يوسف رياض ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ م ، مكتبة الأخوة :
شبرا .
٢٦١. صناعة دين . بولس وأثره في تحريف النصرانية . طارق محمد الشافعي ، ط: ١ ،
٢٠٠٠ م ، منشورات نون - القاهرة .

٢٦٢. الصهيونية تحرف الإنجيل . سهيل التغليبي ، ط: ١ ، توزيع مكتبة السائح : طرابلس ، ط: ١٩٩٩ .
٢٦٣. الصوم الكبير . الأب : ألكسندر شمین ، تر : ابراهيم سروج ، مكتبة السائح : طرابلس ، بدون .
٢٦٤. الطبقات الاجتماعية . يانيك لوميل ، تر : د . جورجيت الحداد ، ط : ١ ، ٢٠٠٨ م ، دار الكتاب الجديد المتحدة : رياض الصلح - بيروت .
٢٦٥. الطريق إلى القدس . صموئيل برنجل ، تر : بشای مسعد ، ط : ٢ ، ١٩٩٩ م ، لجنة خلاص النفوس للنشر : شبرا .
٢٦٦. طفولة عيسى عليه السلام بين الرواية الإسلامية ورواية الحواريين . د . الشفيع الماحي احمد ، ط : ١ ، ١٤٢٤ هـ ، دار الوراق للنشر والتوزيع : بيروت - دمشق ، دار البيرين للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض .
٢٦٧. الطوائف المسيحية في التاريخ والعقيدة واللاهوت المقارن . القمّص بولس عطية بسيلبيوس ، ط : ٣ ، ٢٠٠٤ ، مطبعة الخانكة الحديثة .
٢٦٨. الطوائف المسيحية في مصر والعالم . ماهر يونان عبدالله ، تقديم ومراجعة : حرجس صبحي ، ط : ٣ ، ٢٠٠٢ م ، الناشر : ماهر يونان عبدالله .
٢٦٩. ظاهرة الحياة الرهبانية . نشأتها ، طرقها ، تنظيمها . الأب : حوزف قري - الأب : يمبل عقيلي ، ط : ٢ ، ١٩٩٩ م ، دير سيدة النصر : نسبية - غوستا .
٢٧٠. العبادات في الأديان السماوية . (اليهودية، المسيحية، الإسلام) . عبدالرازق رحيم صلال الموحى ، ط : ١ ، ٢٠٠١ م ، الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق .
٢٧١. العبادة الفردية والعبادة الجماعية . الأب : جورج فلورنسكي ، منشورات النور . ١٩٨٢
٢٧٢. العبادة المسيحية . الأرشمندرية إلياس ، دير الحرف ، ط : ١٩٩٨ م - .
٢٧٣. عقريمة المسيح في التاريخ وكشف العصر الحديث . عباس العقاد ، منشورات المكتبة العصرية : بيروت - صيدا ، ط: ١٩٩٥ م .
٢٧٤. العذراء مريم . حياتها ورموزها وألقابها فضائلها تكريها . المتنيج الأنبا غريغوريوس ، الناشر : جمعية الأنبا غريغوريوس - أسقف البحث العلمي ، " ٢٠٠٥ م .
٢٧٥. عصر التنوير . ليود سبنسر - أندرزيجي كروز ، تر : إمام عبدالفتاح ، ط : ١ ، ٢٠٠٥ م ، المجلس الأعلى للثقافة : الجزية - القاهرة .

٢٧٦. عصر المجامع . دراسة علمية وثقافية للمجامع المسكونية الكبرى الأربع الهامة .
كيرلس الأنطوني ، تنسيق وتعليق: دياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر، الناشر مكتبة الحبة ،
ط: ٢٠٠١ م .
٢٧٧. عصر أوغسطس قيصر وخلفاؤه ، د، أسد رستم، ط: ٢ ، ١٩٩١ م ، المكتبة البوليسية
: بيروت .
٢٧٨. عصر نابليون . ول وايريل ديورانت ، تر : عبدالرحمن الشيخ ، الجمجم الثقافي : أبو
ضبي - الإمارات ، دار الجليل : بيروت ، ط: ٢٠٠٢ .
٢٧٩. العقائد الإسلامية . سيد سابق ، الفتح للإعلام العربي - القاهرة ، بدون .
٢٨٠. عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية . حسني يوسف الأطمير ، ط: ٣ ،
٢٠٠٤ ، مكتبة النافذة .
٢٨١. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية . محمد طاهر التنبر ، نشره ونقاوه وقدم له : محمد
ابراهيم الشيباني ن ط: ١ ، ١٩٨٧ م ، مكتبة ابن تيمية - الكويت .
٢٨٢. العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل . حسن الباش ، ط: ١ ، ٢٠٠١ م ، دار قنيبة
للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق ، بيروت .
٢٨٣. العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي . أ ، د فاروق حمادة ، ط: ١ ،
٢٠٠٥ ، دار العلم - دمشق ، الدار الشامية - بيروت .
٢٨٤. علم اللاهوت المقارن . الأنبا غريغوريوس ، توزيع : مكتبة السائح : طرابلس ،
الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس ، بدون .
٢٨٥. علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسيّة . العالمة المتّبعة القمّص
ميخائيل مينا .
٢٨٦. علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسيّة . العالمة ميخائيل مينا ،
بدون .
٢٨٧. العلم يدعو للإيمان كرسي موريسون ، تر: محمود صالح الفلكي ، دار العلم : بيروت ،
ط: ٢٠٠٥ م .
٢٨٨. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة د. عبد الوهاب المسيري، ط: ٢ ، ٢٠٠٥ م ، دار
الشروق - القاهرة
٢٨٩. العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة . سفر بن عبدالرحمن
الحوالي ، ط: ٢ ، ١٩٩٩ م ، توزيع : مكتب الطيب لخدمة التراث الإسلامي والرسائل العلمية
- القاهرة .

٢٩٠. العلمانيون والقرآن الكريم (تارikhية النص) . د. احمد ادريس الطعان ، ط:١ ، ٢٠٠٧ م ، دار ابن حزم للنشر والتوزيع : الرياض ،
٢٩١. العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ، ط: ٤ ، ٢٠٠٧ م ، دار الكتاب المقدس : مصر ،
٢٩٢. عيسى ومريم في القرآن والتفسير ، تحرير : رياض أبو وندي وزملاؤه ، إشراف يوسف قرما خوري ، المعهد الملكي للدراسات الدينية ، دار الشروق للنشر والتوزيع : عمان ، المركز العربي للمطبوعات : بيروت ، ط: ١٩٩٦ م
٢٩٣. الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين) . سير جمس فريزر ، تر: د. احمد ابو زيد ، ط: ٢ ، ١٩٩٨ م ، الهيئة العامة لقصور الثقافة .
٢٩٤. غفران الذنوب – فلسفة الغفران في المسيحية – . عوض سمعان ، مكتبة الأخوة : شبرا ، بدون ،
٢٩٥. غلو الأمم في معظمها وأثره على الطوائف الإسلامية . ثامر بن ناصر الغشيان ، رسالة ماجستير غير مطبوعة .
٢٩٦. فابيولا . قصة المسيحية في القرن الرابع في روما . الكاردينال الكاثوليكي نقولا ويزمان ، عرض وتلخيص : د. عزت زكي ، صدر عن الهيئة القبطية الإنجليلية للخدمات الاجتماعية . الفجالة مصر ، بدون ،
٢٩٧. الفاتيكان والإسلام . د زينب عبدالعزيز، ط: ١ ، ٢٠٠٥ م ، دار الكتاب العربي: دمشق، القاهرة ،
٢٩٨. الفاتيكان والإسلام أهي حماقة أم عداء له تاريخ؟ . د. محمد عمارة ، ط: ١ ، ٢٠٠٧ م ، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة .
٢٩٩. فتاوى وأحكام في نبى الله عيسى عليه السلام . أحاديث عنها فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، اعنى بها علي بن عبدالله العماري ، ط: ١٩٩٠ م.
٣٠٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري . ابن حجر العسقلاني ، ط: ١٤١٤ ، حقق أصولها: الشيخ عبدالعزيز بن باز ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت ،
٣٠١. فتح السر المختوم – تفسير لسفر الرؤيا – . القس ابراهيم سعيد ، صدر عن مطبعة النيل المسيحية ، بدون ،
٣٠٢. فجر الإسلام . احمد أمين ، ط: ١٦ ، ١٩٣٣ م ، طبع ونشر: مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ،

٣٠٣. فرق الهند المتنسب للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة . دراسة ونقد ، د. محمد كبير احمد شودري ، ط: ١٤٢٢هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع : الدمام
٣٠٤. الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام . نهاد خياطة ، ط: ١ ، ٢٠٠٤م ، الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق ،
٣٠٥. الفروق العقائدية بين المذاهب المسيحية . القس ابراهيم عبدالسيد ، ط: ١٣ ، مطبعة الحبة ، بدون .
٣٠٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل . ابن حزم الأندلسي الظاهري ، وضع حواشيه احمد شمس الدين ، ط: ١٤١٦هـ ، دار الكتب العلمية : بيروت .
٣٠٧. فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات . مصطفى فوزي غزال ، ط: ٣ ، ١٩٩٤م ، دار القبلة للثقافة الإسلامية : جدة – السعودية .
٣٠٨. الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع . عبدالمجيد الشرفي ، ط: ٢ ، ٢٠٠٥م ، دار المدار الإسلامي : بيروت ، توزيع : دار أوديا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية والثقافة : طرابلس – ليبيا .
٣٠٩. الفكر الكنسي الأرثوذكسي . الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس ، تر : الأب : أنطوان ملكي ، تعاونية النور الأرثوذك司ية للنشر والتوزيع : بيروت ، ٢٠٠٢م .
٣١٠. فكره الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والعربية . مصطفى حسن النشار ، ط: ٢ ، ٢٠٠٥م ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت .
٣١١. فلسفة اللوغوس (الكلمة) . الجزء الأول من رسالة الدكتوراة المقدمة باللغة اليونانية إلى جامعة أثينا . د. رشدي حنا عبدالسيد ، رابطة خريجي الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكسي : الفجالة – القاهرة ، بدون .
٣١٢. فلسفة ديكارت ومنهجه . دراسة تحليلية ونقدية . د. مهدي فضل الله ، ط: ٤ ، ٢٠٠٦م ، دار الطليعة : بيروت .
٣١٣. فهرس الكتاب المقدس . د. جورج يوسف ، ط: ١٢ ، ٢٠٠٢م ، دار ومكتبة العائلة بالتعاون مع جمعية الكتاب المقدس في لبنان وبالاتفاق مع رابطة الإنجيليين في الشرق الأوسط .
٣١٤. في الكهنوت . رهينة دير مار جرجس الحرف . منشورات النور ، بدون .
٣١٥. في مقارنة الأديان . بحوث ودراسات ، د. محمد عبدالله الشرقاوي ، ط: ٢ ، ١٩٩٠م ، دار الجليل – بيروت .

٣١٦. قاموس أكسفورد الحديث (إنجليزي – إنجليزي – عربي) . مركز السعوي للكتاب ، ط ٢٠٠٧م .
٣١٧. قاموس الأديان الكبرى الثلاثة (اليهودية المسيحية الإسلام) . إنجليزي – عربي ، نور الدين خليل ، مراجعة : محمود آدم ، الناشر : مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – سبورتنج – الإسكندرية ، ط: ٢٠٠٦ م .
٣١٨. قاموس الكتاب المقدس . نخبة من اللاهوتيين ، هيئة التحرير : بطرس عبدالملاك وزملاؤه ، ط: ١٣ ، ٢٠٠٧م ، مكتبة العائلة بالتعاون مع جمعية الكتاب المقدس في لبنان وبالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط ، مطبعة الحرية : بيروت .
٣١٩. قانون الإيمان . البابا شنودة الثالث ، ط: ٥ ، ٢٠٠٣ م ، الناشر: الكلية الإكليريكية – القاهرة .
٣٢٠. القدس الإلهي . يوحنا الذهبي الفم ، بدون .
٣٢١. القدسية الشخصية في وقت التجربة (أفكار وتأملات) . د . بروس ويلكسون ، ط: ١ ، ٢٠٠٣ م ، الناشر : معهد تدريب القادة بالشرق الأوسط .
٣٢٢. القدسية الوهمية والحقيقة . هنري أيرنسايد ، ط: ٢ ، ١٩٩٨م ، تر : رشدي فيلبس ، مكتبة الأخوة : بشبرا .
٣٢٣. القدسية بين المتزوجين . القمص صليب حكيم ، الناشر : كنيسة الشهيد مار جرجس بالحضرة – الإسكندرية ، بدون .
٣٢٤. القدسية في الرسالة إلى رومية . د . أ . م . هلز ، تر : ألفي رزق الله عبدالنور ، مطبعة النصر بشبرا ، بدون .
٣٢٥. القدسية في العهد الجديد . توماس كوك ، تر : القس توفيق مشرقي ، مكتبة النيل المسيحية ، بدون .
٣٢٦. القدسية مريم في المفهوم الأرثوذكسي . القمص تادرس يعقوب ملطي ، كنيسة الشهيد مار جرجس بأسبورتنج ، بدون .
٣٢٧. قدّيسون وشهداء يسوعيون . سير مختصرة . الأب سامي حلاق اليسوعي ، ط: ٢ ، ٢٠٠٤ م ، دار المشرق : الأشرفية – بيروت ، توزيع المكتبة الشرقية : بيروت .
٣٢٨. قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام . د . توفيق الطويل ، ط: ١ ، ١٩٩١م ، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة .
٣٢٩. قصة الحضارة . ول وإيريل ديوانت ، تر : محمد بدران – زكي نجيب محمود ، دار الجليل : بيروت ، بالتعاون مع المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، ط: ١٩٩٨م .

٣٣٠. قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، د. توفيق الطويل ، ط: ٣ ، ١٩٧٩ م ، دار النهضة العربية .
٣٣١. قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوبي – حياة وآراء أعظم رجال الفلسفة في العالم) ، ول ديورانت ، تر: د ، فتح الله محمد المشعشع ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ م ، مكتبة المعارف : بيروت .
٣٣٢. قصة الكنيسة القبطية – وهو تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي أسسها مار مرقس البشير – د . إيريس حبيب المصري ، ط: ٧ ، مكتبة الحبة : القاهرة ، بدون .
٣٣٣. قضية صلب المسيح بين مؤيد ومعارض ، عوض سمعان ، مراجعة: د . القس منيس عبدالنور – أ . د داود رياض ، ط: ١ ، بدون ، دار النشر الأسقفية .
٣٣٤. قيمة المسيح والأدلة على صدقها ، عوض سمعان ، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة – مصر ، بدون .
٣٣٥. كتاب أصول الدين ، البطريرك إيليا الثاني ، حققه عن المخطوطات وقدم له: الأب جان ماريا جانتسا ، ط: ١ ، ٢٠٠٥ م ، مركز التراث العربي المسيحي ، توزيع: المكتبة البولسية : جونية – لبنان .
٣٣٦. الكتاب الأسود للرأسمالية ، مجموعة من المؤلفين ، تر: د . أنطوان حمسي ، ط: ١ ، ٢٠٦ م ، دار الطليعة الجديدة : دمشق .
٣٣٧. كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، البطريرك أفتخيوس المكى بسعيد ابن البطريرق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٥ .
٣٣٨. كتاب الصلوات . يحتوي على أهم الخدم الطقسية في الكنيسة الأرثوذكسية ، ط: ٢ ، ٢٠٠٣ م ، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس – بيروت .
٣٣٩. كتاب الليترجيات الإلهية المقدسة ، اللجنة الليترجية البطريركية ٢٠٠٧ .
٣٤٠. كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، الأب لويس شيخو ، ط: ٢ ، ٢٠٠٦ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع المكتبة الشرقية : بيروت .
٣٤١. الكتاب المقدس . إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ط: ٣ ، ٢٠٠٤ م ، القاهرة – مصر ، نسخة أخرى بحواشي، طبعة دار المشرق : بيروت ، توزيع: المكتبة الشرقية : بيروت .
٣٤٢. الكتاب المقدس والاستعمار . القدس: مايكيل بريور ، تر: وفاء بجاوي ، مراجعة وتقديم: احمد الشيخ ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ م ، مكتبة الشروق الدولية : القاهرة .

٣٤٣. الكتاب المقدس والسيف . بار بارا توخمان ، تر : د ، منى عثمان — محمد طه ، ط : ٢٠٠٦ ، مكتبة الشروق الدولية : القاهرة .
٣٤٤. كتاب قناة السلام بين المسيحية والإسلام . القمص بطرس إسحاق ، ط: ١ ، بدون .
٣٤٥. كفاحي ، أدولف هتلر ، قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته ، عرض وتحليل : فريد الفالوجي ، دار الكتاب العربي : دمشق — القاهرة ، ط: ٢٠٠٨ م .
٣٤٦. كنائس المشرق . د ، عزت زكي ، ط: ١ ، ١٩٩١ م ، دار الثقافة — القاهرة .
٣٤٧. الكنيسة الأرثوذك司ية . الأب : بول آقدوكيموف ، تر : لجنة التعریب في المنشورات الأرثوذك司ية ، توزيع : مكتبة السائح : طرابلس — لبنان ، ١٩٨٣ م .
٣٤٨. الكنيسة الأرثوذك司ية في الماضي والحاضر . تيموثي وير ، تر : هاشم الحسيني ، منشورات النور ١٩٨٢ .
٣٤٩. الكنيسة القبطية الأرثوذك司ية . الراهب القمص سمعان ، بدون .
٣٥٠. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . العصر الجديد تعاليمه ومعتقداته ورد الكنيسة الكاثوليكية . الأب : جورج رحمة — أنطوان عبيد ، ط: ١ ، ٢٠٠٣ م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس — لبنان .
٣٥١. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . الماسونية بقلم دعاها ورافضيها . الأب : جورج رحمة — أنطوان عبيد ، ط : ١ ، ٢٠٠٣ م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس — لبنان .
٣٥٢. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . المانوية والآريوسية ، الأب : جورج رحمة — أنطوان عبيد ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس — لبنان .
٣٥٣. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . النورانيون . الأب : جورج رحمة — أنطوان عبيد ، ط : ١ ، ٢٠٠٣ م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس — لبنان .
٣٥٤. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . شهود يهوه . الأب : جورج رحمة — بول حصري ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس — لبنان .
٣٥٥. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . مقدمة عامة — المسيحيون المتهودون — الغنوصية — الدوسيتية . الأب : جورج رحمة ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس — لبنان .
٣٥٦. الكنيسة المسيحية في عصر الرسل . مثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، ط : ٤ ، ١٩٩٩ م ، مطبعة الأنبا رويس الأوفست — القاهرة .

٣٥٧. كنيسة المشرق العربي . الأب جان كوربون ، تر : المطران إغناطيوس هزيم (راعي أبرشية اللاذقية) التابعة لكنيسة أنطاكية للروم الأرثوذكس ورئيس مجلس كنائس الشرق الأوسط ، مراجعة : أولفا حجار ، ط : ٢ ، منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط ، ط : ١٩٩٦ م .
٣٥٨. الكنيسة أو مملكة المسيح . الأب : خليل أده اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية : بيروت .
٣٥٩. الكنيسة جسد المسيح . القس حمدي سعد ، ط : ١ ، ١٩٣٥ م ، دار الثقافة - القاهرة .
٣٦٠. كنيسيي الأرثوذكسيّة ما أجملك . الشمس الإكليريكيّي الدكتور سامح حلمي ، ط : ٢ ، مطبعة الراعي بربانت هاوس ، ط : ٢٠٠٥ م .
٣٦١. الكهنوت . عوض سمعان ، ط : ٢ ، دار الثقافة المسيحية - القاهرة ، بدون .
٣٦٢. الكهنوت المسيحي وسر الدرجة . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي ، ط : ١ ، ١٩٩٩ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقيّة : بيروت .
٣٦٣. الآليّة النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة . القمّص يوحنا سلامة ، مكتبة مار جرجس : شبرا ، بدون .
٣٦٤. اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر . الأب : سليم بسترس البولسي ، ط : ٤ ، ٢٠٠٢ م ، منشورات المكتبة البولسية : جونية - لبنان .
٣٦٥. اللاهوت المقارن . البابا شنودة ، ط : ١ ، ١٩٩١ م ، الناشر : الكلية الإكليريكيّة للأقباط الأرثوذكسيّ .
٣٦٦. لماذا القيامة ؟ . البابا شنودة الثالث ، ط : ٢ ، ١٩٩٩ م ، مطبعة الأنبارويس (الأوست) ، الناشر : الكلية الإكليريكيّة : العباسية - القاهرة .
٣٦٧. لماذا نرفض المطهر ؟ . البابا شنودة الثالث ، ط : ١ ، ١٩٨٨ م ، مطبعة الأنبا رويس (الأوست) - الكاتدرائية - العباسية .
٣٦٨. الله في الفلسفة الحديثة . جيمس كولتر ، تر : فؤاد كامل ، ط : ٢ ، ١٩٩١ م ، الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة بالاشتراك مع الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية - القاهرة .
٣٦٩. الله واحد أم ثالوث . المستشار الدكتور محمد مجدي مرجان (مهتمي إلى الإسلام) ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥ م ، مكتبة النافذة .
٣٧٠. الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر . كارين آرمسترونق ، تر : محمد الجوراء ، ط : ١ ، ١٩٩٩ م ، دار الحصاد للنشر والتوزيع : دمشق .



٣٧١. ليتقدس اسمك – صلوات الأزمنة الطقسية – الأبون يوحنا ويوف العنداري م . ل . منشورات الرسل ، ط: ٢٠٠٥ .
٣٧٢. مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية . نيافة الحبر الأنبا بيشوي . إعداد الإكليريكي الدكتور : سامح حلمي ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ .
٣٧٣. المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي . القديس يوحنا الدمشقي ، تر : الأرشندرية أديريانوس شكور ، ط: ٢ ، ١٩٩٩م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .
٣٧٤. ماذا خسر العالم بالحطاط المسلمين . أبو الحسن الندوبي ، ط: ٨ ، ١٩٨٤م ، دار الكتاب العربي : بيروت .
٣٧٥. المبادلة الإلهية العظمى . ديريك برنس ، تر : صلاح عباسى ، الناشر : P.T.W ط: ٢٠٠٣ .
٣٧٦. مباديء أولية في الفلسفة . جورج بوليتزر ، ط: ٥ ، ٢٠٠١ ، ترجمة وتقديم : فهيمة شرف الدين ، ضبط مصطلحاته الفلسفية : د . موسى وهبة ، دار الفارابي : بيروت .
٣٧٧. مجادلة الأنبا جرجي الراهب السمعاني مع ثلاثة شيوخ من فقهاء المسلمين بحضورة الأمير مشمر الأيوبي . عُني بمقابلتها وتحريرها أحد الرهبان المرسلين الكاثوليك في أفريقيا ، بدون .
٣٧٨. مجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي . محمد زين الهادي ، ط: ١ ، ٤٠٩هـ ، دار العاصمة : الرياض .
٣٧٩. مجتمع كنيسة المشرق . أ . يوسف قبي ، مركز النشر والتوزيع : جامعة الروح القدس : الكسليك – لبنان ط: ١٩٩٩م ، .
٣٨٠. مجتمع يسوع . يسوع تعاليله وعاداته . الأب : سامي حلاق ، ط: ١ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت .
٣٨١. مجلة المنار . إشراف : محمد رشيد رضا ، النسخة الإلكترونية .
٣٨٢. المجتمع المسكوني الأول (نيقيا الأول ٣٢٥) – الأب ميشال أبرص – الأب أنطوان عرب ، ط: ١ ، ٢٠٠٣م ، توزيع : المكتبة البولسية : بيروت – لبنان .
٣٨٣. المجتمع المسكوني الثاني (القسطنطينية الأول ٣٨١) . الأب ميشال أبرص – الأب أنطوان عرب ، ط: ١ ، ٢٠٠٣م ، مؤسسة دكاش للطباعة ، توزيع : المكتبة البولسية : بيروت .
٣٨٤. مجموعة قوانين الكنائس الشرقية . نقله عن اللاتينية مجموعة من المؤلفين ، ط: ٢ ، ٢٠٠٢م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .

٣٨٥. المحسية الزرادشتية . روس زيهنير ، تر : د . سهيل زكار ، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق ، ط ٢٠٠٢ م .
٣٨٦. المحبة الثاني والدينونة . القس أبانوب حنا ابراهيم — راعي كنيسة مار مرقس كوم مطاي ، تقديم : نيافة الأنبا جورجيوس أسقف مطاي وتوابعها ، مراجعة : أنطونيوس كمال ، ط : ١ ، ٢٠٠٦ م ، الناشر : مكتبة مار جرجس : شبرا .
٣٨٧. محاضرات في مقارنة الأديان . ابراهيم خليل احمد (مهتمي إلى الإسلام) ، ط ٢: ٢ ، ١٩٩٢ م ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع — القاهرة .
٣٨٨. محاضرات في النصرانية الإمام محمد أبو زهرة ، ط ٣: ١٩٨٣ م ، دار الفكر العربي — القاهرة .
٣٨٩. محاكم التفتيش . غyi تستاس—جان تستاس ، تر : ميساء السيفي ، مراجعة : د . جمال شحيد ، ط: ١ ، ٢٠٠٧ م ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق .
٣٩٠. محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن . ابراهيم خليل احمد (مهتمي إلى الإسلام) ، دار المنار للنشر والتوزيع — القاهرة ، ط: ١٩٨٩ م .
٣٩١. محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب اليهود . البروفسور عبدالآحد داود (مهتمي إلى الإسلام) ، تر : محمد فاروق الزين ، ط : ١ ، ١٩٩٧ م ، مكتبة العبيكان : الرياض .
٣٩٢. محنـة الإيمـان . اـحتـهـادـات وـمسـائـلـات فيـ الفـكـرـ الـدـيـنـيـ الـمـسـيـحـيـ . الأـبـ : مشـير باـسـيلـ عـونـ ، طـ : ١ـ ، ٢٠٠٥ـ مـ ، دـارـ المـشـرقـ : بـيـرـوـتـ — لـبـانـ ، تـوزـيعـ : المـكـتبـةـ الـشـرـقـيـةـ : بـيـرـوـتـ — لـبـانـ .
٣٩٣. المختار في الرد على النصارى مع دراسة تحليلية تقويمية . الجاحظ ، تحقيق ودراسة محمد عبدالله الشرقاوي ، ط: ١: ١٩٩١ م ، دار الجيل : بیروت .
٣٩٤. مختصر تاريخ الأساقفة الذين رقوا مرتبة رئاسة الكهنوت الجليلة في مدينة بیروت . عبدالله بن طراد البیروقی ، تحقيق وتقديم : نائلة قائد بیة ن ط : ١ ، ٢٠٠٢ م ، دار النهار للنشر : بیروت ، بالتعاون مع منشورات جامعة البلمند — قسم التوثيق والدراسات الأنطاکیة .
٣٩٥. مختصر تاريخ الكنيسة . أندرولمر ، تر : ناشد ساویرس ، ط : ٤ ، ٢٠٠٣ م ، مكتبة الأخوة : شبرا .
٣٩٦. مدخل إلى أسرار الكنيسة . الأب كمیل حشیمة الیسوعی ، ط : ٣ ، ٢٠٠٣ م ، دار المشرق : بیروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بیروت .

٣٩٧. مدخل إلى التنوير الأولي . هاشم صالح ، ط: ١ ، ٢٠٠٧ م ، دار الطليعة للطباعة
والنشر : بيروت .
٣٩٨. مدخل إلى الرتب الترجمية ورموزها في الكنيسة الشرقية . المطران لطفي حام —
النائب البطريركي للروم الملكيين الكاثوليك في القدس الشريف ، بدون .
٣٩٩. مدخل إلى العقيدة المسيحية . كوسٍي بندلي وجموعة من المؤلفين . ط: ٤ ،
منشورات النور ، بدون .
٤٠٠. المدخل إلى العهد الجديد . د . موريس تاوضروس ، ط: ٥ ، ٢٠٠٨ ، دار القديس
يوحنا الحبيب للنشر : مصر الجديدة .
٤٠١. المدخل إلى العهد القديم . د . القس صموئيل يوسف ، ط: ٢ ، ٢٠٠٨ م ، دار
الثقافة : البانوراما — القاهرة .
٤٠٢. المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي . د . جورج حبيب بباوي ، ط: ١ ، ١٩٨٢ م
، الناشر : أسرة القديس كيرلس عمود الدين الإكليريكية .
٤٠٣. مدخل إلى الجامع المسكونية . الأب ميشال أبرص . الأب أطوان عرب ، ط: ١ ،
١٩٩٦ م ، توزيع المكتبة البولسية : بيروت .
٤٠٤. مذاهب فكرية معاصرة . عرض ونقد . أ. د . محمود محمد مزروعة ، ط: ١ ،
٢٠٠٦ م ، مكتبة كنوز المعرفة : جدة .
٤٠٥. مذاهب فكرية معاصرة . محمد قطب ، ط: ٥ ، ١٤١١ هـ ، دار الشروق — القاهرة
٤٠٦. المذهب الروحاني عبدالله إباهي ط: ١ ، ٢٠٠٣ م ، فراديس للنشر والتوزيع : مملكة
البحرين .
٤٠٧. المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين — شرح بشارة يوحنا . القس ابراهيم سعيد ،
ط: ١ ، ١٩٣٧ م ، مطبعة النيل المسيحية — مصر .
٤٠٨. المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين — شرح رسالة أفسس . القس ابراهيم سعيد
، ط: ١ ، مطبعة النيل المسيحية ، بدون .
٤٠٩. مريم أم الرب ورمز الكنيسة . ماكس توريان ، تر: الأب خليل رستم ، ط: ٤ ،
٢٠٠٦ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٤١٠. مسألة الله في التاريخ من الكتاب المقدس إلى الظاهرة الدينية المعاصرة . الأب فيكتور
شلحت ، ط: ١ ، ١٩٩٨ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٤١١. المسند . الإمام احمد بن حنبل ، شرحه ووضع فهارسه : احمد محمد شاكر ، دار
المعارف بمصر ، ط: ١٩٧٢ م .

٤١٢. المسيح إنسان أم إله ، المستشار الدكتور محمد ماجد مرجان (مهتمي إلى الإسلام) ، ط: ٢٠٠٣ م ، مكتبة النافذة .
٤١٣. المسيح بين الأسطورة والحقيقة ، أ. كريغيلون ، تر: رامز نعيمة ، ط: ١ ، ٢٠٠٥ م ، الشعاع للنشر والتوزيع : شارع الجزائر - المعادي .
٤١٤. المسيح عند اليهود والنصارى وال المسلمين وحقيقة الثالث ، د. عبد المنعم جبرى ط: ١ ، ٢٠٠٧ م ، صفحات للدراسات والنشر : دمشق .
٤١٥. المسيح في الإسلام ومحاوره مع قسيس حول ألوهية المسيح ، احمد ديدات ، تر: علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة ، ط: ١٩٨٨ م .
٤١٦. المسيح في مصادر العقائد المسيحية . خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب ، مهندس احمد عبدالوهاب ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط: ٢٠٠١ م .
٤١٧. المسيح والثلث ، د. محمد وصفي ، تقديم: محمد عبدالله السمان ، مراجعة: علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة ، بدون .
٤١٨. المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل ، ساجد مير ، ط: ١ ، ٢٠٠٢ م ، دار السلام للنشر والتوزيع : الرياض .
٤١٩. المسيحية ، احمد شلي ، ط: ١١ ، ٢٠٠٢ م ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
٤٢٠. مسيحية بلا مسيح ، د. كامل سعفان ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة ، بدون .
٤٢١. المسيحية بين التوحيد والثلث و موقف الإسلام منها ، د. عبد المنعم فؤاد ، ط: ١ ، ٢٠٠٢ م ، مكتبة العبيكان : الرياض .
٤٢٢. المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا ، تر: المطران كيرلس سليم بسترس ، ط: ١ ، ٢٠٠٥ م ، منشورات المكتبة البوليسية: بيروت - لبنان .
٤٢٣. المسيحية نشأتها وتطورها ، شارل جنيرير (أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان - جامعة باريس) ، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت - لبنان ، بدون .
٤٢٤. المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم اليونان سوريا مصر ، دانييل إ. باسوك ، تر: سعد رستم ، ط: ١ ، ٢٠٠٢ م ، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطبيعية :دمشق .
٤٢٥. المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ، إ. س. سيفينسيسكايا ، تر: حسان ميخائيل إسحاق ، ط: ٢ ، ٢٠٠٧ ، دار علاء الدين : دمشق .

٤٢٦. مشكلة التأله في فكر الهند الدينى . د. عبدالراضى محمد عبدالحسن ، ط : ١ ، ٢٠٠٢ م ، دار الفيصل الثقافية : الرياض .
٤٢٧. مصادر النصرانية دراسة ونقداً . د . عبدالرزاق بن عبدالمجيد الارو ، ط: ١ ، ٢٠٠٧ ، دار التوحيد للنشر : الرياض .
٤٢٨. مصر الفرعونية . احمد فخرى ، ط : ١ ، ملتزم الطبع والنشر : مكتبة انجلو المصرية ، بدون .
٤٢٩. مصر الدارونية . محمد علي يوسف، ط: ١، دار الشروق للنشر والتوزيع : جدة ، ط: ١٩٨٣ م .
٤٣٠. مع أسئلة السائلين عن كسر الخبز . د . حليم حسب الله ، مكتبة الأخوة : شبرا ، ٢٠٠٥ م .
٤٣١. معالم تاريخ الإنسانية . هـ . ج . ويلز ، تر : عبدالعزيز توفيق جاويد ، ط : ٤ ، بدون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٤٣٢. معماول المدم و التدمير في النصرانية وفي التبشير . ابراهيم بن سليمان الجبهان ، ط : ٦ ، ٢٠٠٥ م ، دار المجتمع للنشر والتوزيع : جدة .
٤٣٣. المعتقدات الدينية لدى الغرب . د. عبدالراضى محمد عبدالحسن ، ط: ٢، ٢٠٠٧ م ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية : الرياض .
٤٣٤. معجم الإيمان المسيحي . اختيار : الأب : صبحي حموي اليسوعي ، أعاد النظر فيه الأب : جان كوربون ، ط : ٢ ، ١٩٨٩ م ، دار المشرق : بيروت بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط .
٤٣٥. معجم الباباوات . خوان داثيو ، تر : أنطوان سعيد خاطر ، ط: ١ ، ٢٠٠٦ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٤٣٦. المعجم الفلسفى . جمع اللغة العربية ، تصدر : د . ابراهيم مذكر ، الهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية - مصر ، ط: ٢٠٠٢ م .
٤٣٧. معجم اللاهوت الكتابي . لجنة من المؤلفين ، تر : د . ارنست وزملاءه ، ط : ٤ ، ١٩٩٩ م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٤٣٨. معجم المصطلحات الكنسية . أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية) ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ م ، مطبعة دار نوبار - شبرا .
٤٣٩. المعجم المفهوس لأنفاظ الحديث النبوى . رتبه ونظمها لفييف من المستشرقين ، نشره : أ . ي . ونسنك ، مكتبة بريل في مدينة ليدل ، ط: ١٩٣٩ م .

- ٤٤٠ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ، ط : ٤ ، ١٤١٤هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دار المعرفة : بيروت .
- ٤٤١ . المعمودية . الأصول الأولى للمسيحية . الأب : متى المسكين ، ط : ٢ ، ٢٠٠١م ، مطبعة دير القديس أنبا مقار – القاهرة .
- ٤٤٢ . معمودية الأطفال في الكتاب المقدس والتاريخ . الأب بيتر مدروس ، ط : ٢ ، ٢٠٠٠م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
- ٤٤٣ . معنى أنَّ يسوع المسيح هو ابن الله . د . هاني رزق الله ، دار النشر الأسقفية ، ط: ٢٠٠٠م .
- ٤٤٤ . مقارنة الأديان . دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام والأديان الوضعية الهندوسية والجینية والبوذية . د. طارق خليل السعدي ، ط: ١ ، ٢٠٠٥م ، دار العلوم العربية : بيروت .
- ٤٤٥ . مقارنة بين الأنجليل الأربع . د . محمد علي الخولي ، ط : ٢٠٠١ ، بدون ، دار الفلاح للنشر والتوزيع – الأردن .
- ٤٤٦ . مقالة قصيرة في العشاء المقدس . جون كالفن ، تر : جورج صبرا ، ط : ١ ، ٢٠٠٦م ، دار الثقافة – القاهرة .
- ٤٤٧ . ملحدون محدثون ومعاصرون . د . رمسيس عوض ، ط : ١ ، ٢٠٠١م ، سينا للنشر ، مؤسسة الانتشار العربي : لندن – بيروت – القاهرة .
- ٤٤٨ . الملل والنحل . الشهريستاني ، صححه وعلق عليه أ. احمد فهمي محمد ، ط: ٢ ، ١٤١٣هـ ، دار الكتب العلمية : بيروت .
- ٤٤٩ . من درج الحجر . الخامنئي فرانك مورسون ، تر : حبيب سعيد ، نداء الرجاء – شرق ألمانيا ، بدون .
- ٤٥٠ . مناظرة العصر بين العالمة احمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروش بقاعة البرت بلندن . تر : علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، ط: ١٩٨٣م .
- ٤٥١ . مناظراتان في استكماله لم بين داعية العصر احمد ديدات وكبير قساوسة السويد ستانلي شوبيرج ، تر: علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، ط: ١٩٨٥م .
- ٤٥٢ . المنتخب الجليل من تحجيم من حرف الإنجيل . أبو الفضل السعودي المالكي ، قدم له وحققه رمضان الصفناوي البدرى ، راجعه مصطفى الذهبي ، دار الحديث – القاهرة ، ط ١٩٩٧م .

٤٥٣. موجز تاريخ الأديان . فيليسيان شالي ، تر : حافظ الجمالي ، ط : ٢ ، ١٩٩٤ م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر : دمشق - سوريا .
٤٥٤. موجز تاريخ الكنيسة . الأب الدكتور توماس هبكو، تر:المطران ساها إسبر ٢٠٠٥ .
٤٥٥. موسوعة الأديان الميسرة ، ط:١٠١ ، ٢٠٠١ م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع :بيروت .
٤٥٦. موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين . موسى مخلول ، ط:٢ ، ٢٠٠٨ م ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام : بيروت .
٤٥٧. موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم . محمود شاكر ، ط:١٠٨ ، ٢٠٠٨ م ، دار أسامة للنشر والتوزيع : عمان .
٤٥٨. موسوعة الحقائق الكتابية . برسوم ميخائيل ، مكتبة الأخوة : شبرا - مصر ، ط:٢٠٠٤ م .
٤٥٩. موسوعة الفلسفة . د. عبد الرحمن بدوي ، ط:١٠٤ ، ١٩٨٤ م ، المؤسسة العلمية للدراسات والنشر : بيروت .
٤٦٠. موسوعة الكتاب المقدس . دار منهل الحياة ، منصورية المتن - لبنان - دار الكتاب المقدس ، نيوروضة - لبنان ، ط:١٩٩٣ م .
٤٦١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . إشراف وتحطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ، ط:٣ ، ١٤١٨ هـ ، الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع : الرياض .
٤٦٢. موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية . زكي شنودة ، ط: ١ ، ١٩٦٨ م ، مكتبة النهضة المصرية .
٤٦٣. موسوعة طقوس الكنيسة القبطية . دياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر ، إشراف : الأنبا متاؤس ، مكتبة الخبة ، بدون .
٤٦٤. موسوليني . أسطورة لا تريد أن تموت . احمد ناصيف ، ط: ١ ، ٢٠٠٨ م ، دار الكتاب العربي : دمشق القاهرة .
٤٦٥. موقف الإسلام والكنيسة من العلم . عبدالله المشوخي ، ط: ١ ، ١٩٨٢ م ، مكتبة المنار : الزرقاء -الأردن .
٤٦٦. موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله . د. سارة العبادي ، ط: ١ ، ٢٠٠٥ م ، مكتبة الرشد : الرياض .

٤٦٧. الميزان في مقارنة الأديان . المستشار محمد عزت الطهطاوي ، ط: ٢، ٢٠٠٢ م ، دار القلم : دمشق ، الدار الشامية : بيروت ، توزيع : دار البشير : جدة .
٤٦٨. الناصرة . منزل عيسى وأمه البتول وعاصمة العروبة في الجليل وميراث بني إسماعيل . محمد محمد حسن شُرَاب ، ط: ١ ، ٢٠٠٧ م ، الأهلية للنشر والتوزيع : عمان .
٤٦٩. نبذة في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسيّة وخفايا دور أخوية القبر المقدس . جرجس عبدالله العيسى ، ط: ٢٠٠٥ ، دار ومكتبة بيليون : جبيل - لبنان .
٤٧٠. نحن والفاتيكان . د. أسد رستم ، ط: ٣ ، ١٩٩٢ م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .
٤٧١. نحو وحدة التراث السرياني الأنطاكى . المطران غريغوريوس ابراهيم وزملاؤه ، دير سيدة النصر : نتسبيه - غوستا ١٩٩٧ .
٤٧٢. الصارى في القرآن والتفسير ، تحرير : عواد علي وزملاؤه ، إشراف يوسف قزما خوري ، المعهد الملكي للدراسات الدينية ، ط: ١ ، ١٩٩٨ م ، دار الشروق للنشر والتوزيع : عمان .
٤٧٣. نصارى بحران بين المحادلة والمباهلة . د. احمد علي عجيبة ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الآفاق العربية - القاهرة .
٤٧٤. النصرانية في الميزان . دراسة نقدية موثقة للعقائد والأفكار التي اشتملت عليها النصرانية ، المستشار محمد عزت الطهطاوي ، دار القلم : دمشق ، الدار الشامية : بيروت ، توزيع : دار البشير : جدة ، ط: ٤، ٢٠٠٤ م .
٤٧٥. النصرانية في ميزان العقل والإسلام . محمد سليم الفاضلي ، مراجعة وتحقيق وتبوير : نبيل حامد خضر ، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع : إربد - الأردن ، ط: ٢٠٠٣ م .
٤٧٦. النصرانية من التوحيد إلى التشليث . د. محمد احمد الحاج ، ط: ٢، ٢٠٠٢ م ، دار القلم : دمشق - سوريا ، الدار الشامية : بيروت - لبنان ، توزيع : دار البشير : جدة .
٤٧٧. النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها . د. عرفان عبدالحميد فتاح ، ط: ١ ، ١٩٩٥ م ، دار عمار للنشر والتوزيع : عمان - الأردن .
٤٧٨. نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط . (أوغسطين أنسليم توما الأكوبني) د. حسن حنفي ، ط: ١ ، ٢٠٠٨ م ، دار التوير للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت .
٤٧٩. نقض دعوى عالمية النصرانية . د. فرج الله عبدالباري ، ط: ١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الآفاق العربية : مدينة نصر - القاهرة .

٤٨٠. النهاية في غريب الحديث والأثر . ابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ، محمود الطناхи ، المكتبة العلمية : بيروت ، بدون .
٤٨١. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . ابن القيم ، دراسة وتحقيق : د. محمد احمد الحاج ، ط: ١ ، ١٤١٦هـ ، دار القلم :دمشق ، الدار الشامية : بيروت ، توزيع : دار البشير : جدة .
٤٨٢. الهرطقة في المسيحية . ج . ويتر ، تر : جمال سالم ، ط : ١ ، ١٤١٦م ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت – لبنان .
٤٨٣. هكذا تكلم زرادشت . فريدريش نيتشه ، تر : علي مصباح ، ط : ١ ، ٢٠٠٧م ، منشورات الجمل – ألمانيا .
٤٨٤. هل افتدانا المسيح على الصليب ؟ . د. منقد السقار ، ط: ١، ٢٠٠٦م ، مكتبة النافذة .
٤٨٥. هم ونحن . دراسة مقارنة بين المسيحية وسائر المذاهب والديانات . الأب : جبرائيل كليجا – أ ، كبريال زرازير ، دار بيليون – باريس ، ٢٠٠٦م .
٤٨٦. هوية الكتاب المقدس . جون دارين ، دار منهل الحياة : منصورية المتن – لبنان . ١٩٩٦م
٤٨٧. الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكان الثاني ، تر : يوسف بشارة وآخرين ، ط: ١٩٩١م .
٤٨٨. الوثنية وال المسيحية مرحلة الصراع الخامسة وإيقاف الأولمبيادات في العصر القديم عام ٣٩٣ . ألكسندر كرافتشوك ، تر : د . كبرولحدو ، ط : ١ ، دار الحصاد للنشر والتوزيع : دمشق ، ط: ١٩٩٦م .
٤٨٩. الوجه الآخر لأدولف هتلر . فريد الفالوجي – حسن حمدي ، ط : ١ ، ٢٠٠٧م ، دار الكتاب العربي : دمشق – القاهرة .
٤٩٠. الوحى عند أهل الكتاب دراسة نقدية على ضوء الإسلام . عبدالله بن عثمان الكوكبي ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة .
٤٩١. وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام (٦٢٢-١٥١٧) . لويس شيخو ، حققه وزاد عليه وقدم له الأب كميل حشيمة اليسوعي ، مركز التراث العربي المسيحي ، توزيع : المكتبة البولسية : جونية – لبنان ، ط: ١٩٨٧م .
٤٩٢. يا إخوتنا البروتستانت هلموا نتحاور في الماضي . ط : ٢ ، صدر عن كنيسة القديسين مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء ، بدون .

٤٩٣. يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء . دراسة مقارنة للمسيحية . د. رؤوف شلبي ،

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية : المنصورة - مصر ، بدون .

٤٩٤. يسوع التاريخ . لطفي حداد ، ط : ١ ، ٢٠٠٥ م مؤسسة جذور الثقافة : الولايات المتحدة الأمريكية ، توزيع : الدار العربية للعلوم : بيروت ، ٠

٤٩٥. يسوع المسيح . فالتر كاسبر ، تر : المطران يوحنا منصور ، ط : ١ ، منشورات : المكتبة البوليسية : جونية - لبنان ٢٠٠٥ م ٠

٤٩٦. يسوع المسيح بالإنجيل والأيقونة ، ط : ٢ ، ٢٠٠٣ م ، دار النهار للنشر : بيروت .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤	المقدمة
الباب الأول	
١٤	الفصل الأول : التعريف بالنصرانية
١٥	المبحث الأول : تاريخ النصرانية
١٦	تمهيد
١٧	تعريف النصرانية وسبب التسمية
١٨	نشأة النصرانية
٢١	موقف شاعول من دعوة المسيح ﷺ
٢١	ملخص حادثة إعلان شاعول اتباعه للمسيح ﷺ
٢٥	أثر الدولة الرومانية في انتشار النصرانية
٢٩	المبحث الثاني : مصادر النصرانية
٣٠	التعريف بالعهد الجديد
٣١	الأناجيل وسفر أعمال الرسل
٣٦	رسائل العهد الجديد
٣٧	رؤيا يوحنا
٣٨	نقد مصادر النصارى في الجملة
٤٠	المبحث الثالث : فرق النصارى
٤٢	الفرق التي ظهرت من رفع المسيح ﷺ إلى مجمع نيقية
٤٧	الفرق التي ظهرت بعد مجمع نيقية
٤٩	الفرق النصرانية المعاصرة
٥٤	المبحث الرابع : العقائد النصرانية
٥٥	قانون الإيمان ونقده
٦١	عقائد النصارى إجمالاً



٦١	عقيدة الخطيئة الجدّية
٦٥	عقيدة الصليب والفداء
٦٧	عقيدة ألوهية الروح القدس
٧٢	الفصل الثاني : المراد بالتقديس
٧٣	المبحث الأول : المراد بالتقديس في اللغة والشرع
٧٤	معنى التقديس في اللغة
٧٥	معنى التقديس في الشرع
٨٠	المبحث الثاني : التقديس والقداسة عند النصارى
٨١	معنى التقديس والقداسة
٨٣	كيفية حصول النصراني على القداسة
٨٥	أهمية التقديس والقداسة عند النصارى
٨٧	المراد بتقديس الأشخاص في البحث
٨٨	الفصل الثالث : جذور تقدس الأشخاص
٨٩	تمهيد
٩١	المبحث الأول : تقدس الأشخاص في الديانة الفارسية
٩٢	أولاً : الجوسية
٩٢	ثانياً : الزرادشتية
٩٣	تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية
٩٨	المبحث الثاني : تقدس الأشخاص في الديانة الهندية
٩٩	تقديس الأشخاص عند الهندوس
١٠٢	تقديس بوذا في الديانة البوذية
١٠٥	المبحث الثالث : التقديس في الديانة المصرية القديمة
١٠٦	تقديس الأشخاص في الديانة المصرية القديمة
١١٠	المبحث الرابع : التقديس عند الرومان واليونان
١١١	التقديس عند اليونان



١١٣	التقديس عند الرومان
١١٦	الفصل الرابع : أسباب تقدير الأشخاص
١١٧	المبحث الأول : الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للنصرانية
١١٨	تأثير عقيدة ألوهية المسيح ﷺ عند النصارى بالديانات السابقة
١١٨	القول ببنوة بعض البشر لله
١١٩	التجسس في الديانات الوثنية
١٢٣	عقيدة التشليث
١٢٦	المبحث الثاني : دور بولس في تأسيس تقدير الأشخاص
١٢٧	رحلات بولس
١٣٠	تأليف الرسائل
١٣٣	العقائد والأفكار التي نادى بها بولس
١٤٠	المبحث الثالث : دور المحاجع النصرانية في تقدير الأشخاص
١٤١	تعريف المحاجع النصرانية
١٤٢	أهمية هذه المحاجع لدى النصارى
١٤٦	أهم الانتقادات الموجهة للمحاجع النصرانية أجمالاً
١٤٨	المبحث الرابع : دور الدولة الرومانية في ثبيت عقائد النصارى
	الباب الثاني : المقدسون من الأشخاص
١٥٢	الفصل الأول : تقدير عيسى ﷺ
١٥٣	المبحث الأول : عقيدة ألوهية المسيح ﷺ
١٥٤	النصوص التي يستدل بها النصارى على ألوهيته
١٥٦	استدلالهم بالأيات التي أجرها الله تعالى على يديه
١٥٨	مناقشة دعوى ألوهية المسيح ﷺ
١٥٨	بطلان هذه العقيدة من خلال الدليل التاريخي
١٥٩	بطلان هذه العقيدة من النصوص الواردة في العهد الجديد
١٦٤	بطلان هذه العقيدة من خلال رد على أدلة منهم



١٦٩	الرد على استدلالهم بما يسمى المعجزات على ألوهية المسيح <small>الصلبة</small>
١٧٠	بطلان هذه العقيدة من خلال الدليل العقلي
١٧٢	بطلان هذه العقيدة من خلال القرآن الكريم
١٧٦	المبحث الثاني : دعوى بنوة المسيح لله تعالى
١٧٧	تقرير بنوة المسيح <small>الصلبة</small> من خلال قولهم بـ الولادة الأزلية
١٧٩	تقرير دعوى بنوة المسيح <small>الصلبة</small> من النصوص الواردة في كتبهم
١٨٢	تقرير هذه الدعوى من خلال الاستدلال بـ ميلاد المسيح <small>الصلبة</small>
١٨٣	مناقشة دعوى بنوة المسيح <small>الصلبة</small>
١٨٣	الرد على استدلالهم بالقول بأزلية الابن وولادته من الله تعالى
١٨٦	الرد على استدلالهم ببعض الألفاظ على بنوة المسيح <small>الصلبة</small>
١٩١	الرد على استدلالهم بـ ميلاد المسيح <small>الصلبة</small> من غير أب
١٩٣	مناقشة عقيدتهم من خلال القرآن الكريم
١٩٦	المبحث الثالث : عقيدة التشليث
١٩٧	تقرير هذه العقيدة عند النصارى
١٩٧	أهمية هذه العقيدة عند النصارى
٢٠٠	الرد على عقيدة التشليث
٢٠٤	المبحث الرابع : تقديس مريم عليها السلام
٢٠٥	أولاً : التقديس الاعتقادي
٢١٢	ثانياً : التقديس العملي
٢١٧	الفصل الثاني : تقديس من يطلق عليهم النصارى الرسل
٢١٨	المبحث الأول : جماعة الرسل النصارى
٢١٩	نظرة حول المصادر التي تحدثت عن هذه الجماعة
٢٢٠	المراد بـ جماعة الرسل في المصادرنصرانية
٢٢٣	المبحث الثاني : صور التقديس لهذه الجماعة
٢٢٤	دعواهم أنَّ الرب خصهم بكثير من العطايا



٢٢٥	دُعْوَى شَهُودُهُمْ قِيَامَةُ مَسِيحِ الْكُلُّ ^{الله}
٢٢٧	دُعْوَى نَزْولُ الرُّوحِ الْقَدِيسِ وَتَأْيِيْدُهُ لَهُمْ
٢٢٨	تَأْيِيْدُهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ
٢٢٩	سَلَطَانٌ مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ
٢٣٠	مَكَانَتِهِمْ تَضَاهِي مَكَانَةِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ أَوْ أَعْظَمُ
٢٣٠	مَتَرَّلَتِهِمْ فِيمَا يُسَمَّى بِيَوْمِ الدِّينُونَةِ
٢٣٧	الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ : نَقْدُ مَا سَبَقَ عَرْضَهُ
٢٣٨	مَنَاقِشَةُ دُعْوَى رَسُولِيَّةِ الْاثْنَيْ عَشْرَ
٢٤٣	مَنَاقِشَةُ تَفْضِيلِ بَطْرُسِ عَلَى بَقِيَّةِ الْجَمَاعَةِ
٢٤٤	مَنَاقِشَةُ دُعْوَى أَنَّ عَدْدَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَسُولاًً
٢٤٦	أَتِبَاعُ مَسِيحِ الْكُلُّ ^{الله} فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
٢٤٩	الفَصْلُ الثَّالِثُ : تَقْدِيسُ الْبَابَا
٢٥٠	الْمَبْحَثُ الْأُولُ : الْبَابِوِيَّةُ : تَعْرِيفُهَا وَنَشَأَتْهَا
٢٥٤	الْمَبْحَثُ الثَّانِيُّ : صُورُ تَقْدِيسِ الْبَابَا
٢٥٥	دُعْوَى أَنَّ الرَّبَّ مَنَحَ سَلَطَانَهُ لَبَطْرُسِ وَأَنَابِهِ عَلَى مَلْكَتِهِ
٢٥٧	دُعْوَى أَنَّ الْبَابَا الرُّومَانِيَّ نَائِبُ الرَّبِّ الْوَارِثُ لِسَلَطَانَهُ وَرَئِيسُ الْكَنِيْسَةِ
٢٥٩	دُعْوَى عَصْمَةُ الْبَابَا
٢٦٤	دُعْوَى أَنَّ الْبَابَا لَهُ سَلَطَانُ التَّشْرِيعِ
٢٦٦	دُعْوَى مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ
٢٦٧	فَلْسِفَةُ صَكُوكِ الْغَفْرَانِ
٢٧١	حَقُّ التَّحْلِّةِ
٢٧٢	الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ : نَقْدُ تَقْدِيسِ الْبَابَا
٢٧٣	نَقْدُ دُعْوَى أَنَّ بَطْرُسَ نَائِبَ الرَّبِّ وَوَارِثَ سَلَطَانَهُ وَرَئِيسَ الْكَنِيْسَةِ
٢٧٧	نَقْدُ دُعْوَى أَنَّ الْبَابَا نَائِبَ الرَّبِّ وَالْوَارِثُ لِسُلْطَانَتِهِ وَرَئِيسَ الْكَنِيْسَةِ
٢٧٨	نَقْدُ عَصْمَةِ الْبَابَا



٢٨١	نقد أنّ له سلطان التحليل والتحريم
٢٨٣	الفصل الرابع : تقديس رجال الدين
٢٨٤	التعريف برجال الدين ونشأتهم
٢٨٦	المبحث الأول : صور تقديس رجال الدين
٢٨٧	دعوى وراثة سلطان الرب
٢٨٨	تقد هذه الدعوى
٢٨٩	المبحث الثاني : دعوى التوسط بين الله وبين الخلق
٢٩١	نقد مبدأ توسط رجال الدين
٢٩٣	المبحث الثالث : الأسرار الكنسية
٢٩٤	أهمية هذه الأسرار وارتباطها بحياة النصارى
٣٠٨	الفصل الخامس : صور عامة في تقديس الأشخاص
٣١٠	المبحث الأول : التبرك بآثار ومخلفات من يسمى بالمقدسين
٣١٦	المبحث الثاني : وضع التماضيل والصور وتقديسها
٣١٨	المبحث الثالث : أقامة الأعياد لهم
٣٢٠	المبحث الرابع : الحج وزيارة أماكنهم
	الباب الثالث : آثار التقديس

٣٢٣	تمهيد للباب
٣٢٦	الفصل الأول : آثار التقديس على الكنيسة
٣٢٧	المبحث الأول : طغيان الكنيسة :
٣٢٨	أسباب طغيان الكنيسة
٣٣٠	الطغيان الروحي
٣٣٣	الطغيان السياسي
٣٣٨	الطغيان المالي
٣٤٣	الطغيان ضد العلم
٣٥٣	الطغيان ضد العقل



٣٥٧	المبحث الثاني : فساد الكنيسة
٣٥٨	شهادات المؤرخين على فساد الكنيسة
٣٦٢	أسباب فساد رجال الدين
٣٦٦	الفصل الثاني : الثورة على الكنيسة
٣٦٧	المبحث الأول : الإصلاح الديني
٣٦٨	عوامل قيام الإصلاح
٣٧٢	يوحنا ويكلف
٣٧٥	يوحنا هوس
٣٧٧	حنا روخلن (روكلن)
٣٧٨	الإصلاح الديني في القرن السادس عشر
٣٧٨	١ - مارتن لوثر
٣٨٤	٢ - زونجلي
٣٨٦	٣ - كالفن
٣٨٨	نقد حركة الإصلاح الديني
٣٩١	المبحث الثاني : الثورة الفرنسية
٣٩٢	واقع المجتمع الفرنسي قبل الثورة
٣٩٢	النظام الملكي
٣٩٤	نظام الطبقات
٤٠٢	أسباب قيام الثورة
٤٠٥	مراحل الثورة
٤٠٩	تحليل ونقد
٤١١	الفصل الثالث : ظهور الفكر اللاديني
٤١٣	المبحث الأول : دين الكنيسة قبل ظهور الفكر اللاديني
٤١٨	المبحث الثاني : ظهور الفكر اللاديني (العلمانية نموذجاً)
٤١٩	تعريف العلمانية



٤٢٣	ظهور العلمانية
٤٢٤	عوامل نشأة العلمانية
٤٢٨	مجالات العلمانية
٤٢٩	الحال السياسي
٤٣١	نتائج العلمانية السياسية
٤٣٢	العلمانية في الاقتصاد
٤٣٥	العلمانية في العلم
٤٣٧	أسباب علمانية العلم
٤٣٩	مظاهر العلمانية في العلم
٤٤٠	الخاتمة
٤٤٣	فهرس المراجع

